إقــرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

الإشارات البلاغية في وصف الجنة في نونية ابن قيم الجوزية وأثرها في بناء النص

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هي نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وإن هذه الرسالة ككل، أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أية مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

DECLARATION

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification

Student's name:	**اسم الطالب: محمد صبحي عبد العاطي البحيصي**
Signature:	**التوقيع:**
Date:	**التاريخ: 2015/5/11**

الجامعـــــة الإســـــلامية – غـــزة
شئون البحث العلمي والدراسات العليا
كليـــــــــــــــــــة الآداب
قســــــم اللغــــــة العربيـــــة



الإشارات البلاغية في وصف الجنة
في نونية ابن قيم الجوزية وأثرها في بناء النص

Rehetorical Signals in the Description of Paradise at the Poetic Structure of Iben qaim Al Jawzias's " Nounia And its impact on the text Structure

إعداد الطالب
محمد صبحي البحيصي

إشراف الأستاذ الدكتور
محمد شعبان علوان
أستاذ البلاغة والإعجاز القرآني بالجامعة الإسلامية

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في البلاغة العربية

١٤٣٦هـ – ٢٠١٥م





الجامعة الإسلامية – غزة
The Islamic University - Gaza

مكتب نائب الرئيس للبحث العلمي والدراسات العليا هاتف داخلي 1150

الرقم...ج س غ/35/...... Ref

التاريخ 2015/05/11........ Date

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة شئون البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحث/ **محمد صبحي عبدالعاطي البحيصي** لنيل درجة الماجستير في **كلية *الآداب*/ قسم اللغة العربية**، وموضوعها:

الإشارات البلاغية في وصف الجنة في نونية ابن قيم الجوزية وأثرها في بناء النص

وبعد المناقشة العلنية التي تمت اليوم الاثنين 22 رجب 1436هـ، الموافق 2015/05/11م الساعة الواحدة والنصف ظهراً بمبنى طيبة، اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

أ.د. محمد شعبان علوان	مشرفاً و رئيساً	....
د. محمد شحادة تيم	مناقشاً داخلياً	....
أ.د. نعمان شعبان علوان	مناقشاً خارجياً	....

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحث درجة الماجستير في **كلية *الآداب*/قسم <u>اللغة العربية</u>**.

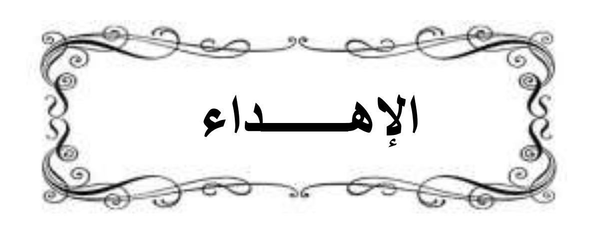
واللجنة إذ تمنحه هذه الدرجة فإنها توصيه بتقوى الله ولزوم طاعته وأن يسخر علمه في خدمة دينه ووطنه.

والله ولي التوفيق ،،،

مساعد نائب الرئيس للبحث العلمي والدراسات العليا

د. فؤاد علي العاجز


بسم الله الرحمن الرحيم
قال تعالى:
﴿قُلْ بِفَضْلِ اللّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾
[يونس:٥٨]
صدق الله العظيم



إلى ذي الـعـقـل المـبـدع والمـدبّـــــر

ومـــاء الـمـعـيــــن الـمـنــهـــمـــــر

أستـاذي الذي أفتخر به على مر الزمن

أستاذ البلاغة العربية والإعجاز القرآنـي

الأستاذ الدكتور/ محمد شعبان علوان "أبو مصعب"

إلى من شملاني بعطفهما وحنانهما ودعائهما....والديّ الكريمان...

إلى صاحبة القلب الكبير... زوجتي الغالية " أم القيم "......

إلى أبنائي الطيبين... ابن القيم ورواء وتغريد وأحمد...

إلى من هم أكرم منا جميعاً... شهداء فلسطين...

إلى أسرى فلسطين الرابضين خلف القضبان..

إلى جميع إخواني وأصدقائي الأعزاء...

إليهم جميعاً . . أهدي هذه الرسالة . .

وفاءً ومحبةً وإخلاصاً . .

شكر وتقدير

قال تعالى: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل: ١٩]

لا يسعني في هذا المقام وبعد أن أنعم الله تبارك وتعالى عليّ بفضله ومنّه وكرمه باجتياز هذه الرسالة الكريمة، إلا أن أتقدم بالشكر الموصول بفائق الاحترام والتقدير وبالغ الامتنان وجزيل العرفان إلى من أخذ بيدي في سبيل إنجاز هذه الرسالة، وأخصّ بالذكر مُشرفي الفاضل الأستاذ الدكتور / محمد شعبان علوان، الذي صوّب ووجّه وتابع وأرشد ونصح لي ليل نهار، فأشكره من قلبي على إخلاصه وحسن ضيافته في بيته الكريم، وإرشاده لي في جميع مراحل هذا البحث، فهو نعمَ الصديق والوالد المربّي، فأسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يجعله من أهل الدرجات العلا في مقعد صدقٍ عند مليكٍ مقتدر.

كما أتقدم بالشكر الخالص إلى عضوَي لجنة المناقشة كل من:

الدكتور الفاضل/ محمد شحادة تيم حفظه الله

الأستاذ الدكتور/ نعمان شعبان علوان حفظه الله

لتفضلهما بقبول مناقشة الرسالة، وتحمّل عناء قراءتها وتدبرها وإثرائها وتعديلها من أجل تقويم ما لم أستدركه في كتابتي وتعزيز ما استقام، فأسأل المولى عز وجل أن ينفعني بملاحظاتهم وتوجيهاتهم السديدة...

كما أحمل الشكر والعرفان إلى كل من أمدّني بالعلم والمال والدعاء، وأسدى ليَ النصح والتوجيه وخاصةً الصديق الفاضل الدكتور/ محمد بكر سلمي، والشهيد الدكتور/ أحمد المصري، والأستاذ/ عبد الله الأعور، والسيد الفاضل/ صابر أبو كرش، والأستاذ/ مصطفى البحيصي، والصديق الكريم/ محمد سالم داوود، وعمار عابد، وإلى ذلك الصرح العلمي الشامخ متمثلاً في الجامعة الإسلامية الموقرة، وأخص بالذكر قسم اللغة العربية وعميد الدراسات العليا ورئيس الجامعة الموقر والقائمين عليها، كما أتوجه بجزيل الشكر لمكتبة الجامعة الإسلامية وجميع الإخوة العاملين وعلى رأسهم الأستاذ/ محمد أبو ستة، والأستاذ زياد العويني.

والشكر موصول بفائق التقدير والاحترام لجامعة الأقصى وأعضاء هيئتها التدريسية وخاصةً الأستاذ الدكتور/ عبد الجليل صرصور عميد كلية الآداب، والأستاذ الدكتور حماد أبو شاويش عميد كلية الآداب بجامعة سرت في ليبيا، والصديقَين في مكتبة الجامعة مختار العزايزة، ونور الكرد على ما بذلا من جهودٍ مباركة في خدمة هذه الرسالة الكريمة...

كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى كل من ساندني بدعائه الصادق وتمنياته المخلصة.

ملخص الدراسة

فهذه الأطروحة هي دراسةٌ بلاغية تحليلية وصفية لمستويات البلاغة وفنونها في نونية ابن القيم في وصف الجنة، والأداء البياني والبديعي والتصوير الخيالي وتضمين القيمة الفنية والجمالية للصورة البصرية والسمعية والذهنية وموسيقى النص واللغة، ومن خلال دراستي للقصيدة النونية توصلت لبعض النتائج والتوصيات منها:

أولاً: النتائج:

- لقد مثلت القصيدة النونية المسماة بالكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، نصاً بلاغياً أدبياً في غاية الروعة والجمال، حيث تعددت الإبداعاتُ واللمسات البلاغية وتشكّلت في جميع جوانبها الثلاثة، وذلك في المعاني والبيان والبديع.
- اهتم الباحث بوصف الجمال الحسى والمعنوي لجميع لذّات النعيم، من خلال الوصف الدقيق والتحليل والاستنباط لعذوبة اللفظ ورشاقة المعني والتناغم الموسيقي والنظرات الجمالية.
- أظهر البحث جمالية وصف الجنة والإحساس بها، من خلال تقديم لغةٍ راقية فاقت الفنون والظنون.
- قام هذا البحث على أساس عملية الوصف والذي من خلاله تم تقديم أجمل صورةٍ لذاك المكان الذي لم يطؤه أحدٌ بعد، حيث ظهرت الملامح الخارجية والداخلية المتناغمة لذاك المكان وأهله، وظهرت حقيقة العلاقة بين الإنسان وذاك المكان بألوانه وظلالِه ومشاهدِه من خلال الوصف واللغة الإبداعية المتناثرة في أرجاء النص.
- إن القصيدة النونية قد سارت وفق أداءٍ بلاغي راقٍ وعالٍ جداً ذات مستوى أسلوبي وبياني وأدبي وجمالي مؤثر، وقد عكست القصيدة النونية مدى صدق هذا العالِم الرباني وعمق صورة شخصيته العقائدية والفكرية والنفسية والعاطفية

ثانيا- التوصيات: خلصتُ في خاتمة البحث إلى توصيات عدة، منها:

- توصي هذه الدراسة بتعميق البحث البلاغي بجميع مستوياته في نتاج ابن القيم الأدبي والبلاغي والفني والجمالي.
- أنصح طلاب العلم والبلاغة أن يهتموا بدراسات ابن القيم وخاصةً ما أورده في قصائده لوصف الجنة، لأن كل إنسانٍ يسعى جاهداً للوصول لذاك المكان المطهر.

Abstract

This thesis is an analytical, rhetorical and descriptive study of the levels of rhetoric and its arts in "Al Nooniyah" by Imam Ibn Qayyim Al Jawziyyah in describing Paradise. It is also about its rhetorical performance, metaphor, imaginative figuration, artistic value implication of visual, audio and mental image and the tone of the text and language. Through my study, some conclusions and recommendations have been concluded.

Conclusions:

- Al Nooniyah, which is known as Al Khafeyah Al Shageyah, represents literary rhetorical text that is extraordinary tasteful. There are various rhetorical touches that are formed in the three aspects: semantics, rhetoric and metaphor.
- The researcher is concerned about describing the concrete and abstract beauty of all types of blessings through accurate description, analysis and deduction of the charming expressions, the musical harmony and artistic views.
- The study shows the beauty of Paradise and the nature of feeling it through a sophisticated language that surpassed arts and thoughts.
- This study depends on the description process through which the most beautiful image for that place has been presented. The place has not been seen yet. The harmonious and internal features of that place and its inhabitants have been clearly shown; the relation between man and that place with its colors, shades and scenes is also presented through description and creative language.
- Al Nooniyah is rhetorically, artistically and stylistically sophisticated and effective. It reflects how sincere this scholar is and how deep his character is in terms of beliefs, ideas, psychology and emotions.

Recommendations:

- The study recommends to deepen rhetorical research in the artistic, rhetorical, and literary works of Ibn Qayyim Al Jawziyyah.
- Students of rhetoric and science should pay much attention to Ibn Qayyim Al Jawziyyah especially what was narrated by him about paradise description since every man aims at reaching that divine place.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبيَ بعده، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، اللهم إنا نعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلماتُ وصلُح عليه أمرُ الدنيا والآخرة، اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين وأصلح لنا شأننا كلّه لا إله إلا أنت، ونصلي ونسلّمُ على معلم الأمة جمعاء، محمد بن عبد الله ومن اتّبع خطاه واهتدى بهداه واقتفى أثره إلى يوم الدين وبعد:

فإنّ للجنة منزلةً عظيمةً في قلوب المسلمين منذ أن بعث الله تعالى رسولَه الكريم ﷺ ليكون هادياً ومبشراً لعباد الله الموحدين مما جعلهم يشتاقون إليها ويتمنّونها ويشمّروا سواعدهم من أجلها، فوصفها لهم فجعلوا ينظرون إليها رأى العين، فيموت أحدهم فيقول: كفنوا أخاكم فإنه مات شوقاً إلى الجنة، لذلك ظهرت معنا أهمية دراسة هذه القصيدة لما فيها من جمالٍ لذاك النعيم الأبدي الذي حوله ندندن، فآثرتُ الوقوف عند عتباتها وجنَباتها مبيّناً ما فيها من همساتٍ وإبداعاتٍ بلاغيةٍ، فأسأل الله العظيم أن أكونَ قد أحسنتُ الاختيارَ سائلاً المولى عز وجل أن يجعلنا من أهل الجنة وأن يوفقنا إلى ما يحبه ويرضاه.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في بعض القضايا التالية:

١– أظهرت القصيدةُ " المشهورة بالنونية الكافية الشافية " معتقدَ مذهب أهل السنّة والجماعة الذين يغارون على دين الله ورسوله ﷺ واستطاعت أن تردَّ على جميع الفرق الضالّة والمشكّكة في القضايا العقائدية من نعيمٍ في الجنان ورؤيةٍ لوجه العزيز المنّان وصحبةٍ مع النبي العدنان ﷺ في جنة عرضها السموات والأرض أُعدت للمتقين.

٢– بيّنت النونيةُ مدى تفاني المؤلف في خدمة الإسلام والذّود عن شرف الدين وحمايته من دنس المتلاعبين وفضح الملل والأمم التي تتستّر بلباس الدين.

٣– أبرزت القصيدةُ أجملَ الأساليبَ والإشاراتِ البلاغية المتناثرة في أرجائها كحَبّ جُمانٍ من بديعٍ وعلمٍ للمعاني وصور البيان.

٤– دراسةُ النونية ووصف الجنة فيها إيقاظٌ للروح ورفعٌ للهمة، والتطلّع نحو الفردوس الأعلى ونيل مرتبة الشرف في رفقة سيد المرسلين عند الحوض والرياض والبساتين، فالله يدعو إلى الجنة والمغفرة بإذنه.

٥- عدم الحصول على أي رسائلَ سابقة تطرقت للحديث عن وصف الجنة مما شجعني أن أطرقَ هذا الباب لعله يكون سبباً في إظهار محبتنا لهذا الدين وشحذ الهمة نحو الجنة.

٦- يرسم هذا البحث صورةً مشرقةً عن صدق علمائنا في دفاعهم عن العقيدة الصافية التي جاء بها النبي الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم.

أسباب اختيار البحث:

١- إن الباعث الأول في اختيار هذه القصيدة الرائعة هو التقرب إلى الله تعالى وابتغاء مرضاته ومحبةً لرسوله الكريم محمد ﷺ.

٢- الدفاعُ عن هذا الدين العظيم ونصرةُ سيدِ الأولين والآخرين والردّ على المضلّلين المشكّكين بعقيدة التوحيد.

٣- تعلقُ القلوب بالجنة التي وعدها الله لعباده المتقين، فقال عز مَن قائل: ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا﴾ [مريم: ٦١]، وأيضاً الرغبة في النعيم المقيم الذي أعده الله تعالى لعباده المؤمنين في الجنة، فقال:" أعددتُ لعباديَ الصالحين في الجنة ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر".

٤- يسهم هذا البحث في فهم آي القرآن الحكيم والحديث النبوي الشريف، وخاصةً ما ورد في وصف الجنة ونعيمها الذي لا يزول.

٥- أظهرت القصيدة أسراراً جماليةً في غاية الروعة والسحر والجمال غير المتناهي، فآثرتُ الوقوف عندها لتكون سبباً في إثراء مكتباتنا العربية بعلوم البلاغة .

٦- عدم وجود دراسات سابقة للحديث عن أي إشارات بلاغية في وصف الجنة في القصيدة النونية.

منهج الدراسة:

اعتمدتُ في دراستي لهذا البحث المنهج الوصفي التحليلي للقضايا البلاغية المختلفة فيما يتعلق بعلم المعاني والبيان والبديع وأثرها في بناء النص بالإضافة إلى الشروحات الفنية، حيث إنني قمتُ بدراسة القصيدة متتبعاً الإشارات البلاغية وما يتعلق بها من قضايا جمالية محاولاً كشف الستار عن مكنوناتها وأسرارها البلاغية والوقوف عند لطائفها، وقد أردفتُ في خاتمة البحث مُلحقاً خاصاً بتوثيق الأبيات المتعلقة بالدراسة بناءً على التوثيق المحقق الذي قدمه فضيلة الدكتور محمد العريفي في شرح الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية والذي يبدأ من صفحة ٢٥٨-٢٩٧ حسب التوثيق المحقق في الكافية الشافية.

الدراسات السابقة:

لم أجد حسب جهدي واطلاعي أن أحداً من الباحثين تطرّق للدراسة البلاغية في وصف الجنة في نونية ابن قيم الجوزية، وخاصةً أنني اجتهدتُ وسألت الكثير من الإخوة العاملين في مكتباتنا وجامعاتنا في الوطن والخارج، فلم أجد أيَّ دراسةٍ بلاغيةٍ للقصيدة النونية، وإنما وجدتُ تحقيقاً لمخطوطاتها وشروحاً لمفرداتها في الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، تحقيق وتعليق:

١- محمد بن عبد الرحمن العريفي، وناصر بن يحيى الجنيني، وعبد الله بن عبد الرحمن الهذيل، وفهد بن على المساعد، وإشراف بكر بن عبد الله أبو زيد.

٢- توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم، أحمد بن إبراهيم بن عيسى.

٣- شرح القصيدة النونية، د. محمد خليل هراس (١٣٩٥هـ).

خطة البحث:

لقد اقتضت طبيعةُ هذا البحث أن يتكوّن من أربعة فصول يسبقهم تمهيد وتقفوهم الخاتمة.

المقدمة

التمهيد ويتناول: حياة ابن قيم الجوزية وآثاره وعلمه وشيوخه وتلاميذه ومؤلفاته وإبداعاته.

التعريف بالقصيدة.

الفصل الأول
الإشارات البلاغية في علم المعاني

وقد حصرتُ مباحثه في الخبر وأغراضه البلاغية والإنشاء الطلبي وغير الطلبي وموضوعاتِه المتعددة كالاستفهام وأغراضه البلاغية والأمر وأغراضه البلاغية والنهي وأغراضه البلاغية والنداء وأغراضه، والتقديم والتأخير ودواعيه، والإيجاز بنوعيه الحذف والقصَر والإطناب بصوره المتعددة من تفصيل وإجمال وعطف العام على الخاص وعطف الخاص على العام والإيضاح بعد الإبهام والتوشيع والإيغال والاحتراس والتذييل والتكرار وأغراضه البلاغية والاعتراض والمساواة والحذف بأنواعه والفصل والوصل ومواضع كلّ واحد منهما، والقصر باعتبار نوعيه وطرفيه وباعتبار حال المخاطب وتقديم ما حقه التأخير.

الفصل الثاني
الإشارات البلاغية في علم البيان

وقد تناولتُ فيه مصادر التصوير البياني من القرآن الكريم والسنّة النبوية المطهرة، والتشبيه باعتبار طرفيه وباعتبار الإفراد والتركيب والتعدد، وباعتبار الأداة وباعتبار وجه الشبه، وأنواعه وأغراضه، والاستعارة وأركانها وأقسامها وباعتبارها مرشحة ومجردة ومطلقة وجامدة ومشتقة، والكناية وأقسامها باعتبار الصفة والموصوف والنسبة والتعريض، والمجاز بنوعيه العقلي وعلاقاته والمرسل وعلاقاته.

الفصل الثالث
الإشارات البلاغية في علم البديع

ويشتمل على المحسنات البديعية المعنوية كالطباق وتفريعاته، والمقابلة واللف والنشر وأسلوب الحكيم واللفظية كالجناس بأنواعه والسجع وتقسيماته ورد العجز على الصدر.

الفصل الرابع
أثر الإشارات البلاغية في بناء النص

وتناولت من خلاله الصورة البصرية في القصيدة النونية وأثرها في بناء النص، وأثر الصورة الذهنية في تشكيل الصورة السمعية.

وتم تذييل البحث بخاتمته والتي تضمنت رصداً لأهم نتائج هذه الدراسة وتوصياتها.

وأسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يجعل هذه الدراسة سبباً لنا في دخول الجنان ولذة النظر إلى وجه الكريم المنّان.

تمهيد

- **التعريف بالمؤلف:**

هو الإمام الفقيه المفسّر النحويّ أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز[١] بن مكي الزرعي ثم الدمشقي الحنبلي.[٢]

- **سبب التسمية :**

كان أبوه قيّماً على المدرسة الجوزية بدمشق ومديراً لشئونها، فأطلق عليه ابن قيم الجوزية، أي ابن ناظر المدرسة ومديرها.[٣]

- **مولده ونشأته:**

ولد في السابع من شهر صفر عام ٦٩١هـ ،[٤] الموافق عام (١٢٩٢م)، [٥] في قرية زرع من ضواحي دمشق، ونشأ في بيت علمٍ وفضلٍ،[٦] وتلقّى علومه الأولى عن أبيه المتوفى (٧٢٣هـ)، وكان بحراً زاخراً بألوان العلوم والمعارف حذقاً عالماً بأصول الدين واللغة العربية.

- **أساتذته:**

تتلمذ على أيدي علماء كبار وفقهاء محدثين من علماء الشام في ذلك الحين أمثال الشيرازي[٧]،

---

(١) الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تح: أحمد الأرناؤوط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١٤٢٠،١هـ، ٢٠٠٠م، ج١٩٥/٢.

(٢) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي،(١٠٨٩هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ج١٨٦/٦.

(٣) طريق الهجرتين وباب السعادتين، ابن قيم الجوزية، تح :أحمد بن شعبان بن أحمد، القاهرة، ط١، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م، ص٨.

(٤) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، للحافظ شهاب الدين أحمد بن على بن محمد العسقلاني،(٨٥٢هـ)، تح: محمد عبد المعيد ضان، دائرة المعارف العثمانية، ج١٣٧/٢ .

(٥) الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن على بن فارس الدمشقي الزركلي، (١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، ط ٢٠٠٢،١م ج٥٦/٦ .

(٦) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، مؤسسة الريان، ط١٤٢٩،٣هـ، ٢٠٠٨م،ج٧/١.

(٧) محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر أبو طاهر مجد الدين الشيرازي الفيروز آبادي من أئمة اللغة والأدب، ولد عام (٧٢٩هـ)، انتقل إلى العراق وجال في مصر والشام ودخل بلاد الروم والهند وكان مرجع عصره في اللغة والحديث والتفسير، من أشهر كتبه القاموس المحيط وتوفى عام (٨١٧هـ)، وانظر الأعلام للزركلي ج٧ /١٤٦.

وابن مكتوم [١]، والنابلسي[٢]، والتقى بشيخ الإسلام ابن تيمية[٣] عام (٧١٢هـ) وقد لازمه طوال حياته وتتلمذ على يديه وتحمّل معه أعباء الجهاد في سبيل الله والدعوة إلى الله، وترك في نفسه أثراً بالغاً وخاصةً في محاربة المنحرفين عن عقيدة السلف،[٤] فلازمه في سجنه ولم يُفرج عنه إلا بعد وفاة شيخه سنة (٧٢٨هـ) [٥].

- **تلاميذه:**

تتلمذ علي يديه فقهاء محدثون وعلماء جهابذة ولغويون عظماء أمثال ابن رجب الحنبلي والإمام الحافظ ابن كثير والذهبي وغيرهم.

- **منهجه وأخلاقه وعقيدته:**

كان جرئَ الجنانِ واسعَ العلم، عارفاً بالأخلاق ومذاهب السلف، تفقّه في المذهب الحنبلي وأفتى، وغلب عليه حبُّ شيخ الإسلام ابن تيمية حتى كان لا يخرج عن شيءٍ من أقواله،[٦] وقد اتخذ طريقةً في البحث تخالف ما درج عليه الفقهاء من قبله، فهم يعرضون المسألة ثم يؤيدونها بالدليل، أمّا هو فقد اتخذ النصوص أساساً لبحثه ثم الشروع في الاستنباط منها والإكثار من الأدلة النقلية والعقلية على المسألة الواحدة [٧].

---

(١) أحمد بن عبد القادر بن أحمد بن مكتوم القيسي، أبو محمد تاج الدين، ولد عام (٦٨٢هـ) عالم بالتراجم وله معرفة بالتفسير وفقه الحنفية وله نظم جيد، توفي في مصر عام (٧٤٩هـ)، وانظر الأعلام للزركلي ج١/ ١٥٣.

(٢) إبراهيم بن إسماعيل النقيب بن إبراهيم برهان الدين المقدسي ولد عام (٧٦٣هـ)، فقيه حنبلي متقنٌ للفرائض وقد سمي بأقضى القضاة وله نظم الأجرومية في النحو، توفي عام (٨٠٣هـ)، وانظر: الأعلام للزركلي ج١/٣٣ وطريق الهجرتين، ص ٨.

(٣) أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني الدمشقي الحنبلي إمام الأئمة المجتهد المطلق، ولد عام (٦٦١هـ) وسُجن بقلعة دمشق مرات عديدة ولم يزل بها الى أن مات ليلة الاثنين لعشرين من ذي القعدة عام(٧٢٨هـ) .

(٤) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، للشوكاني (١٢٥٠هـ)، وضع الحواشي خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت ج١/٥٧– ٦٣.

(٥) زاد المعاد، ص١٢ .

(٦) الداء والدواء، ابن قيم الجوزية، تح: أحمد بن محمد آل نبعة، جمعية إحياء التراث الإسلامي، ط١٤٢٩،٤هـ، ٢٠٠٨م، ص٧.

(٧) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ابن قيم الجوزية، تح: أحمد بن شعبان بن أحمد، القاهرة ط١، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م، ص١٥.

لقد عرض آراء السابقين واختار ما أيّده الدليل وعرض أدلتهم وفنّدها واعتمد على الأصول في استنباط الأحكام دون التعصب لمذهبٍ معيّن، داعياً لمذهب السلف وعقيدتهم مناصراً لهذا المذهب ذابّاً عنه بقلمه ولسانه، مبطلاً جميعَ الشبهاتِ التي جاء بها المخالفون.

وقد أثبت في الاستدلال على وجود الله تعالى فقال: إن لله سبحانه صفاتِ كمالٍ لا تُحصى تزيد عن صفات المعاني وأنها أزلية قائمةٌ بذاته تعالى.

ونادى لمذهب أهل السنّة والجماعة وتحمّس له مثل شيخه ابن تيمية رادّاً على كل المضلّلين والمشكّكين بصحة هذا الدين العظيم.

وقال رحمه الله: " كل ما سوى الله مخلوق له، وهو أثر قدرته ومشيئته، ومن أنكر ذلك لزمه إثبات خالقٍ سوى الله أو القول بوجود مخلوق لا خالقَ له ".

وقد هاجم الجهمية والمعتزلة والأشاعرة والمنحرفين بلهجة قاسية لا رحمة فيها[١] لأنه لم يرتضِ إلى ما ذهبوا إليه، فكانت الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية نصرةً لمذهب أهل السنّة والجماعة وردّاً على أهل الباطل والأهواء.

- **محنته وصبره:**

أُعتقل مع شيخه ابن تيمية بالقلعة بدمشق بعد أن أُهين وطيف به على جملٍ مضروباً بالدرّة، ولم يُفرج عنه إلا بعد وفاة شيخه، وامتُحن مرةً أخرى بسبب فتاوى ابن تيمية، وكان ينال من علماء عصره وينالون منه،[٢] وإذا صلى الصبح جلس مكانه يذكر الله حتى يتعالى النهار ويقول: "هذه غدوتي لو لم أقعدها سقطت قواي وبالصبر والفقر يُنال الإمامة في الدين، ولابد للسالك من همّةٍ تسيّره وترقّيه وعلم يبصّره ويهديه "[٣].

- **وفاته:**

ذكر **ابن العماد في شذرات الذهب:** " توفى ابن قيم الجوزية ليلة الخميس ١٣ رجب عام ٧٥١هـ، ودُفن بمقبرة الباب الصغير بدمشق"[٤].

- **ثناء العلماء عليه:**

قال العلّامة **ابنُ رجب الحنبلي:** " تفقّه في المذهب وبرع وأفتى ولازم شيخَ الإسلام وتفنّن في علوم الإسلام، عارفاً بالتفسير لا يجاريه أحدٌ في ذلك، وإليه المُنتَهى في أصول الدين والحديث

(١) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ص ١٨-١٩.

(٢) البدر الطالع، ج٢/١٣٧.

(٣) الدرر الكامنة، ج٥/١٣٨.

(٤) شذرات الذهب، ج٦ /١٧٩.

ومعانيه وفقهه ودقائق الاستنباط منه، وكان عالماً بعلم السلوك وكلام أهل التصوّف وإشاراتهم ودقائقهم، وله في كل فنٍ من هذه الفنون اليد الطولَى"[١].

" وكان ذا عبادةٍ وتهجدٍ وطول صلاةٍ إلى الغاية القصوى، وتألّهٍ ولهج بالذكر، وشغفٍ بالمحبة والإنابة والاستغفار والافتقار إلى الله والإطّراح بين يديه على عتبة عبوديته، لم أشاهد مثله في ذلك ولا رأيتُ أوسعَ منه علماً ولا أعرفَ بمعاني القرآن والسنّة وحقائق الإيمان منه" [٢].

قال **الإمام الحافظ ابن كثير**:[٣] " سمع الحديثَ واشتغل بالعلم، وكان حسنَ القراءة والخُلُق، كثير التودد لا يَحسد أحداً ولا يؤذيه ولا يستعيبه، ولا يحقد على أحد وكنتُ من أصحب الناس له وأحبّ الناس إليه ولا أعرف في هذا العالم في زماننا أكثر عبادةً منه".[٤]

قال **القاضي برهان الدين الزرعي**[٥]: " ما تحت أديم السماء أوسع علماً منه "[٦].

- **من أهم مؤلفاته:**

- الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، المسمّاة بالنونية،[٧] وتتكون من ستة آلاف بيت، وهي مجال الدراسة في هذه الأطروحة.
- الداء والدواء .
- إعلام الموقعين عن رب العالمين.
- الوابل الصيب من الكلم الطيب.
- الروح.
- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة.
- التبيان في أقسام القرآن.

---

(١) الذيل على طبقات الحنابلة، ابن رجب الحنبلي، (٧٩٥هـ)، تح: الدكتور عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، مكتبة العبيكان، ط١، ١٤٢٥هـ،٢٠٠٥م، ج٥/ ١٧١- ١٧٢.

(٢) المصدر السابق، ج٥ /١٧٥

(٣) إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضو بن درع القرشي الدمشقي أبو الفداء الحافظ المؤلف الفقيه، ولد عام (٧٠١هـ) له تصانيف كثيرة في التاريخ والتفسير مثل البداية والنهاية في تفسير القرآن العظيم، (تـ ٧٧٤ هـ) .

(٤) البداية والنهاية، لابن كثير، تح: على شيري، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م، ج١٤/٢٧٠.

(٥) محمد بن محمد بن شرف الزرعي الشافعي، ولد عام (٧٧٩هـ)، ألّف كتاب جواهر الكلام عن أئمة الأعلام، توفي بدمشق عام (٧٧٩هـ) .انظر الأعلام للزركلي ج٧ /٤١.

(٦) ذيل طبقات الحنابلة، ج٥/١٧٤.

(٧) المصدر السابق، ج٥ / ١٧٥.

- إغاثة اللهفان في مصائد الشيطان.
- بدائع الفوائد.
- جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام.
- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح.
- روضة المحبين ونزهة المشتاقين.
- زاد المعاد في هدي خير العباد[1].
- شفاء العليل.
- عدّة الصابرين وذخيرة الشاكرين.
- طريق الهجرتين وباب السعادتين.
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين.
- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى.

التعريف بالقصيدة:

- **عنوان الكتاب ونسبته إلى مؤلفه:**

يقول **السيوطي** في كتابه **بغية الوعاة:** " فإنّ العنوان المشهور لهذا الكتاب هو الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية "[2].

ونسبة هذا الكتاب لابن قيم الجوزية لا مجالَ للشك فيها، ويكفي ما ذكره المؤلف بنفسه في كتاب **اجتماع الجيوش الإسلامية** عندما رد على أهل الضلالة في مسألة الاستواء فقال:" وقد أشبعنا الكلام على هذه المسألة واستيفاء الاحتجاج لهم وبيان ما في ذلك في كتاب الشافية والكافية في الانتصار للفرقة الناجية "[3].

---

(١) الوافي بالوفيات، ج٢/١٩٥- ١٩٦ .

(٢) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي،(٩١١هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية،ج١ /٦٣، وانظر: ذيل طبقات الحنابلة، ج٥ / ١٧٥، وشذرات الذهب ج٥/ ٣٣٨.

(٣) اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٤ هـ، ١٩٨٤م، ج١ /١١١، وانظر: الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، تح : محمد العريفي، وناصر الحنيني، وعبد الله الهذيل، وفهد المساعد، إشراف بكر أبو زيد، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، المجلد الأول، ط ١، ١٤٢٨هـ، ص١١.

- **مباحث الكافية الشافية " النونية":**

هذه المنظومة التي اختارها المؤلف الإمام ابن القيم جاءت على بحر الكامل، وهى من أعظم ما تم تأليفه في بيان عقيدة السلف والاحتجاج لها والرد على المذاهب المنحرفة عن جادة الصواب وهي ما عليه نبينا محمد ﷺ وصحبه الكرام.

وقد بلغت هذه المنظومة زهاء ستة آلاف بيت، شملت معظم أبواب العقائد ووجوه أهل الكلام والرد عليهم بالأدلة والبراهين القاطعة المستقاة من القرآن الكريم والسنّة النبوية والعقل الصريح، وقد اتّسمت النونية أحياناً بالطابع العلمي من غير جفاف، وأحياناً بفصول الملحمة الشعرية الممتعة والمشوّقة بالإضافة للصور البلاغية المتناثرة في أرجائها.

- **خطبة الكتاب:**

افتتح ابن القيم النونية الكافية الشافية بخطبة نثرية كشف فيها عن أهمية معرفة الله تعالى ومحبته وطلب الزلفى عنده، وأنه لا سبيلَ للوصول إلى رضوان الله إلا بمعرفة أسمائه العلى وصفاته الحسنى والإيمان بها، ثم ذكر أنواع القلوب فقال:" هناك قلبٌ معظّم لربّه ولأوامره ولأسمائه وصفاته، وقلبٌ جاهلٌ بربه منكرٌ لأسمائه وصفاته ومعطّلٌ لها، عليه ما يستحق من اللعنة والغضب" [١].

- **مقدمة النونية:**

استهل الإمام ابن القيم قصيدته بمقدمة غزلية في الظاهر ومطلعها:

حكـــــمُ المحبـــــةِ ثابـــــتُ الأركـــــان ... مـــا للصـــدود بفســـخ ذاك يـــدان[٢]

وقد عنى بالمحبة محبة الله تعالى، فهي المحبة الدائمة الثابتة التي لا تزول أركانها ولا يتزعزع بنيانها، ثم انتقل إلى موضوع القصيدة مبيّناً عقائد الجهمية الفاسدة بالتفصيل والاتحادية والحلوليّة والمعتزلة والأشاعرة والزنادقة والجهمية والقدرية وغيرهم من الفرق الضالة، وأسهب في وصف ركب الإيمان الذين هم عسكر القرآن فقال:

دارُ الســـــلامةِ وجنـــــةُ المـــــأوى ومنـــــ ... ـــزلُ عســـكرِ الإيمـــان والقـــرآن[٣]

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص١٢ .

(٢) المصدر السابق، ص١٩.

(٣) المصدر السابق، ص٢٦٠.

- **موضوعات القصيدة:**

١- مسألة كلام الله تعالى:

وهى المسألة التي خاض فيها أهل الكلام والفلاسفة والزنادقة والتي نتج عنها فتنة خلق القرآن، وقد استغرقت هذه المسألة أكثر من خمسمائة بيت من القصيدة، واستطاع الناظم أن يردّ على أهل الباطل بأدلةٍ نقلية وعقلية قهرتهم ومرّغت وجوههم في التراب.

ثم ذكر مقالات الفلاسفة والقرامطة في هذه المسألة والاتحادية والكلابية والاقترانية وبيّن فساد عقيدتهم ومذاهبهم.

٢- مسألة علو الله تعالى على خلقه:

ثم انتقل ابن القيم إلى بحث مسألةٍ من أهم مسائل العقيدة زلّت فيها أقدامٌ وضلّت فيها أفهام، وأظهر بالدليل النقلي المتواتر من الكتاب والسنّة صفة العلو لله تعالى وإثبات هذه الصفة كما أثبتها مولانا سبحانه وتعالى لنفسه وكما أثبتها له الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، فردّ على الجهمية المعطلة القائلين بأنه ليس على العرش إلهٌ يعبد، ولا فوق السموات إلهٌ يُصلَّى له ويُسجَد، وبيّن فساد قولهم عقلاً ونقلاً ولغةً وفطرةً، وتطرّق لقضية التأويل لدى الفلاسفة والملاحدة وأظهر عجزهم وضعفهم وأنهم أمثالُ اليهود في تأويل النصوص وتحريفها.

وقارن بين المعطلة والخوارج وردَّ على مسألة التركيب والتجسيم والتحيّز والقلم والعرش والكرسي والسموات والاستواء ورؤية الله في الجنة.

٣- وصف الجنة ونعيمها:

بعدما فرغ الناظم من بيان عقيدة الفرقة الناجية والرد على أعدائها، بيّن فضل من تمسك بالكتاب والسنّة لا سيّما في وقت الغربة وفساد الناس وما أعدّه الله تعالى لعبده المؤمن في جنات النعيم.

" فذكر أوصافَ الجناتِ وصفاتها وأبوابها ومفتاح تلك الأبواب وصفوف أهل الجنة وعدد درجاتها، وأول زمرة تدخل الجنة وأعلى أهل الجنة منزلة وطول قامات أهل الجنة وألوانهم وحليّهم ولسانهم ورائحة الجنة وأسبق الناس دخولاً إلى الجنة وعدد الجنات وأجناسها وأرض الجنة وحصباءَها وتربتها وغرفاتها وخيامها وأرائكها وسررها وأشجارها وظلالها وثمارها وغناء أهل الجنة وأنهار الجنة وطعام أهلها وشرابهم ولباسهم وفرشهم وعرائس الجنات وحسنهن وجمالهن ولذة وصالهن ومهورهن ورؤية أهل الجنة لربهم تبارك وتعالى ونظرهم إلى وجه الله الكريم، وكلام الله لهم ورد السلام عليهم وإحلال رضوانه ويوم المزيد وسوق الجنة، وخلودهم ودوام صحتهم ونعيمهم وشبابهم واستحالة موتهم ونومهم وذبح الموت أمامهم" [١].

---

(١) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ابن قيم الجوزية، تح: زائد بن أحمد النشيري، المجلد الأول، دار عالم الفوائد، ط ١، ١٤٢٨هـ ص، ١٣٦.

- **خاتمة المنظومة:**

اختتم الناظم قصيدته بالدعاء والرغبة والتوسل لله بأسمائه الحسنى وصفاته العلا من أجل نصرة هذا الدين وعباده المؤمنين.

- **أهمية الكافية الشافية وقيمتها في التراث العربي:**

قال **الحافظ ابن حجر**:(١) " كل تصانيفه مرغوبٌ فيها بين الطوائف، وهو طويل النفَس وله ملَكةٌ قوية ولا يزال يدندن حول مفرداتها" (٢).

وتظهر أهمية النونية من جوانب متعددة أبرزها:

١- موضوعات الكافية الشافية من أشرف الموضوعات وأهمها، لأنها تبحث في مسائل الاعتقاد والتوحيد وحاجة الإنسان إليها أعظم من حاجته إلى أي شيءٍ آخر.

٢- الاعتماد في التأصيل لمسائل الاعتقاد على القرآن الكريم والسنّة النبوية والأدلة العقلية.

٣- تعتبر الكافيةُ الشافية مرجعاً أصيلاً ومهمّاً لطلاب العلم والعلماء، لأنها شملت جميع مسائل الاعتقاد.

٤- الحديث عن وصف الجنة ونعيمها والتي يسمو إليها كل إنسان موحد بالله.

٥- اهتمام العلماء بشرحها وتدريسها حتى في عصر المؤلف، فيقول **ابن رجب:** " ولازمتُ مجالسَه قبل موته أزيَدَ من سنة وسمعتُ عليه قصيدته النونية الطويلة في السنّة وأشياء من تصانيفه"(٣).

٦- حسنُ الترتيب والتقسيم للأبواب والمسائل التي احتوت عليها القصيدة مما سهّل للقارئ الرجوع إلى الموضوعات دون عناء ومشقة (٤).

- **منهج ابن القيم في الكافية الشافية:**

١- الاعتماد الكلّي على نصوص الكتاب والسنّة.

---

(١) الإمام الحافظ أحمد بن على بن محمد الكناني العسقلاني أبو الفضل شهاب الدين بن حجر من أئمة العلم والتاريخ، وهو صاحب فتح الباري، أصله من عسقلان بفلسطين ولد فيها عام (٧٧٣هـ) وتوفي فيها عام (٨٥٢هـ)، وانظر الأعلام للزركلي، ج١/ ١٧٨.

(٢) الدرر الكامنة، ج٥/١٣٩.

(٣) ذيل طبقات الحنابلة، ج٥ / ١٧٣.

(٤) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٣٦.

٢- التوسع والشمولية في عرض معتقد أهل السنّة والجماعة والاستدلال بالأدلة النقلية والعقلية والبراهين القاطعة، وهذا يظهر مدى المعرفة الكاملة لجميع المذاهب والفرق والملل والنِحَل وكيفية الرد عليهم في ذلك الزمان.

٣- الأمانة والدقة في نسبة الأقوال والمذاهب إلى أصحابها.

٤- الاهتمام بالأسلوب البلاغي والجمالي في الوصف وخاصة عند الحديث عن الجنة ونعيمها وعرائسها والخرائد الحسان.

قال **الشوكاني:** [١] "وله من حسن التصرف مع العذوبة الزائدة وحسن السياق ما لا يقدر عليه غالب المصنفين، بحيث تعشق الأفهام كلامه وتميل إليه الأذهان وتحبه القلوب" [٢].

---

(١) محمد بن على بن محمد بن عبد الله الشوكاني، ولد عام (١١٣٧هـ)، فقيه مجتهد من كبار علماء الدين من أهل صنعاء، تولى القضاء عام (١٢٢٩هـ)، وله مؤلفات عظيمة منها، نيل الأوطار، والبدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، وقد توفي عام (١٢٥٠هـ)، وانظر الأعلام للزركلي ج٦ / ٢٩٨.

(٢) البدر الطالع، ج٢/ ١٣٨.

الفصل الأول
الإشارات البلاغية في علم المعاني

ويشتمل على ستة مباحث:

المبحث الأول: الخبر

المبحث الثاني: الإنشاء

المبحث الثالث: التقديم والتأخير

المبحث الرابع: الإيجاز والإطناب والمساواة

المبحث الخامس: الوصل والفصل

المبحث السادس: القصر

الفصل الأول
الإشارات البلاغية في علم المعاني

تعريف علم المعاني:

قال السكّاكي: " علمُ المعاني هو تتبّع خواص تراكيب الكلام في الإفادة، وما يتصل بها من الاستحسان وغيره، ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما تقتضي الحال ذكره "[١].

وقد عرّفه الدكتور **عبد القادر حسين:**" هو علم يُعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال"[٢].

" فأحوال اللفظ هي الأمور التي تُعرض له من التقديم والتأخير والخبر والإنشاء والفصل والوصل، وغير ذلك"[٣].

ومعنى **مطابقة الحال:** " أن يكون اللفظُ مطابقاً لأحوال المخاطب، فقد يكون خالي الذهن عن الموضوع كليّةً وقد يكون شاكّاً في هذا الموضوع، وقد يكون مُنكِراً له تماماً، وكلُ حالةٍ من هذه الأحوال تقتضي طريقةً معيّنةً من التعبير تنطبق على حالة المخاطب "[٤].

ومن خلال التتبع البلاغي لعلم المعاني وتطوره، يظهر هذا الفن بهذه التسمية من خلال نظرية النظم التي وضعها إمام البلاغة وشيخها **عبد القاهر الجرجاني(٤٧١هـ)** الذي يقول: " اعلم أنّ النظم أن تضع كلامك الوضعَ الذي يقتضيه علمُ النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجَه التي نُهِجَت له فلا تزيغ عنها وتحفظ الرسوم التي رُسِمَت لك فلا تُخِلُّ بشيءٍ منها "[٥].

---

(١) مفتاح العلوم، للإمام محمد بن على السكاكي (٦٢٦هـ)، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م، ص١٦١.

(٢) فن البلاغة، د. عبد القادر حسين، عالم الكتب، بيروت، ط ٢، ١٩٨٤، ص٧٩ .

(٣) من بلاغة القرآن، المعاني والبيان والبديع، د. محمد شعبان علوان، د. نعمان شعبان علوان، ط ٥، ١٤٣٢هـ، ٢٠١١ م.

(٤) فن البلاغة، ص٧٩ .

(٥) دلائل الإعجاز، الإمام الشيخ عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي، (٤٧١هـ)، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني القاهرة، ط٣، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م، ص٨١.

المبحث الأول
الخبر

لغةً: "هو ما أتاك من نبأٍ عمن تستخبر، واستخبره سأله عن الخبر، وطلب أن يخبره، والجمع أخبار وأخابير جمع الجمع "(١).

اصطلاحاً: " هو ما يحتمل الصدق أو الكذب لذاته، أي بقطع النظر عن الذي ينطق بالخبر سواءً أكان مقطوعاً بصدقه أم بكذبه، فالعبرة بالكلام نفسه إذا احتمل الصدق والكذب أمكن أن يقال لقائله إنه صادقٌ فيه أو كاذب، ويُسمى خبراً، مثل: المال نعمة، فهذا كلام يحتمل الصدق والكذب، لأن المال ربما كان نعمةً، وربما كان نقمةً، فالقطع بصدق هذا القول أو كذبه أمر يتحقق بعد النظر إلى الواقع الخارجي"(٢).

وللخبر نسبتان: " نسبةٌ كلاميةٌ تُفهم من الخبر، ونسبةٌ خارجيةٌ تُفهم من الواقع الخارجي،(٣) فمطابقة النسبة الكلامية للنسبة الخارجية ثبوتاً ونفياً صدق، وعدم المطابقة كذب، فالنسبة التي دلّ عليها الخبر وفُهمت منه تسمّى كلامية، والنسبة التي تُعرف من الخارج بقطع النظر عن الخبر تسمى خارجية "(٤).

الأغراض التي من أجلها يُلقى الخبر:

الأصل في الخبر أن يُلَقى لأحد غرضين:

١- إفادةُ المخاطب الحكم الذي تضمنته الجملة إذا كان جاهلاً له وبمضمونه ويراد إعلامَه أو تعريفه به ويسمى " فائدة الخبر" نحو قولك: " الدين المعاملة ".

٢- إفادة أن المتكلم عالمٌ بالحكم الذي يعلمه المخاطب، ويسمى " لازم الفائدة " نحو قولك:" إنك لتكظم الغيظ وتحلم عند الغضب" (٥).

---

(١) لسان العرب، جمال الدين بن منظور، دار صادر، بيروت، ط ٣، ١٤١٤هـ، ج٤ / ٢٢٧.

(٢) فن البلاغة، ص ٨٠ .

(٣) من بلاغة القرآن، ص ٢٠ .

(٤) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، السيد أحمد الهاشمي، ضبط وتدقيق وتوثيق د. يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، ص ٥٥ .

(٥) علم المعاني، د. عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت،١٩٧٢م، ص ٥٢ ـ ٥٣، وانظر: جواهر البلاغة، ص ٥٦ .

بعض الأغراض البلاغية للخبر الواردة في النونية الكافية الشافية:

١ – الاسترحام والاستعطاف: وذلك كقوله تعالى: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾ [القصص: ١٦].

ونظير ذلك ما أورده الإمام ابن القيم في نونيته الكافية الشافية، مُظهراً استعطافه لربه تبارك وتعالى أن يمنّ عليه بالمغفرة والرضوان والكرامات، فيقول:[(١)]

فيقول ربّ أما مننتَ بغفرةٍ	**قِدَماً فإنك واسعُ الغُفران**

ويكون الجواب من الكريم المنان:

فيجيبُه الرحمنُ مغفرتي التي	**قد أوصلتك إلى المحلّ الدّاني**

فيظهر أن العبدَ في الجنة يستعطف اللهَ تعالى عندما قال: " **إنك واسعُ المغفرة** " بعد إيمانه المطلق بأن الله تعالى أهلُ التقوى وأهل المغفرة، وهو الذي أحلّ عليه تلك المغفرةَ والرضوان للوصول إلى أعلى المراتب في الجنة بعدما ظن أنه سيهلك من سؤال الله تعالى له، فيخرج الخبر عن كونه خبراً ليفيد معنىً بلاغياً وهو استعطاف العبد لربه عز وجل ليتمّم عليه مغفرته ورضوانه ويحفّه بكنفه، ونلاحظ أن الغرض البلاغي للاسترحام والاستعطاف عمل على تحويل المعنى إلى تجربة إيمانية من شأنها أن تمنح النص وحدةً وتماسكاً، وذلك من خلال الإثارة للعاطفة.

٢– إظهارُ التحسرِ على شيءٍ محبوب:

وذلك كقوله: [(٢)]

فلقد ترحّل عنه كلُّ مسرّةٍ	**وتبدّلت بالهمِّ والأحزان**

وقوله أيضاً:

والناسُ قد قضَوا مناسكَهم وقد	**حثّوا ركائبَهم إلى الأوطان**

وقوله كذلك:

وَحَدَت بهم هِمَمٌ لهم وعزائمٌ	**نحو المنازلِ أول الأزمان**

ومثله أيضاً: [(٣)]

رُفِعت لهم في السير أعلامُ الوصا	**لِ فشمّروا يا خيبةَ الكسلان**

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٩٢.

(٢) المصدر السابق، ص٢٥٨.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٧٨.

ففي هذا المشهد تظهر صورةُ الحسرة والندامة التي حلّت على الخاسرين، فهم لم يشمّروا من أجل النعيم المقيم الذي ينتظرهم في جنات النعيم، بل كان همُهم اتباع الهوى والشيطان وسيرهم خلف شهواتهم وأمانيهم وعجزهم، فكان الكسلُ والراحة مفتاحَ الخيبة والحرمان، فظهرت حسراتُهم وتقطعت قلوبهم أسفاً عليها، فويلٌ للذين كفروا من النار.

٣- الحثُّ على السعي والجد:

ونظير ذلك ما أورده ابن القيم في قصيدته فقال:[(١)]

هـــي جنـــةٌ طابـــت وطـــاب نعيمُهـــا ... فنعيمُهـــا بـــاقٍ ولـــيس بفـــان

وقوله كذلك:

دار الســـلامِ وجنـــةُ المـــأوى ومنـــ ... ـــزلُ عســـكرِ الإيمـــان والقـــرآن

ومنه قوله أيضاً:

وأعفّهـــم فـــي هـــذه الـــدنيا هـــو الـــ ... أقـــوى هنـــاك لزهـــده فـــي الفـــاني

إذا كنت مشتاقاً إلى معرفة أوصاف تلك الدار التي هي مسكن الحور الحسان ومستقر الرحمة والرضوان، وأوصاف منازلها وغرفها صاحبة الجمال والإحسان، فاعلم أنها جنةٌ طيبةٌ لا يلحقها خبثٌ ولا أذىً وطاب نعيمُها فهو باقٍ لا يبيد ولا يفنى، وهو صافٍ من كل شَوبٍ فلا يمازجه كدَرٌ ولا يعرض له عطبٌ ولا عفن، وفي هذا المشهد يظهر الخبر البلاغي للحث والسعي والجد للوصول إلى طيب الجنة ونعيمها الدائم، وقد عمل هذا الغرض البلاغي على إبراز الموقف الإيماني وتجميله وإغراء المتلقي به وهذا أيضاً من شأنه أن يوحّد أجزاء النص من خلال دفع المعنى في بؤرة التجربة.

٤- الفخر:

وذلك كقوله على ألسنة الحور العين وهنّ يغنين أزواجهنّ بأحلى الكلام، ويفتخرنَ بحسنهنّ وجمالهنّ الذي لا يفنى مدى الأزمان، فيصف ويقول:[(٢)]

نحـــنُ النـــواعمُ والخوالـــد خيّـــرا ... تٌ كـــاملاتُ الحســـنِ والإحســـان

وكقوله أيضاً:

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٦٠.

(٢) المصدر السابق، ص٢٧٣.

لســـنا نمـــوتُ ولا نخـــافُ ومـــا لنـــا ... ســـخَطٌ ولا ضِـــغنٌ مـــن الأضـــغان

ومنه قوله:

طـــوبى لمـــن كنّـــا لـــه وكـــذاك طـــو ... بَـــى للـــذي هـــو حظّنـــا لفظـــان

ففي هذه الأبيات يظهر الخبرُ البلاغي وهو الافتخار والتباهي من الحور العين وما هنّ فيه من النعيم المقيم، فهنّ يفتخرنَ بغنائهنّ لأزواجهنّ بأحسنِ الأصوات وخلودِهن ونعومتِهن ورضاهنّ، فطوبى لمن كان لهنّ وكنّ له، فهن الآمناتُ المقيمات.

٥- المدح:

ونظيره من القصيدة في قوله:(١)

وهـــمُ الملـــوكُ علـــى الأســـرَّة فـــوق هـــا ... تيـــك الـــرؤوسِ مرصَّـــعُ التيجـــان

وكقوله أيضاً:

ولباسُـــهم مـــن ســـندسٍ خضـــرٍ ومـــن ... إستـــبرقٍ نوعـــان معروفـــان

وفي هذه المقطوعة يخرج الخبر عن كونه خبراً ليفيد معنىً بلاغياً وهو المدح، وذلك من خلال مدح أهل الجنة بأنهم هم الملوك والتيجان على رؤوسهم، ولباسهم السندس والإستبرق ووصف جمالهم الظاهر والباطن.

٦- الوعد:

وذلك كقوله رحمه الله تعالى:(٢)

والحلـــيُ أصـــفى لؤلـــؤٍ وزبرجـــدٍ ... وكـــذاك أســـورةٌ مـــن العقيـــان

وقوله كذلك:(٣)

التـــاركين لباسَـــه فـــي هـــذه الـــدّ ... نيـــا لأجـــل لباســـه بجنـــان

ففي هذا المشهد الرائع من وصفه لأهل الجنة يخبرنا عن لباسهم وحليّهم وأساور الذهب والعقيان، ولكنه أخرج الخبر عن معناه الحقيقي ليعطي معنىً بلاغياً وهو وعد الله تعالى للمؤمنين

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٧٦.

(٢) المصدر السابق، ٢٧٧.

(٣) المصدر السابق، ص٢٧٧.

الذين تركوا لباسَ الذهبِ والحرير في الدنيا ليجازيهم أحسن ما كانوا يعملون في جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين، فهذا وعد الله لهم ولن يخلف الله وعده.

٧- الوعيد:

وذلك كقوله في وعيد الله عز وجل للطغاة المتمردين والمتكبرين ووصفه لقلوبهم التي مُلئت بالزيف والحرمان:[١]

هربـــوا مــــن الـــرقّ الـــذي خُلقـــوا لــــه فبُلـــوا بــــرقّ الـــنفس والشـــيطان

وقوله أيضاً:[٢]

واللهِ لـــــو أنّ القلـــــوبَ ســـــليمةٌ لتقطعـــت أسَـــفاً مـــن الحرمـــان

ومنه قوله:

لكنّهـــا ســـكرى بحـــبِّ حياتهـــا الـــدّ نيـــا وســـوف تفيـــقُ بعـــد زمـــان

فهو لا يريد أن يخبرنا بأنهم هربوا من المقصد الحقيقي الذي خُلقوا له وهو التكليف الإلهي لهم في العبادة، وأنهم سيفيقون من غفلتهم في وقت الاحتضار، ولكنه أظهر وعيد الله تعالى وغضبه عليهم وأن هذه القلوبَ بمجرد أن تلقى الله يوم القيامة ستعلم يقيناً أن الله شديدُ العقاب، فجاء الخبر باللفظ ولكنه متضمنٌ لمعنى الوعيد.

٨- التوبيخ:

ونظير هذا ما أورده الإمام ابن القيم في قصيدته الكافية الشافية، فقال:[٣]

قـــد آثـــروا الـــدنيا ولـــذة عيشـــها الـــ ـــفاني علـــى الجنـــات والرضـــوان

وقوله أيضاً:

صَـــحِبوا الأمـــاني وابتُلـــوا بحظـــوظهم ورضـــوا بكـــلّ مذلّـــةٍ وهـــوان

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٥٩.

(٢) المصدر السابق، ص٢٧٩.

(٣) المصدر السابق، ص٢٥٩.

فإنه لا يقصد إخبارنا بأنهم استبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير وأنهم اتبعوا أهواءهم، بل أراد معنى التوبيخ لهم بعد أن رضوا بالذل والهوان بدلاً من التنعم في جنان الرحمن، فكان عليهم ما يستحقون من اللعنة والعذاب والخسران المبين.

٩- التذكير بما بين المراتب من التفاوت: (١)

كقوله تعالى:﴿**لاَّ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ**﴾[النساء: ٩٥].

ونظير ذلك في قوله رحمه الله تعالى:(٢)

قوتُ النفوسِ وإنما القرآنُ قو ... تُ القلبِ أنّى يستوي القوتان

فهو لا يخبرنا عن قوت النفوس والقلوب، ولكنه يبيّن لنا خبراً خرج عن معناه الحقيقي لإفادة معنىً بلاغياً جديداً وهو التذكير بما بين المراتب من التفاوت بين قوت الدنيا الفاني وقوت الآخرة الباقي، وأن خير الزاد التقوى لقلب المؤمن، فشتّانَ بين الزادين عند الله تعالى، وفي البيت استفهامٌ بمعنى النفي يفيد الاستبعاد، فالحقيقة أنهما لا يستويان عند الله تبارك وتعالى.

أضرب الخبر:

يقول **عبد العزيز عتيق:** "ينبغي على صاحب الخبر أن يأخذ في اعتباره حالة المخاطب عند إلقاء الخبر، وذلك بأن ينقله إليه في صورة من الكلام تلائمُ هذه الحالة بغير زيادةٍ أو نقصان"(٣)، فُيلقى الخبر بحسب حالات المخاطب:

١- **فإن كان المخاطبُ خالي الذهن عن الحكم، وليس متردداً فيه ولا منكراً له،** أُلقي إليه الكلام دون تأكيدٍ لأن الكلام يتمكن بسهولة إذا صادف ذهناً خالياً ويُسمّى هذا الضرب:

ابتدائياً (٤)، وذلك كقوله تعالى: ﴿**الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً**﴾[الكهف: ٤٦].

---

(١) البلاغة فنونها وأفنانها، د. فضل عباس، دار الفرقان، إربد، ط٤، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م، ص ١٠٩.

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٧٤.

(٣) علم المعاني، عبد العزيز عتيق، ص٥٥ .

(٤) فن البلاغة، ص ٨٣، وانظر: من بلاغة القرآن، ص٢٤، وانظر: علم المعاني، ص ٥٥ .

ونظير ذلك في وصف أرض الجنة وتربتها، فقال:[1]

والأرضُ مرمـــــرةٌ كخـــــالص فضـــــةٍ   مثــــلُ المـــرآةِ تنالهـــا العينـــان

وقوله:

حصـــــــباؤها درٌّ ويـــــاقوتٌ كـــــذا   كَ لآلـــئٌ نُثـــرت كنثـــر جُمـــان

وقوله أيضاً:

وترابُهـــا مـــن زعفـــرانٍ أو مـــن الـــ   ـــمسك الـذي مـا اسـتُل مـن غـزلان

فإذا نظرنا إلى هذه المقطوعة نجد أن الخبر أُلقي إلى مخاطَب خالي الذهن من حكمه، أي مضمونه، لأنه في هذا المشهد يخاطب المؤمنين الموحدين المشتاقين للجنة أصحاب الهمة العالية، الذين آمنوا بالله وصدقوا المرسلين، ولا يخاطب المعاندين الذين يصدّون عن سبيل الله المنكرين للجنة ونعيمها، من أجل ذلك جاء بالخبر خالياً من أدوات التأكيد منسجماً مع حالتهم، ونظير ذلك أيضاً في وصف طعام أهل الجنة:[2]

وطعـــامُهم مـــا تشـــتهيه نفوسُـــهمُ   ولحـــومُ طيـــرٍ نـــاعمٍ وسِـــمان

وقوله كذلك:

وفواكـــهٌ شـــتّى بحســـب منـــاهُمُ   يـــا شـــبعةً كمُلـــت لـــذي الإيمـــان

ومنه قوله:

لحـــمٌ وخمـــرٌ والنســـا وفواكـــهٌ   والطّيـــبُ مـــع رَوحٍ ومـــع ريحـــان

وكقوله أيضاً:

وصـــحافُهم ذهـــبٌ تطـــوف علـــيهمُ   بـــأكفّ خُـــدّامٍ مـــن الولـــدان

فإذا نظرنا إلى هذه المقطوعة الرائعة نجد أنه قد ألقى الخبرَ خالياً من التأكيد مراعياً حال السامعين وعلمه بأن المؤمنَ له من النعيم في الجنة ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر، وأن هذا المؤمنَ على يقينٍ بأن الله تعالى لن يخلفَ وعدَه مع عباده المؤمنين.

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٦٩- ٢٧٠.

(٢) المصدر السابق، ص٢٧٤.

٢- **وأحياناً يكون المخاطب شاكّاً في الحكم** متردداً في قبوله فيَحسُن عندئذٍ أن نؤكدَ له الكلام بمؤكدٍ واحدٍ لنزيلَ منه الشكَّ، ونمحوَ التردد لكي يتمكنَ الخبرُ من نفسه، ويُسمى هذا الضرب: طلبياً، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ [النحل: ٩٠].

ونظير ذلك ما ورد في وصف عرائس الجنات، فقال:[١]

حــورٌ حســانٌ قــد كمُــلنَ خلائقــاً ... ومحاســناً مــن أجمــل النســوان

ومثل قوله:

حتــى يحــار الطّـرف فــي الحســن الــذي ... قــد أُلبِســت فــالطرف كــالحيران

ومنه أيضاً: [٢]

أقــدامُها مــن فضــةٍ قــد رُكبــت ... مــن فوقهــا ساقــان ملتفــان

وقوله أيضاً:

لكنهــنّ كواعــبٌ ونواهــدٌ ... فنهــودهنّ كــألطف الرمــان

فإذا أمعنّا النظر نجد أن ابن القيم يوجه الخبر المتضمن في الأبيات إلى مخاطب متردد في حكم الخبر، ومضمونه لمن أراد أن يشتاق إلى الجنة وتزداد همته نحوها طالباً وصالها، ولهذا حسن توكيد الكلام له بمؤكدٍ تمكيناً له من نفسه وحسماً للشك في حقيقته[٣].

ويقول **الميداني:**" جاءت أداة التوكيد والتحقيق" قد " و " لكنّ " المصاحبة للتوكيد والاستدراك "[٤].

٣- **أن يكون المخاطبُ منكراً لحكم الخبر الذي سيُلقى إليه، وربما يكون معتقداً عكسه،** عندئذٍ ينبغي أن يكون إلقاء الخبر إليه مصحوباً بتأكيدين أو أكثر حسب حالته في الإنكار قوةً وضعفاً.

ويقول **السكاكي:** " استوجب حكم الخبر ليترجح تأكيداً بحسب ما أُشرب المخالف الإنكار في اعتقاده، ويسمى هذا الضرب: **إنكارياً** "[٥].

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٨٠.

(٢) المصدر السابق، ص٢٨٢.

(٣) علم المعاني، عبد العزيز عتيق، ص ٥٧ .

(٤) البلاغة العربية، أسسها، وعلومها، وفنونها، عبد الرحمن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط ١، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م، ج١/ ١٩٣.

(٥) مفتاح العلوم للسكاكي، ص ١٧٠ـ١٧١.

ومنه قول الله تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[غافر: ٥٩].

فجاء بمؤكدَين هما " **إنّ واللام** "، لأن المخاطبين هم الكفار الذين ينكرون الساعة.

ونظير ذلك في النونية الشافية في وصفه لمن آثر غناء الدنيا على غناء الجنة، فقال:(١)

إنّ اختيارَكَ للسماع النازل الـ	**أدنى على الأعلى من النقصان**
والله إنَّ سماعَهم في القلب والـ	**إيمانِ مثلُ السّمّ في الأبدان**
واللهِ ما انفكّ الذي هو دأبُه	**أبداً من الإشراك بالرحمن**

فقد ألقى الخبر بمؤكداته لأناسٍ منكرينَ حرمةَ الغناء، ذوي العقائد الفاسدة المؤثرين سماع الأغاني والألحان على سماع كلام الحليم المنان، فظهر النقصُ في عقولهم وإيمانهم، مبيناً لهم أن الأغاني أشدُ فتكاً بالقلب من السموم في الأبدان، فأورد " إنّ " التوكيدية مع القسم الذي يفيد التوكيد.

وقد قال **الجرجاني** في إنّ التوكيدية : " ثم إن الأصلَ الذي ينبغي أن يكونَ عليه البناء هو الذي دوّن في الكتب من أنها للتأكيد " (٢).

فخاطب أناساً قلوبَهم معلّقة بالدنيا الفانية التي آثروها على النعيم المقيم مؤكداً لهم زوال هذه الدنيا وأن ما عند الله خير وأبقى ولكنهم أصروا على إشراكهم بالرحمن وكفرهم به .

ونظير ذلك في نعيم الجنة أيضاً:(٣)

فيها الذي واللهِ لا عينٌ رأت	**كلّا ولا سمعت به أذنان**
كلا ولم يخطر على قلب امرئٍ	**فيكون عنه معبّراً بلسان**

فقد وجه ابن القيم الخبر في هذه المرة إلى شخصٍ ينكر حكم الخبر ويعتقد فيما يخالفه، فهناك أناسٌ لا يؤمنون بالله ولا بالجنة ولا نعيمها، فألقى لهم بالمؤكدات على حسب إنكارهم قوةً وضعفاً، لما أمعنوا بالتكذيب وأصرّوا عليه فزاد في التأكيد، فأكّد بالقسَم وتكرار لفظ " لا " النافية و " كلا " في أكثر من موضع لإفادة معنى التوكيد.

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٧٣.

(٢) دلائل الإعجاز للجرجاني، ص ٣٢٥.

(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٩٣.

ويشير في وصفه لحالهم عند رجوعهم إلى أهليهم ومنازلهم، وزيادة حسنهم وجمالهم بعد جلوسهم ورؤيتهم لوجه الله الكريم، فيقول:[١]

واللهِ لازددتـــــم جمـــــالاً فـــوق مـــا كنـــــتم عليــــه قبـــل هـــذا الآن

قــــالوا وأنـــــتم والـــــذي أنشــــأكم قـــد زدتــم حُســناً علـــى الإحســـان

لكــــن يحـــق لنــــا وقــــد كنّـــا إذاً جلســـاءَ ربِّ العـــرشِ ذي الرضـــوان

وقد حملت هذه الأبيات معنى التوكيد والتحقيق خاصةً أن **الميداني** استعمل " إنّ " بمعنى التوكيد والتحقيق [٢]، فهو يؤكد إثبات زيادة الحسن والبهاء والجمال لأهل الجنة وخاصةً بعد زيارتهم لربهم في الوادي الأفيح ورجوعهم إلى منازلهم، وقد ألقى بالمؤكدات الظاهرة لدينا كالقسم والتوكيد بـ " قد " في موضعين، لوجود من ينكر الخبر وهو رؤية الله في الجنة وجلوسه مع عباده.

وقوله أيضاً:[٣]

فيقـــــول ربّ أمــــا مننـــــتَ بغفــــرةٍ قِـــدَماً فإنــــك واســـــعُ الغفـــــران

فأورد " أما " المخففة التي تأتي بمعنى حقاً و" إنّ " المشددة مكسورة الهمزة، وهى من الأحرف المشبهة بالفعل الداخلة على الجملة الاسمية والتي تفيد تأكيد النسبة بين اسمها وخبرها [٤].

وقوله في ذم القلوب المريضة التي تعلقت بحب الدنيا الزائف:[٥]

واللهِ لـــــو أنّ القلـــــوبَ ســــــليمةٌ لتقطعـــت أســـفاً مـــن الحرمـــان

لكنّهـــا ســـكرى بحـــبّ حياتهـــا الـــدّ نيـــا وســـوف تفيـــقُ بعـــد زمـــان

فأورد " لكنّ " الناصبة التي يصحب معناها الاستدراك والتوكيد ، و" سوف " الداخلة على الفعل المضارع الدال على الوعد والوعيد[٦]، وما ينتظرهم من العذاب الشديد يوم القيامة.

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٩٣.

(٢) البلاغة العربية للميداني، ص ١٨٧.

(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٩٢.

(٤) البلاغة العربية للميداني، ص ١٨٩.

(٥) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٧٩.

(٦) البلاغة العربية للميداني، ص ١٩٢ ـ ١٩٣.

المبحث الثاني
الإنشاء

لغةً: أنشأه الله: خلقه، ونشأ ينشأ نشوءاً ونشاءً ونشاءةً، وأنشأ الله الخلق، أي ابتدأ خلقهم، وهو الإيجاد والإبداع والابتداء، وكل من ابتدأ شيئاً فقد أنشأه "[١].

وقد سمّاه **السكاكي** " الطلب " فقال: " والطلب إذا تأملتَ **نوعان:** نوعٌ لا يستدعي في مطلوبه إمكان الحصول، ونوعٌ يستدعي فيه إمكان الحصول "[٢].

وهو عند **القزويني ضربان:** طلبٌ وغير طلب، والطلب يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب لامتناع تحصيل الحاصل وهو المقصود بالنظر ههنا "[٣].

اصطلاحاً: " هو الكلام الذي لا يحتمل الصدق والكذب لذاته، وذلك لأنه ليس لمدلول لفظه قبل النطق به وجود نسبة خارجية تطابقه أو لا تطابقه، فالأول الخبر والثاني الإنشاء "[٤].

الإنشاء في الجملة الإنشائية:

١ – الإنشاء غير الطلبي:

" وهو ما لا يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب، [٥] إلا أنه ينشئ أمراً مرغوباً في إنشائه، وهو ما يتحقق فيه وجود معناه في الوقت الذي يتحقق فيه وجود لفظه" [٦].

وقال **الميداني:** "وهذا القسم لا يبحث فيه البلاغيون لأنه لا يشتمل على أي دلالاتٍ بلاغيةٍ وبيانية، ولأن أكثرَ صيغُه هي في أصلها أخبار، اللهمّ إلا أفعال الرجاء وصيغة القسم" [٧]، وله أنواعٌ وصيغ تدل عليه منها:

الأول: " **صيغ المدح والذم كنعم وبئس وحبّذا ولاحبّذا** ":[٨]

كقوله تعالى في المدح: ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ [النحل : ٣٠]، وقوله تعالى في

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، ج١ /١٧٠.
(٢) مفتاح العلوم للسكاكي، ص٣٠٢.
(٣) الايضاح في علوم البلاغة، المعاني والبيان والبديع، للخطيب القزويني، دار الكتب العلمية، بيروت، ص١٣٥.
(٤) علم المعاني، عبد العزيز عتيق، ص٧٤.
(٥) من بلاغة القرآن، ص ٢٧، وانظر: البلاغة العربية للميداني، ص ٢٢٤.
(٦) علم المعاني، عبد العزيز عتيق، ص٨٠.
(٧) البلاغة العربية للميداني، ص١٥٠.
(٨) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م، ج ١/ ٣٣٢.

الذم: ﴿هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾[ص: ٥٥ ـ ٥٦].

ونظير ذلك ما أورده ابن القيم في ذمه لأهل الباطل والضلالات، فقال: [١]

ولبستم ثوبين ثوبُ الجهلِ والـ ... ـظلمِ القبيح فبئستِ الثوبان

ونظير ذلك ما أورده في مدح أهل السنّة والجماعة الذين استطاعوا أن يقهروا أعداء الله بثباتهم على الدين، ووصفه لنعيم المؤمنين ونضرة وجوههم لحظة النظر إلى وجه العزيز الكريم، فقال:

فلهم نعيمٌ عند رؤيته سوى ... هذا النعيم فحبّذا الأمران[٢]

حيث قام أسلوب المدح والذم بخلق تجربةٍ وإحساسٍ بجمال الجميل وقُبح القبيح، والذي بدوره يعمل على ربط أجزاء النص مع بعضه البعض ومنحه الوحدة والتماسك.

الثاني: القسم ، ويكون بأحرفٍ ثلاثة تجر ما بعدها وهى " الواو، الباء، والتاء"

ويكون بالفعل " أقسم " أو ما في معناه مثل "لعمرك ، يميني ، قسمي "

كقوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا﴾[الشمس:١-٢]، ﴿فَلاَ أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ﴾[الانشقاق:١٦]، وقوله: ﴿وَتَاللَّهِ لأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِين﴾[الأنبياء:٥٧]، وقوله: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُون﴾[الحجر:٧٢].

ويشير ابن القيم إلى هذه الأنواع من القسَم بقوله:[٣]

واللهِ لولا رؤيةُ الرحمنِ في الـ ... ـجنات ما طابت لذي العرفان

وفي هذا المشهد يقسم لنا أن الجنةَ مهما يكثر خيرُها وتزداد لذتُها فإنها لا تساوي شيئاً، ولا يطيب نعيمُها دون النظر لوجه الله الكريم، لأنه أعلى النعيم وأجلّه وأشرفه وأكمله.

وقال أيضاً:

واللهِ ما في هذه الدنيا ألذُّ ... من اشتياق العبدِ للرحمن

---

(١) شرح القصيدة النونية، د. محمد خليل هراس،(١٣٩٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤١٥هـ، ج١٧٣/٢.

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٩٠.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٨٩- ٢٩٠.

ويمدح أهلَ الجنةِ وهم في شغلهم يُحبرون ويتمتعون، فقال:(١)

بـــــالله لا تســـــأله عــــــن أشـــــغاله تلـــــك الليـــــالي شـــــأنه ذو شـــــانِ

أتلومُـــــه أن صـــــار ذا شـــــغلٍ بـــــه لا والـــــذي أعطـــــى بـــــلا حســـــبان

قال **الهراس:** " فقد انشغلوا بافتضاض العذارى ولا يُنكَر على أهل الجنة شغلُهم بأزواجهم وقد تمكنوا من وصالهم بعد طول الغيبة، فإن العاشق الصبَّ من أهل الدنيا إذا غاب عن محبوبه في بلادٍ بعيدة وأصبح يكابد لواعجَ الفراق ويتجرع مرارةَ الأشواقِ وينتظر بفارغ الصبر يوم التلاق، ثم آب إليه ووافاه بعد هذا الغياب الطويل، وصار وصالُه في الإمكان بعد ما كان أشبهَ بالمستحيل، فمن ذا يلومه إذا أقبل على محبوبه يطفئُ نارَ أشواقِه بالعناق والتقبيل والانشغال به "(٢).

ونظير القسم بالتاء في قوله:(٣)

تـــــالله مـــــا هـــــذا بفكـــــرٍ وانتظـــــا رِ مغيّـــــبٍ أو رؤيـــــةٍ بجنـــــان

فاللّه وعد أهلَ الجنةِ بأنهم لا يمسهم فيها نصبٌ ولا يمسُّهم فيها لغوب، وأنهم سيَرونه لا محالة، وهذه التأويلاتُ السخيفة التي يعمد إليها أهلُ الضلالةِ ليروغوا بها عن الحق روغان الثعالب داحضةٌ بإذن الله وأن عقولهم مريضةٌ بداء الإنكار والتعطيل.

الثالث: التعجب:(٤)

وله صيغتان هما:" **ما أفعل** " كقوله تعالى:﴿ **قُتِلَ الإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ** ﴾[عبس:١٧].

أي أنه لُعن الكافر ما أشدَّ كفره، ومعناه التعجب من إفراط كفره وسرعته إليه.

و" **أفعل بـ** " كقوله تعالى:﴿ **أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ** ﴾[مريم:٣٨].

ونظير ذلك ما أورده ابن القيم في وصفه للمؤمنين الذين يتنعمون برؤية وجه الله عز وجل وسماع صوته في الجنة العليا:

فـــــأكرِم بجنـــــاتِ النّعـــــيم وأهلِهـــــا إخـــــوانُ صـــــدقٍ أيّمـــــا إخـــــوان

جيـــــرانُ ربِّ العـــــالمين وحزبُـــــه أكـــــرِم بهـــــم فـــــي صـــــفوة الجيـــــران

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٨١– ٢٨٢.

(٢) شرح القصيدة النونية للهراس، ج٢/٣٩٧.

(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٨٧.

(٤) من بلاغة القرآن، ص ٢٨، وانظر: معجم المصطلحات البلاغية، ج١ / ٣٣٣.

فهذا مشهدٌ يستحق التعجب، فأيُّ نعيمٍ وأيّ كرامةٍ لأهل الفردوس الأعلى ومقاماتِهم ودرجاتهم، فهم جيرانُ ربِّ العالمين المتمتعين بلذة النظر إلى وجهه، وسماع صوته وكلامه، تعالى عما يقولون علواً كبيراً، وأيضاً في تعجبه من ثمار الجنة وبساتينها في المسك الأذفر، فقال:[1]

مــا أطيــبَ هاتيــكَ الثمــارِ وغرسِــها فــي المســك ذاكَ التُّــربُ للبســتان

فما أطيب هذه الثمار التي غُرِست أشجارُها في أرض المسك الذي هو تراب الجنة، ثم سُقيت بماءٍ هو أطهرُ ماءٍ وأنقاه، وأعذبُ موردٍ للظامئ الصادي وأحلاه، وهذه الثمار إذا تناولتَ منها ثمرةً خلق اللّه مكانها أخرى، فثمارها لا تنقطع أبداً، بل هي متجددةٌ دائماً، وقيمة التعجب أنه يغري المتلقي بجمال الجميل وتنفيره من القبيح، مما يولد إحساساً جميلاً ورائعاً في المتلقي من شأنه أن يوحد أجزاء النص ويدمغها بالتماسك.

٢- الإنشاء الطلبي:

يقول **الحافظ جلال الدين السيوطي:** " الطلبُ استدعاءٌ غير حاصل، أي طلب حصول غير حاصل وقت الطلب، لأن طلب حصول الحاصل محال كالأمر والنهي " [2]، أو "هو ما يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب، أو ما يتأخر وجود معناه عن وجود لفظه" [3].

ويشتمل على خمسة أنواع هي: " الأمر ، والنهي ، والاستفهام ، والتمني ، والنداء "، وهذه الموضوعات التي تحدث عنها البلاغيون في مبحث الإنشاء، فهي موضع العناية لما فيها من دقائقَ لطيفةٍ وفوائدَ جليلةٍ ولأنها تخرج عن الأغراض الحقيقية لتؤدي معانيَ بلاغيةً جديدة "[4].

أولاً: الأمر:

لغةً: " هو نقيض النهي، يقال أمره يأمره أمراً وإماراً فائتمر أي قَبِل أمره "[5].

والأمر في اصطلاح البلاغيين: " هو طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام" [6].

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٧٢.

(٢) شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان، الحافظ جلال الدين السيوطي (٩١١هـ)، وبهامشه حلية اللب المصون على الجوهر المكنون للشيخ أحمد الدمنهوري، دار الفكر، بيروت، ص ٩٢ .

(٣) فن البلاغة، ص١١١، وانظر: من بلاغة القرآن، ص ٢٩، وانظر: علم المعاني، ص ٨٠ .

(٤) فن البلاغة، ص ١١٥.

(٥) لسان العرب، ابن منظور، ج٤ /٢٧.

(٦) معجم المصطلحات البلاغية، ج ١/ ٣١٣، وانظر: من بلاغة القرآن، ص٢٩.

وعرّفه **الحسن المفتي** بأنه: " طلب الفعل لا طلب تركه، وترد صيغةُ الأمر للدعاء إن استُعملت لطلب الشيء على سبيل التضرع والالتماس"(١).

ويقصد **عبد العزيز عتيق** بالاستعلاء: " أن ينظرَ الآمرُ لنفسه على أنه أعلى منزلةً ممن يخاطبه أو يوجه الأمر إليه، سواءً أكان أعلى منزلةً منه في الواقع أم لا "(٢).

وقد وردت صيغُ الأمرِ في صور متعددة منها :(٣)

١- **فعل الأمر:** كقوله تعالى: ﴿فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ﴾[فصلت:٦]، وقوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾[محمد:١٩].

ونظير ذلك ما أورده الإمام ابن القيم في نصيحته لمن أراد أن يجدّ ويشمّر من أجل الوصول إلى الجنة، مُخبراً أن الطريقَ إليها لن يطولَ كثيراً، فما هي إلا لحظات وينتقل الإنسان من الدار الفانية إلى الدار الباقية وما عند الله خيرٌ وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون، فيقول:(٤)

أسرِع وحُثَّ السيرَ جَهدَك إنما ... مسراكَ هذا ساعةٌ لزمان

حيث أورد الفعلين " أسرع ، وحثَ " بصيغة الأمر، وكقوله أيضاً:

فاعشق وحدّث بالوصال النفسَ وابـ ... ـذل مهرَها ما دُمتَ ذا إمكان

فقد أورد الأفعال " اعشق، وحدّث، وابذل " وهي جميعها أفعال أمر، ومثلُه في خطاب رب العالمين للجنة وتكليمه لها، فقال:(٥)

لمّا قضى ربُّ العبادِ الغرس قا ... لَ تكلّمي فتكلّمت ببيان

٢- **المصدر النائب عن فعل الأمر:** كقوله تعالى:﴿لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾[البقرة:٨٣]، وقوله تعالى:﴿فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾[الملك:١١].

(١) خلاصة المعاني، للحسن بن الحسين المفتي(١٠٥٩هـ)، تحقيق: عبد القادر حسين، الناشرون العرب، الرياض، ص ٢٤٢ ـ ٢٤٥.

(٢) علم المعاني، عبد العزيز عتيق، ص٨١ .

(٣) من بلاغة القرآن، ص٣٠.

(٤) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٥٨.

(٥) المصدر السابق، ص٢٦٨.

وقال **الميداني:** " فسحقاً: أي بُعداً شديداً، وهو مصدر سَحُق، بمعنى بَعُد أشدّ البعد، وقد ناب عن فعل الأمر، والمعنى ابتعدوا ابتعاداً شديداً ".[1]

ومثل ذلك في قول ابن القيم:[2]

شـــوقاً إليـــه ولـــذّةَ النظـــرِ الـــذي لجـــلالِ وجـــهِ الـــربّ ذي الســـلطان

فإذا تجلى ربنا تبارك وتعالى لعباده المؤمنين في الجنة نسوا كلَّ ما هم فيه من ألوان النعيم من أجل ما ظفرت به أعينُهم من اللذة الكبرى بالنظر إلى وجهه الكريم، والمعنى: اشتاقوا أيها المؤمنون اشتياقاً لرؤية الله سبحانه وتعالى.

ويقول أيضاً:[3]

كَـــدحاً وكـــدّاً لا يُفتّـــرُ عـــنهم مـــا فيـــه مـــن غـــمٍّ ومـــن أحـــزان

فإن أهلَ الدنيا يكدحون ويعملون ولا ينالهم من أعمالهم إلا الخسرانُ المبين في الدنيا والآخرة، وحياتهم ملآى بالهمِّ والأحزان التي لا تُفتّر ولا تخففُ عنهم لما هم فيه من الضياع والتيه، والمعنى: اكدحوا كدحاً فلن يخففَ عنكم العذابُ يوم القيامة، وستبقون في غمّكم وأحزانكم.

الأغراض البلاغية التي يخرج إليها الأمر:

١ـ الدعاء:

" وهو الطلب على سبيل التضرع، ويكون من خطاب الأدنى لمن هو أعلى منزلةً كدعاء الإنسان ربه "[4]، وذلك كقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾[آل عمران:١٩٣].

ويظهر معنا في هذا البيت الغرضُ البلاغي للأمر في قول ابن القيم على سبيل الدعاء والمسألة:[5]

يـــا ربِّ غفـــراً قـــد طغـــت أقلامُنـــا يـــا ربِّ معـــذرةً مـــن الطغيـــان

(١) البلاغة العربية للميداني، ص٢٣٠.

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٩٠.

(٣) المصدر السابق، ص٢٥٩.

(٤) من بلاغة القرآن، ص٣١.

(٥) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٨٢.

فأورد التضرعَ بالطلب وليس بالأمر، فهو يطلب من الله تعالى المغفرةَ والمعذرةَ على ما فرّط به في جنب الله، لذلك خرج الأمر عن كونه أمراً ليعطيَ معنىً بلاغياً وهو الدعاء والطلب ممن هو أدنى لمن هو أعلى منزلةً.

٢ – النصح والإرشاد: كقوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

ونظير ذلك في هذه المقطوعة:[١]

نـــزّه ســـماعَك إن أردتَ ســـماعَ ذيّـــ ـــاكَ الغِنـــا عـــن هـــذه الألحـــان

وارغـــب بعقلـــك أن تبيـــعَ العـــالي الـــ ـــباقي بـــذا الأدنـــى الـــذي هـــو فـــانِ

فيقدم الإمامُ ابن القيم نصيحةً لنا في قمة الروعة لمن أراد أن ينزّه سمعه عن لهو المعازف والأغاني والألحان الفانية لئلا يخسرَ سماعَ أصواتَ الحور وهنّ يغنينَ لأزواجهنّ في الجنة، فخرج الأمرُ في هذين البيتين عن كونه أمراً لإفادة معانٍ بلاغيةٍ جديدة وهي النصح والإرشاد.

ويقول أيضاً:

كـــن محســـناً فيمـــا اســـتطعتَ فربّمـــا تُجـــزَى عـــن الإحســـان بالإحســـان

واعمـــل لجنـــاتِ النعـــيمِ وطيبِهـــا فنعيمُهـــا يبقـــى ولـــيس بفـــانِ

فإنه يوجه قلوبَنا للإحسان وطاعة الرحمن، والعمل من أجل الجنان الباقية ذات النعيم السرمدي، فإن الجزاءَ من جنس العمل، وفي هذا المشهد يخرج الأمرُ عن معناه الحقيقي لمعنىً بلاغي وهو النصح والإرشاد.

٣ – التهديد:

وقال **ابن قتيبة** في هذا الموضع: " أن يأتيَ الكلام على لفظ الأمر وهو تهديد "[٢]، وذلك إذا استعمل في مقام عدم الرضا، كقوله تعالى: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [فصلت: ٤٠]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾ [إبراهيم: ٣٠]، فإذا وقع الأمر في مقام عدم الرضا فإنه يُحمل على التهديد، ونظير ذلك في الكافية الشافية:[٣]

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٧٣.

(٢) تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة الدينوري، (٢٧٦هـ)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ج١/١٧٢ .

(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٥٩.

ياعاشـــقَ الـــدنيا تأهّـــب للـــذي ... قـــد نالـــه العشّـــاقُ كـــلَّ زمـــان

فجاء الأمر بمعنى التهديد والاستعداد لعذاب الله يوم القيامة لمن كان عاشقاً للدنيا ومفرطاً في نصيبه من الآخرة ونعيمها.

٤ – الإباحة: وذلك كقوله تعالى: ﴿**كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ**﴾[الحاقة:٢٤].

ويقول **القزويني:** " وقد تُستعمل صيغةُ الأمر في غير طلب الفعل بحسب مناسبة المقام كالإباحة، كقولك في مقام الإذن: جالس الحسن أو ابن سيرين "[(١)].

وقد جاء معنى الإباحةِ جلياً في هذا المشهد من وصف عرائس الجنات، فقال:[(٢)]

فاســمع صــفاتِ عــرائسِ الجنّــات ثــمّ ... اختــر لنفســك يــا أخــا العرفــان

حـــورٌ حســـانٌ قـــد كَمُلـــنَ خلائقـــاً ... ومحاســـناً مـــن أجمـــل النســـوان

وانظـــر إلـــى جعـــل اللـــذاذة للعيـــو ... نِ وشـــهوةٍ للـــنفس فـــي القـــرآن

فهنا لا يأمره بالاختيار من نساء الجنة والحور العين أو النظر إليهنّ، إنما أخرج الأمرَ ليحمل في طياته معانٍ جديدة وهي الإباحة في لذة النظر وقضاء الشهوة مع الحور الحسان في كل وقت وحين، فله أن يختار ما يشاء وكيفما يشاء وأينما شاء.

٥ – التشويق:

ونظير ذلك ما أورده ابن القيم في قصيدته، فقال:[(٣)]

فاســـمع إذاً أوصـــافَها وصـــفاتِ هـــا ... تيـــكَ المنـــازلِ ربّـــةِ الإحســـان

وقوله كذلك:[(٤)]

فاخطـــب مـــن الـــرحمن خَـــوداً ثـــم قـــدّ ... م مهرَهـــا مـــا دُمـــتَ ذا إمكـــان

وقوله أيضاً:

فـــاجمع قُـــواكَ لمـــا هنـــاك وغمّـــض الـــ ... ـــعينين واصـــبر ســـاعةً لزمـــان

---

(١) الإيضاح في علوم البلاغة، ص ١٤٧ .

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٨٠.

(٣) المصدر السابق، ص٢٥٩.

(٤) المصدر السابق، ص٢٧٩.

وينتقل بنا إلى غرضٍ بلاغيٍ جديد وهو التشويق، حيث إنه يرغّبُنا لسماع صفات هاتيك الخُرّد الحسان وجمالهنّ، ويشوّقنا لخطبتهن لأنهنّ ذواتُ العفّة والأخلاق والطهارة فنخطبُ لأنفسنا واحدةً منهنّ من ربنا الرحمن ثم نقدّم مهرها من الإيمان والتُّقى ما دمنا ذوي قدرةٍ وإمكان، فذاك النكاحُ أيسرُ وأخفّ كلفةً من خطبة واحدةٍ من نساء هذا الزمان، وما هذه الدنيا إلا لحظةً ثم نكون في الدار الآخرة، فهو يريد أن نُتوّقَ لرؤيتِهنّ وخطبتهنّ والصبرِ من أجل الوصول إليهن.

٦- **الوعيد**: وذلك كقوله فيمن غفل عن ذكر الله وطاعته:[١]

يـــا غـــافلاً عمـــا خُلِقـــتَ لـــه انتبـــه ــــــ جـــدّ الرحيـــلُ فلســـتَ باليقظـــان

يظهر معنا في هذا المشهد وعيداً قاسياً لمن غفل عن طاعة الله وذكره، ومعصيةِ رسول الله ﷺ، ويتوعده بالعذاب القاسي بعد رحيله من هذه الدنيا إلى الدار الآخرة، فإن الله تعالى مدّ لهم من العذاب مداً، وقد أخرج الأمرَ عن كونه أمراً ليفيد معنىً بلاغياً وهو الوعيد.

ومن هنا فإن وظيفة الأمر بأنه يحسّن المعنى الشعري ويجمّله من خلال دعوته إلى التحلية بالأخلاق الفاضلة والأفعال الحميدة والصفات الخيّرة، وهذا بدوره يقوّى بِنية النص وتماسكه.

ثانياً: النهي:

لغةً: " هو خلاف الأمر، نهاه ينهاه نهياً فانتهى وتناهى أي كفّ" [٢].

وعند ابن الناظم: " هو طلب حصول الانتفاء في الخارج على وجه الاستعلاء، فإن استعمل فيه بالشرط المذكور أفاد الحظر، وإلا أفاد الطلب في ضمن الدعاء أو الالتماس أو الإباحة أو التهديد" [٣].

وقال **السيد أحمد الهاشمي:** " هو طلبُ الكفِّ عن الفعل أو الامتناع عنه على وجه الاستعلاء والإلزام "[٤]، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُواْ فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾[الأعراف:٥٦].

" ويتفق النهيُ مع الأمر في أنّ كلَّ واحدٍ منهما لابد فيه من اعتبار الاستعلاء، وأنهما يتعلقان بالغير فلا يمكن أن يكونَ الإنسانُ آمراً لنفسه أو ناهياً لها، ويختلفان في أنّ كلَّ واحدٍ منهما

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٨٥.

(٢) لسان العرب، ابن منظور، ج ٣٤٣/١٥.

(٣) المصباح في المعاني والبيان والبديع، بدر الدين بن مالك بن الناظم، تحقيق: حسني عبد الجليل يوسف، مكتبة الآداب، المطبعة النموذجية، القاهرة، ص٩١.

(٤) جواهر البلاغة، ص ٧٦، وانظر: علم المعاني، ص ٩٠.

مختصٌ بصيغة تخالف الآخر، وأن الأمر دالٌ على الطلب، والنهي دالٌ على المنع "[١].

ويقول **عبد القادر حسين**:" والنهي له صيغةٌ واحدة وهي المضارع المقرون بلا الناهية الجازمة"[٢] كقوله تعالى: ﴿فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم﴾ [إبراهيم: ٢٢]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آلعمران: ١٣٩].

ويقول **الميداني**: " يخرج النهيُ عن معناه الحقيقي للدلالة على معانٍ أخرى كثيرةٍ تظهر من السياق وقرائن الأحوال" [٣].

الأغراض البلاغية التي يخرج إليها النهي:

١- **النصح والإرشاد**: وذلك عندما يكون النهيُ يحمل بين ثناياه معنىً من معاني النصح والإرشاد.

ويقول ابن القيم في الكافية الشافية:[٤]

لا يلهينَّك منزلٌ لعبت به ... أيدي البِلا مُذ سالفِ الأزمان

وفي هذا المشهد يقول **الهراس**: " فلا يشغلنك عن السير إلى غايتك والجدّ للقاء محبوبتك هذا المنزل الفاني الذي عصفت به ريحُ البِلى من قديم الزمان، وهو خلوه من كل ما يسرُّ القلبَ ويُبهج النفس، بل ليس حشوه إلا الهموم والأحزان" [٥].

وقد خرج النهي في هذا المشهد ليفيد معنى النصح والإرشاد بعدم اللهو والانشغال بما هو فانٍ في الدنيا، وأن ما عند الله خير وأبقى.

ويقول رحمه الله تعالى:[٦]

واحفظ حدودَ الربِّ لا تتعدها ... وكذاك لا تجنح إلى النقصان

هذا الذي قد حدّه الرحمنُ في الـ ... ـقرآن لا تعدل عن القرآن

---

(١) معجم المصطلحات البلاغية، ج٣/ ٣٤٤.

(٢) فن البلاغة، ص ١٢٠، وانظر: من بلاغة القرآن، ص٣٧.

(٣) البلاغة العربية للميداني، ص ٢٣١، وانظر: علم المعاني، ص ٩١.

(٤) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٥٨.

(٥) شرح القصيدة النونية للهراس، ج٢/٣٣١ .

(٦) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٧٧.

فيقدم لنا نصيحةً أخرى لحفظ حدود الله وعدم تجاوزها، لأنه من يتعد حدود الله فقد باء بغضبٍ من الله ورسوله، وقد خرج النهي في هذا المشهد عن معناه الحقيقي لإفادة معنىً بلاغياً وهو النصح والإرشاد وعدم الجنوح والميل لما يغضب الله تعالى.

٢- **التحذير**: ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ يَابُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ [يوسف:٥].

ونظير هذا ما ورد في القصيدة النونية في قوله:[١]

لا تــرضَ مــا اختــاروه هــم لنفوســهم ... فقــد ارتضَــوا بالــذلّ والحرمــان

ولأنهم عبّادٌ للنفس والشيطان فلا ترضَ أيها العاقل اللبيب أن تسلكَ سبيلَ هؤلاء ولا تختر لنفسك ما اختاروه لأنفسهم من ذلٍّ وحرمان، ومن إيثار الدنيا الفانية ولذة عيشها على الجنات والرضوان، فقد صحبوا حظوظهم وأهواءهم فدمّر الله عليهم، فيظهر معنا في هذا البيت أن النهي قد خرج عن معناه الأصلي ليفيد معنى التحذير، وكأن لسانَ حاله يقول: إياك ثم إياك أن تُبتلى بحظك وشهواتك وأمانيك الزائفة.

٣- **التوبيخ** : وهو عندما يكون المنهي عنه أمراً لا يشرف الإنسان ولا يليق أن يصدر عنه، نحو قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ [الحجرات:١١].

ونظير ذلك ما أورده ابن القيم في قوله:[٢]

لا تــؤثِر الأدنــى علــى الأعلــى فتُحــ ... ـــرَمَ ذا وذا يــا ذلــةَ الحرمــان

فقد جاء النهي ليفيد معنى التوبيخ للذين آثروا الفاني على الباقي واستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير، فحُرموا خيرَي الدنيا والآخرة، فيا لها من ذلة ويا له من هوان.

وقولُه فيمن أفسد عقيدتَه واتبع هواه، فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث، فقد زاغوا عن دينهم فأزاغ الله قلوبهم، وأفسدوا الدين بأهوائهم فأفسد الله قلوبهم وعقيدتهم.

فقال في ذلك المشهد:[٣]

لا تُفســدوا لفــظَ الكتــابِ فلــيس فيــ ... ـــه حيلــةٌ يــا فرقــة الروَغــان

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٥٩.

(٢) المصدر السابق، ص٢٧٣.

(٣) المصدر السابق، ص٢٨٧.

ويتبين معنا في هذا المشهد أن النهي قد خرج عن معناه الحقيقي ليصيب معنىً جديداً وهو التوبيخ للمفسدين المراوغين روغان الثعالب، الذين نسوا بأن الله تعالى سيحفظ هذا الدين وأهله إلى يوم يبعثون.

٤ـ التهديد :

وذلك عندما يقصدُ المتكلمُ أن يخوّف مَن هو دونه قدراً ومنزلةً عاقبة القيام بفعل لا يرضى عنه المتكلم، كأن تقولَ لمن هو دونك" لا تقلع عن عنادك" أو " لا تكف عن أذى غيرك "[١].

ونظيره في قوله:[٢]

لا تـــؤثر الأدنـــى علـــى الأعلـــى فـــإن تفعـــل رجعـــتَ بذلّـــةٍ وهـــوان

فيظهرُ معنى التهديد من الله تعالى والتخويف من غضبه وعذابه لمن اشترى الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة، فقد باؤوا بالذلة والهوان.

٥ـ الالتماس: كقوله تعالى:﴿**قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لاَ تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلاَ بِرَأْسِي**﴾[طه:٩٤].

وذلك كقوله رحمه الله تعالى:[٣]

باللّـــه لا تســـأله عـــن أشـــغاله تلـــك الليـــالي شـــأنُه ذو شـــان

قال **الهراس:**" لا يُنكر على أهل الجنة شغلهم بأزواجهم وقد تمكنوا من وصالهم، فإن العاشق الصبّ الولهان من أهل الدنيا إذا غاب عن محبوبه في بلاد بعيدة وأصبح يكابد لواعج الفراق ويتجرع مرارة الأشواق وينتظر بفارغ الصبر يوم التلاق ثم آب إليه ووافاه بعد هذا الغياب الطويل وصار وصاله في الإمكان بعد ما كان أشبه بالمستحيل، فمن ذا يلومه إذا أقبل على محبوبه يطفئ نار أشواقه بالعناق والتقبيل "[٤].

ويظهر معنا في هذا البيت النهي الذي خرج عن معناه الحقيقي لإفادة معنىً بلاغي وهو الالتماس، لأنه يخاطب من هو مثله مرتبة في الجنة.

---

(١) علم المعاني، عبد العزيز عتيق، ص٩٥.

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٨٣.

(٣) المصدر السابق، ص٢٨١.

(٤) شرح القصيدة النونية للهراس، ج٢/ ٣٩٧

٦ـ **الحث والجد**: وذلك كقوله:[١]

ولقـــد وصـــفتُ طريـــقَ مســـكنِها فـــإن رُمـــتَ الوصـــالَ فـــلا تكـــن متـــواني

ويخرج النهي في قوله " **فلا تكن متواني**" لإفادة معنى الحث والسعي لرفع الهمة نحو القمة، فمن أراد الفردوس الأعلى لابد له من التشمير لها، لأن سلعةَ الله غالية.

وتكمن قيمة النهي في تمتين بناء النص من خلال تصحيح المعنى بنفي العوارض المانعة والنهي عن الأفعال والصفات السيئة التي يلفظها الذوق والحس السليم.

ثالثاً: الاستفهام :

لغةً: طلب الفهم ومعرفة الشيء وفهمت الشيء عقلته وعرفته وتفهّم الكلام فهمه شيئاً بعد شيءٍ وأفهمه الأمر أفهمه إياه وفهّمه تفهيماً [٢].

اصطلاحاً: قال **ابن الناظم**: " هو طلب ما في الخارج أن يحصل في الذهن من تصور أو تصديق موجب أو منفي "[٣].

ويقول **عبد القادر حسين**: " هو طلب العلم بشيءٍ لم يكن معلوماً من قبل بأداة مخصوصة" [٤].

وقال **الميداني**: " وللاستفهام طائفةٌ من الأدوات تقع في ثلاثة أقسام ":[٥]

الأول: ما يُستفهم به عن **التصوّر والتصديق ويكون بهمزة الاستفهام** فقط، كقوله تعالى:﴿ **أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ** ﴾[يوسف:٣٩].

"وأما التصديق فهو إدراكُ النسبة الحُكمية، سواءً كانت موجبةً أو سالبةً "[٦]، وتكون الإجابةُ بنعم أو لا ، وتأتي الأداة " هل " ويمتنع مجيء " أم " المعادلة بعدها لأنه يؤدي إلى التناقض ولأن "هل" تفيد أن السائل جاهلٌ بالحكم و" أم " تفيد أنه عالمٌ بالحكم "[٧].

ويُقصد **بالتصور**: هو طلب تعيينِ المفرد، كقوله تعالى:﴿ **قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ** ﴾[البقرة:١٤٠].

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٥٨.

(٢) لسان العرب، ابن منظور، ج١٢ / ٤٥٩.

(٣) المصباح في المعاني والبيان والبديع، ابن الناظم، ص ٨٣ .

(٤) فن البلاغة، ص ١٢٢ .

(٥) البلاغة العربية للميداني، ص ٢٥٨ .

(٦) المصدر السابق، ص ٢٥٩ .

(٧) من بلاغة القرآن، ص ٤٢.

أما **التصديق**: "فهو طلب تعيين النسبة أو الحكم، وتكون الإجابةُ عليه بنعم أو لا" [(١)].

ومثل ذلك في وصف ابن القيم للإنسان في الجنة لحظة لقائه المشوّق لمحبوبته، وجمالها الذي فاق جمالَ كلِّ شيء، فنصيفها على رأسها أفضلُ من الدنيا وما فيها، فكأن القمرَ يلتقي قمراً آخر أشدّ منه روعةً وجمالاً وسحراً، فقال رحمه الله:[(٢)]

حتـــــى إذا مــــا واجهتـــــه تقـــــابلا　　　أرأيــــتَ قـــــطّ تقابـــــلَ القمـــــران

ويصف لحظة اقتراب هذا الإنسان من محبوبته، وضمّه لها بعد طول غياب وفراق، والتقاء الأرواح والأجساد، ويتساءلُ عندما تظهر هذه الحوراء في أبهى حللها وهي مختالةٌ متثنية في مِشيتها متباهية في جمالها، كأنها البدرُ ليلة التمام في غسق الدُّجى، فيقول:

فيضـــمّها وتضـــمّه أرأيـــتَ معـــــ　　　ــــشوقَين بعـــد البُعـــد يلتقيـــان

أتُراهمــا ضـــجرَين مـــن ذا العـــيش لا　　　وحيـــاة ربِّـــك مـــا همـــا ضـــجِران

الثاني: ما يُستفهم به عن التصديق فقط وهو لفظ " هل ".

ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَاب﴾ [الزمر: ٩].

ونظير ذلك ما أورده ابن القيم في مشهد محاضرة الله تعالى لأحبابه وأوليائه، وتذكيره لهم بذنوبهم ومعاصيهم التي اقترفوها في الدنيا، وإقرارهم بتلك المعاصي، ومغفرته التي حفتهم، وإحلال رضوانه عليهم بعد ذلك، فقال:[(٣)]

ويحاضـــرُ الــــرحمنُ واحـــدَهم محـــا　　　ضـرةَ الحبيـبِ يقـول يـا ابـنَ فـلان

هـل تـذكر اليـوم الـذي قـد كنـتَ فيــــ　　　ــــه مبـــارزاً بالـــذنب والعصـــيان

ويتساءل إن كان أهلُ الجنةِ بإمكانهم أن يصبروا عن أزواجهم ومحبوباتهم دون التمتع بهنّ وعناقهنّ وتقبيلهنّ، فإن أعراسَهم في الجنة متصلةٌ ومستمرة لا تنقطع أبداً، فهم في شغلٍ فاكهون، فيقول:[(٤)]

فســل المتــيّمَ هــل يحــلُّ الصــبرُ عــن　　　ضـــمٍّ وتقبيـــلٍ وعـــن فلَتـــان

---

(١) من بلاغة القرآن، ص٤١.

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٨٤.

(٣) المصدر السابق، ص٢٩٢.

(٤) المصدر السابق، ص٢٨٤.

ويعلم أن الإنسانَ لا يستطيعُ أن يصبرَ على فراق محبوبه في الجنة.

الثالث: ما يُستفهم به عن التصور فقط، وهي سائر أدوات الاستفهام : " ما ـ مَن ـ أيّ ـ كم ـ كيف ـ أين ـ أنَّى ـ متى ـ أيّان "

- **(ما ـ ماذا)** ويستفهم بهما عن غير العاقل، كقوله تعالى:﴿**وَالسَّمَاء وَالطَّارِق * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِق**﴾[الطارق: ١ـ٢].

ونظير ذلك ما ذكره ابن القيم في الكافية الشافية، فقال:(١)

قد أفلحَ العبدُ الذي هو مؤمنٌ ... ماذا ادّخرتَ له من الإحسان

فهو يستفهم عن عمل الإنسان الذي قدمه في الدنيا ليكونَ له ذُخراً عند الله يوم القيامة.

وقوله أيضاً:(٢)

ولسوف تعلمُ حين ينكشفُ الغِطا ... ماذا أضعتَ وكنت ذا إمكان

ثم يحذّر الإنسانَ المقصّر في حق الله وفي حق نفسه على أنه سيندم ندماً شديداً عندما يتكشف له الغطاء يوم القيامة، وكان بإمكانه أن يكون من المتقين ولكنه لا يريد، ففرّط في جنب الله فكان من الساخرين الخاسرين.

ويقول في وصف فُرش الجنة وبطائنها:(٣)

والفرشُ من إستبرقٍ قد بُطّنت ... ما ظنكم بظهارةٍ لبِطان

أما أداة الاستفهام **(مَن)** فإنه يُطلب بها تعيين أحدِ العقلاء، نحو قوله تعالى:﴿**فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً**﴾[فصلت: ١٥].

ونظير ذلك في قوله:(٤)

ورأيتَ أكثرَ من ترى متخلّفاً ... فتبعتَهم ورضيتَ بالحرمان

أما أداة الاستفهام **(متى)** فإنه يطلب بها تعيين الزمان سواءً أكان ماضياً أم مستقبلاً.

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٦٨.

(٢) المصدر السابق، ص٢٨٥.

(٣) المصدر السابق، ص٢٧٦.

(٤) المصدر السابق، ص٢٨٥.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[السجدة:٢٨]، وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[الأنبياء:٣٨]،ويورد ابن القيم في قصيدته:

حتّـــى متـــى هـــذا الرقـــاد وقـــد ســـرى   وفـدُ المحبَّـة مـع أولـي الإحسـان[1]

فالناس قد حثّوا ركائبهم للوصول إلى الجنات وما زال هناك أناسٌ يرقدون في سكراتهم يعمهون، فإلى متى سيبقى هذا الانسان غافلاً عما خُلق له ويشمّر عن ساعديه للوصول إلى جنات عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين.

* أما الأداة (**أين**) فإنه يطلب بها تعيين المكان، كقوله تعالى: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾[التكوير:٢٦].

ونظير ذلك في الكافية الشافية، قول ابن القيم رحمه الله تعالى:[2]

وســـل المتـــيّم أيـــن خلّـــف صـــبرَه   فـــي أيِّ وادٍ أم بـــأيّ مكـــان

فاسأله أين خلّف صبرَه في أيّ مكان، ثم كيف عيشتُه الهانئة الراضية وقد اتكأ هو وعروسه على فرشيهما منفردَين يتناجيان بأعذب الألحان وينثران الدرَّ من أفواههما كأنه عقودُ جمان.

* و(**كيف**) يُطلب بها تعيين الحال، كقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاء فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾[ق:٦]، وقوله تعالى: ﴿وَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾[الأعراف:٨٦].

ونظير هذا الاستفهام قوله رحمه الله:

وســـل المتـــيّمَ كيـــف عيشـــتُه إذاً   وهمـــا علـــى فرشَـــيهما خِلـــوَان

وســـل المتـــيّمَ كيـــف حالتُـــه وقـــد   مُلئـــت لـــه الأذنـــانِ والعينـــان

وســـل المتـــيّمَ كيـــف مجلسُـــه مـــع الـــ   ـــمحبوب فـــي رَوحِ وفـــي ريحـــان

فهم يتساقطون عن فراشهم كحبات اللؤلؤ والدرّ المنثور، وحياتهم في فرح وحبور وروحٍ وريحان وجنة نعيم، وتدور عليهم كاساتُ الخمر والرحيق المختوم بأيدي الولدان المخلدون، فيتنعمون في عيشتهم نعيماً لا يعلم به إلا اللهُ تعالى.

---

(١) شرح القصيدة النونية للهراس، ج٢/٢٢٥، باب في تيسير السير إلى اللّه على المثبتين الموحدين.

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٨٤.

* أما أداةُ الاستفهام (كم) فُيطلب بها تعيين العدد، كقوله تعالى:﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾[الدخان:٢٥]، وقوله تعالى: ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾[المؤمنون:١١٢].

ومثل هذا في القصيدة النونية:[١]

هـــــذا وكــــم زربيـــــةٍ ونمــــارقٍ ووســــائدٍ صُـــفَّت بـــلا حســـبان

فقد استخدم أداة الكثرة " كم " في هذا المشهد للدلالة على عظمة وكثرة تلك الوسائد والزرابي والبسط والنمارق المعدّة لأهل الجنة في الدرجات العلا، ففيها مالا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر.

* و(أي) يطلب بها تعيين أحد المتشاركين في شيء يعمهما، كقوله تعالى:﴿فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـٰذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾[التوبة:١٢٤].

وذلك كما في قوله رحمه الله تعالى:

وســـل المتـــيّمَ أيـــن خلّـــفَ صـــبرَه فــــي أيّ وادٍ أم بــــأيّ مكـــــان

فهو يستفهم عن تعيين أحد المكانين الواردين في المشهد.

الأغراض البلاغية التي يخرج إليها الاستفهام:

وتخرج ألفاظُ الاستفهام عن أصل وضعها فيستفهم بها عن الشيء مع العلم به لأغراضٍ بلاغيةٍ تستفاد من سياق الحديث ودلالة الكلام، أهمها:

١- التقرير: " وهو حمل المخاطب على الإقرار والاعتراف بصورة من صور الاستفهام "[٢].

ونظير ذلك ما ورد في هذا المشهد الرائع:[٣]

فيقـــول جـــلّ جلالُـــه هـــل أنـــتم راضـــون قـــالوا نحـــنُ ذو رضـــوان

فقد خرج الاستفهام في هذا المشهد عن معناه الأصلي لإفادة معنىً مجازي وهو التقرير، فالله تعالى يعلم أنهم راضون، ولكنه يريد أن يقرّهم بذلك النعيم والرضوان لإتمام النعمة عليهم.

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٧٧.

(٢) من بلاغة القرآن، ص٤٥.

(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٩٠.

ويقول **عبد القاهر الجرجاني:** " واعلم أن هذا الذي ذكرتُ لك في" الهمزة وهي للاستفهام " قائمٌ فيها إذا هي كانت للتقرير، فإذا قلت:" أأنت فعلت ذاك؟ "كان غرضُك أن تقررَه بأنه الفاعل" [(١)].

ومنه قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَاإِبْرَاهِيم﴾[الأنبياء:٦٢].

فهم يريدون أن يقرّ لهم بأن كسرَ الأصنام قد كان، ولكن أن يقرّ بأنه منه كان، وقد أشاروا إلى الفعل في قولهم: "أأنت فعلت هذا؟"، وقال هو عليه الصلاة والسلام في الجواب: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُون﴾[الأنبياء:٦٣]، ولو كان التقريرُ بالفعل لكان الجواب: " فعلتُ أو لم أفعل"، ويقول أيضاً: " واعلم أن الهمزة تقريرٌ بفعل قد كان، وإنكارٌ له لمَ كان، وتوبيخٌ لفاعله عليه"[(٢)].

ونظيره في مشهدٍ جديدٍ أيضاً:[(٣)]

أفمـــا تصـــدّقُ أن أعمـــالَ العبـــادِ تُحـــطّ يـــوم العـــرضِ فـــي الميـــزان

فقد جاء بالاستفهام الذي أفاد التقرير لما ذكره من أن أعمالَ العبادِ تُعرض يوم القيامة على الله تعالى ويوزنها في الميزان، فمنها ما يثقلُ ومنها ما يخفّ، وأن هناك أناساً ستوزن أعمالهم في ميزان الله فلا تساوى عند الله جناح بعوضة، كلٌّ حسب عمله، لقوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِين﴾[الأنبياء:٤٧].

ويقول ابن القيم في القصيدة الشافية:[(٤)]

أوَ مـــا علمـــتَ بأنـــه ســـبحانه حقـــاً يكلّـــمُ حزبَـــه بجنـــانِ

فهنا أيضاً يخرج الاستفهام عن معناه الحقيقي ليدخل في سياقٍ بلاغي وهو إقرار العبد بتكليم الله تعالى لعباده يوم القيامة، وعدم إنكاره لهذه الرؤية يقيناً لا ظناً، وأنّ الذين يرونه فقط هم أولياؤه الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون، واللهُ تعالى يَخرج على عباده المؤمنين وينظر إليهم ويكلّمهم ويناجيهم، وليس بينهم وبينه ترجمانٌ ولا حجاب.

---

(١) دلائل الإعجاز للجرجاني، ص ١١٣.

(٢) المصدر السابق، ص ١١٤.

(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٩٤.

(٤) المصدر السابق، ص٢٩٠.

ويبيّن ابن القيم في هذا المشهد آخر أهل الجنة دخولاً وما له من الكرامات والنعيم المقيم، فيقول:[١]

أو مَـا سـمعتَ بـأنّ آخـرَ أهلِهـا يعطيـه ربُّ العـرشِ ذو الغفـران

أضـعافَ دُنيانـا جميعـاً عشـرُ أمـثالٍ لهـا سـبحان ذي الإحسـان

ففي هذا المقطع لا يسأل عما إذا سمع الإنسان بآخر أهل الجنة دخولاً أم لا، بل أفاد الاستفهام غرضاً مجازياً وهو الإقرار بما وعد الله عباده المؤمنين بأن أقلهم منزلة في الجنة له عشر أمثال الدنيا وما فيهم دنيّ، وذلك فضلُ الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

٢- **التعجب:** كقوله تعالى: ﴿**كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُون**﴾ [البقرة:٢٨]، وقوله تعالى: ﴿**وَمَا لَنَا لاَ نُؤْمِنُ بِاللّهِ وَمَا جَاءنَا مِنَ الْحَقِّ**﴾ [المائدة:٨٤].

قال **الخطيب القزويني:** " وهذه الألفاظ كثيراً ما تُستعمل في معانٍ غير الاستفهام بحسب ما يناسب المقام "[٢].

ويقول ابنُ القيم في عطاء ربّ العالمين لعباده في الجنان وإحلال رضوانه عليهم:[٣]

أم كيـف لا نرضـى وقـد أعطيتَنـا مـا لـم ينلـه قـطّ مـن إنسـان

ويصف لنا مشهداً في قمة الروعةِ لعباد الله يوم القيامة، وهم يعجبون من صنيع الله لهم في الجنة، فقد أدخلهم الجنة برحمته ومنّ عليهم بالنعيم الدائم، وحفّهم بكنفه، وناجاهم وناداهم ومتّعهم بلذة النظر إلى وجهه الكريم، ثم يكرمهم بكراماته ورضوانه فلا يسخطُ عليهم أبداً، فيعجبون من سؤال الله لهم وقوله: اليوم أُحلّ عليكم رضواني فلن تشقَوا بعد ذلك أبداً، وفي هذا المشهد يخرج الاستفهام عن حقيقته ليفيد معنىً مجازياً وهو التعجب.

وفي هذا المقطع يصول ابن القيم ويجول في ردّه على من يزعمون أنهم على الهدى، وهم في الغواية والضلالة كالعميان الذين اتبعوا أهواءهم فأضلّ الله أعمالهم، فدمّر عليهم وللكافرين أمثالها، فقال:[٤]

ويقـودُهم أعمـى يُظـنّ كمبصـرٍ يـا محنـةَ العميـان خلـفَ فـلان

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٦٤.

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني، ص ١٤١-١٤٢.

(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٩٠.

(٤) المصدر السابق، ص٢٨٩.

هـــل يســـتوي هـــذا ومبصـــرُ رشـــدِه　　　اللهُ أكبـــــر كيـــــف يســـــتويان

ففي البيت الثاني يظهر معنا الاستفهامُ الذي خرج عن معناه الحقيقي ليعطيَ معنىً بلاغياً وهو التعجب في كيفية الاستواء والمساواة عند الله تعالى بين الذين آمنوا وعملوا الصالحات والفجار الذين اتخذوا دينهم هزواً ولعباً، فأنى يستويان عند الله تعالى؟، والحقيقة أن البيت يشتمل على استفهامين أحدهما: " هل، وهذا يعني أنهما لا يستويان، والآخر: كيف، المستخدمة للتعجب.

وذلك كقوله رحمه الله تعالى: [(١)]

ياســـلعةَ الـــرحمنِ كيـــف تصـــبّر الـــ　　　ـــــخطّابُ عنـــكِ وهـــم ذَوُو إيمـــان

حيث خرج الاستفهام عن معناه الحقيقي لإفادة معني مجازياً وهو التعجب من أناسٍ فرّطوا في جنة عرضها السموات والأرض، ولم يشمّروا لها مع أن النبي الكريم ﷺ قد رسم الطريق إليها.

ومنه قوله أيضاً:

يـــا ســـلعة الـــرحمن أيـــن المُشـــتري　　　فلقـــد عُرضـــتِ بأيســـر الأثمـــان

حيث أُخرج الاستفهام عن معناه الحقيقي لإفادة معنى مجازي وهو التعجب، فكيف ينام الخُطّاب عن تلك العرائس وذاك النعيم الذي لا يزول، مع أن الجنةَ عُرضت بأيسر الأثمان، فيأتي التعجب من أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة، واستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير.

ويصف في هذا المشهد جمالَ الزوجاتِ وهنّ في الخيام، وأن هذا الجمالَ إذا بدا كالشمس حين تحل على الظلام وتغشاه، فيقول:[(٢)]

فتـــراه يعجـــبُ وهـــو موضـــعُ ذاك مـــن　　　ليـــلٍ وشـــــمسٍ كيـــف يجتمعـــان

ففي هذا المشهد الخلاب الرائع يصف لنا محاسنَ الحور العين في الجنة، وأنهنّ كالبدر ليل الست بعد ثمان، ومن شدة جمالها كأن الشمسَ والقمر يجريان في وجهها، وهذا من كمال الحسن والبهاء، فيأتي الاستفهام بحلّته المجازية للتعجب من جمالها وحسنها وبهائها الذي غطّى على جمال الشمس والقمر، وأنهما لا يجتمعان لأن نورَها أعظمُ من نور الشمس والقمر.

ويقول أيضاً:[(٣)]

قـــوتُ النفـــوسِ وإنّمـــا القـــرآنُ قـــو　　　تُ القلـــبِ أنّـــى يســـتوي القوتـــان

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٩٧.

(٢) المصدر السابق، ص٢٨٠.

(٣) المصدر السابق، ٢٧٤.

فخرج الاستفهامُ عن معناه الأصلي لإفادة المعنى البلاغي وهو التعجب من فهم أهل الدنيا في مساواتهم بين قوت الأجساد وقوت القلوب، فهناك بَونٌ شاسعٌ لمن كان له قلبٌ أو ألقى السمعَ وهو شهيد.

٣- التشويق: وذلك نظير قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الصف:١٠].

وقول ابن القيم في سماع أصوات الحور العين وهنّ يغنينَ لأزواجهنّ بأجمل الأصوات والألحان:

أوَ ما سمعتَ سماعَهم فيها غنا ... ءُ الحورِ بالأصواتِ والألحانِ

فأورد الاستفهام في هذا المشهد لا مجردَ أنه يسأل عن سماع الحور العين في الجنة، بل لإفادة مضمونٍ بلاغيٍ جديدٍ وهو التشويق لتلك الأصوات الرائعة والتعلّق بها لما فيها من ألحانٍ وأشجان لا تُستبدل بعيدانِ وأوتارِ الدنيا وأنغامها وألحانها.

وفي حديثه عن مساكن الحور العين في الجنة، فيقول:(١)

أو كنتَ تعرفُ أينَ مسكنُها جعلـ ... ـتَ السعيَ منك على الأجفانِ

فهو لا يسأل عن مسكن الحور العين، لأنه يعلم أن مسكنَها في أعلى الجنان، ولكنه يشوّقنا لمعرفة مكانها ومكانتها للعمل والسعي ولو على الأجفان من أجل الوصول إليها والاستئناس بها، وبذلك يكون قد خرج الاستفهامُ عن معناه الحقيقي ليضيفَ معنىً بلاغياً وهو التشويق للجنة.

وكقوله كذلك: (٢)

يا سلعةَ الرحمنِ هل من خاطبٍ ... فالمهرُ قبلَ الموتِ ذو إمكانِ

حيث أورد الاستفهام في هذا المشهد لإفادة معنى التشويق، فهو لا يسأل عن وجود خُطّاب الجنة أم لا، ولكنه يشوّقنا لخِطبة الحور العين في تلك الجنان التي أعدها الرحمنُ لعباده المؤمنين.

٤- الاستبطاء: كقوله تعالى: ﴿حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللّهِ﴾ [البقرة: ٢١٤].

ونظير ذلك ما أورده الإمام ابن القيم فقال:

حتى متى هذا الرقادُ وقد سرى ... وفدُ المحبَّةِ مع أولي الإحسانِ(٣)

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٥٨.

(٢) المصدر السابق، ص٢٩٧.

(٣) شرح القصيدة النونية للهراس، ج٢/٢٢٥، باب في تيسير السير إلى اللّه على المثبتين الموحدين.

فقد استبطأ عودة الناس إلى الله تعالى بتوبةٍ صادقةٍ، فإن المحسنين قد حثوا ركائبهم ووصلوا إلى مبتغاهم، وما زال هؤلاء القوم في سكرتهم يعمهون، لأنه من خاف أدلج ومن أدلج دخل المنزل، ألا إن سلعةَ الله غاليةٌ، ألا إنّ سلعةَ الجنة، فكأنهم لم يسمعوا مثل هذا القول من قبل، فجاء الاستفهام بصورته البلاغية لاستبطاء توبة هؤلاء الناس وعدم استجابتهم لدعوة ربهم ونبيهم وتسويفهم في الإنابة والرجوع إلى ربهم تبارك وتعالى، فتباعد زمن الاستفهام عن زمن الاستجابة.

٥- **الأمر**: وذلك كقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [الأنبياء:١٠٨].

والمعنى: أي أسلموا.

ونظير هذا ما أورده الإمام ابن القيم في تجلّي رب العالمين للسماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل وفتحه لأبواب التوبة والإنابة، فيقول:[١]

والساعةُ الأخرى إلى هذي السما ... ء يقولُ هل من تائبٍ ندمان

فقد خرج الاستفهام في هذا الموضع عن معناه الأصلي لإفادة معنىً مجازي جديد وهو الأمر، والمعنى توبوا واندموا على ما فاتكم من المغفرة والرضوان وأنيبوا إلى ربكم واستغفروه.

٦- **الإنكار والتوبيخ**: ويقول **المراغي**:" ويشترط فيه أن يلي المنكر الهمزة " ويكون:

إما للتوبيخ على الفعل بمعنى ما كان ينبغي أن يكون، [٢] كقوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:٤٤]، " وقد خرج الاستفهام عن معناه الأصلي إلى التوبيخ، وقد يكون للتوبيخ على أمر واقع في الحال، بمعنى لا ينبغي أن يكون، كقولك لرجل يركب الخطر: " أتخرج في هذا الوقت؟ "[٣].

وقال **الإمام الجرجاني**: "والغرض في مثل هذا تنبيهٌ للسامع حتى يرجع إلى نفسه فيخجل ويرتدع عن فعل ما همّ به "[٤].

وإما للتكذيب في الماضي بمعنى لم يكن، كقوله تعالى ﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ﴾ [الصافات:١٥٣]، فالاستفهام إنكاري تكذيبي، وهو ردٌّ على المشركين وتكذيبٌ لهم في قولهم مايؤدي إلى هذا الجهل

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٦٩.

(٢) علوم البلاغة، البيان والمعاني والبديع، أحمد مصطفى المراغي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م، ص ٦٩ .

(٣) من بلاغة القرآن، ص ٥٤ .

(٤) دلائل الإعجاز للجرجاني، ص ١١٩، وانظر: علوم البلاغة للمراغي، ص ٦٩ .

العظيم،[1] أو في المستقبل بمعنى لا يكون، وهذا يخصّ الحال والمستقبل.

وذلك كقول امرئ القيس:

أيقتُلنـــــي والمَشـــــرفيُّ مُضَـــاجعي   ومســـنونةٌ زرقٌ كأنيـــابِ أغـــوالِ[2]

" فهذا تكذيب منه لإنسان تهدده بالقتل، وإنكارٌ أن يقدرَ على ذلك ويستطيعه، وقد يظن الظان أنه يجوز أن يكون في معنى أنه ليس بالذي يجيء منه أن يقتلَ مثلي، فذكرَ ما يكون منعاً من الفعل، لأن المنعَ يُتصور فيمن يجيء منه الفعل، ومع مَن يصحّ منه لا مَن هو منه محال، ومَن هو نفسه عنه عاجز " [3].

ونظير ذلك من قول ابن القيم رحمه الله:[4]

أتلومُـــه أن صـــار ذا شـــغلٍ بـــه   لا والـــذي أعطـــى بـــلا حســـبان

فقد تلا المخاطب الهمزة في قوله " أتلومه "، وذلك بمعنى ما كان ينبغي أن تلومه، وبذلك يكون الاستفهام قد خرج عن معناه الأصلي ليحملَ معني التوبيخ على هذا اللوم، لأنه لا ينبغي لأحد أن يلومَ أهلَ الجنةِ على ما هم من النعيم المقيم، وقد قدّم الاستفهام لإقرار اللوم كأنه يعتقد أن الفعل لم يكن واقعاً منه، في حين أنه لا يمكن أن يلام أهل الجنة على شغلهم الذي هم فيه فكهون.

وقوله أيضاً:[5]

طُبعـــت علـــى كـــدَرٍ فكيـــف ينالُهـــا   صـــفواً أهـــذا قـــطٌّ فـــي الإمكـــان

فقد ذم الدنيا ومن تعلّق بها لما فيها من آلام وأحزان، وعدم صفاءٍ في العيش، وأن الله تعالى لمّا خلقها لم ينظر إليها منذ أن خلقها، لأنها لا تساوي عنده جناح بعوضةٍ، فكيف ينالها هذا الإنسان صفواً ورغداً في حياة كريمة، فجاء الاستفهام في قوله: " أهذا " للإنكار والتوبيخ على من تمسك بها ولهث خلفها وأفنى حياته من أجلها.

٧- **الإهانةُ والتحقير:** " وفيها يخرج الاستفهام عن معناه الحقيقي للدلالة على التصغير والتقليل من الشأن " [6].

---

(١) دلائل الإعجاز للجرجاني، ص ١١٤ .

(٢) المصدر السابق، ص ١١٧، وانظر: علوم البلاغة للمراغي، ص ٧٠ .

(٣) دلائل الإعجاز للجرجاني، ص ١١٩ .

(٤) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٨٢.

(٥) المصدر السابق، ص٢٥٩.

(٦) علم المعاني، عبد العزيز عتيق، ص ١٠٩.

ونظير ذلك ما ورد في القصيدة النونية، فقال رحمه الله:[١]

لا يُرتجـــى منهـــا الوفـــاءُ لصـــبّها أيـــن الوفـــا مـــن غـــادرٍ خـــوّان

فهو لا يسأل عن المكان في هذا المشهد، بل أخرج الاستفهام عن كونه حقيقةً لإفادة معنىً بلاغيٍ وهو الإهانة والتحقير للدنيا، فهذه الدنيا شيمتها الغدر بالإنسان والإطاحة به في معاطن وَمَبارِك الزيغ والهلاك، وإدخاله في حنادس الظلمات، فهي أقلُّ من أن يهتمَ بها الإنسانُ ويفنى في حبّها الزائل.

٨- **التعظيم:**

وفي هذا إشارةٌ إلى ما أورده ابن القيم في هذا المشهد الخلاب، فقال:[٢]

لله هاتيـــــكَ الخيـــــامُ فكـــــم بهـــــا للقلـــب مـــن عُلَـــقٍ ومـــن أشـــجان

لقد أورد أداةَ الاستفهام " كم " ولكنها ليست على الحقيقة، فهو لا يريد أن يعلم أعداد الحور العين داخل الخيام والقصور، ولكنه أخرج الاستفهام للمعنى المجازي الرائع وهو العظمة المتناهية التي تحلّ على الإنسان داخل تلك الخيام من تعلق الروح بتلك النساء ووصالهن دون انقطاع.

ويقول **الهراس:** " ليس في هذه الخيام سوى الحور العين التي لو التقت إحداهن بالشمس والقمر لأزرت بنورهما ولخلتَ أنهما منكسفان فلله هاتيك الخيام كم للقلوب بها من تعلق وميل وكم بها من غرام وأشجان، لأنهنّ لا ينظرنَ إلى غير أزواجهنّ وهنّ خيرات حسان خيرات أخلاقٍ وحسانٌ وجوهاً، كمُلَ منهنّ الظاهر والباطن والخُلق والخَلق فاتفق لهما الحسن والجمال مع الإحسان وكريم الخلال"[٣].

ثم يكمل وصف مشهد تعلق القلب بسماع أصوات الحور العين في الجنان، فيقول:

واهـــاً لـــذيّاك الســـماعِ فكـــم بـــه للقلـب مـن طـرَبٍ ومـن أشـجان [٤]

فإنه لم يسأل عن نسبة ذاك السماع في القلب، بل أخرجَ الاستفهامَ ليعطيَ المعنىَ البلاغي المقصود وهو عظمة ذلك السماع في القلب ومدى تعلقه به، وإنّ أهلَ الجنةِ حين يشتهون السماع ويذكرون لهو الدنيا وهم تحت شجرة طوبى يرسل اللّه إليهم ريحاً تهز أفنان الشجرة فتنطلق منها أنغامٌ وأصواتٌ هي أعظم وألذّ في السمع من كل أنغام الدنيا وألحانها.

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٥٩.

(٢) المصدر السابق، ص٢٧٠.

(٣) شرح القصيدة النونية للهراس، ج٢/٢٦٥.

(٤) معنى واهاً: التلهف، وقد توضع موضع الإعجاب بالشَّيء، يقال: واهًا له، لسان العرب، ج١٣/٤٧٣.

رابعاً: التمني:

لغةً: " تشهِّي حصُول الأمر المرغوب فيه وحديث النفس بما يكون وما لا يكون، تقول تمنيت الشيء ومنَّيت غيري تمنيةً، وتمنَّى الشيء يعني أَراده "[١].

أما في اصطلاح البلاغيين:

قال **الحسن المفتي:** " هو طلب حصول شيءٍ على سبيل المحبة ممكناً كان أو ممتنعاً "[٢].

وقال **الميداني:** "هو طلب أمرٍ محبوبٍ أو مرغوب فيه، ولكن لا يُرجى حصوله في اعتقاد المتمني لاستحالته في تصوره، أو هو لا يطمع في الحصول عليه، إذ يراه بالنسبة إليه متعذراً بعيد المنال "[٣].

والأداة الأم التي وضعت للتمني " **ليت** "، وقد كثر مجيئُها في كتاب الله تعالى، فكما ورد في التنزيل:﴿يَقُولُ يَالَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾[الفجر:٢٤]، وقوله تعالى:﴿يَالَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ﴾[القصص:٧٩]، وهناك أدوات أخرى للتمني خرجوا بها عن أصل وضعها منها: " **لعل، لو، هل** " وأصل " **لعل** " للترجي، و" **لو** " حرف امتناع، و "**هل** " أصلها للاستفهام، وهم يستعملون هذه الأحرف مكان " **ليت** "ولكن هذا الاستعمالَ له أغراضٌ بلاغيةٌ ونكتٌ بيانية.

ويقول **فضل عباس:** "والغرض البلاغي المقصود من وراء التمني بـ **(هل)** و **(لعل)** هو إبراز المتمني المستحيل وإظهاره في صورة الممكن القريب حصوله وذلك **لكمال العناية به والشوق إليه** "[٤].

ويقول **الحسن المفتي:** " وقد يُتَمنّى بلفظ "هل" مجازاً، والنكتة في العدول عن " ليت "هي إبراز المتمني لكمال العناية به في صورة الممكن الذي لا جزم بانتفائه نحو قوله تعالى:﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاء فَيَشْفَعُواْ لَنَا﴾[الأعراف: ٥٣]، مع العلم أنه لا شفيع وهو ممتنع حقيقة حمله على الاستفهام لحصول الجزم بانتفائه، ولأن حقيقة الاستفهام تقتضي الجهل بالمستفهم عنه لأن الطلبَ يستدعي

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، ج ١٥ / ٢٩٤.

(٢) خلاصة المعاني، للحسن المفتي، ص ٢٢٧.

(٣) البلاغة العربية للميداني، ص ٢٥١ .

(٤) البلاغة فنونها وأفنانها، فضل عباس، ص١٥٨، وانظر: فن البلاغة، ص١٤٩، وانظر: علم المعاني، ص ١٢٣ .

مطلوباً غير حاصل وقت الطلب، والعلم هنا بأن الشفيع ليس بموجود حاصل فيحمل على ما يناسب المقال، والذي يناسبه هنا التمني"[1].

ويقول **عبد القادر حسين:** " **هل** " أداة استفهام كما هو معلوم، ولكنها لم تستعمل للاستفهام بل للتمني، وخرجت عن معناها الحقيقي الذي وضعت له وذلك لأن المطلوب مستحيل والغرض إبراز المتمني البعيد الحصول، في صورة المستفهم عنه الممكن الحصول، **إظهاراً لكمال العناية به والرغبة فيه**" [2].

ومعنى " **لو** " الذي وضعت له في أصل اللغة أن تكون حرف امتناع لامتناع، أي: امتناع الجواب لامتناع الشرط، ففي قوله تعالى: ﴿ **وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُون** ﴾[القلم: ٩]، فقد أبرز التمني وهو الأمر الممكن وان كان بعيد المنال في صورة الأمر الممتنع تماماً إبرازاً لعزة شأنه وندرة حاله [3].

أما " **لعل** " ففي قوله تعالى: ﴿ **وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَاهَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَاب** ﴾[غافر: ٣٦].

فإن بلوغَ فرعونَ أسباب السموات ونصرة الأصنام لهم ورجوعهم عن الكفر أمر مستحيل، وكان هذا يقتضي استعمال الأداة التي وضعت للتمني وهي ليت، ولكنه استعمل بدلاً منها لعل التي تفيد الترجي وهو إمكان الوقوع وسبب هذا العدول هو أنه أراد إبراز الأمر المستحيل في صورة الممكن إظهاراً **لكمال العناية به** واللهفة إليه.

العلاقة بين التمني والترجي:

قال **فضل عباس:** " التمني طلبُ حصول الشيء المحبوب دون أن يكون لك طمع وترقب في حصوله، لأنه إذا كان قريب الحصول وتوقعته كان ترجياً "[4].

وقد ورد التمني في نونية ابن القيم " الكافية الشافية " حيث ردّ على الفرق الضالة الملحدة الذين كفروا بالله ورسوله، ودافع عن مذهب أهل السنّة والجماعة، وقدم نصيحةً لكل مؤمنٍ يريد أن ينجوَ من النيران يوم القيامة، بعدما حذّرنا من أهل الكفر والإلحاد وأرشدنا لطريق الهداية الموصلة إلى رضوان الله ونعيمه الدائم، فقال:

---

(١) خلاصة المعاني للحسن المفتي، ص ٢٢٧ .

(٢) فن البلاغة، عبد القادر حسين، ص١٤٩.

(٣) المصدر السابق، ص١٥٠.

(٤) البلاغة فنونها وأفنانها، فضل عباس، ص ١٥٦.

هـــذا هـــو الإلحـــاد فاحـــذره لعـلَّ الله أَن ينجيَـك مـن نيـران[1]
وتفـوز بـالزلفى لديـه وجنـة الـــمأوى مـع الغفـران والرضـوان

فقد جاء التمني في هذا المشهد بالأداة " لعل " والتي أفادت معنى الترجي، وإمكان حلول النجاة فأبرز التمني وأظهره في صورة الممكن القريب حصوله، وهو النجاة من عذاب الله يوم القيامة وذلك لكمال العناية به والشوق إليه.

ويصف ـ رحمه الله ـ القلوب المريضة التي عاشت في الجهل والغي والحرمان، فقال:[2]

واللهِ لـو أن القلـوب سـليمةٌ لتقطّعـت أسـفاً مـن الحرمـان

فقد استعمل " لو " والتي تفيد امتناع الجواب لامتناع الشرط، فلو أن قلوبهم سليمةٌ حقيقة لا وهماً لتعلقت بالله ولأجهشت بالبكاء والعويل ليلَ نهار على ما فاتها من خيرَى الدنيا والآخرة، ولكنها مريضة بحب الدنيا فزادها الله مرضاً، وكأن لسان حاله يقول: ياليت هذه القلوب سليمة، فتتقطع شوقاً لطاعة الله ورؤيته، فتنجو من عذاب الدنيا والآخرة.

ويقول أيضاً:[3]

واللهِ لـولا رؤيـةُ الـرحمنِ فـي الـــجنات مـا طابـت لـذي العرفـان

فقد أورد " لولا " والتي في أصلها حرف امتناع لوجود، لتفيد معنى التمني والشوق لرؤية الله عز وجل في الجنة، وأن الجنة مهما يعلو نعيمها، فإنها لا تساوي شيئاً دون لذة النظر إلى وجه العزيز الكريم.

ويقول في هذا المشهد الرائع في خطابه لسلعة الرحمن الغالية:

يـا سـلعة الـرّحمن هـل مـن خاطـبٍ فـالمهرُ قبـل المـوت ذُو إمكـان[4]

فقد أخرج أداة الاستفهام " هل " عن معناها الحقيقي التي وضعت له لإبراز معنىً جديد وهو التمني، فأظهر المستحيل في صورة الممكن القريب لكمال العناية والاهتمام به والتشويق له.

---

(١) شرح القصيدة النونية للهراس، ج٢/١٢٩، فصل في بيان حقيقة الإلحاد في أسماء رب العالمين.
(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٧٩.
(٣) المصدر السابق، ص٢٨٩.
(٤) شرح القصيدة النونية للهراس، ج٢/ ٤٤١، فصل في اقامة المأتم على المتخلفين عن رفقة السابقين.

خامساً: النداء:

لغةً: " النِّداء والنَّداء مثل الدعاء والرغاء، وقد ناداه ونادى به، وناداه مناداة ونداء، أي صاح به وأندى الرجل إذا حسن صوته" [1].

اصطلاحاً: "هو دعوة المخاطب بحرف ينوب مناب الفعل" أدعو" ونحوه"[2]، وأدواته ثمانٍ:" **الهمزة** " و " **أي** " و" **يا** " و" **أيا** " و" **هيا** " و" **آ** " و" **آي** " و" **وا** " .

أو "هو طلب إقبال المدعو على الداعي بأحد حروف مخصوصة ينوب كل حرف منها مناب الفعل أدعو"[3].

ويقول **الحسن المفتي:**" هو طلب المتكلم إقبال المخاطب بحرف نائب مناب الفعل أدعو لفظاً، أي نحو: يا زيد، أو تقديراً نحو قوله تعالى:﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾[يوسف:٢٩]، أي: يا يوسف أعرض عن هذا" [4].

وتنقسم أدوات النداء إلى قسمين:

- **أدوات نداء القريب :**

وهما حرفان : **الهمزة** ، و **أي** .

ويقول **فضل عباس:**" وقد يُنزَّل البعيد منزلة القريب، فينادى **بالهمزة** أو " **أي** " تنبيهاً على أنه مع بُعده لا يغيب عن القلب، بل هو مالكٌ للفؤاد واللّب، وكأنه حاضرُ الجثمان" [5].

- **أدوات نداء البعيد :**

وهي باقي الأدوات المذكورة آنفاً .

وقد ينزّل المنادى القريب منزلة المنادى البعيد فينادى بإحدى أدواته إما :

١- للدلالة على أن المنادى رفيع القدر عظيم الشأن، فيجعل بُعد المنزلة كأنه بُعدٌ في المكان .

٢- للإشارة إلى أنه وضيع، منحط الدرجة .

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، ج ١٥ / ٣١٣ .

(٢) علوم البلاغة للمراغي، ص٨١.

(٣) علم المعاني، عبد العزيز عتيق، ص ١٢٥ .

(٤) خلاصة المعاني للحسن المفتي، ص ٢٤٧.

(٥) البلاغة فنونها وأفنانها، فضل عباس، ص ١٦٣، وانظر: علوم البلاغة للمراغي، ص ٨١، وانظر: جواهر البلاغة للهاشمي، ص ٨٩ .

٣- للإشعار بأن السامع غافلٌ لاهٍ، فتعتبره كأنه غير حاضر في مجلسك .

ونظير ما أورده ابن القيم في النداء بحرف " يا "، في صفات عرائس الجنات:[١]

فاسـمع صـفات عـرائس الجنـات ثـمّ ... اختـر لنفسـك يـا أخـا العرفـان

حـورٌ حسـانٌ قـد كمُلـن خلائقـاً ... ومحاسـناً مـن أجمـل النسـوان

فهو ينادي على من أراد أن يسمع صفات عرائس الجنات، ويختار ما يشاء منهن لنفسه.

وقد تخرج أدوات النداء عن معناها الأصلي الذي وُضعت له واستعملت في معنىً آخر غير النداء يفهم بواسطة القرائن، وسياق الكلام، وذلك **لأغراض بلاغية منها:** [٢]

١- التعجب:

حيث ورد ذلك في ردّ ابن القيم على الذين قالوا بفناء الجنة والنار وجواز المجون والرقص والغناء، فأدحض حجتهم وقال:[٣]

قـال الفنـاء يكـون فـي الحركـات لا ... فـي الـذَّات واعجبـاً لـذا الهـذيان

قال **ابن عيسى:** " فهو يتعجب من جرأتهم على الله تعالى وكفرهم وعنادهم وهذيانهم الذي سيوصلهم لا محالة إلى جهنم وبئس المهاد" [٤].

وقال متعجباً من ثمار الجنة وطيبها ولذتها التي لا ينقطع نعيمها:[٥]

يـا طيـب هاتيـك الثمـار وغرسـها ... فـي المسـك ذاك التُّـرب للبسـتان

وقوله أيضاً:

وكـذلك المـاء الـذي يُسـقى بـه ... يـا طيـب ذاك الـوِرد للظمـآن

فخرج النداء في هذين البيتين عن معناه الأصلي لإفادة معنى التعجب من الثمار وبساتينها وغراسها ومائها، فما أجمل وما أعظم هذا الطعام والشراب للظمآن.

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٨٠.

(٢) فن البلاغة، عبد القادر حسين، ص ١٥٤ .

(٣) شرح القصيدة النونية للهراس، ج٣١/١.

(٤) توضيح المقاصد وتصحيح القواعد، في شرح قصيدة الإمام ابن القيم، أحمد بن عيسى بن إبراهيم، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٣٩٤هـ، ج٨٣/١، نقل بتصرف.

(٥) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٧٢.

ويقول واصفاً لسوق الجنة:[1]

واهـاً لـذا السـوق الـذي مَـن حلّـه　　　نـال التهـاني كلهـا بأمـانِ

وقد أخرج النداء عن حقيقته في قوله " واهاً " ليعطي معنىً بلاغياً وهو التعجب من ذاك السوق الذي تحفّه الملائكة في الجنة، الممتلئ بكل ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، وهم فيه متنعمون.

وقوله في سماع أهل الجنة لغناء الحور العين:[2]

واهـاً لـذيّاك السـماع فإنـه　　　مُلِئـت بـه الأذنـان بالاحسـان

واهـاً لـذيّاك السـماع وطيبـه　　　مـن مثـل أقمـارٍ علـى أغصـان

نحـن النـواعم والخوالـد خيّـرا　　　تٌ كـاملاتُ الحسـن والإحسـان

فقد أخرج النداء عن أصله ليفيد معنى التعجب من لذة سماع أصوات الحور العين وهنّ يغنين أزواجهن في الجنة.

٢- التحسر:

وذلك كما في قوله رحمه الله تعالى:[3]

رُفعـت لهـم فـي السـير أعـلامُ الوصـا　　　لِ فشـمّروا يـا خيبـة الكسـلان

وواضح في هذا البيت أنه لا ينادي على الكسلان، وإنما أظهر معنىً بلاغياً من النداء وهو الحسرة والندامة على من فاته الوصول إلى الجنة، فهناك أناس صدقوا الله تعالى فأرشدهم وأوصلهم الى جنات النعيم، وما زال هناك من يلهو ويلعب والموت في انتظاره وهم في سكرتهم يعمهون.

قال **الهراس:** " وقد رفعت لهم في سيرهم أعلام الوصال فقربت منهم بعيد الآمال، وشحذت منهم الهمم، فلم يشعروا في سيرهم بسأم ولا كلال على حين باء الكسلان بالخيبة والحرمان "[4].

ويورد مشهداً آخراً من مشاهد التحسر في قصيدته، فيقول:[5]

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٩٣.

(٢) المصدر السابق، ص٢٧٣.

(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٧٨.

(٤) شرح القصيدة النونية للهراس، ج٢/٣٨٧.

(٥) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٦٣.

أمشـــاطهم ذهـــبٌ ورشـــحهم فمســـ ـــكٌ خـــالصٌ يـــا ذلـــة الحرمـــان

والظاهر معنا أنه أخرج النداء عن معناه الأصلي لإفادة المعنى المجازي وهو الحسرة والندامة على من حُرم هذا النعيم ولم يظفر به يوم القيامة.

وقوله أيضاً:

يـــا لـــذّة الفسّـــاق لســـتِ كلـــذّة الـــ أبـــرار فـــي عقـــلٍ ولا قـــرآن

فظهر النداء بالصورة المجازية، وهي الحسرة على الفسّاق وشهواتهم ولذاتهم، وأن هذه اللذة ليست كلذة الأبرار وهم يتمتعون في الفردوس الأعلى.

٣- الإغراء : " وهو حث المخاطب على الفعل الطيب، والابتعاد عن الفعل السيئ، كقولك للجندي المتردد في الدفاع : يا شجاع أقدم "[(١)].

ونظيره من القصيدة النونية في قوله:[(٢)]

يـــا خاطـــب الحـــور الحســـان وطالبـــاً لوصـــــالهن بجنـــــة الحيـــــوان

فهو لا يقصد النداء، ولكنه يريد إغراء المخاطب على الفعل الطيب، والعمل من أجل دخول الجنة وخطبة الحور العين ووصالهن والتمتع بهن، وفي حثه للعمل من أجل دخول الجنان ورؤية الكريم المنان، بعدما خاطب سلعة الله الغالية، فقال:[(٣)]

يـــا ســـلعةَ الـــرّحمن لســـتِ رخيصـــةً بـــل أنـــتِ غاليـــةٌ علـــى الكســـلان

يـــا ســـلعة الـــرحمن لـــيس ينالهـــا فـــي الألـــف إلا واحـــدٌ لا اثنـــان

يـــا ســـلعة الـــرّحمن مـــاذا كفؤهـــا إلا أولـــو التَّقـــوى مـــع الإيمـــان

يـــا ســـلعة الـــرحمن ســـوقك كاســـدٌ بـــين الأراذل ســـفلة الحيـــوان

يـــا ســـلعة الـــرّحمن أيـــن المشـــتري فلقـــد عُرضـــتِ بأيســـر الأثمـــان

ويشير ابن القيم في هذا المشهد الرائع لسلعة الله الغالية، والذي باستطاعة كل إنسان أن يكون من أهلها إذا وفّى حُلى الإيمان، فأخرج النداء عن معناه الحقيقي في صورةٍ مجازيةٍ بلاغيةٍ وهى إغراء المخاطب من أجل الإقبال على عقد التبايع الذي عقده الله تعالى مع الإنسان، فقال عز

(١) من بلاغة القرآن، ص٦١.

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٥٨.

(٣) المصدر السابق، ص٢٩٧.

من قائل: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[التوبة:١١١]، ويقول **الهراس:** " فهو يخاطب سلعة الرحمن التي هي جنته بأنها ليست رخيصة مبتذلة ولا مزهوداً فيها، بل هي غالية جداً على أهل الكسل والبَلادة الذين لم يقدّموا من السعي ما يرشحهم للظفر بها، وهي لعلوّها وتمنّعها وغلاء مهرها لا يستطيع أن ينالها من كل ألف إلا واحد فقط و ليس من خاطب كفء لسلعة اللّه الغالية، بل لا ينالها من عباده إلا أولو التقوى والإيمان، فهما ثمنها الذي لا تُنال إلا به من دون سائر الأثمان، ولكنها سلعةٌ بائرةٌ عند الأخساء من أهل الكفر والفجور والعصيان، فيا سلعة الرحمن أين مشتريك، فقد عرضك مولاك بأيسر الأثمان، ولكنه ليس يسيراً إلا على كل موفق ذي ثقة، ولا يستطيعه أهل الخيبة والخذلان، وأين خطّابك الذين يقدّمون لكِ المهر في هذه الحياة ؟" (١).

٤ – الاستغاثة: وذلك كما في قوله رحمه الله تعالى: (٢)

يـــا ربّ غُفـــراً قـــد طغـــت أقلامنـــا ... يـــا ربّ معـــذرةً مـــن الطغيـــان

ويتجلى النداء في هذا البيت ليعطي معنى الاستغاثة بالله من الطغيان والمعاصي والذنوب، وطلب المعذرة والعفو والغفران.

٥– الزجر والتنبيه:

وذلك كقوله رحمه الله تعالى:(٣)

يـــا غـــافلاً عمـــا خُلِقـــتَ لـــه انتبـــه ... جـــدّ الرحيـــل فلســـتَ باليقظـــان

ويتبين معنا من خلال فهمنا لهذا المشهد، أن النداء قد تجلى في صورة مجازية، وهي الزجر والتنبيه لكل من يترك مقصده الأسمى وهو عبادة الله تعالى، فالمرء يبقى في غفلته وسكرته إلى أن يأتيه الموت فإذا هو مبصر ومستيقظ، ولكن بعد فوات الأوان والحسرة والندامة.

ويقول أيضاً:(٤)

يـــا عاشـــق الـــدنيا تأهـــب للّـــذي ... قـــد نالـــه العشـــاق كـــلَّ زمـــان

---

(١) شرح القصيدة النونية للهراس، ج٢/ ٤٤٢.

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٨٢.

(٣) المصدر السابق، ص٢٨٥.

(٤) المصدر السابق، ص٢٥٨.

فقد وجّه زجره وتحذيره لعشاق الدنيا الذين أفنوا أعمارهم في دمالجها وزينتها، فهو يتوعدهم لكي يستعدوا لملاقاة الله تعالى وعذابه الذي سيحلّ بهم لا محالة، فأخرج النداء لإفادة المعنى البلاغي وهو الزجر والتنبيه من عذاب الله لهم يوم القيامة.

المبحث الثالث
التقديم والتأخير

التقديم لغةً: " ورد في أسماء الله تعالى المقدّم، وهو الذي يقدم الأشياء ويضعها في مواضعها، فمن استحق التقديم قدّمه، والقديم على الإطلاق هو الله عز وجل" [١]، والتقديم من قدّم أي وضعه أمام غيره، والتأخير نقيض ذلك.

والتقديم والتأخير له فوائد جمّة تعبّر عن مدى سعة اللغة العربية في تحصيل جمال التعبير والصياغة للمفردات والتراكيب.

فهذا **شيخ البلاغة وإمامها عبد القاهر الجرجاني** يقدم لنا كلاماً في التقديم والتأخير يكتب بماء الذهب فيقول: " هو بابٌ كثير الفوائد جمّ المحاسن، واسع التصرف بعيدُ الغاية، لا يزال يفترُّ لك عن بديعةٍ، ويفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمعُه، ويلطف لديك موقعُه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطُف عندك، أن قُدِّم فيه شيء وحوّل اللفظ عن مكان إلى مكان "[٢].

ويقول **المراغي في علوم البلاغة:** "والألفاظ قوالب المعاني، فيجب أن يكون ترتيبها الوضعي بحسب ترتيبها الطبعي، ولكن قد يعرض لبعض الكلم من المزايا ما يدعو إلى تقديمه وإن كان حقه التأخير، فيكون من الحسن تغيير هذا النظام ليكون المقدم مشيراً إلى الغرض الذي يراد"[٣].

والتقديم والتأخير عند الجرجاني على وجهين:[٤]

الأول: " تقديم على نية التأخير مع بقاء حكمه الذي كان عليه وذلك كتقديم الخبر على المبتدأ، والمفعول على الفاعل كقولك: " منطلقٌ زيد " و " ضرب عمراً زيدٌ ".

الثاني: " تقديمٌ لا على نية التأخير، ولكن أن تنقلَ الشيء عن حكم إلى حكم، وتجعل له باباً غير بابه وإعراباً غير إعرابه، وذلك أن تجيءَ إلى اسمين يحتملُ كل واحد منهما أن يكون مبتدأً والآخر خبراً، فتقدم تارةً هذا على ذاك وأخرى ذاك على هذا كقولك:" زيدٌ المنطلق " وأخرى المنطلق زيد، فأنت في هذا لم تقدّم " المنطلق " على أن يكون متروكاً على حكمه الذي كان عليه مع التأخير، فيكون خبر المبتدأ كما كان، بل على أن تنقلَه عن كونه خبراً إلى كونه مبتدأً، وكذلك لم تؤخر" زيداً " على أن يكون مبتدأً كما كان، بل على أن تخرجَه من كونه مبتدأً إلى كونه خبراً " .

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، ج١٢/ ٤٦٥.

(٢) دلائل الإعجاز للجرجاني، ص ١٠٦.

(٣) علوم البلاغة للمراغي، ص ١٠٠.

(٤) دلائل الإعجاز للجرجاني، ص ١٠٧.

وقال **صاحب الكتاب** " سيبويه " وهو يذكر الفاعل والمفعول:

" فإن قدمتَ المفعول وأخَّرت الفاعل جرى اللفظُ كما جرى في الأول وذلك قولك: ضرب زيداً عبدُ الله لأنّك إنَّما أردت به مُؤخّراً ما أردت به مقدماً ولم تُرِد أن تشغل الفعل بأول منه وإن كان مؤخراً في اللفظ فمن ثمَّ كان حدّ اللفظ أن يكون فيه مقدماً وهو عربيٌّ جيِّد كثير كأنّهم إنَّما يقدمون الذي بيانه أهمُّ لهم وهم ببيانه أعنى وإن كانا جميعاً يُهِمانهم ويعنِيانهم" (١).

وتقديم أي جزء من الكلام أو تأخيره لا يردُ اعتباطاً في نظم الكلام وتأليفه وإنما يكون عملاً مقصوداً يقتضيه غرضٌ بلاغي أو داعٍ من دواعيه، **فمن أهم هذه الدواعي التي توجب التقديم والتأخير في الكلام:**

١- **التخصيص أو القصر إذا ولى حرف النفي**، ونظير ذلك من قوله تعالى: **﴿لاَ فِيهَا غَوْلٌ وَلاَ هُمْ عَنْهَا يُنزَفُون﴾** [الصافات:٤٧]، فقدم الجار والمجرور لإفادة معني التخصيص والقصر، فكان نفيُ الغول مقصوراً على خمر الآخرة دون خمر الدنيا، فإن خمر الجنة لا يوجد فيها غَول للعقول ودوران للرأس وغثيان وهذيان ورائحة كريهة أو فقدان للتوازن، فهذه الآفات فقط في خمر الدنيا.

وذلك كقوله تعالى: **﴿خُذُوهُ فَغُلُّوه * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوه * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوه﴾**[الحاقة:٣٠ـ ٣٢]، فقدّم الجحيم وهي المفعول به على الفعل " صلّوه " لإفادة معنى التخصيص، وكأنها فقط لهؤلاء الناس لا لغيرهم، بالإضافة إلى مراعاة السجع والفاصلة.

وأيضاً كقوله تعالى: **﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِير﴾**[النور:٤٢]، فقدم الجار والمجرور لإفادة معنى التخصيص والقصر على أن ملك السموات والأرض مقتصرٌ على الله وحده لا شريك له، فلا أحد ينازعه في ملكه، له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين.

ونظير ذلك ما أورده ابن القيم في وصف الجنة وخيامها، فقال:(٢)

للعبـــد فيهـــا خيمـــةٌ مـــن لؤلـــؤٍ قـــد جُوِّفـــت هـــي صـــنعةُ الـــرحمن

فقد اختصت واقتصرت هذه الخيام الكريمة المجوفة باللؤلؤ والمرجان والياقوت والعقيان لهؤلاء العباد ملكاً لهم لا لغيرهم، لذلك جاء التقديم بالجار والمجرور" الخبر المقدم" لإفادة معنى

(١) الكتاب، أبو البشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، (١٨٠هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت،ج١/ ٣٤.

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٧٠.

التخصيص، وقد أتم الله عليهم نعمة الأمن والاستئناس بأزواجهم في تلك الخيام المنصوبة في الرياض والبساتين.

ويورد مشهداً رائعاً أيضاً، فيقول:[١]

فلهـــم نعـــيمٌ عنـــد رؤيتـــه ســـوى هـــذا النعـــيم فحبّـــذا الأمـــران

فقد بدأ بذكر هؤلاء الناس لتخصيص النعيم المقيم لهم فقط، فإن لهم نعيماً وكراماتٍ في الجنان لا تكون لغيرهم، خاصة أنهم يزورون ربهم بكرةٍ وعشية، فإن هذا النعيم من أعلى النعيم في الجنة عندما يجلسون على كثبان المسك والكافور ناظرين إلى ربهم، ثم ينتقلون إلى غرفاتهم ونسائهم ولذائذهم يتنعمون ويحبرون.

ويقول في وصف حياتهم الأبدية السرمدية التي لا بؤسٌ فيها ولا ضجر:[٢]

لكـــم حيـــاةٌ مـــا بهـــا مـــوتٌ وعـــا فيـــةٌ بـــلا ســـقمٍ ولا أحـــزان

ولكـــم نعـــيمٌ مـــا بـــه بـــؤسٌ ومـــا لشـــبابكم هَـــرَمٌ مـــدى الأزمـــان

فتقديم الجار والمجرور في هذين البيتين أفاد معنىً بلاغياً وهو التخصيص والاقتصار على الحياة الحقيقية في الجنة لهؤلاء الكرام على الله تعالى، فلا يفنى شبابهم ولا تبلى ثيابهم ولا يسقمون ولا يحزنون ويتنعمون، وهم في ما اشتهت أنفسهم خالدون، فلا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون، وتقديم الجار والمجرور يأتي للتعريض لإغاظة الكفار والمشركين الذي خسروا الدنيا والآخرة، وفي المقابل تقرير البشارة للمؤمنين الذين كانوا في طاعة رب العالمين.

وقال رحمه الله في وصفه لطعام وشراب أهل الجنة:[٣]

للعـــينِ منهـــا لـــذةٌ تـــدعو إلـــى شـــهواتِها بـــالنفس والأمـــران

فقد أورد الجار والمجرور المقدم " للعين " وذلك للتخصيص دون سائر الحواس الأخرى، لإتمام وكمال اللذة البصرية، وشهوة الإنسان التي لا توصف لحظة رؤية النعيم أمام عينيه في الجنان.

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٩٠.

(٢) المصدر السابق، ص٢٩٤.

(٣) المصدر السابق، ص٢٧٥.

وقد ذكرت في هذا الموضع بعضاً من الشواهد البلاغية في التقديم والتأخير على سبيل المثال لا الحصر، وسأقوم بذكر بعضها دون التطرق للشروحات حتى يتسع لنا المقام بالإتمام بإذن الله، فيقول رحمه الله تعالى في التشويق وهو يصف نساء الجنة وأجسادهن وصفاً حسياً ما للصفات عليه من سلطان:[1]

وعليــه أحســن ســرّةٍ هــي مجمــع الـــ ــــخصرين قــد غــارت مــن الأعكــان

وفي وصفه لكيفية تفجر الأنهار من تحت العرش، فيقول:[2]

منـــه تفجّـــر ســـائر الأنهـــار فالـــ ـــــمنبوع منـــه نـــازلاً بجنـــان

وفي وصف المقصورات والخيام ذوات الأبواب المرصعة بالذهب، فيقول:[3]

فيهـــا مقاصـــيرٌ بهـــا الأبـــواب مـــن ذهـــبٍ ودرٍّ زيـــن بالمرجـــان

وفي وصف الأرائك والسرر والزرابي والحجال، فيقول:[4]

فيهـــا الأرائـــك وهـــي مـــن ســـررٍ عليـــ ـــــهن الحجـــال كثيـــرة الألـــوان

وقال في وصف روائح أهل الجنة وكيفية هضم الطعام، وأن هذا الهضم يكون عن طريق رشح المسك عندما يخرج من الأجساد، فهذه الكرامة لهم من الله تعالى دون غيرهم.

ولهـــم جشـــاءٌ ريحـــه مســـكٌ يكـــو نُ بـــه تمـــام الهضـــم بالاحســـان

ويقتبس قولَ الله تعالى الذي يتضمن معنى هذه الآية الكريمة: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة:١٧]، فيقول رحمه الله تعالى:[5]

فيهـــا الـــذي والله لا عـــينٌ رأت كـــلّا ولا ســـمعت بـــه أذنـــان

وقد ابتدأ البيت بالجار والمجرور المقدم الذي أفاد معنى بلاغياً وهو التخصيص، فالنعيم الذي ينتظر المؤمن في الجنة لا يوجد في مكان آخر سوى الجنة، فلا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وذلك لإظهار كمال اللذة والنعيم ودوامه لهم.

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٨١.
(٢) المصدر السابق، ص٢٦٠.
(٣) المصدر السابق، ص٢٧٠.
(٤) المصدر السابق، ص٢٧١.
(٥) المصدر السابق، ص٢٩٢.

٢- **تقوية الحكم وتقريره في نفوس السامعين:** وذلك كقوله تعالى:﴿**وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُون * وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لاَ يُشْرِكُون**﴾[المؤمنون: ٥٨- ٥٩]، فقدّم الاسم الضمير لبيان أن الذين لا يشركون بالله هم المؤمنون حقاً، وأن الله تعالى هو الذي يستحق العبادة لا غيره، فتم تقديم الضمير لأنه أبلغ في التوكيد وأقوى في نفوس السامعين الذين قد يترددوا في إخلاص عملهم لله تعالى وحده.

ونظير ذلك في وصف ابن القيم لأول زمرةٍ تدخل الجنة، فقال:[١]

والسابقون هم وقد كانوا هنا　　　أيضاً أولي سبقٍ إلى الإحسان

فجاء بالضمير المنفصل لأنه أبلغ في التوكيد والإقرار في النفس، بأن السابقين للإحسان إلى الناس في الدنيا هم الذين يستحقون هذه الدرجات والكرامات، وقد بدأ بذكرهم لينبه السامع لهم ولصفاتهم فيستقر ذلك في نفوس السامعين، ويتمكّن في قلوبهم.

وفي وصفه لأهل الجنة لحظة رجوعهم إلى أهليهم ومنازلهم، فيقول:[٢]

فإذا همُ رجعُوا إلى أهليهم　　　بمواهبٍ حصلت من الرحمن

فهم إلى يوم المزيد أشد شو　　　قاً من محبٍّ للحبيب الداني

فقدم الاسم الضمير لزيادة التوكيد في الحكم وإقراره في نفس السامع وتنبيهه، بأن الله تعالى منّ على أهل الجنة بهذا النعيم، وخاصةً ما وعدهم به في يوم المزيد من النظر إلى وجهه الكريم.

وقال في وصف الجنة وطيبها ونعيمها:[٣]

هي جنةٌ طابت وطاب نعيمُها　　　فنعيمُها باقٍ وليس بفان

فقد شرع بالضمير المنفصل العائد على الجنة، لزيادة التوكيد والإقرار للسامعين وتنبيههم على ما في الجنة من طيب النعيم، فهي دار الكرامة والسلامة من كل آفة وبلاء.

أما في تقديم الفعل المضارع، فيقول الإمام **عبد القاهر الجرجاني:** " فإذا قلتَ: أتفعلُ كان المعنى على أنك أردت أن تقرره بفعلٍ هو يفعله وكنت كمن يوهم أنه لا يعلمُ بالحقيقةِ أنَّ الفعلَ كائن، وإذا قلت: أأنت تفعل كان المعنى على أنك تريد أن تقرره بأنه الفاعل، وكان أمر الفعل في وجوده ظاهراً وبحيث لا يُحتاج إلى الإقرار بأنه كائن، وإن أردت بـ " تفعل " المستقبل كان المعنى:

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٦٣.

(٢) المصدر السابق، ص٢٩٣.

(٣) المصدر السابق، ص٢٦٠.

إذا بدأت بالفعل على أنك تعمد بالإنكار إلى الفعل نفسه وتزعمُ أنّه لا يكون، أو أنَّه لا ينبغي أن يكون، كقولُك للرَّجل يركب الخطر: أتخرج في هذا الوقت؟ أتذهب في غير الطَّريق؟ أتغررُ بنفسِك؟ وقولُك للرجل يضيع الحق: أتنسى قديم إحسان فلان؟ أتترك صحبته وتتغيَّر عن حالك معه؟ " [١].

ونظير ذلك ما أورده ابن القيم فقال:[٢]

أتراهما ضجرين من ذا العيش لا وحياة ربك ما هما ضجران

فبدأ بالاستفهام المقدم على الفعل المضارع ليقرره بفعلٍ هو يفعله، وإقرار السامع أن فعل الرؤية كائنٌ لا محالة، فهو ينكر عليه ذلك الفعل بأن أهل الجنة يسأمون ويتضجرون، بل هم في رغدٍ وعيشٍ وروح وريحان وجنة نعيم.

ويعرض **عبد القاهر الجرجاني** مسألةً مهمةً وهي: "عدم القول بالعناية والاهتمام فقط وإنما لأغراض بلاغية، وإلا فهو كلام ساقط لا قيمة له، فالذي يعنيهم ويهمهم ويتطلعون له ويشوقهم ويتصل بمسرتهم هو الذي يقدمونه" [٣].

٣- العناية والاهتمام بشأن المقدم:

يقول **المراغي:** " فذكره أهم والعناية به أتم، فيقدم المفعول على الفاعل إذا كان الغرض معرفة وقوع الفعل على من وقع عليه، لا وقوعه ممن وقع منه "[٤].

ويقدم الفاعل على الفعل للعناية والاهتمام، كقوله في وصف ثغر الحور العين وهي تبتسم لزوجها في الجنة:[٥]

والبرق يبدو حيث يبسم ثغرها فيضيء سقف القصر بالجدران

نلاحظ في هذا المشهد أنه قدم الفاعل على فعله للعناية والاهتمام بما بدأ به، فالبرق وحده هو الذي يبدو ولا شيء غيره لحظة التبسم والفرح والحبور، وأي برقٍ يبدو ويسطع من ثغر هذه الحوراء وهي تبتسم لزوجها في الجنان فيضيء الجدران ولا يبقي مكاناً إلا ودخل فيه من هذا النور، ويقدم الظرف في هذا المشهد **لإبراز العناية والاهتمام** بتلك القبة المجوفة التي أتقن الله صنعها وأبدع تسويتها، فقال رحمه الله:[٦]

---

(١) دلائل الإعجاز للجرجاني، ص ١١٧.
(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٨٤.
(٣) دلائل الإعجاز للجرجاني، ص ١٠٨.
(٤) علوم البلاغة للمراغي، ص ١٠٨.
(٥) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٨٠.
(٦) المصدر السابق، ص٢٦٠.

وســـط الجنـــان وعلوّهـــا فلـــذاك كـــا نـــت قبّـــةً مـــن أحســـن البنيـــان

وهذا لبيان درجات الجنة ومنازلها وأن الفردوس أعلى الجنة ووسطها ومنها تفجر أنهار الجنان، وهي كثيرة ومتفاوتة بحيث لا يعلم عددها وعظمها وتباهيها إلا اللّه عز وجل، فلكلٍ درجاتٌ في الجنة عند الله تبارك وتعالى.

وفي وصف الطرف وهي تنظر إلى محبوبها، فيقول:[1]

والطــرف يشــرب مــن كــؤوس جمالهــا فتـــراه مثـــل الشـــارب النشـــوان

ويقدم في هذه الصورة الرائعة أيضاً الفاعل على فعله لإفادة معنى العناية والاهتمام بالطرف وهو البصر لا بغيره، وحتى ليرى مخ سوقهن من وراء ثيابهن ويرى الناظر وجهه في كبد إحداهن، كما ترى الصور في المرآة.

وحقيقةً أيها الكريم على الله لا تسل عن جمال العيون ففيها كل السحر والفتون قد زانها الحَوَر فاشتد بياضُ بياضها واشتد سواد سوادها، والتأم كل منهما بالآخر وتناسبا حتى أصبحا يشعّان الفتنة، ففيهن كل ما شئت من شباب وجمال وحسن ودلال وبهاء حتى يقول صاحبها حين يشاهدها وهو مشدوه حائر الطرف سبحان من أكملك جسماً ومعنىً وأعطاكِ هذا الحسن والإحسان، ويظل طرفه يشرب من كؤوس جمالها ويعبّ من مَعين فتنتها وسحرها، حتى يصير ثملاً نشوان مثل الشارب السكران.

أما في وصفه لميزان الأعمال عند الله تعالى يوم القيامة، فيقول:[2]

ولـــــه لســـــان كفتـــــاه تقيمـــــه والكفّتـــــان إليـــــه ناظرتـــــان

فتقديم الجار والمجرور والضمير العائد على الميزان الذي ستوزن عليه أعمال العباد يوم القيامة كان محط العناية والاهتمام، وكون إظهار الميزان في صورته الحسية وأن له لسان يتحدث، وعيون الناس ناظرة إليه، لهو في غاية العناية والاهتمام لأن الله تعالى هو العدل وهو الذي يضع الموازين يوم القيامة فلا تُظلم نفس شيئاً ولو كان مثقال حبة من خردل لأتى الله بها ووزنها لعباده في ذلك الميزان، فهو الذي سيحكم بين عباده يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون.

وفي تقديم المنصوب، فيقول في وصفه لنساء الجنة وحسن تبعلها لزوجها وتحببها إليه:[3]

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٨٠.

(٢) المصدر السابق، ص٢٩٥.

(٣) المصدر السابق، ص٢٨٢.

لُطفـــاً وحســـنَ تبعّـــلٍ وتغـــنّجٍ وتحبّـــبٍ للـــزوج كـــلَّ أوان

فأراد أن نبدي اهتمامنا وعنايتنا بتلك النساء وتلطفهن بأزواجهن، فهن المتحببات المطيعات لهم، والعاشقات المتلطفات والمتغنّجات حين المواقعة والجماع، فهنّ أصحاب الملاحة والحلاوة، فكمال اللذة فيهن أنه لم يطؤهن أحد قبلهم لا من إنسٍ ولا من جان.

ووصف مشهد الشوق واللقاء لرب العالمين في الفردوس الأعلى، فقال:[(١)]

شـــوقاً إليـــه ولـــذّةَ النظـــر الـــذي لجلال وجه الرب ذي السلطان

فقدم الاسم المنصوب لإبداء العناية والاهتمام بهذا الشوق الذي لا يضاهيه شوق ولا متعة في الجنة، فالوجوه إليه ناظرة مستبشرة.

قال **الهراس**: " إن الله تعالى يتخذ في الفردوس الأعلى وادياً أفيحَ فيه كثبٌ من مسكٍ، فإذا كان يوم الجمعة أنزل اللّه سبحانه وتعالى ما شاء من ملائكته وحوله منابر من نور عليها مقاعد النبيين، وحف تلك المنابر بمنابر من ذهب مكللة بالياقوت والزبرجد عليها الشهداء والصديقون، فجلسوا من ورائهم على تلك الكثب، فيقول اللّه عز وجل: أنا ربكم قد صدقتكم وعدي فسلوني أعطكم فيقولون ربنا نسألك رضوانك، فيقول قد رضيت عنكم ولكم ما تمنيتم ولديّ مزيد "[(٢)].

ويقول في وصفه لأهل الدنيا الذين آثروها على الآخرة، فإن حياتهم مليئة بالهم والأحزان والكد والنصَب:[(٣)]

كـــدحاً وكـــدّاً لا يفتّـــر عـــنهم مـــا فيـــه مـــن غـــمٍ ومـــن أحـــزان

ومن الوهلة الأولى يظهر معنا حياة أهل الشهوات الخسيسة وحطامها الفاني الذي أعقبهم حسرة وندامة وعذاباً أليماً أوجب سخط الله عليهم بسبب ما اختاروه لأنفسهم من الذل والحرمان، فقدم الاسم المنصوب لإبداء العناية والاهتمام بأحوالهم، لكي نتجنبها ونحذر الوقوع فيها.

ويقول **الميداني**: " وفي كل الأحوال ترجع مزايا التقديم والتأخير إلى أمرين رئيسين هما:[(٤)]

- ما يفيد زيادة في المعنى وزيادة في جمال اللفظ، وهذا غاية ما يعتني به البلغاء.
- ما يفيد زيادة في أحدهما، ويدخل أيضاً ضمن مقاصد البلغاء ".

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٩٠.

(٢) شرح القصيدة النونية للهراس، ج٢/ ٢٢٦.

(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٥٩.

(٤) البلاغة العربية للميداني، ص ٣٦٣.

٤ـ **التشويق:**

ويقول **السكاكي:** " إن نظم الكلام في التقديم لا يكون إلا **للتشويق**". [١]

ويصف ابن القيم الحور العين وهنّ في انتظار أزواجهن في الخيام المقصورات، فيقول:[٢]

فـــيهن حـــورٌ قاصـــراتُ الطـــرف خيـــ ـــــراتٌ حســـانٌ هـــن خيـــرُ حســـان

إنهنّ أجمل من الياقوت والمرجان في صفاء لونهنّ وحسنهنّ وإشراقهنّ ونعومتهن، لذلك قدم الجار والمجرور، لإظهار الشوق والرغبة في نفوس السامعين لوصالهن والتعلق بهن، مع الإشارة إلى أن مكان تلك النسوة فقط في الجنة لا في غيرها.

وفي وصفه لأنهار الجنان، فيقول:[٣]

مــن تحــتهم تجــري كمــا شــاؤوا مفجــّ ـــرةً ومـــا للنهـــر مـــن نقصـــان

والداعي إلى تقديم الجار والمجرور في هذا المشهد لتصوير الحالة للسامع والشوق إليها، والترغيب فيها، فإحدى حوافها اللُّؤلُؤ والأخرى الياقُوت وطينته المسك الأذفر، التي تجري دون الأخاديد، فهي مفجرة بالعسل المصفى والخمر والألبان التي لا تقف عن الجريان والفيضان.

ويصف أرائك الجنة ومنابرها، فيقول:[٤]

ولهــــم منــــــابرُ لؤلـــــؤٍ وزبرجـــــدٍ ومنــــــابرُ اليــــــاقوتِ والعقيـــــان

وأيضاً أورد الجار والمجرور العائد على هؤلاء الكرام على الله تعالى للاهتمام بهم والعناية الربانية لهم، فأي مجلسٍ وأي كرامةٍ لهم من الكريم المنان في الوادي الأفيح لحظة اللقاء، فهم يستحقون تلك المنابر المرصعة بالذهب والكرامات العظيمة، فيتنعمون وتقرّ أعينهم بالنعيم الذي لا ينفد، ولذة النظر إلى وجه ربهم الكريم.

وفي تقديم المسند إليه على المسند، فيقول:[٥]

واللهـــو خـــفّ علـــيهم لمّـــا رأوا تقييـــــده بشــــرائع الإيمـــــان

والنـــاس قـــد قضَـــوا مناســـكهم وقـــد حثّـــوا ركـــائبهم إلـــى الاوطـــان

(١) مفتاح العلوم للسكاكي، ص ٢٢١.

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٧٠.

(٣) المصدر السابق، ص٢٧٤.

(٤) المصدر السابق، ص٢٩١.

(٥) المصدر السابق، ص٢٧٣.

والشـــوق يزعجـــه إليـــه ومـــا لـــه ... بلقائـــه ســـببٌ مـــن الإمكـــان

وقال في ذبح الموت بين الجنة والنار:(١)

والله ينشـــئ منـــه كبشـــاً أملحـــاً ... يـــوم المعـــاد يُـــرى لنـــا بعيـــان

وأورد قولاً في وصف الجنة وقيعانها وأن غراسها الكلم الطيب والعمل الصالح، والخسارة والندامة على من فاته ذاك الغرس في الجنان فقال:(٢)

وغراســـها التســـبيح والتكبيـــر والتّـــ ... ـــحميد والتوحيـــد للـــرحمن

تبّـــاً لتـــارك غرســـه مـــاذا الـــذي ... قـــد فاتـــه فـــي مـــدة الإمكـــان

وذلك كقوله أيضاً:(٣)

بينمـــا هـــم فـــي عيشـــهم وســـرورهم ... ونعـــيمهم فـــي لـــذةٍ وتهـــاني

فيظهر في هذا المشهد لحظةً من أجمل وأروع اللحظات في الجنة عندما يخرج ربُ العالمين على عباده الموحدين فيتمتعون بلذة النظر إلى وجهه الكريم، فهم في سرور وحبور ونعيم دائم جزاءً بما كانوا يعملون.

ويصف ويقول رحمه الله تعالى:

أعلـــى النعـــيمِ نعـــيمُ رؤيـــةِ وجهـــه ... وخطابُـــه فـــي جنـــة الحيـــوان

ويصف لنا في هذا المشهد أعلى وأرقى النعيم لأهل الجنة، وهي الزيادة لهم سوى ما نالت النفس من لذة وشهوة، فحديث رب العالمين لهم وصوته جل في علاه يطغى على جميع أنواع اللذات والشهوات.

وفي وصفه ليوم اللقاء مع العزيز الجبار، يقول:(٤)

فيقـــول عنـــدي موعـــدٌ قـــد آنَ أن ... أعطيكمـــوه برحمتـــي وحنـــاني

فقدم الظرف الذي يختص بجلال الله ووعده لعباده برؤيته وإحلال رضوانه عليهم، وما يتنزل عليهم من الرحمات والكرامات، وأنه لن يخلف وعده معهم، فالله ينجز وعده لهم بعدما ثقّل

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٩٤.

(٢) المصدر السابق، ص٢٩٦.

(٣) المصدر السابق، ص٢٨٨.

(٤) المصدر السابق، ص٢٨٩.

موازينهم وبيّض وجوههم وأدخلهم الجنان ونجّاهم من النيران، فيكشف لهم الحجاب فيتلذذون بالنظر إلى وجهه الكريم.

٥- الإشعار بأن الممدوح حاضرٌ في التصور لا يغيب:[١]

وفي هذا المشهد يصف لنا مكانة رسول الله ﷺ في الفردوس الأعلى، فيقول:[٢]

أعـــلاهُ منزلـــةً لأعلـــى الخلـــق منـــــ ـــــزلةً هـــو المبعـــوثُ بـــالقرآن

فإن أعلى المنازل في الجنة هي منازل الأنبياء لا تكون لغيرهم، وأن رسول الله ﷺ له أعلى المنازل والدرجات، فهو صاحب الوسيلة والدرجة العالية الرفيعة والمقام المحمود الذي وعده الله إياه يوم القيامة، فهو حاضر ومكانته حاضرة مشرّفة مطهّرة لا تغيب عن قلب إنسان يؤمن بالله ورسوله الكريم ﷺ.

(١) البلاغة العربية للميداني، ص ٣٦٤.

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٦٧.

المبحث الرابع
الإيجاز والإطناب والمساواة

لقد جمع **الخطيب القزويني** معني الإيجاز والإطناب والمساواة في تعريفٍ جامعٍ فقال:" هو تأدية أصل المراد بلفظٍ مساوٍ له، أو ناقصٍ عنه وافٍ، أو زائد عليه لفائدة "(١).

" فقوله: مساوٍ له هي المساواة، وقوله: ناقص عنه وافٍ هو الإيجاز، وقوله: زائد عليه لفائدة هو الإطناب"(٢).

أولاً: الإيجاز:

وتعريفه لغةً:

أوجز وجازةً ووجزاً، وأوجزتُ الكلام قصرتُه، وأوجزه اختصره وأمرٌ وجيز وكلامٌ وجيز أي: خفيفٌ مقتصر" (٣).

وفي اصطلاح البلاغيين: "هو أداء المقصود من الكلام بأقل من عبارات متعارف الأوساط مع وفائه بالدلالة على المقصود، والإطناب أداؤه بأكثر من عبارته، سواءً أكانت القلة أم الكثرة راجعة إلى الجمل، أم إلى غير الجمل" (٤).

وهو عند **ابن الأثير**: " حذف زيادات الألفاظ وهو نوعٌ من الكلام شريفٌ لا يتعلق به إلا فرسان البلاغة مَن سبق إلى غايتها وضرب في أعلى درجاتها بالقدح المعلّى وذلك لعلوّ مكانه وتعذر إمكانه، وحدّ الإيجاز هو دلالة اللفظ على المعنى من غير أن يزيد عليه " (٥).

والإيجاز نوعان:

الأول: إيجاز الحذف: وهو التعبير عن المعاني الكثيرة بألفاظ قليلة، وذلك بحذف شيء من الجملة مع عدم الإخلال بالمعنى، كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾[الكهف:٧٩]، وقد قال **الحسن المفتي**: "وتقدير الآية: كل سفينةٍ صالحةٍ أو سليمة أو صحيحة، أو غير معيبةٍ بدليل ما قبله" فأردت أن أعيبها " وهذه دلالة على أن الملك لا يأخذ السفينة المعيبة "(٦).

---

(١) الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني، ص١٨٠.

(٢) من بلاغة القرآن، ص١٣٧ .

(٣) لسان العرب لابن منظور، ج٥/٤٢٧.

(٤) الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني، ص ١٧٩، وانظر: البلاغة العربية، للميداني ج٢/ ٢٦.

(٥) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٥م، ج٢/٦٨.

(٦) خلاصة المعاني للحسن المفتي، ص ٢٨٨.

ونظير ذلك ما أورده ابن القيم في وصف الدنيا بأنها سجن المؤمن وجنة الكافر، فقال:[١]

سـجنٌ يضـيق بصـاحب الإيمـان لـ كن جنـة المـأوى لـذي الكفـران

فجاء بإيجاز الحذف عندما حذف المبتدأ ولم يُخِلّ بالمعني، فإن ترك المبتدأ في هذا المشهد أفصح من ذكره، وفي ذلك تنبيه وتحذير من اللهث وراء الدنيا وشهواتها.

ويورد **عبد القاهر الجرجاني** قولاً رائعاً في إيجاز الحذف، فيقول: " والإيجاز بالحذف هو بابٌ دقيقُ المسلك لطيفُ المأخذ عجيبُ الأمر شبيهٌ بالسحر وذاك أنك ترى فيه ترك الذكر أفصح من الذكر والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة وتجدُك أنطق ما تكون إذا لم تنطق وأتمّ ما تكون بياناً إذا لم تُبِن" [٢].

وقد وردت أقسام عدّة للحذف نذكر بعضها:

١- **حذف المضاف:** كقوله تعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾[يوسف:٨٢]، والتقدير: واسأل أهل القرية.

ونظير ذلك قوله رحمه الله تعالى:[٣]

والأمـرُ مـن قبـلٍ ومـن بعـدٍ لـه سـبحانك اللهـم ذا السـلطان

فحذف المضاف إليه في سياق الكلام، وتقدير ذلك: لله الأمر من قبل ذلك ومن بعد ذلك.

٢- **حذف الصفة أو الموصوف:** كقوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾[الإسراء:٥٩]، والتقدير: آيةً مبصرةً، وقد أورد ابن القيم مشهداً في وصف أهل الجنة وهم يتنعمون في شهواتهم ومجالسهم وفرشهم وكاسات الرحيق التي تطوف عليهم بأكف الولدان المخلدون واللآلئ المنثورة عليهم، وأعراسهم وزفافهم إلى غير ذلك من الكرامات، فيصف ويقول:[٤]

فالوصـلُ محفـوفٌ بحـبٍّ سـابقٍ وبلاحـقٍ وكلاهمـا صـنوان

فحذف الموصوف وهو الحب، وتقدير الكلام: بحُبٍّ سابقٍ وبحبٍّ لاحقٍ.

ونظير ذلك في وصفه لنساء الجنة اللواتي قصرن طرفهن على أزواجهن فلا ينظرن لغيرهم،

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٥٨.

(٢) دلائل الإعجاز للجرجاني، ص١٤٦.

(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٦٢.

(٤) المصدر السابق، ص٢٨٤.

حيث قال رحمه الله في هذا المشهد:

مـــــن قاصـــــرات الطـــــرف لا تبغـــــي   ســـوى محبوبهـــا مـــن ســـائر الشـــبَّان

فجاء بالصفة وحذف الموصوف المقدر بالنساء القاصرات.

٣- حذف الفعل:

ويشير لهذا في قوله:[١]

شـــــوقاً إليـــــه ولـــــذّة النظـــــر الـــــذي   لجـــلال وجـــه الـــرب ذي الســـلطان

فحذف الفعل، وتقديره: يشتاق شوقاً واشتياقاً، ويتلذذ لذةً وتلذذاً.

وقوله أيضاً:

لطفـــــاً وحســـــن تبعّـــــلٍ وتغـــــنّجٍ   وتحبـــــبٍ للـــــزوج كـــــل أوان

فحذف الفعل في بداية الكلام، والتقدير تتلطف لطفاً وتلطفاً مع زوجها وقت الجماع بحركاتها وغنجاتها وحلاوتها وملاحتها وصبّها لعاشقها.

٥- حذف الخبر:

ونظير ذلك فيما أورده ابن القيم بقوله:

فيهـــــا الـــــذي والله لا عـــــين رأت   كـــــلا ولا ســـــمعت بـــــه أذنـــــان

فحذف الخبر وتقدير الكلام موجود فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

وقوله أيضاً في حذف الخبر:

قـــوتُ النفـــوسِ وإنمـــا القـــرآنُ قـــو   تُ القلـــبِ أنّـــى يســـتوي القوتـــان

فذكر المبتدأ دون الخبر، وتقدير الكلام: قوت النفوس الطعام والشراب واللهو ونعيم الدنيا الزائل كما أن قوت القلب ذكر الله تعالى وطاعته، والإنابة إليه.

ويقول **عبد القاهر الجرجاني:** " لا معنى للإيجاز إلا أن يُدَلّ بالقليل من اللفظ على الكثير من المعنى"[٢].

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٩٠.

(٢) دلائل الإعجاز للجرجاني، ص٣٦٣.

الثاني: إيجاز قصَر:

وهو التعبير عن المعاني الكثيرة بألفاظ قليلة من غير حذف كقوله:﴿**وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاأُولِيْ الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُون**﴾[البقرة:١٧٩]، وقوله تعالى:﴿**وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُون**﴾[الزخرف:٧١]، فقد اشتملت الآية على كل ما تشتهيه الأنفس وتتلذذ به العيون.

ونظير ذلك ما ورد في وصف خلود أهل الجنة ودوام صحتهم ونعيمهم وشبابهم واستحالة نومهم وموتهم:[١]

هــــذا وخاتمــــةُ النعــــيمِ خلــــودهم أبــــداً بــــدار الخلــــد والرضــــوان

فشمل هذا البيت جميع معاني النعيم والخلد في الجنان، ودوام حياتهم بلا سقم ولا أحزان ونفي الموت عنهم وبقاء نعيمهم وشبابهم وعدم شقائهم وهرمهم وبؤسهم، وازدياد جمالهم وحسنهم يوم المزيد وهم ينظرون إلى وجه خالقهم تبارك وتعالى ومحاضرتهم له وسعة غفرانه وسماع صوته وإحلال رضوانه عليهم، وكقوله أيضاً وهو يصف الحور العين وجمالهن الذي لا يفنى ولا يبيد:[٢]

حــــورٌ حســــانٌ قــــد كملــــن خلائقــــاً ومحاســــناً مــــن أجمــــل النســــوان

فجاء في هذا المشهد بالمعاني الكثيرة والألفاظ القليلة وهو يصف الحور العين وحسنهن وجمالهن، كأن وجوههن البدر من شدة الجمال، فشمل هذا البيت جميع محاسن تلك الزوجات من وصف ثغورهن وصدورهن وخدودهن وعيونهن وأيديهن وأرجلهن كأنهن سبائك الذهب والياقوت ونعومتهن وصفاء أعينهن فنهودهن كألطف الرمان، فهن الكواعب النواهد الأتراب.

ويورد **عبد القاهر الجرجاني** قولاً في غاية الروعة والبيان، فيقول: " وفي الإيجاز معنىً شريفٌ وهو أنّ العاقل إذا نظر عَلِمَ عِلمَ ضرورةٍ أنه لا سبيل له إلى أن يكثّر معاني الألفاظ أو يقلّلها، لأن المعاني المودعة في الألفاظ لا تتغيرُ على الجملة عما أراده واضعُ اللغة، وإذا ثبت ذلك ظهر منه أنه لا معنى لقولنا: " كثرة المعنى مع قلة اللفظ "، غير أن المتكلم يتوصل بدلالة المعنى على المعنى لفوائد، لو أنه أراد الدلالة عليها باللفظ لاحتاج إلى لفظٍ كثير "[٣].

---

(١) دلائل الإعجاز للجرجاني، ص٢٩٣.

(٢) المصدر السابق، ص٢٨٠.

(٣) المصدر السابق، ص ٣٦٤.

ثانياً: الإطناب

وتعريفه لغةً:

المبالغةُ في المنطق والوصف مدحاً أكان أم ذمّاً، وأطنب في الكلام: بالغ فيه، والإطناب: " المبالغة في مدحٍ أو ذمٍّ والإكثار فيه، وأطنب في الوصف إذا بالغ واجتهد"[١].

وفي مصطلح البلاغيين: " هو زيادة اللفظ على المعنى لفائدةٍ جديدة، وهو خلاف الإطالة، لأن الإطالة زيادةُ اللفظ على المعنى لغير فائدة " [٢].

ويقول **عبد العزيز عتيق:** " والإطناب والإطالة مترادفان ومقابلان للإيجاز، وهما عند الجاحظ كل ما جاوز مقدار الحاجة من الكلام ولم يقف عند منتهى البغية " [٣].

وللإطناب أساليب عدة لدى القدماء قد جعلوها ضمن تقسيمات فنون البلاغة نذكر بعضها:

١- الإطناب بالاعتراض:

ـ ويكون بالتنزيه:

وهو أن يؤتى أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين معنى بجملةٍ أو أكثر لا محل لها من الإعراب لنكتةٍ بلاغيةٍ كالتنزيه والتعظيم كقوله تعالى:﴿**وَيَجْعَلُونَ لِلّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُون**﴾[النحل:٥٧].

ونظير ذلك ما أورده ابن القيم في قصيدته الشافية في رؤية أهل الجنة لربهم تبارك وتعالى ونظرهم إلى وجهه الكريم، فقال:[٤]

ويرونـــه ـــ سُـبحانهُ ـــ مـــن فـــوقهم رُؤيـــا العيـــان كمـــا يُـــرى القمـــران

ويشير في الرد على من أنكر رؤية الله تعالى في الجنان، وأنه لا يكلّم عباده يوم القيامة فيكذبهم ويقول:[٥]

واللهِ لـــولا رؤيـــةُ الـــرحمن فـــي الـــ ـــجنات مـــا طابـــت لـــذي العرفـــان

---

(١) لسان العرب لابن منظور، ج١/ ٥٦٢.

(٢) معجم المصطلحات البلاغية، ج١/ ٢٢٥.

(٣) علم المعاني، عبد العزيز عتيق، ص٢٠٢.

(٤) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٨٧.

(٥) المصدر السابق، ص٢٨٩- ٢٩٠.

أعلـــى النَّعــيم نعــيم رُؤيـــة وجهـــه   وخطابــــه فــــي جنَّــــة الحيــــوان

وأشـــدُّ شــــيءٍ فـــي العـــذاب حجابــــه   ــ سـبحانه ــ عـن سـاكني النيـران

ويشير في هذا المقطع إلى دعاء رسول الله ﷺ الذي قال فيه: وأسألك لذَّة النظر إلى وجهك والشوق الى لقائك، فيقول:

والله مـــا فـــي هـــذه الـــدنيا ألـــذ   مـــن اشـــتياق العبـــد للـــرحمنِ

وكــذاك رُؤيــةُ وجهِــه ـــ سـبحانه ـــ   هـــي أكمـــلُ اللـــذَّاتِ للإنســـان

ويظهر الاعتراض بالتنزيه والتعظيم جلياً في هذا المشهد أيضاّ فيقول:

وكــــذاك يســــمعُهم لذيـــذَ خطابِــــه   ـــ ســبحانه ـــ بــتلاوة القـــرآن

فالله تعالى يمنّ على عباده بعدما عفا عنهم وأحسن إليهم، بسماع صوته ولذيذ خطابه عندما يتلو عليهم القرآن في الجنة، فيستمعون إليه، وكأنهم لم يسمعوه من قبل ذلك.

والغرض البلاغي من التنزيه هو المسارعة إلى تنزيه المولى جل في علاه عن كل نقيصةٍ وعيب.

ـ ويكون بالدعاء:

وذلك كقوله رحمه الله تعالى:[١]

سُـبحان مــن غرسـت يــداه جنَّــة الـــ   ــــفردوس عنـــد تَكامـــل البنيـــان

ويــــداه أيضـــاً أتقنـــت لبنائهـــا   ــ فتبـارك ـــ الـرَّحمن أعظـم بَـان

فظهر التنزيه بالمسارعة في الدعاء للثناء على الله وتمجيد قدرته المطلقة في الخلق.

ـ ويكون بالتعظيم:

وذلك نحو قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ* وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ* إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ* فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ﴾ [الواقعة:٧٥ـ ٧٨]، وهذا إشارة إلى قول ابن القيم:[٢]

فـــالورد والتفـــاح والرمـــان فـــي   غصـن ــ تعـالى ــ غـارس البسـتان

وقد وردت مواطن كثيرة للإطناب بالتنزيه والتعظيم والدعاء، ذكرنا بعضها على سبيل الاستشهاد لا الحصر.

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٦٨.

(٢) المصدر السابق، ص٢٨٠.

٢- الإيضاح بعد الإبهام:

ونظير ذلك ما أورده ابن القيم في حديثه وذمّه لمن تعلّق قلبه بحطام الدنيا الفاني، فقد أجمل القول في البيت الأول بذكر صفاتهم بصورة عامة، ثم فصل القول في إيثارهم وتفضيلهم للحياة الدنيا على الآخرة وإتباع شهواتهم التي ستشتعل عليهم ناراً يوم القيامة، وحظوظهم الخسيسة ورضاهم بالمذلة والهوان، فجاء هذا إيضاحاً لما كان مبهماً وذلك لتقرير المعنى وتمكينه في ذهن السامع، بعدما عرف صفات هؤلاء الناس وأخلاقهم البائسة، فقال:[١]

عمــرت بهــم هــذي الــديارُ وأقفــرت ... مـــنهم ربـــوعُ العلـــم والإيمـــان

قــد آثــروا الــدنيا ولــذةَ عيشــها الــ ... ــفاني علــى الجنــات والرضــوان

صــحبوا الأمــاني وابتُلــوا بحظــوظهم ... ورضـــوا بكـــلّ مذلـــةٍ وهـــوان

وقدّم وصفاً في غاية الإبداع عندما وصف الحور العين، فقال:[٢]

حـــور حســـان قـــد كملـــن خلائقـــاً ... ومحاســـناً مـــن أجمـــل النســـوان

فتحدث عن تلك الخرائد الحسان وتمام حسنهن وجمالهن، ولكن بصورة مبهمة، ثم يورد صفاتهن الحسية والمعنوية إيضاحاً وتشويقاً لهن وهو يعلم أن النفس تتطلع لذلك الجمال الساحر فيردف قائلاً:

حمـــر الخـــدود ثغـــورهن لآلـــئٌ ... ســـود العيـــون فـــواتر الأجفـــان

والـــريحُ مســـكٌ والجســـومُ نـــواعمٌ ... واللـــونُ كاليـــاقوت والمرجـــان

كمُلـــت خلائقُهـــا وأُكمـــلَ حســـنُها ... كالبـــدر ليـــل الســـت بعـــد ثمـــان

فيشوّقنا لسماع تلك المحاسن بعد الإيضاح والتفصيل لتلك الصفات التي ذكرها كالألوان الزاهية والأجساد الناعمة والثغور التي ترشف مسكاً وشهداً، وجمال أعينهن ورائحتهن الزكية التي فاقت رائحة المسك، وجمال البدر ليلة تمامه في غسق الدجى، والاستئناس بهن والشوق إليهن، لأن النفس تتطلع لجمالهن ووصالهن في كل وقت وحين.

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٥٨- ٢٥٩.

(٢) المصدر السابق، ص٢٨٠.

٣- ذكر الخاص بعد العام:

" ويكون للتنبيه على فضل الخاص حتى كأنه ليس من جنس العام، تنزيلاً للتغاير في الوصف منزلة التغاير في الذات"(١)، وذلك كقوله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَآئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾[البقرة:٩٨]، فخصّ جبريل وميكال بالذكر مع أنهما داخلان في عموم الملائكة.

ونظير ذلك ما أورده ابن القيم في رؤية أهل الجنة لربهم تبارك وتعالى، فيقول:(٢)

واللهِ ما في هذه الدنيا ألذّ	**من اشتياق العبد للرحمن**
وكذاك رؤية وجهه سبحانه	**هي أكمل اللذات للإنسان**

فخصّ الوجه في الرؤية دون سائر الأعضاء عامة تنبيهاً على فضل الخاص لِما للوجه من كرامةٍ وفضلٍ ومزيةٍ وشرفٍ وبيان أهميتها، وهذه الرؤية من أكمل اللذات التي يُنعم الله تعالى بها على عباده في الجنة، فالله جل في علاه يقول: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٢٦ ـ ٢٧].

ونظير ذلك ما أورده الإمام ابن القيم في ذكر الخاص على العام، قوله في درجات الجنة:(٣)

درجاتها مائةٌ وما بين اثنتيـ	**ـن فذاك في التحقيق للحسبان**
مثل الذي بين السماء وبين هـ	**ـذي الأرض قول الصادق البرهان**
لكن عاليها هو الفردوس مسـ	**ـقوف بعرش الخالق الرحمن**

فخصّ الفردوس بالذكر دون غيرها من الدرجات، مع أنها داخلة في عموم الدرجات المائة، ولكن تنبيهاً على فضل الخاص دون غيره وهو الفردوس الأعلى لما في ذلك من مزايا وفضائلَ يكفي لنا من ذكرها أن سقفها هو عرش الرحمن.

وأيضاً في وصفه لأبواب الجنة، فقال:

أبوابها حقٌ ثمانيةٌ أتت	**في النص وهي لصاحب الإحسان**
بابُ الجهاد وذاك أعلاها وبا	**بُ الصوم يُدعى الباب بالريان**

---

(١) شرح عقود الجمان، للسيوطي، ص٧٢، وانظر: الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني، ص١٩٧.

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٩٠.

(٣) المصدر السابق، ص٢٦٠.

فخصّ بالذكر بابَ الجهادِ في سبيل الله وهو أعلى الأبواب في الجنة، وباب الريان مع ما فيه من كرامة عظيمةٍ للصائمين، مع أن هذين البابين داخلان في عموم الأبواب الثمانية، ولكنه خصهما بالذكر لما لهما من شرف عظيم عند الله تعالى، وبيان لأهميتهما وفضلهما.

وذكره لبعض أسماء الجنة دون غيرها، فيقول:

هـــي جنـــةٌ طابـــت وطـــاب نعيمهـــا ... فنعيمُهـــا بـــاقٍ ولـــيس بفـــانِ

دار الســـلام وجنـــة المـــأوى ومنـــ ... ـــزل عســـكر الإيمـــان والقـــرآن

فذكر الجنة بصفتها واسمها المعروف العام والمألوف لدى جميع الخلق دون تخصيص، ثم أورد نوعين من تلك الجنان وهما، دار السلام وجنة المأوى، وفي هذا إشارةٌ للتنبيه على فضل الخاص بعد العام، فدار السلام قد سلمت من كل آفة وبلية، وجنة المأوى الأبدية التي يأوي إليها صاحبها ولا يخرج منها، ولا يرتحل عنها.

٤- ذكر العام بعد الخاص:

كقوله تعالى:﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾[نوح:٢٨]، "فالمؤمنون والمؤمنات لفظان عامان يدخل فيهما كل ما ذكر قبلهما وكأن الخاص ذُكر مرتين، مرة منفرداً ومرة ضمن العموم، وفي هذا عناية واهتمام بذكر الخاص" [(١)].

ونظير ذلك في وصفه لحليّ أهل الجنة وألوانهم، فقال:[(٢)]

ألـــوانهم بـــيض ولـــيس لهـــم لحـــىً ... جُعـــدُ الشـــعور مُكحلـــو الأجفـــان

هـــذا كمـــالُ الحســـنِ فـــي أبشـــارهم ... وشـــــعورِهم وكـــــذلك العينـــــان

فكمال الحسن في وجوههم وجمال شعورهم وسحر عيونهم، ألفاظ عامة ينطوي تحتها كل ما ذكر قبلها من بياض الألوان وتكحيل الأجفان، وكأن الخاص ذُكر مرتين، وفي هذا تمام العناية والاهتمام بشأن الخاص وبيان فضله.

٥- التكرار: وهو دلالة اللفظ على المعنى مكرراً، ويكون أبلغ في:

- التأكيد والإنذار:

كما في قوله تعالى:﴿كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُون * ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُون﴾[التكاثر:٣-٤]،وقوله تعالى:﴿الْقَارِعَة *

(١) من بلاغة القرآن، ص١٤١.

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٦٥.

مَا الْقَارِعَةُ* وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾[القارعة:١ـ٣]، فجاء التأكيد والإنذار بالتكرار لكي يكون أبلغ في التحذير والتخويف.

ويقول **ابن قتيبة:** " والتكرار تنبيهٌ للغافلين وشحذٌ لهمة المؤمنين، وزيادةٌ في التوكيد والإفهام والتحذير"(١). ونظير ذلك في حديثه عن عشاق الدنيا الذين خسروا أنفسهم وحرمانهم رضا ربهم، فقال:(٢)

يـــا عاشـــق الـــدنيا تأهـــب للـــذي — قـــد نالـــه العشـــاق كـــل زمـــان

أو مـــا ســـمعت بلـــى رأيـت مصـــارع الـــ — ـــعشاق مـــن شـــيبٍ ومـــن شـــبان

فأتى بلفظ العشاق مكرراً للمبالغة في التأكيد والإنذار من عاقبتهم المخزية وعذابهم الأليم الذي سيتعرضون له ويحلّ بهم يوم القيامة.

ويورد ابن القيم مقطعاً آخر في أسبق الناس دخولاً إلى الجنة، فيقول:(٣)

هـــذا وأمـــةُ أحمـــدٍ سُـــبّاق بـــا — قـــي الخلـــقِ عنـــد دخـــولهم لجنـــان

وأحقُهـــم بالســـبق أســـبقُهم إلـــى الـــ — إســـلام والإيمـــان والتصـــديق بـــالقرآن

ولـــذا أبـــو بكـــرٍ هـــو الصـــدّيق أســـ — ـــبقهم دخـــولاً قـــولَ ذي البرهـــان

فجاء بالتأكيد والتكرار في السبق **للتشويق والترغيب** فيه والتشمير نحو الجنة، مبيناً فضل أبي بكرٍ الصّديق في هذا السبق، كيف لا، وربنا عز وجل ينزل قرآنه الكريم على قلب نبيه الكريم في صحبة الصدّيق رضي الله عنه، فإن الله تعالى حرّم الجنة على الأمم حتى تدخلها أمة أحمد عليه الصلاة والسلام.

ـ **وفي التعجب والتشويق والاستمالة**، يقول رحمه الله تعالى:(٤)

أَو مَـــا سَـــمعت ســـماعهم فيهـــا غنـــا — ء الحـــور بالأصـــوات والألحـــان

واهـــاً لـــذياك الســـماع فإنـــه — ملئـــت بـــه الأذنـــان بالإحســـان

واهـــاً لـــذياك الســـماع وطيبـــه — مـــن مثـــل أقمـــار علـــى أغصـــان

---

(١) تأويل مشكل القرآن، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري،(ت ٢٧٦هـ)، تح: ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت، ص ١٤٨.

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٥٩.

(٣) المصدر السابق، ص٢٦٦.

(٤) المصدر السابق، ص٢٧٣.

واهــــاً لــــذياك الســـــماع فكـــم بــــه ... للقلـــب مـــن طـــرب ومـــن أشـــجان
واهـــاً لـــذياك الســـماع ولـــم أقـــل ... ذيـــاك تصـــغيراً لـــه بلســـان
واهـــاً لـــذا السُّـــوق الَّـــذي مـــن حلّـــه ... نـــال التهـــاني كلهَـــا بأمـــان

فقد أورد الألفاظ السابقة مكررةً للتعجب من طيب الشيء ولذته، واستمالة المخاطب وترغيبه بترك سماع الأغاني في الدنيا لسماع غناء أهل الجنة من الحور العين والولدان المخلدين، فجاء بتكرار " واهاً " والتي أفادت معنى التعجب، وتكرار " ذياك " التي أفادت الرقة والتشويق.

وفي ذمه لمن آثر غناء الدنيا على غناء الحور العين بأجمل الأصوات والألحان، واختياره لذاك اللهو الذي هو بمثابة السم في الأبدان، فوصف وقال:

قـــوتُ النفـــوسِ وإنمـــا القـــرآنُ قـــو ... تُ القلـــب أنّـــى يســـتوي القوتـــان

فذكر القوت بالتكرار والتأكيد للاستبعاد وإفادة معنى **التعجب** من تساوي قوت النفس الفاني بقوت القلب الباقي.

٦-التوشيع:

وهو عند القزويني: " أن يؤتى في عجز الكلام بمثنى مفسر باسمين أحدهما معطوف على الآخر" [(١)]. وذلك كقولك: " العلم علمان: علم الأبدان وعلم الأديان، وفائدة التوشيع أنه يخرج لنا الكلام من الخفاء المستوحش إلى الظهور المأنوس"[(٢)].

وقد صدر التوشيع جلياً في وصف ابن القيم لمنشور الجنة وتوقيع أهلها عليه، فقال:[(٣)]

ولـــــذاك يُكتـــــب للفتـــــى لدخولـــــه ... مـــن قبـــلُ توقيعـــان مشـــهودان
إحـــداهما بعـــد الممـــات وعـــرض أر ... واح العبـــاد علـــى الـــديان
فـــإذا انتهـــى للجســـر يـــوم الحشـــر يُعـــ ... ـــطى للـــدخول إذاً كتابـــاً ثـــاني

فذكر الكتاب الأول الذي يوقعه رب العالمين لعبده بعد الممات لحظة العرض للحساب يوم القيامة، والكتاب الثاني لحظة عبور الجسر في يوم المحشر قبل دخول الجنة أو النار، فبيّن لنا الكلام المبهم المستوحش بطريقة نستأنس بها، ونتشوق إليها.

---

(١) الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني، ص ١٩٧، وانظر: خلاصة المعاني للحسن المفتي، ص ٢٩٧.
(٢) من بلاغة القرآن، ص ١٤٢
(٣) المصدر السابق، ص٢٦٢.

ويقول **ابن عيسى:** " وهذا الكتاب مكتوب كتابةً حقيقية لعباد الله الأبرار، موقعاً لهم بمشهد المقربين من الملائكة والنبيين وإشهاراً لهذا العبد وإظهاراً له بين خواص خلقه كما تكتب الملوك تواقيع من تعظّمه من بين الأمراء وخواص أهل المملكة تنويهاً باسم المكتوب وإشارةً بذكره وهذا نوعٌ من صلوات الله سبحانه وملائكته على عبده المؤمن"(١).

٧- الإيغال:

وهو ختم البيت بكلمة أو عبارة يتم المعنى بدونها، ولكن تعطيه قافيةً وتضيف إلى معناه التام معنى زائداً، كقوله تعالى: ﴿اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ * اتَّبِعُوا مَن لاَّ يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُون﴾[يس: ٢٠- ٢١]، وفي هذا الموضع قال **الحسن المفتي:** فقوله: "وهم مهتدون" إيغالٌ لأن المعنى يتم بدونه لأن الرسل مهتدون لا محالة، والنكتة البلاغية هي زيادة الحث على إتباعهم والترغيب، أي لا تخسرون شيئاً من دنياكم، وتربحون صحة دينكم، فينتظم لكم خير الدنيا والآخرة" (٢).

ونظير ذلك ما أورده الإمام ابن القيم في قصيدته لحظة وصفه للحور العين وجمال أقدامها المركبة من سبائك الذهب والفضة مثل العاج، فيرى مخّ العظام من فوق سبعين حلّة، فقال:(٣)

أقــــدامها مـــــن فضــــةٍ قـــد رُكّبـــت مـــــن فوقهـــا ســــاقان ملتفـــــان

فأتى بالإيغال في كلمة " ملتفّان "، مع أن المعنى مكتملٌ من دونها، ولأن القدمين لا محالة ملتفان ومستديران، فأراد المبالغة في وصف أقدامها فلم يكتفِ بذكر الأقدام دون وصفها مع أن الأقدام مألوفة لدى الناس بصفاتها وشكلها.

ونظير ذلك أيضاً في وصفه ليديها ونعومتهن، فقال:(٤)

والمعصـــــمان فــــإن تشــــأ شـــبّههما بســــــبيكتين عليهمـــــــا كفــــــان

فأتى بالإيغال في كلمة " عليهما كفان " مع أن المعنى قد اكتمل، ولكنه أعطى معنىً جديداً زائداً لمناسبة القافية والتشويق لهاتين الكفتين، لأنهن أشد ليناً ونعومة ملمسٍ من الزبدة، ونفي التهمة عما يشوبهن من نقص وأذى.

---

(١) توضيح المقاصد وتصحيح القواعد، ج٢/ ٤٧٧

(٢) خلاصة المعاني للحسن المفتي، ص ٢٩٨ .

(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٨٢.

(٤) المصدر السابق، ص٢٨١.

وفي وصفه لثغورهن وخدودهن وأعينهن، فيقول:[1]

حمـــــر الخـــــدود ثغـــــورهن لآلـــــئٌ سـوــودُ العيـــونِ فـــواترُ الأجفـــان

فجاء بالإيغال في قوله " فواتر الأجفان " مع أن المعنى قد اكتمل في قوله سود العيون، فالأجفان من العيون، وهي جزءٌ لا يتجزأ منها ولكنه ذكرها زيادة في التوضيح والتشويق لهذا الجمال الرائع الخلاب، وقد وردت مواضع كثيرة في الإيغال ولكننا اكتفينا بذكر هذه المشاهد، وليس ذلك على سبيل الحصر.

٨- الاحتراس:

قال ابن الناظم:" ويكون حينما يأتي المتكلم بمعنى يمكن أن يدخل عليه فيه لوم، فيفطن لذلك ويأتي بما يخلصه منه، فيردفه بكلام آخر ليصونه عن احتمال الخطأ" [2]، كقوله تعالى: ﴿**فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلاَ جَان**﴾[الرحمن:٥٦]، فجاء بالاحتراس عندما ذكر الإنس، فنشأ توهمٌ أن يمسهنّ جن فدفع ذلك التوهم بهذا الاحتراس.

ونظير هذا ما ورد في القصيدة الكافية الشافية، في وصفه للأوانس في الجنان، فقال:[3]

بكـــر فلـــم يأخـــذ بكارتهـــا ســـوى الـــ ـــمحبوب مـــن إنـــسٍ ولا مـــن جـــان

فأورد الاحتراس في هذا المشهد وهو يصف تلك النساء الجميلات اللاتي لم يمسهن من قبل ذلك أحد، لا من إنسٍ ولا من جان، فهذه الحوراء الفاتنة لمحبوبها وعاشقها من الإنس، فهو الذي يفض بكارتها وينشغل بها لا غيره، فجاء بالاحتراس في ذكره للإنس، فتوهّم من ذلك أن الجن يفض أبكارهن ويمسهن، فدفع هذا التوهم بهذا الاحتراس.

٩- التذييل: " وهو تعقيب الجملة بجملة أخرى تشتمل على معناها توكيداً" [4].

وهو عند **ابن الناظم:** "أن تأتي بعد تمام الكلام بمشتمل على معناه من جملة مستقلة بنفسها لإفادة التوكيد والتحقيق ودلالة منطوق الكلام، كقوله تعالى: ﴿**ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلاَّ الْكَفُور**﴾[سبأ:١٧]، لأن في المعطوف إعادةً للمعنى إفهاماً للغبي، وتقريراً عند الذكي لاستحقاق

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٨٠.

(٢) المصباح في المعاني لابن الناظم، ص٢١٥، وانظر: علم المعاني، عبد العزيز عتيق، ص ٢١٩ .

(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٨٢.

(٤) الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني، ص ٢٠٠ .

العذاب بالكفر."[1]، وقد جاء بالتذييل توكيداً لما قبله لاشتماله على معناه، وكقوله تعالى أيضاً: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾[يوسف:٥٣]، فجملة:" إن النفس لأمارة بالسوء" مستقلة قد اشتملت على معنى الجملة السابقة، فجاء التعقيب بالتذييل لتأكيد المعنى.

ونظير هذا من قصيدة ابن القيم قوله وهو يصف الزمرة الأولى التي تدخل الجنة، فيقول:[2]

هـــــذا وأول زمـــــرةٍ فوجـــــوههم كالبـــدر ليـــل الســـت بعـــد ثمـــان

الســـابقون هـــم وقـــد كـــانوا هنـــا أيضـــاً أولـــي ســـبقٍ إلـــى الإحســـان

فعقّب على الجملة الأولى بجملةٍ أخرى تشتمل على نفس المعنى، فأول زمرة تدخل الجنة هم السابقون لدخول الجنة، فجاء التعقيب بالتذييل لزيادة معنى التوكيد بين الجملتين، مع أن الجملة الثانية مستقلة في معناها عن الجملة الأولى.

ويأتي بالتذييل في مشهدٍ آخر، وهو يصف مفتاح باب الجنة، فيقول:[3]

هـــذا وفـــتح البـــاب لـــيس بممكـــنٍ إلا بمفتـــــاح علـــــى أســـــنان

مفتاحـــه بشـــهادة الإخـــلاص والتّـــــوحيد تلـــك شـــهادة الإيمـــان

فذكر باب الجنة ومفتاحها الذي هو شهادة الإخلاص والتوحيد والمحبة لجلال الله، وقد جاء بالتذييل معقباً بالجملة الثانية على الأولى مع أنهما اشتملا على نفس المعنى.

ثالثاً: المساواة:

لغةً: " سوَّيتُ وساويت الشيء وساويت به وأسويته به وتساوت الأمور واستوت، وساويتُ بينهما أي سويت، واستوى الشّيئان وتساويا تماثلا " [4].

وفي **اصطلاح البلاغيين:**" أن تكون الألفاظ على قدر المعاني، والمعاني على قدر الألفاظ لا يزيد بعضها على بعض، وهي الطريق الوسط بين الإيجاز والإطناب"[5]، كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ

(١) المصباح في المعاني والبيان والبديع، لابن الناظم، ص ٢١٨ .
(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٦٣.
(٣) المصدر السابق، ص٢٦١.
(٤) لسان العرب، ابن منظور، ج ١٤/ ٤١٠.
(٥) علم المعاني، عبد العزيز عتيق، ص٢٢٠.

﴿الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر:٤٣]، فقد جاءت الألفاظ بقدر المعاني، وقوله تعالى:﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾[النحل:٩٠].

والمساواة عند **ابن الأثير**: "هو ما ساوى لفظه معناه "[١].

ويقول **ابن الناظم**: " والكلام لا يخلو عن أحد الأمور الثلاثة، المساواة والتضييق والتوسيع، فالمساواة، أن يكون لفظ الكلام بمقدار معناه لا ناقصاً عنه ولا زائداً عليه كالاعتراض والتتميم والتكرار، فتكون الألفاظ قوالبَ المعاني"[٢].

ونظير ذلك في القصيدة الكافية الشافية في خطاب الله عز وجل للجنة بعدما زيّنها لعباده المؤمنين، وأمرَها أن تتكلّم، فقال:[٣]

لمـــا قضـــى ربُ العبـــاد العـــرش قـــا   لَ تكلّمـــــي فتكلّمـــــت ببيـــــان

فقد جاء بالألفاظ مساويةً للمعاني في قوله: " تكلمي، فتكلمت ببيان"، فقد جاءت الكلمة جامعةً لكل معاني الكلام الطيّب الذي تشتاق له النفوس وتتمناه وتتطلع إليه.

ووصفه لغرفات الجنة وأهلها، وأنهم أهل الصيام والقيام وطيب الكلمات والإحسان، فقال:[٤]

ســـكانها أهـــل القيـــام مـــع الصـــيا   م وطيـــب الكلمـــات والإحســـان

فجاءت المعاني في هذا المشهد على قدر الألفاظ بالتمام والكمال دون زيادة أو نقصان، وقد تضمن هذا البيت معنى حديث رسول الله ﷺ الذي رواه عليّ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ، قال:" إن في الجنَّة غرفاً يُرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها، فقام أعرابي فقال: لمن هي يا رسول الله؟ قال: لمن أطاب الكلام وأطعم الطَّعام وأدام الصّيام وصلى بالليل والنَّاس نيام" [٥].

قال **الهراس**:" فقد قاموا بحق اللّه وحق عباده، فخصلتان من هذه الخصال هما خالص حقه سبحانه، وهما أداء الصيام، والصلاة بالليل والناس نيام، وثنتان من حقوق العباد، وهما لين الكلام وإطعام الطعام" [٦].

---

(١) المثل السائر، ابن الأثير، ج٢/٧٤ .

(٢) المصباح في المعاني لابن الناظم، ص٧٣.

(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٦٨.

(٤) المصدر السابق، ص٢٧٠.

(٥) رواه الترمذي، باب ما جاء في قول المعروف، ٤٢٢/٣، رقم الحديث: ١٩٨٤

(٦) شرح القصيدة النونية للهراس، ج٢/ ٣٦٤ .

وقوله في سماع غناء الحور العين في الجنان والشوق إليهن:[١]

أَو مــا ســمعت ســماعهم فيهــا غنــاء الحــور بالأصــوات والألحــان

فجاء بالألفاظ مساويةً للمعاني دون الإخلال، سواءً بالزيادة أو النقصان، فمادة الصوت من خلال السماع لا من غيره، ومادة الغناء والطرب لا تكون إلا بالألحان.

وقوله أيضاً:

نحــن النــواعمُ والخوالــدُ خيــراتٌ كــاملاتُ الحســنِ والإحســان

فالحور العين يجتمعن في الجنة فيرفعن أصواتهن فيغنين أزواجهن بأطيب الأصوات التي لم تسمعها الخلائق من قبل، فيقلن: نحن الخالدات فلا نبيد ونحن الناعمات فلا نبأس ونحن الراضيات فلا نسخطُ طوبى لمن كان لنا وكنّا له، وقد جاءت الألفاظ في هذا المشهد على قدر المعاني، فقد طهرهن الله تعالى من الظاهر، فأكمل حسنهن وجمالهن ونعومتهن، ومن الباطن بإزالة الدنس الأخلاقي والغيرة والحقد الكراهية، ولسان حالهن نحن الكريمات للكرام.

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٧٣.

المبحث الخامس
الوصل والفصل

الوصل لغةً:

وهو خلاف الفصل، من وصل الشيء بالشَّيء يصله وصلاً وصِلةً وصُلَةً واتصل الشيء بالشيء لم ينقطع، والفصل الحاجز بين الشَّيئين، فصل بينهما فصلاً فانفصل، وفصلت الشَّيء فانفصل أي قطعتُه فانقطع" (١).

أما في اصطلاح أهل البلاغة:

فالوصل: "هو عطف بعض الجمل على بعض بالواو فقط دون سائر حروف العطف الأخرى، لأن الواو هي الأداة التي تخفى الحاجة إليها ويتطلب فهم العطف بها دقةً في الإدراك، والفصل ترك هذا الوصل" (٢).

ويقول إمام البلاغة عبد القاهر الجرجاني:

" اعلم أن العلم بما ينبغي أن يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض أو ترك العطف فيها والمجيء بها منثورةً تُستأنف واحدة منها بعد أخرى من أسرار البلاغة ومما لا يتأتى لتمام الصواب فيه إلا الأعرابُ الخُلَّص والأقوام الذين طُبعوا على البلاغة وأوتوا فناً من المعرفة في ذوق الكلام هم بها أفراد، وقد بلغ من قوة الأمر في ذلك أنهم جعلوه حداً للبلاغة، فقد جاء عن بعضهم أنه سُئل عنها فقال: معرفةُ الفصل من الوصل ذاك لغموضه ودقة مسلكه وأنه لا يكمل لإحراز الفضيلة فيه أحد إلا كمل لسائر معاني البلاغة" (٣).

وهما عند السكاكي: " محك البلاغة ومنتقد البصيرة ومضمار النظّار ومتفاضل الأنظار ومعيار قدر الفهم ومسبار غور الخاطر ومنجم صوابه وخطئه ومعجم جلائه وصدائه وهي التي إذا طبقتَ فيها المفصل شهدوا لك من البلاغة بالقدح المعلّى وإن لك في إبداع وشيها اليد الطولى"(٤).

وعند القزويني: " الوصل عطف بعض الجمل على بعض والفصل تركه وتمييز موضع أحدهما من موضع الآخر على ما تقتضيه البلاغة فنّ منها عظيم الخطر صعب المسلك دقيق المأخذ لا يعرفه على وجهه ولا يحيط علماً بكنهه إلا من أُوتي في فهم كلام العرب طبعاً سليماً ورُزق في إدراك أسراره ذوقاً صحيحاً ولهذا قصر بعض العلماء البلاغةَ على معرفة الفصل من

---

(١) لسان العرب لابن منظور، ج ١١ / ٥٢١ ـ ٧٢٦، مادة وصل وفصل.

(٢) من بلاغة القرآن، ص ١٢٥، وانظر: علم المعاني، ص ١٧٤ـ ١٧٥ .

(٣) دلائل الإعجاز، ص٢٢٢.

(٤) مفتاح العلوم للسكاكي، ص٢٤٩.

الوصل، ولا يكمل فيه أحد، إلا كمل في سائر فنونها فوجب الاعتناء بتحقيقه على أبلغ وجه في البيان "[١].

"واعلم أن بلاغة الوصل لا تتحقق إلا بالواو العاطفة فقط، لأنها الأداة التي لا تفيد إلا الربط وتشريك ما بعدها لما قبلها في الحكم، وهذا ما لا تؤديه بقية حروف العطف إذ إنها تفيد مع التشريك معانٍ أخرى كالترتيب مع التراخي في " ثم " بمهلة، والترتيب مع التعقيب في الفاء بغير مهلة، فالعطف بالواو يشترط فيه أن يكون بين الجملتين جامع "[٢].

مواضع الوصل:

الأول: أن تكون الجملتان متفقتين خبراً وإنشاءً، لفظاً ومعنىً، وكان بينهما جهة جامعة، يعني مناسبة تامة، فنعطف جملةً خبرية على جملةٍ خبرية أخرى، أو جملةً إنشائية على جملة إنشائيةٍ أخرى في اللفظ والمعنى.

وذلك كقوله تعالى:﴿**إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيم * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيم**﴾[الانفطار:١٤]، فالأولى خبرية في اللفظ والمعنى، والثانية خبرية في اللفظ والمعنى، وكقوله تعالى:﴿**فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ**﴾[الشورى:١٥]، فعطف فعل الأمر " ادعُ " على نظيره " استقم "، وعطف النهى على الأمر في قوله: " ولا تتبع " وهو من باب عطف الجملة الإنشائية على إنشائيةٍ مثلها.

١- عطف الجملة الخبرية على جملة خبريةٍ مثلها:

ومنه ما أورده ابن القيم في قصيدته عندما وصف الجنَّة التي أعدها الله ذو الفضل والمنَّة لأوليائه المتمسكين بالكتاب والسّنة، فقال:[٣]

هـــي جنَّــــة طابـــت وطـــاب نعيمهـــا   فنعيمهـــا بـــــاقٍ ولـــــيس بفــــان

فقد عطف جملة "طاب نعيمها" على جملة " طابت "وهذا من باب عطف الجملة الفعلية على مثلها، وقد اتفقت الجملتان في الخبرية واللفظ والمعنى.

وفي وصفه للزمرة التي تدخل الجنة ووجوههم كالبدر من شدة الجمال، فقال:[٤]

أمشـــاطهم ذهـــب ورشـــحهم فمســـ   ـــكٌ خـــالصٌ ياذلـــة الحرمـــان

(١) الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني، ص١٥١.

(٢) من بلاغة القرآن، ص١٢٥- ١٢٦، وانظر: علم المعاني، ص١٧٥.

(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٦٠.

(٤) المصدر السابق، ص٢٦٣.

فقد عطف في هذا المشهد جملةً خبرية على أخرى مثلها، وكلتا الجملتين اسميتان، فجملة رشحهم مسكٌ معطوفةٌ على جملة أمشاطهم ذهبٌ، وقد اتفقتا لفظاً ومعنىً.

وفي وصفه لبناء الجنة، وأن بناءها من لبنات الذهب والفضة، فيقول رحمه الله:(١)

وقصــــورها مـــــن لؤلـــؤٍ وزبرجـــــد   أَو فضَّـــــة أَو خـــــالص العقيـــــان

فقد عطف الزبرجد على اللؤلؤ، وهو من باب عطف الجار والمجرور على نظيره، وقد اتفقتا في الخبرية واللفظ والمعنى، وفي وصفه لطعام أهل الجنة وشرابهم وصحافهم وهضمهم وتصريفه، وأن الجنة منزهة عن كل دنسٍ وآفة، فقال:(٢)

وطعـــامهم مـــا تشـــتهيه نُفُوســـهم   ولحـــوم طيـــر نـــاعم وســـمان

وفواكـــــه شــــتَّى بحســـب مُنـــاهم   يـــا شـــبعةً كملـــت لـــذي الإيمـــان

لحـــم وخمـــر والنســـا وفواكـــــه   والطيـــب مـــع روح ومـــع ريحـــان

وصـــحافهم ذهـــبٌ يطـــوف علـــيهم   بـــأكف خـــدّامٍ مـــن الولـــدان

لا غـــــائطٌ فيهـــــا ولا بـــــولٌ ولا   مخـــطٌ ولا بصـــقٌ مـــن الإنســـان

فجاء بالعطف متعدداً في هذا المقطع الرائع، مشتملاً على الخبرية في جميعها، مع الاتفاق في اللفظ والمعنى، فعطف الطيور السمينة على الناعمة اللذيذة وهذا لكمال اللذة، وعطف الفواكه الكثيرة التي لا تنقطع ولا تفنى على لحوم الطير، وعطف طيب الروح والريحان على لذة اللحم والخمر والنساء في الجنان، وقد ورد الوصل بالعطف متناثراً في أرجاء القصيدة، ولكننا ذكرنا بعضه على سبيل التمثيل لا على سبيل الحصر.

وفي وصف الحور العين ونعومتهن وحلاوتهن، فيقول:(٣)

والـــرِّيح مســـكٌ والجســـوم نـــواعمٌ   واللـــون كاليـــاقوت والمرجـــان

فوصل بالعطف جملة "والجسوم نواعم" على جملة " والريح مسك"، وهو من باب عطف الجملة الخبرية على الخبرية، مع الاتفاق في اللفظ والمعنى.

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٦٩.

(٢) المصدر السابق، ص٢٧٤.

(٣) المصدر السابق، ص٢٨٢.

٢- عطف الجملة الإنشائية على جملة إنشائيةٍ مثلها:

ومنه في الحث على مواصلة الطاعات والقربات لله تعالى، وبذل الغالي والنفيس للوصول إلى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين، فقال:(١)

أســـرع وحـــث السّـــير جهـــدك إنمـــا	**مســـــراك هـــــذا ســـــاعة لزمـــــان**
فاعشـــق وحـــدث بالوصـــال الـــنَّفس وابــــ	**ـــــذل مهرهـــا مـــا دمـــت ذا إمكـــان**
واجعـــل صـــيامك قبـــل لقياهـــا ويـــو	**الوصـــل يـــوم الفطـــر مـــن رمضـــان**
واجعـــل نعـــوت جمالهـــا الحـــادي وســـر	**تلقـــى المخـــاوف وهـــي ذات أمـــان**

فقد جاء الوصل بالعطف في هذه المقطوعة، فعطف جملة " حث السير " على جملة " أسرع "، وجملة " حدّث بالوصال " على جملة " اعشق "، وجملة " سر " على جملة " اجعل "، وكل هذه الجمل من باب عطف الجملة الإنشائية على نظيرتها الإنشائية المتفقة في اللفظ والمعنى، وقد ورد الإنشاء بأفعال الأمر المتكررة والتي تفيد الوجوب.

ومثل ذلك في قوله أيضاً:

واحفـــــظ حـــــدود الـــــرب لا تتعـــــدها	**وكـــــذاك لا تجـــنح إلـــى النقصـــان**

فعطف جملة فعليةً على أخرى مثلها، وكلتا الجملتين إنشائيتان، فالأولى أمر وهي" احفظ" والثانية نهي وهي " لا تتعدها".

ويقدم نصيحةً لمن أراد أن يتعفف ويصون نفسه في الدنيا، مبيناً أن الحياة الدنيا متاع الغرور وما عند الله خير وأبقى لمن اتقى، والله تعالى وعد المؤمنين بالراحة الأبدية في الجنة، وما الصبر على المكاره إلا صبر ساعة، فيقول:(٢)

فـــاجمع قـــواك لمـــا هنـــاك وغمـــض الـــــ	**ـــــعينين واصـــبر ســـاعةً لزمـــان**

فعطف جملة إنشائيةً على جملة إنشائيةٍ، وهي عطفُ الأمرِ على الأمر، وذلك في قوله: " فاجمع، وغمّض، واصبر ".

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٥٨.

(٢) المصدر السابق، ص٢٨٣.

الثاني:" **أن تختلف الجملتان خبراً وإنشاءً،** ولكن لو ترك العطف لأوهم خلاف المعنى المراد، وتتمثل شواهد هذا النوع من الوصل في الإجابة بالنفي على سؤالٍ أداته "**هل أو همزة التصديق**" مع التعقيب على جملة الجواب المنفي بجملةٍ دعائية.

ونظير ذلك في وصفه لأهل الجنة وهم في شغلهم فاكهون مع الأوانس الأبكار من الحور العين، فقال:[١]

أتلومـــه أَن صـــار ذا شـــغل بـــه   لا والـــذي أعطـــى بـــلا حســـبان

فجاء العطف بالواو في جواب لمن سأل: أيلام أهل الجنة على شغلهم في فض الأبكار؟ وذلك أيضاً، كقولك لمن عرض عليك شيئاً: لا وشكراً لك وقولك: لا وحفظك الله وذلك لئلا يشتبه الدعاء له بالدعاء عليه" [٢].

الثالث:" **أن يكون للجملة الأولى محل من الإعراب، ويقصد التشريك بينهما في الحكم الإعرابي،** وهو كعطف المفرد على المفرد، لأن الجملة لا يكون لها موقعٌ من الإعراب حتى تكون واقعةً موقع المفرد" [٣].

وذلك كما في قوله تعالى: ﴿**يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاء وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُور**﴾ [سبأ: ٢].

والأصل أن يكون مناسبةٌ بين الجملتين المعطوفتين، وأن تتفقان في الاسمية والفعلية، يعني عطف الجملة الاسمية على جملة اسمية مثلها، وعطف الجملة الفعلية على جملة فعلية مثلها سواءً أكانت في الماضي أم المضارع أم الأمر، فتحدث المناسبة بين الجملتين، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿**وَاللّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُون**﴾ [البقرة:٢٤٥]، فجاء بعطف الجملة الفعلية المضارعة في قوله: " يبسط "، على الجملة الفعلية المماثلة لها في قوله: " يقبض "، ونظير هذا ما أورده ابن القيم في قوله:[٤]

فيهـــا الـــذي والله لا عـــين رأت   كـــلا ولا ســـمعت بـــه أذنـــان

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٨٢.

(٢) علوم البلاغة للمراغي، ص ١٦٤، وانظر: علم المعاني، ص ١٨٥ .

(٣) الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني، ص ١٥١ـ ١٥٢، وانظر: علوم البلاغة للمراغي، ص ١٦٣ .

(٤) المصدر السابق، ص٢٩٢.

فجاءت الجملتان متفقتين في الفعلية، فعطف الجملة الفعلية الماضية على نظيرتها الماضية.

وقوله أيضاً:[١]

ولـــذاك تثقـــل تـــارةً وتخـــفّ أخـــــــــرى ذاك فـــي القـــرآن ذو تبيـــان

فأورد الجملة الفعلية المضارعة معطوفةً على جملة فعلية مشابهة لها وهي: تثقل تارةً وتخف أخرى.

وفي وصفه للجنة بأنها قيعان وأنّ غراسها الكَلم الطّيب والعمل الصالح، فهنيئاً لمن غرس في ذاك البستان، فقال رحمه الله تعالى:[٢]

وغراســـــها التســـــبيح والتكبيـــــر والتحميـــــد والتوحيـــــد للـــــرحمن

فجاءت جميعها معطوفة على بعضها، وهي من باب عطف الجملة الاسمية على مثلها.

ووصفه للحوراء في الجنة وهي تتبختر وتتمايل كتمايل الأغصان الذي يحمل الورد والتفاح والرمان، فتسير في الجنة متباهية في الجنة والوصائف والخدم عن أيمانها وشمائلها، إلى أن تصل زوجها فيضمها وتضمه، ثم يستلقيا على فرشيهما خلوان، فيقول رحمه الله:[٣]

وإذا بـــدت فـــي حلـــة مـــن لبســـها وتمايلـــــت كتمايـــــل النشـــــوان

فجاء الوصل بعطف جملةٍ فعلية على أخرى مثلها، وكلتا الجملتين في الزمن الماضي، وذلك في قوله: " بدت ، وتمايلت".

مواضع الفصل:

الأول: أن يكون بين الجملتين اتحاد تام، وهو ما يسمى " كمال الاتصال ".

وذلك بأن تكون الجملة الثانية **توكيداً** للأولى، أو **بياناً** أو **بدلاً** منها.

وذلك كقوله تعالى:﴿ **فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا** ﴾[الطارق:١٧]، " فالجملة الثانية في الآية الكريمة توكيد لفظي للجملة الأولى" [٤].

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٩٤.

(٢) المصدر السابق، ص٢٩٦.

(٣) المصدر السابق، ص٢٨٣.

(٤) من بلاغة القرآن، ص١٣٠.

ومما ورد من مواضع الفصل الذي تكون فيه الجملة الثانية **توكيداً** للأولى قول ابن القيم في القصيدة النونية:[(١)]

فيقـــول ســـبحان الـــذي ذا صـــنعه   ســـبحان مـــتقن صـــنعة الإنســـان

فقد اشتمل البيت على جملتين، فإذا تأملناهما وجدنا بينهما اتحاداً تاماً في المعنى، فالجملة الثانية جاءت توكيداً للأولى، لأن معناهما واحد، وهو تعظيم الله تعالى في إبداعه لخلق الحور العين في الجنة، فهذا صنع الله الذي أتقن كل شئ.

وظهر ذلك جلياً أيضاً في قوله:[(٢)]

فيهـــا الـــذي والله لا عـــين رأت   كـــلا ولا ســـمعت بـــه أذنـــان

كـــلا ولـــم يخطـــر علـــى قلـــب امـــرئٍ   فيكـــون عنـــه معبـــراً بلســـان

فإذا تدبرنا الجمل في هذه المقطوعة نجد أنها متشابهةٌ في التوكيد ومتّحدة اتحاداً تاماً في المعنى فجملة " كلا ولم يخطر على قلب امرئٍ " لم تأتِ إلا توكيداً للجملة الأولى ومتصلة اتصالاً تاماً بها، وهي: " كلا ولا سمعت به أذنان "، فأراد أن يؤكد أمراً مهماً وهو أن الله تعالى أعد لعباده الصالحين في الجنة ما لا عينٌ رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وأن الإنسان مهما يتصوّر ويتخيّل النعيمَ الذي أعده الله لعباده في الجنة فلن يستطيع أن يصف وصفاً حقيقياً للنعيم هناك، وسيبقى عاجزاً أمام قدرة الله تعالى في إبداعه وخلقه.

ومما ورد في الفصل على أن الجملة الثانية بيانٌ للأولى قوله تعالى: ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى**﴾ [النجم: ٣-٤]، فجاءت الجملة الثانية في الآية الكريمة بياناً لما ورد في الجملة الأولى.

ومثل ذلك ما ورد في القصيدة النونية، قوله رحمه الله:[(٣)]

فالشـــوق لـــذة روحـــه فـــي هـــذه الـــدّ   نيـــا ويـــوم القيامـــة الأبـــدان

تلتـــذّ بـــالنّظر الـــذي فـــازت بـــه   دون الجـــوارح هـــذه العينـــان

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٨٠.

(٢) المصدر السابق، ص٢٦٩.

(٣) المصدر السابق، ص٢٩٠.

فإذا تدبرنا الجملتين وجدنا بينهما اتحاداً تاماً في المعنى، فالجملة الثانية وهي: " تلتذ بالنظر الذي فازت به "، لم تجئ في الواقع إلا لإيضاح إبهام الجملة الأولى وهي: " فالشوق لذة روحه"، فالثانية بيان للأولى.

فلا شئ أعظم من اشتياق العبد للرحمن ولذة النظر إلى وجهه الكريم، فإن النظر لوجه الله الكريم في الجنات من أكمل اللذات للإنسان وأعلى النعيم له، وهو من تمام الرضوان من الله تعالى على عباده المؤمنين، فيتلذذون شوقاً للوصول إليه، ثم يتلذذون شوقاً لرؤيته.

قال **ابن عيسى:** " إن أعلى نعيم أهل الجنة هو نعيم رؤية وجه ربهم، فبينما هم في نعيمهم إذ سطع لهم نور فرفعوا رؤوسهم فإذا بربهم جل في علاه قد أشرف عليهم من فوقهم، فقال السلام عليكم يا أهل الجنة، فلا يلتفتون إلى شيءٍ مما هم فيه من النعيم ما داموا ينظرون إليه تبارك وتعالى" (١).

ونظير ذلك في قوله:(٢)

فتثيـــر أصـــواتاً تلـــذّ لمســـمع الـــــ ... إنســـــان كالنغمـــــات بـــــالأوزان

فإذا دققنا في الجملتين الفعليتين نجد أنهما قد اتفقتا اتفاقاً تاماً في المعنى، وهما: " تثير أصواتاً، تلذ لمسمع الإنسان "، فقد جاءت الجملة الفعلية الثانية موضحةً للأولى من حيث إثارة الصوت الذي تحدثه ذوائب الأغصان في الجنان، فيترتب على هذه الإثارة لذة السماع لهم وهم في روضة يحبرون، فيأتين الحور الحسان فيغنين بأجمل الأصوات والألحان، نحن النواعم الخوالد خيرات الحسن والإحسان.

ومما ورد في الفصل على أن الجملة الثانية **بدلاً** من الأولى قوله تعالى:﴿**أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُون * أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِين *وَجَنَّاتٍ وَعُيُون**﴾[الشعراء:١٣٢ـ ١٣٤].

ونظير ذلك ما أتى به ابن القيم في قصيدته، فقال:(٣)

فـــيهنَّ حـــور قاصـــرات الطّـــرف خيـــ ... ـــرات حســـانٌ هـــن خيـــر حســـان

خيـــرات أخـــلاق حســـانٌ أوجهـــاً ... فالحســـنُ والإحســـان متفقـــان

(١) توضيح المقاصد وتصحيح القواعد، ج٢/٥٧٩.

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٧٣.

(٣) المصدر السابق، ص٢٧٠.

فوصفهن بأنهن خيرات حسان، ثم وصف هذا الحسن وجماله في وجوههن، في قوله حسان أوجهاً، فجاءت الجملة الثانية بدلاً من الأولى، وهو من باب: بدل بعض من كل.

ومنه قوله في وصف المحبوبات مع أزواجهن وهم في الخلوات واللذات، فقال:(١)

يتساقطان لآلئاً منثورةً   من بين منظومٍ كنظم جمان

فأورد بدل البعض من الكل في قوله: نظم جمان، لأنها بعض من المنظوم.

وقوله أيضاً:(٢)

مَن صيّر النوعين نوعاً واحداً   فمخالفٌ للعقل والقرآن

فجاء بدل البعض من الكل في قوله: صيّر النوعين نوعاً واحداً، فجاءت الجملة الثانية بدلاً من الأولى.

وفي وصفه لأجساد الحور العين، ورؤية مخ ساقيها من فوق سبعين حلة، فهذه السيقان ملتفة كالعاج والذهب والياقوت والمرجان، فقال:(٣)

أقدامها من فضة قد رُكّبت   من فوقها ساقان ملتفان

السّاق مثل العاج ملموم يرى   مخ العظام وراءه بعيان

فجاءت الجملة الثانية " الساق مثل العاج " بدلاً من الجملة الأولى " من فوقها ساقان ملتفان" وهو بدل بعض من كل.

أما في وصفه للحور المقصورات في الخيام، فقال رحمه الله تعالى:(٤)

هذا وليس القاصرات كمن غدت   مقصورةً فهما إذاً صنفان

فأورد الجملة الثانية وهي " غدت مقصورة "، وهي بدل من الجملة الأولى " وليس القاصرات " فالمقصورة بدل بعض من القاصرات.

ومنه قوله في وصف جنات الخلد، وأنها دار سلامة لهم، فقال:(٥)

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٨٤.

(٢) المصدر السابق، ص٢٩١.

(٣) المصدر السابق، ص٢٨٢.

(٤) المصدر السابق، ص٢٧٨.

(٥) المصدر السابق، ص٢٦٠.

فالـــــدارُ دار الســـــلامة وخطـــــابهم فيهـــا ســـلام واســـم ذي الغفـــران

فذكر الجملة الثانية وهي بدل من الجملة الأولى في قوله: فالدار، دار سلامةٍ، وهي بدل بعض من كل، وقد ورد شواهد عديدة في جملة البدل، واكتفيت بذكر هذه الشواهد لضيق المقام، والله الموفق.

الثاني: أن يكون بين الجملتين تباينٌ تامٌ، وذلك بأن تختلفا خبراً وإنشاءً، وهو ما يسمى: " كمال الانقطاع "[١].

وذلك كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[فصلت:٣٤]، فالجملة الأولى في الآية الكريمة خبرية لفظاً ومعنىً، والجملة الثانية إنشائية لفظاً ومعنىً، فكان التباين بين الجملتين، لذلك وجب الفصل بينهما في هذا المشهد.

وقد ورد في مواضع كثيرة من القصيدة، ولكننا نذكر بعضها على سبيل التمثيل والاستشهاد.

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى:[٢]

والفـــرشُ مـــن إســـتبرقٍ قـــد بُطّنـــت مـــا ظـــنكم بظهـــارةٍ لبطـــان

فجاء بالفصل بين الجملتين لاختلافهما خبراً وإنشاءً، فهناك تباين تام بينهما، فالأولى خبرية، والثانية إنشائية، لذلك جاء التباين بالانقطاع.

ونظير ذلك أيضاً:[٣]

فـــالوردُ والتفـــاح والرمـــان فـــي غصـــن تعـــالى غـــارس البســـتان

فقد فصل بين الجملتين بسبب الاختلاف في الخبرية والإنشاء، فالجملة الأولى خبرية في لفظها ومعناها، والثانية دعائية إنشائية، فجاء التباين بالانقطاع.

وفي قوله أيضاً:[٤]

يـــا غـــافلاً عمـــا خُلقـــت لـــه انتبـــه جـــد الرحيـــلُ فلســـت باليقظـــان

---

(١) علم المعاني، عبد العزيز عتيق، ص١٧٥ـ ١٧٦.

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٧٦.

(٣) المصدر السابق، ص٢٨٠.

(٤) المصدر السابق، ص٢٨٥.

فجاء بالفصل بين الجملتين لعدم وجود مناسبة بينهما من حيث الخبر والإنشاء، فالأولى إنشائية وهي " انتبه "، والثانية خبرية وهى " جد الرحيل ".

وقوله أيضاً:(١)

فيقـــول جـــل جلالـــه هـــل أنـــتم راضـــون قـــالوا نحـــن ذو رضـــوان

فأورد جملتين مختلفتين خبراً وإنشاءً، فالأولى إنشائية وهى: "هل أنتم راضون" والثانية خبرية وهي" قالوا نحن ذو رضوان"، لذلك جاء بالفصل بينها، وهو ما يسمى بتمام الانقطاع، وذلك عندما يسأل ربنا عز وجل عباده عن الرضا في الجنة فيقولون وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعطِ أحداً من العالمين، فيقول لهم: اليوم أحلّ عليكم رضواني فلا أسخط عليكم أبداً.

الثالث: أن تكون الجملة الثانية قوية الارتباط بالجملة الأولى لوقوعها جواباً عن سؤالٍ يُفهم من الجملة الأولى، وهو ما يسمى: " شبه كمال الاتصال".

ونظير ذلك في تكليم رب العالمين لعباده وتذكيره لهم بذنوبهم ومعاصيهم، وإقرارهم بها، ثم مغفرته لهم وتطهيرهم منها، فقال:(٢)

فيقـــول رب أمـــا مننـــتَ بغفـــرةٍ قِـــدَماً فإنـــك واســـعُ الغفـــران

فذكر جملتين مختلفتين ولكن بينهما شبه كمال الاتصال، فالجملة الثانية " فإنك واسع الغفران"، جواب لسؤال فُهم من الجملة الأولى، فكانت الجملة الثانية عن الجملة الأولى، ولا سبب لهذا الفصل إلا قوة الرابطة بين الجملتين، فالجواب شديد الارتباط بالسؤال، لذلك كان شبيه الكمال بالاتصال، فالله تعالى يهمس في أذن عبده يوم القيامة، ويقول له: عبدي أتذكر ذنب كذا وكذا؟ فيقول العبد نعم، فيقول مولانا تبارك وتعالى: فإني قد غفرته لك لأني واسع المغفرة، ورحمتي وسعت كل شئ.

ومنه قوله رحمه الله تعالى:(٣)

هـــذا وتصـــريفُ المآكـــل مـــنهمُ عـــرقٌ يفـــيض لهـــم مـــن الأبـــدان

فجاءت الجملة الثانية " عرق يفيض لهم من الأبدان" جواب لسؤال فهم من الجملة الأولى، كأنه أراد أن يقول: " ما تصريف المآكل منهم يوم القيامة"، فجاءت الإجابة في الشطر الثاني:

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٩٠.

(٢) المصدر السابق، ص٢٩٢.

(٣) المصدر السابق، ص٢٧٥.

"عرق يفيض لهم من الأبدان"، والتي تكون رائحته أطيب من رائحة المسك، وقد جاء بالفصل بين الجملتين مع وجود رابطة معنوية قوية بينها.

ونظير ذلك أيضاً:[1]

وإذا انحـــــدرت رأيـــــت أمـــــراً هــــائلاً   مـــا للصـــفات عليـــه مـــن ســـلطان

فأورد الجملة الثانية " رأيت " وكانت جواباً لسؤال قد فهم من الجملة الأولى وهي" انحدرت"، ومعنى الكلام: إذا انحدرت، ماذا رأيت؟ وذلك لحظة مباشرة أهل الجنة لزوجاتهم والتلذذ بأجسادهن الناعمة، فجماعهن لا يغشاه حيض ولا بول ولا شيءَ من الآفات الموجودة في نساء الدنيا، وكلما جامعها عادت بكراً بغير دم ونقص ولا آفة، فيشتهي وصالها على مدى الأزمان.

وقال في وصف قلب المؤمن يوم القيامة لحظة سماعه ورؤيته لله رب العالمين في الجنة:

يهتـــزُّ قلـــبُ العبـــد عنـــد ســـماعه   طربـــاً بقـــدر حـــلاوة الإيمـــان

فقد أثارت الجملة الأولى في هذا المشهد سؤالاً فُهم جوابه من الجملة الثانية، فقال:" يهتز قلب العبد " فقيل: كيف يهتز قلب العبد؟ فكان الجواب " يهتزّ طرباً "، وقد جاء بالفصل بين الجملتين، إلا أن العلاقة قوية جداً بينهما.

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٨١.

المبحث السادس
القصر

لغةً:" الحبس والاختصاص"[1]، وقوله في وصف نساء الجنة:﴿**حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ**﴾[الرحمن:٧٢]" والقصرُ كفّك نفسك عن أَمر وكفُّها عن أن تطمح بها غرب الطَّمع، ويقال: قصرتُ نفسي عن هذا أقصرها قصراً "[2].

قال **محمد الطاهر بن عاشور:** " أي قصرن وحبسن على أزواجهن، فلا يملن ولا ينظرن لغيرهم، والمقصورات من صفات الترف للنساء، فهن اللائي لا يحتجن لمغادرة بيوتهن لخدمةٍ أو وِردٍ أو اقتطاف ثمار، فهن مخدومات مكرمات" [3]، وكقوله تعالى:﴿**وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ**﴾[الصافات:٤٨].

أما في اصطلاح البلاغيين:

فالقصر: "هو تخصيص شيءٍ بشيءٍ بطريقٍ مخصوص، كتخصيص المبتدأ بالخبر بطريق النفي في قوله تعالى:﴿**وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ**﴾[الحديد:٢٠]، وتخصيص الخبر بالمبتدأ"[4]، كقوله تعالى:﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ**﴾[آل عمران:١٤٤].

فالمقصور هو النبي ﷺ، والمقصور عليه هو الرسالة، والطريق المخصوص هو النفي والاستثناء [ما ـ إلا]. " فالشيء الأول هو المقصور، والثاني هو المقصور عليه وهما ركنا أو طرفا القصر، والطريق المخصوص هو أدوات القصر" [5].

وقوله تعالى:﴿**إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ**﴾[الأعراف:٣٣]، فأورد [إنما] والتي أفادت معنى القصر والاختصاص.

---

(١) معجم المصطلحات البلاغية، ج ٣ /١٣٦، وانظر: جواهر البلاغة للهاشمي، ص ١٦٥.
(٢) لسان العرب، لابن منظور، ج٥ /٩٧ .
(٣) تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م، ج ٢٧ / ٢٧٤.
(٤) معجم المصطلحات البلاغية، ج٣/١٣٧، وانظر: البلاغة العربية للميداني، ج١/ ٥٢٣.
(٥) من بلاغة القرآن، ص١١٣.

وستناول الحديث عن القصر من خلال مباحث عدّة:

طرق القصر:

١- القصر بالنفي والاستثناء: ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران:١٢٦]، فاقتصر النصر على الله وحده، فلا يأتي من الملائكة العظام الشداد، ولا من الجنود الأقوياء، ولا من القتال وأدواته، وعليه فيكون قد اقتصر النصر على الله دون غيره.

وقوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ﴾ [محمد:١٩]، أي: لا إله موجود بحقٍ إلا الله.

ونظير ذلك ما أورده ابن القيم في وصفه لمفتاح باب الجنة، فقال:[١]

هـــذا وفـــتحُ البـــابِ لـــيس بممكـــنٍ إلا بمفتـــاحِ علـــى أســـنان

فجاء بالنفي والاستثناء بـ [ليس التي تفيد النفي وهي بمعنى لا، والاستثناء بـ إلا]. فاقتصر فتح باب الجنة على هذا المفتاح المخصوص دون غيره من المفاتيح، فلا يمكن بأي حالٍ من الأحوال فتح هذا الباب إلا بشهادة التوحيد والإيمان، وبذلك يكون المقصور عليه في هذه الحالة بعد أداة الاستثناء وليس قبلها.

وفي ذمه لنساء الدنيا العاصيات لله رب العالمين ولأزواجهن، فقال:[٢]

أو رام تقويمـــاً لهـــا استعصـــت ولـــم تقبـــل ســـوى التعـــويج والنقصـــان

فأورد " لم " التي تفيد النفي والاستثناء مع سوى التي جاءت بمعنى إلا، فهؤلاء النسوة لم يقبلن إلا الاعوجاج والنقصان في حياتهن مع أزواجهن.

قال **الهراس:** " إن هذه الأبواب لا تفتح إلا لمن يملك مفتاحها، ولا بد لهذا المفتاح من أسنان حتى يصلح للفتح، فمفتاح هذه الأبواب هي كلمة التوحيد وشهادة الإخلاص التي هي لا إله إلا اللّه، وأما أسنان هذا المفتاح فهي شرائع الإسلام كلها، من الصلاة والزكاة والصيام والحج والعمرة والجهاد وبر الوالدين وأداء الأمانة والإحسان إلى الجار " [٣].

وفي حديثه عن منشور أهل الجنة الذي يُوقَّع به لصاحبها، فقال:[٤]

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٦١.

(٢) المصدر السابق، ص٢٧٩.

(٣) شرح القصيدة النونية للهراس، ج٢ /٣٤٠.

(٤) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٦١.

هـــذا ومـــن يـــدخل فلـــيس بـــداخلٍ　　　إلا بتوقيـــــعٍ مـــــن الـــــرحمن

فقصر الدخول للجنان لمن أعطاه الله تعالى ذاك التوقيع، فيدخل مطمئناً لا خائفاً ولا محزوناً، وقد جاء بالنفي والاستثناء بـ [ليس التي أفادت معنى لا، والاستثناء بإلا]، فلا يدخل أحد إلا بعلمه وإذنه وتوقيعٍ منه تبارك وتعالى.

وجاء القصر أيضاً بـ [ما و إلا] في وصفه لأشجار الجنة وظلالها وثمارها، فقال:(١)

قـــال ابـــن عبـــاس ومـــا بالجنـــة الـــ　　　ـــعليا ســـوى أســـماء مـــا تريـــان

فلا يوجد من ثمار الجنة ونعيمها في الدنيا إلا الأسماء.

ونظير ذلك أيضاً في قوله:(٢)

ســـبب التنـــاول وهـــو يوجـــب لـــذةً　　　أخـــرى ســـوى مـــا نالـــت العينـــان

وقد ورد الاستثناء بـ [ما و إلا] في قوله:(٣)

مـــا ذاك إلا موضـــع الكعبـــين والـــزّ　　　نـــــدين لا الســـــاقان والعضـــــدان

فلو أن رجلاً من أهل الجنة اطّلع على أهل الأرض فبدا سواره لطمس ضوء الشمس.

قال **ابن عيسى**: " إنّ أهل الجنة مسوّرون بالذّهب والفضّة مكلّلون بالدرّ عليهم أكاليلٌ من درٍ وياقوت وتبلغ الحِلية منهم حيث يبلغ الوضُوء، عليهم تاجٌ كتاج الملوك شبابٌ جردٌ مكحلون" (٤).

فالحلية في هذا المشهد لا تكون إلا في موضع الكعبين والزندين، وهذا من تمام النعمة والجمال على أهل الجنة.

أما في وصفه لعرائس الجنات وحسنهن وجمالهن ولذة وصالهن، وهنّ في انتظار أزواجهن في الخيام المجوفة من اللؤلؤ والياقوت، فقال:(٥)

فتيمّمـــــوا تلـــــك الخيـــــام فآنســـــوا　　　فـــــيهنّ أقمـــــاراً بـــــلا نقصـــــان

مـــن قاصـــرات الطّـــرف لا تبغـــي ســـوى　　　محبوبهـــا مـــــن ســـــائر الشّـــبان

---

(١) شرح القصيدة النونية للهراس، ج٢/٣٦٧.

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٧٥.

(٣) المصدر السابق، ص٢٧٧.

(٤) توضيح المقاصد وتصحيح القواعد، ج٢/٥٤١.

(٥) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٧٨.

فإن نساء الجنة لا ينظرن لأحد في الجنة إلا لأزواجهن، فيقتصر طرفهن عليهم دون سائر الشبان، فجاء الاستثناء بـ [لا و إلا]، والذي أفاد معنى القصر والتخصيص.

٢- القصر مع [إنما]:

فيكون المقصور تبعاً للأداة مباشرة، والمقصور عليه متأخراً، كقوله تعالى:﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء ﴾ [فاطر:٢٨].

أما القول في إنما: فقد قال **عبد القاهر الجرجاني:** " اعلم أنها تفيد في الكلام بعدها إيجاب الفعل لشيءٍ ونفيَه عن غيره" (١).

ونظير ذلك ما أورده ابن القيم في قصيدته وهو يحث المؤمن للمسارعة في عمل الخير والسعي الجاد للوصول إلى الجنة، فقال:(٢)

أســـــرع وحــــث الســـــير جهـــــدَك إنّمـــا مســـراك هـــذا ســـاعةٌ لزمـــان

فقصر المسرى والسعي للوصول إلى الجنان ساعة من الزمن لا أكثر، لأن الدنيا كلها دقائق وثواني، وجاء القصر بـ [إنما]، والمقصور تبعاً لها، وهو المسرى والسعي والسبق إلى الله تعالى، وقد جاء المقصور عليه متأخراً وهو الساعة من الزمن.

ويقول **السكاكي**: والدليل على أن [إنما] تفيد القصر أمور عدة منها:(٣)

- **كونها متضمنة معنى [ما و إلا]** كقوله تعالى:﴿إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾[الأعراف:٣٣]، والمعنى: ما حرّم ربي إلا الفواحش.

وظهر ذلك من خلال وصفه لغناء الحور العين في الجنة لأزواجهن، وأنّ من سمع الغناء في الدنيا سيحرم سماع ذاك الغناء في الجنان، فقال:(٤)

قـــوت النفـــوس وإنمـــا القـــرآنُ قـــو تُ القلـــبِ أنّـــى يســـتوي القوتـــان

---

(١) دلائل الإعجاز للجرجاني، ص٣٣٥.

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٥٨.

(٣) مفتاح العلوم للسكاكي، ص٢٩١، وانظر: المصباح في المعاني لابن الناظم، ص ٩٦.

(٤) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٧٤.

فجاء بأداة القصر [إنما] وجاء المقصور تبعاً لها وهو القرآن، والمقصور عليه المتأخر وهو قوت القلوب، وتضمنت إنما معنى النفي والاستثناء، وعلى هذا يكون المعنى لا قوتَ للقلب إلا قوتُ القرآن.

- تأتي إنما لإثبات ما يذكر بعدها ونفياً لما سواه، كقوله تعالى:﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة:٦٠]، فقد أثبت هذه الصدقات للأصناف المذكورة ونفاها عن غيرهم.

ومثل ذلك في وصفه لحليّ أهل الجنة:[١]

مـــا ذاك يخـــتص الإنـــاثَ وإنّمـــا هـــو للإنـــاث كـــذلك للـــذكران

فقد جاء القصر بإنما، فأثبت ما بعدها وهو لباس الذهب والحرير للرجال والنساء على حدٍ سواء، وليس ذلك مختص بالنساء فقط، فإن حلى أهل الجنة من أصفى الجواهر الكريمة وأثمنها، وهي من اللؤلؤ والزبرجد وأساور العقيان المرصع باللؤلؤ والفضة.

وأقول: إن هذه الحلي لا تختص بالإناث في الجنة، بل هي للذكور والإناث جميعاً، وأن الحلي في الجنة على الرجال أحسن منه على النساء، لأنهم تركوا لباس الحرير والذهب في الدنيا ليظفروا بلباسها في الجنة.

٣- القصر بالعطف: ويكون العطف بـ [لا] و [بل] و [لكن]: [٢]

فالعطف بـ [لا]:

وذلك كقولك: " الفخر بالعلم لا بالمال"[٣].

وقولك أيضاً: " صداقة الجاهل تعبٌ لا راحة، فإن أداة العطف" لا " وسيلة للتخصيص"[٤].

أمّا مع [بل]:

والشـــمس لا تـــأتي بطـــرد اللَّيـــل بـــل يتصـــاحبان كلاهمـــا أخَـــوان[٥]

فجاء العطف بـ" بل " بعد النفي، وكان المقصور عليه بعدها وهو المصاحبة.

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٧٧.

(٢) جواهر البلاغة للهاشمي، ص ١٦٨.

(٣) من بلاغة القرآن، ص ١١٩.

(٤) علم المعاني، ص ١٦٠-١٦١.

(٥) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٨٠.

فالشمس تجري في محاسن وجهها، والليل تحت ذوائب شعرها الفاحم الجميل، فعجباً لشمسٍ وليلٍ كيف يجتمعان، ويبقيان فيها لا يستطيع كل منهما أن ينسخ الآخر، فلا الليل بمدرك شمسها فتغيب عند إقباله، ولا شمسها تأتي بطرد الليل وإدباره، بل هما فيها متلازمان كأنهما أخوان.

وفي وصفه لسلعة الله الغالية، والتي لا ترخص إلا على صاحب الأهواء والشهوات الذي يكسل عن طاعة الله تعالى، فيقول رحمه الله تعالى:(١)

يـــا ســـلعةَ الـــرَّحمن لســـتِ رخيصـــةً ... بـــل أنـــت غاليـــةٌ علـــى الكســـلان

فقد جاء العطف بـ " **بل** " المسبوق بالنفي، والمقصور عليه بعدها وهي الجنة، فجنة الله عروس، ومهرها قهر النفوس، ولا ينالها إلا صاحب التقوى والإيمان فهما ثمنها الذي لا تُنال إلا به من دون سائر الأثمان، ولكنها سلعة بائرة عند أهل الكفر والفجور والعصيان.

وفي حديثه عن تفاضل أهل الجنة في الدرجات العلى، فيصف ويقول:(٢)

مـــا ذاك مختصـــاً برســـل اللّـــه بـــل ... لهـــم وللصـــدّيق ذي الإيمـــان

فجاء العطف بـ " **بل** " وقد سبقت بنفي، وكان المقصور عليه بعدها.

فإن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدري من الأفق لتفاضل ما بينهم، فأعلى المنازل في الجنة للأنبياء، فهذه المنازل ليست لهم وحدهم، بل أيضاً لأناس آمنوا بربهم وصدّقوا المرسلين.

أما القصر مع [**لكن**]:

قال **الميداني**: " وتأتي للاستدراك بعد النفي، والعطف بها يفيد القصر " (٣).

ونظيره من القصيدة النونية، في قوله رحمه الله:(٤)

واللهِ لـــــم تخـــــرج إلـــــى الـــــدنيا ... للـــذة عيشـــها أو للحطـــام الفـــاني
لكـــن خرجـــتَ لكـــي تعـــدّ الـــزَّاد للـــ ... أخـــرى فجئـــتَ بـــأقبح الخســـران

فأنت أيها العبد لم تخرج لهذه الدنيا من أجل الشهوات والملذات، بل لتتزود ليوم الرحيل واللقاء، ويكون المقصور عليه بعد لكن وليس قبلها.

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٩٧.

(٢) المصدر السابق، ص٢٦٣.

(٣) البلاغة العربية للميداني، ج٥٣٥/١.

(٤) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٧٩.

ونظير ذلك أيضاً:[١]

والله لا يرضى بكثرة فعلنا ... لكن بأحسنه مع الإيمان

فجاء العطف مع لكن المسبوقة بالنفي، والتي أفادت القصر، وكان المقصور عليه بعدها وهو أحسن الأعمال وأصفاها وأنقاها، فالله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً لوجهه الكريم.

٤– تقديم ما حقه التأخير:

وكذلك قوله تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِن مَّعِين * بَيْضَاء لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِين * لاَ فِيهَا غَوْلٌ وَلاَ هُمْ عَنْهَا يُنزَفُون﴾ [الصافات: ٤٥ـ ٤٧]، " فالله تعالى يصف خمر الآخرة بأنها لذة للشاربين، ونفى عنها الفساد والإهلاك شأن خمر الدنيا، أي: ليس في خمر الآخرة ما يغتال عقل الإنسان ويفسده، فتقدم الخبر وهو الجار والمجرور، فأفاد الاختصاص، أي أنه نفى الغول عن خمر الآخرة دون أن يتعداها إلى خمر الدنيا، فإن فيها غولاً، فالقصر هنا مفهوم من التقديم "[٢].

وأقول: لقد نفى الغَول عن خمر الآخرة وأثبته في خمر الدنيا.

وقوله تعالى: ﴿اللّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاء وَيَقَدِرُ﴾[الرعد:٢٦]، فالله وحده الذي يبسط الرزق ويقدره لعباده لا غيره، فتقديم الفاعل على الفعل أفاد القصر، ولو قدّم الفعل على الفاعل لأفاد معنىً آخر، وهو أن الله ليس مختصاً وحده ببسط الرزق، وإنما يشاركه فيه غيره، فإفادة القصر جاءت من التقديم.

ونظير ذلك ما ورد في القصيدة الكافية الشافية في قول ابن القيم:[٣]

فيهنّ حورٌ قاصراتُ الطّرف خيـ ... ـراتٌ حسانٌ هنّ خيرُ حسانِ

فتقديم الجار والمجرور في هذا المشهد أفاد الاختصاص لهؤلاء الحور لا يتعدى لغيرهن من النساء، فهن الخيرات الحسان ذوات الحسن والبهاء، فطوبى لمن كنّ له وكان لهنّ.

ونظير ذلك أيضاً ما جاء في وصف جمال الحور العين والنور الذي يسطع من ثغرها لحظة تبسمها في وجه زوجها، فيقول:[٤]

---

(١) شرح القصيدة النونية للهراس، ج١/٩٩.

(٢) فن البلاغة، عبد القادر حسين، ص١٧٥.

(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٧٠.

(٤) المصدر السابق، ص٢٨٠.

والبـــرقُ يبـــدو حـــين يبســـم ثغرهـــا   فيضـــئُ ســـقفَ القصـــرِ بالجـــدران

فالبرق وحده الذي يبدو لا غيره، وأن هذا البرق مختص بثغرها وابتسامتها لزوجها لا شئ دون ذلك، فتقديم الفاعل على الفعل أفاد القصر والاختصاص.

أقسام القصر:

الأول: القصر باعتبار الحقيقة والإضافة، وهو نوعان:

١- **قصرٌ حقيقي:** "وهو أن يختص المقصور بالمقصور عليه بحسب الحقيقة والواقع لا يتعداه إلى غيره" (١).

ويقول **الميداني:** " وحينما نقول: "لا إله إلا الله"، فإننا نقصر وصف الإلهية الحق على موصوف هو الله وحده، فهو قصر حقيقي من باب قصر الصفة على الموصوف" (٢)، فلا يوجد في الوجود كله معبود بحق سوى الله عز وجل، وقوله تعالى:﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾[الرعد:١٩]، فهذا قصرٌ حقيقي مضمونه صادقٌ مطابقٌ للواقع، فالتذكر صفة مقصورة على أولي الألباب لا تتجاوزهم إلى غيرهم من الناس في الحقيقة والواقع، وهذا القصر لا يكون إلا في قصر الصفة على الموصوف.

ونظير ذلك ما ذكره ابن القيم، فقال:

قـــوت النفـــوس وإنمـــا القـــرآنُ قـــو   تُ القلـــبِ أنّـــى يســـتوي القوتـــان

فهذا قصر حقيقي، فالقرآن هو قوت القلب، فلا تجد قوتاً شافياً كافياً له غير ذلك، فاقتصر قوت القلب على الإيمان والتوحيد، وهذا القصر من باب قصر الصفة على الموصوف.

٢- **قصر إضافي:** " وهو ما ذكر على سبيل المبالغة والادّعاء المجازي" (٣).

ويقول **السيوطي:** " وهو ما كان التخصيص فيه بحسب الإضافة إلى شئ آخر، وهذا القصر يكون في قصر الموصوف على الصفة، والصفة على الموصوف، والمراد بالصفة هنا المعنوية"(٤).

---

(١) من بلاغة القرآن، ص١٢٠.

(٢) البلاغة العربية للميداني، ج١/٥٢٥.

(٣) المصدر السابق، ج١ / ٥٢٤ .

(٤) شرح عقود الجمان للسيوطي، ص٩٠ .

ونظير ذلك قوله تعالى:﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾[آل عمران:١٤٤]، فالنبي محمد عليه الصلاة والسلام مقصور على الرسالة بالإضافة إلى شئٍ آخر، فهو العابد الداعي القائد، وهذا لا يعني أن الرسالة مختصة به وحده.

الثاني: القصر باعتبار الطرفين، وهو قسمان:

١- **قصر الصفة على الموصوف:** كقوله تعالى:﴿وَمَا أَضَلَّنَا إِلاَّ الْمُجْرِمُون﴾[الشعراء:٩٩]، فقد أثبت صفة الضلال للمجرمين دون غيرهم وقوله تعالى:﴿وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُون﴾[البقرة:٥]، فصفة الفلاح مقصورة عليهم لا تتجاوز من سواهم من الناس، وهذا من باب قصر الصفة على الموصوف.

ونظير ذلك قوله:(١)

السابقون هم وقد كانوا هنا　　　أيضاً أولي سبق الى الإحسان

فقد أثبت صفة السبق للزمرة الأولى التي تدخل الجنة دون غيرهم ممن سيدخلها بعدهم، فاقتصر السبق عليهم فلا يتجاوزهم لغيرهم، وهو من باب قصر الصفة على الموصوف.

ومنه قوله رحمه الله:(٢)

هذا وأولهم دخولاً خيرُ خلـ　　　ـقِ الله من قد خُصَّ بالقرآن

فصفة الدخول للجنة مقتصرة على خير خلق الله تعالى وهو رسولنا الكريم، ثم باقي الخلق، فقد أثبت دخول الجنة لرسول الله قبل الخلائق جميعاً، وهذا من باب قصر الصفة على الموصوف، فالحقيقة في ذلك أن رسول الله ﷺ هو أول من يطأ الجنة ثم الأنبياء، ثم أمته الكريمة.

٢- **قصر الموصوف على الصفة:**

ويورد ابن القيم في قصر الموصوف على الصفة قولاً رائعاً في مدحه للأنبياء من أولي العزم، فقال:(٣)

وأخَصُّ أهلِ الذكر بالرحمن أعـ　　　ـلمُهم بها هم صفوة الرحمن

وهم أولو العزم الذين بسورة الأ　　　حزاب والشورى أتوا ببيان

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٦٣.

(٢) المصدر السابق، ص٢٦٦.

(٣) شرح القصيدة النونية للهراس، ج٢/١٩٨.

فقد خص هؤلاء الأنبياء الكرام بصفة الذكر والطاعة لله تعالى، فاقتصر الأنبياء الذين هم صفوة الرحمن على هذه الصفة لأنهم أعلم الخلق بالله تعالى وأتقاهم له.

ثم يورد قصراً آخر وهو: اقتصار ذكرهم في سورة الأحزاب والشورى دون غيرهم لكرامتهم عند الله تعالى وخلّتهم له.

قال **الهراس:** " فالأنبياء أكثر الذاكرين اختصاصاً بالرحمن وأقربهم إليه منزلةً وأعلمهم بصفاته، فهم خيرة اللّه وصفوته من عباده، ولهذا كانوا أفضل البشر على الإطلاق لأنهم أوتوا من العلم بصفات اللّه تعالى ما لم يؤته أحد غيرهم، وهم كذلك متفاوتون فيما بينهم فأكملهم، الخليلان محمد وإبراهيم ثم موسى ثم عيسى ثم نوح، فهم في الفضل على هذا الترتيب، وهم أولو العزم الذين ذكرهم اللّه عز وجل في سورتي الأحزاب والشورى كما سبق بيانه" [١].

وفيما أورده في رؤية أهل الجنة لربهم تبارك وتعالى، ونظرهم إلى وجهه الكريم، وإنكار أهل الضلالات والأهواء لتلك الرؤية وردّه عليهم وإبطال حجتهم، فيقول رحمه الله:[٢]

ويرونـــــه ســـــبحانه مــــن فــــوقهم	**نظـــر العيـــان كمـــا يـــرى القمـــران**
هــــذا تـــواتر عـــن رســـول الله لـــم	**ينكــــــره إلا فاســــــد الإيمــــــان**

فاقتصر إنكار الرؤية لله تبارك وتعالى في الجنة على فاسد الايمان لا تتعداه لغيره، فالله تبارك وتعالى يتجلى لعباده فينظرون لوجهه الكريم كما ينظرون للقمر ليلة تمامه دون ضيم وتضجر.

الثالث: القصر باعتبار حال المخاطب:

١ـ قصر الإفراد:

يقول **ابن الناظم:** " وقصر الإفراد يفيد تخصيص الأمر ببعض ما يعتقد السامع ثبوته له"[٣].

" وذلك إذا اعتقد المخاطب الشركة في الحكم بين المقصور وغيره، كقولك: " ما زيد إلا شاعر"، وذلك لمن اعتقد أنه كاتب بالإضافة إلى الشعر، فيتم إفراد هذه الصفة له دون غيره"[٤].

(١) شرح القصيدة النونية للهراس، ج٢ /١٩٩ .

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٨٧.

(٣) المصباح في المعاني والبيان والبديع، لابن الناظم، ص٩٤.

(٤) من بلاغة القرآن، ص١٢٣.

وفي وصفه لنساء الدنيا اللواتي أشغلن أنفسهن في دمالج الدنيا وزينتها ومتاعها الفاني، وسوء الأخلاق في المعاشرة، والهم والغم الذي لا ينتهي إلا بالطلاق أو الموت، ونقص دينها وعقلها، ونفارها ونقارها، فيصف ويقول:(١)

مـــا هاهنـــا إلا النقـــارُ وســـيءُ الـــــ أخـــلاقِ مـــع عيـــبٍ ومـــع نقصـــانِ

فأفرد صفة النقار وسوء الأخلاق لنساء الدنيا الفانيات، لمن اعتقد أنهن كاملات العقل والدين، وتقدير الكلام: ما هاهنا إلا النقار فقط، وقد ورد القصر فى مواضع قليلة، لذلك لم أتطرق لذكرها والاستشهاد بها في هذه المواضع.

ويقول **القزويني:** " ويأتي قصر الإفراد لقطعه الشركة بين الصفتين في الثبوت للموصوف، أو بين الموصوف وغيره في الاتصاف بالصفة" (٢).

٢- قصر القلب:

ويكون في حالة اعتقاد المخاطب عكس الحكم الذي يثبته القصر، وسمّى بقصر القلب لقلبه حكم السامع، كقولك: " ما زيد إلا شاعر" لمن اعتقد أنه ليس بشاعر، أو العكس.

٣- قصر التعيين:

ويأتي في حال أن المخاطب متردد في الحكم بين المقصور عليه وغيره، كقولك: " ما زيد إلا شاعر" لمن تردد في إثبات الحكم لزيد هل هو كاتب أم شاعر، فيتم التعيين بأسلوب القصر.

ويورد ابن القيم في وصفه وذكره لسن أهل الجنة، فيقول:(٣)

وصـــغيرُهم وكبيـــرُهم فـــي ذا علـــى حـــدّ ســـواءٍ مـــا ســـوى الولـــدان

ويشير في هذا المشهد إلى أهل الجنة وأنهم جميعاً على سنٍ واحد، سواءً أكانوا صغاراً أم كباراً، فلا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبُهم على قلب رجلٍ واحدٍ يسبّحون الله بكرة وعشياً، وأما الولدان المخلدون القائمون على خدمة أهل الجنة فأحوالهم مختلفة وخاصة سنّهم، وقد جاء بقصر التعيين في الولدان المخلدين لمن كان يظنّ أن قاماتِهم وطولهم وعرضهم وسنّهم كسنّ أهل الجنة من الرجال والنساء.

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٨٣.

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني، ص ١٢٣ .

(٣) المصدر السابق، ص٢٦٤.

وفي وصفه لتلك الحوراء الشابة الجميلة لأحسن الشبان والتي تنتظر زوجها باشتياق ولوعةٍ وتلطف، فيفضي إليها بلا خوران، فيأخذ بكارتها الطاهرة التي لم يطمثها قبله إنس ولا جان، فيصف ويقول:[١]

بكــرٌ فلــم يأخــذ بكارتهــا ســوى الــــ ـــــمحبوب مـــن إنـــسٍ ولا جـــانِ

وقد جاء بقصر التعيين في هذا المشهد وخاصة أن المخاطب كان مترددًا في الحكم بين المقصور عليه وغيره، فأراد أن يثبت الحكم بأن الذي سيأخذ بكارتها هو المحبوب لا غيره من إنسٍ ولا من جان.

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية،، ص٢٨٢.

الفصل الثاني
الإشارات البيانية في وصف الجنة

ويشتمل على خمسة مباحث:

المبحث الأول: مصادر التصوير البياني من القرآن الكريم والسنّة النبوية في القصيدة النونية

المبحث الثاني: التشبيه

المبحث الثالث: الاستعارة

المبحث الرابع: الكناية

المبحث الخامس: المجاز

المبحث الأول
مصادر التصوير البياني من القرآن الكريم والسنّة النبوية في النونية

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى في باب ما أعد الله تعالى في الجنة لعباده وأوليائه المتمسكين بالكتاب والسنّة المطهرّة:[١]

يـــا خاطــبَ الحــور الحســان وطالبــاً لوصـــالهنّ بجنـــة الحيـــوانِ

فإن جنة الحيوان هي جنة الحياة، وفي هذا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤] ويبيّن أن مسكن الحور العين هو الجنة وهذا أفضلُ مكانٍ وأعلى مكان وفوقها عرش الرحمن.

ويقول رحمه الله في **حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح:** " والصواب أن كلمة الحيوان تقع على ضربين: أحدهما مصدر، والثاني وصف، ويحتمل قول الله تعالى في الآية الكريمة معنيين هما:

الأول: أن حياة الآخرة هي الحياة، لأنه لا تتغيصّ فيها ولا نفاد، فلا يشوبها ما يشوب الحياةَ في هذه الدار، فيكون الحيوان في هذا الموضع مصدراً.

الثاني: أن يكون المعنى: أنها الدار التي لا تفنى ولا تنقطع، ولا تبيد كما يفنى الأحياء في هذه الدنيا، فهي أحق بهذا الاسم من الحيوان الذي يفنى ويموت" [٢].

ويحثّ ابن القيم السامع للعمل والسعي من أجل الوصول إلى الدرجات العلا، ولو عرف الإنسان قيمة هذا المسكن لكان سعيُه على الأجفان لها إن لم تسعفه الأقدام، فجنةُ الحيوان هي الحياة الحقَّةُ ومنزل الكرامة والرضوان.

ويتطرق ابن القيم إلى وصف الدنيا الخسيسة الفانية وأهلها الذين آثروها على الآخرة، فهم أهل السفاهة والجهالة والحماقة أنجس السكان، فإنهم يتمتعون في نعيم الدنيا الزائل ويجمعون ويأكلون كما تأكل الأنعام ويظنون أن السعادة في ذلك، وفي المقابل فإن المؤمنَ يرتقب ما عند الله تعالى من الخير والنعيم ويعلم أن هذه الدنيا سجن زائل لا محالة، فيقول:

ســـجنٌ يضـــيقُ بصـــاحب الإيمـــان لـــ ـــكن جنـــةُ المـــأوى لـــذي الكفـــران

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٥٨.

(٢) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، ابن قيم الجوزية، تح: زائد بن أحمد النشيري، دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٨هـ، ص١٩٩.

ويشير في ذلك إلى ما رواه أبو هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:" الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر" (١). فإن الدنيا حبسٌ للمؤمن وسجنٌ له لأنه يلقى فيها المكاره، ويصوّم نفسه عن مراتع الشهوات ويثقلها بقيود الطاعات، ولكنها مرتعٌ للكافر يلهث خلف شهواته الدنيئة.

ثم يصف ابن القيم حال أهل الدنيا الذين اشتعلت قلوبهم بالشهوات والشبهات والحسرات والآلام وتركهم للمقصد الذي خُلقوا من أجله فقال:(٢)

هربــوا مــن الــرق الــذي خُلقــوا لــه　　　فبُلــوا بــرقّ الــنفس والشــيطان

وفي هذا إشارة إلى قوله تعالى:﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾[الذاريات: ٥٦].

ويقول **ابن عيسى:** " لقد استخدمَتهم الشياطينُ واسترقّتهم في تحصيل الشهوات الفانية، وجمع عرض الدنيا الخسيس، وحطامها الفاني" (٣).

ويتطرق ابن القيم في وصفه لهذه الدنيا فيقول:

لــو ســاوت الــدنيا جنــاحَ بعوضــةٍ　　　لــم يســقِ منهــا الــربُّ ذا الكفــران

ويشير في ذلك للحديث الذي رواه سهلُ بن سعد ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: " لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضةٍ ما سقى كافراً منها شربةَ ماء" (٤).

ثم ينتقل إلى وصف الجنة التي أعدّها الله للطيّبين الطاهرين ويشوّقنا لسماع صفاتها وأوصافها، فيقول:(٥)

هــي جنــةٌ طابــت وطــاب نعيمُهــا　　　فنعيمُهــا بــاقٍ ولــيس بفــانِ

دارُ الســلام وجنــةُ المــأوى ومنــ　　　ــزلُ عســكرِ الإيمــان والقــرآن

فالــدارُ دارُ ســلامة وخطــابُهم　　　فيهــا ســلامٌ واســم ذي الغفــران

فقد سمّاها الله تعالى بدار السّلام في قوله:﴿ لَهُمْ دَارُ السَّلاَمِ عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾

[الأنعام: ١٢٧]، وقوله تعالى:﴿ وَاللّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلاَمِ ﴾[يونس: ٢٥].

(١) رواه مسلم ج٤/٢٢٧٢، كتاب الزهد .

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٥٩.

(٣) توضيح المقاصد وتصحيح القواعد، ج٢/٤٦٦ .

(٤) رواه الترمذي ج٤/١٣٨، باب ما جاء في هوان الدنيا.

(٥) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٦٠.

وأما جنةُ المأوى فهذا ما تضمّنه قوله تعالى: ﴿أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلاً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُون﴾[السجدة: ١٩]. ويشير ابن القيم في **حادي الأرواح** إلى أن الجنةَ دارُ السلام من ثلاثة وجوه:[١] " أنها دارُ السلامة من كل بلية وآفةٍ ومكروه، وأن الله تعالى اسمه السلام الذي سلّمها وسلّم أهلها، فهي دار الله السلام، وأنّ الله سبحانه يسلّم عليهم كما في قوله:﴿سَلامٌ قَوْلاً مِن رَّبٍّ رَّحِيم﴾[يس: ٥٨]، والملائكة يسلّمون عليهم كما في قوله تعالى:﴿وَالمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَاب سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّار﴾[الرعد:٢٣ـ ٢٤]، وكلامهم كله فيها سلام كما قال تعالى:﴿لاَ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إلاَّ سَلامًا ﴾[مريم: ٦٢].

ويقول **سيد قطب في ظلال القرآن:** " ففي الجنات يأتلف شملهم مع الصالحين من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم، وفي هذا التجمع يشترك الملائكة في التأهيل والتكريم في حركة رائحة غادية، فهو مهرجان حافل باللقاء والسلام والحركة الدائبة والإكرام "[٢].

أما في عدد درجات الجنة وما بين الدرجتين، فيقول الإمام ابن القيم:[٣]

درجاتُهـــا مائـــةٌ ومـــا بـــين اثنتيـــ	**ـــنِ فـذاك فـــي التحقيـق للحســبان**
مثــلُ الــذي بــين الســماءِ وبــين هــ	**ـــذي الأرضِ قـــولُ الصـــادقِ**
لكـــنّ عاليَهـــا هـــو الفـــردوسُ مســـ	**ـــقوفٌ بعـــرش الخـــالق الـــرحمن**
وســـطُ الجنـــان وعلوّهـــا فلـــذاك كـــا	**نـــت قبـــةً مـــن أحســـن البنيـــان**
منـــه تفجّـــر ســـائرُ الأنهـــار فالـــ	**ـــمنبوعُ منـــه نـــازلاً بجنـــان**

ويشير إلى ما رواه أبو هريرة ﷺ فقال: قال رسول الله ﷺ: " إن في الجنة مائةَ درجة أعدّها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين ما بين السماء والأرض فإذا سألتم اللهَ فاسألوه الفردوس فإنه أوسطُ الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجّر أنهار الجنة" [٤]، ودرجات الجنة كثيرةٌ ومتفاوتة بحيث لا يعلم عِظَمها وتباهيها إلا الله، فهم درجات عند الله جزاءً بما كانوا يعملون.

---

(١) حادي الأرواح، ص١٩٤.
(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط٣٩، ١٤٣٢هـ، ٢٠١١م، ج٤/٢٠٥٨.
(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٦٠.
(٤) رواه البخاري ج٣/١٠٢٨، كتاب الجهاد والسير.

أما في وصفه لأبواب الجنة، فيقول:[(١)]

أبوابُهـــا حـــقٌ ثمانيـــةٌ أتـــت	فـي الـنصّ وهـي لصـاحب الإحسـان
بـــابُ الجهـــادِ وذاك أعلاهـــا ويـــا	بُ الصـــــوم يُـــــدعي البـــابُ
ولكـــلٍّ ســـعيٍ صـــالحِ بـــابٌ وربٌّ	الســـعي منـــه داخـــلٌ بجنـــان
ولســـوف يُـــدعي المـــرءُ مـــن أبوابهـــا	جمعـــاً إذا وفّـــي حُلـــى الإيمـــان
مـــنهم أبـــو بكـــرٍ هـــو الصـــدّيق ذا	ك خليفـــةُ المبعـــوثِ بـــالقرآن

ولقد ورد ذلك في القرآن الكريم بأن للجنة أبواباً، فقال تعالى:﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ﴾ [الرعد: ٢٣]، وقال تعالى:﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الْأَبْوَابُ﴾[ص: ٥٠]، وقال تعالى:﴿حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾[الزمر: ٧١]، وجاء في السنّة المطهرة أن عدد أبواب الجنة ثمانية وذلك ما رواه سهل بن سعد ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: " في الجنة ثمانيةُ أبواب، بابٌ منها يسمّى الريّان لا يدخله إلا الصائمون"[(٢)]، وفي حديث عمر بن الخطاب ﷺ عن النبي ﷺ قال: " ما منكم من أحدٍ يتوضأ فيبلغ أو يسبغ الوضوء ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إلا فُتحت له أبوابُ الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء" [(٣)].

ويقول **صاحب الظلال:** " لهم جنات عدنٍ مفتحة لهم، ولهم فيها راحة الاتكاء ومتعة الطعام والشراب، ومتعة الحوريات الشواب، وهن مع شبابهن قاصرات الطرف لا يتطلعن ولا يمددن بأبصارهن، ولهم متاع دائم ما له من نفاد"[(٤)].

وينتقل ابن القيم للحديث عن تلك الأبواب وتفصيلها كما وردت في أحاديث رسول الله ﷺ فتضمن كلامه معنى الحديث الذي يرويه أبو هريرة ﷺ الذي قال فيه: قال رسول الله ﷺ: "من أنفق زوجين في شيء من الأشياء في سبيل الله دُعي من أبواب الجنة: يا عبد الله هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دُعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دُعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة دُعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دُعي من باب الصيام"، فقال

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٦٠.

(٢) رواه البخاري ج١١٨٨/٣، كتاب بدء الخلق باب صفة أبواب الجنة، ورواه مسلم ج٨٠٨/٢، باب حفظ اللسان للصائم.

(٣) رواه مسلم ج٢٠٩/١، باب الذكر المستحب عقب الوضوء .

(٤) في ظلال القرآن، سيد قطب، ج٣٠٢٣/٥.

أبو بكر: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما على من دُعي من تلك الأبواب من ضرورة، فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟ فقال: " نعم وأرجو أن تكون منهم" [1].

ويشير رحمه الله إلى وصف أبواب الجنة ومقدار ما بين مصراعي الباب الواحد فيقول:[2]

لكـــنّ بينهمـــا مســـيرة أربعيـــــــ ـــــن رواه حبـــر الأمـــة الشـــيباني

وهذا إشارةٌ إلى الحديث المرفوع الذي رواه الإمام أحمد عن حكيم بن معاوية عن أبيه ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:" أنتم توفون سبعين أمة، أنتم آخرها وأكرمها على الله عز وجل، وما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين عاماً، وليأتينّ عليه يومٌ وإنه لكظيظ" [3].

وجاء في حديث الشفاعة الطويل أن النبي ﷺ قال: " والذي نفسي بيده إنّ ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وحميَر أو كما بين مكة وبصرى" [4].

أما ما أورده في وصف مفتاح باب الجنة فقال:[5]

هـــذا وفـــتحُ البـــابِ لـــيس بممكـــنٍ إلا بمفتـــــاحِ علـــــى أســـــنان

مـفـتاحُـــه بشـــهـــادة الإخــــلاص حـــيد تـــلك شـــهـــادةُ الإيــــمان

أســـنانُه الأعمـــالُ وهـــي شـــرائع الـــ إســـــلامِ والمفتـــــاحُ بالأســـــنان

ومصداق ذلك ما رواه وهب بن منبه ﷺ عندما قيل له: أليس لا إله إلا الله مفتاح الجنة؟ قال: بلى ولكن ليس من مفتاحٍ إلا وله أسنان، فإن جئت بمفتاحٍ له أسنان فُتح لك وإلا لم يفتح لك"[6].

ويذكر ابن القيم كلاماً في تمام الروعة والبيان فيقول: " وقد جعل الله سبحانه لكل مطلوبٍ مفتاحاً يفتح به، فجعل مفتاح الصلاة الطهور، ومفتاح الحج الإحرام، ومفتاح البرّ الصدق، ومفتاح الجنة التوحيد ومفتاح كل خير: الرغبةُ في الله والدار الآخرة، ومفتاح كل شر: حبّ الدنيا وطول الأمل، ثم قال: وهذا بابٌ عظيم من أنفع أبواب العلم، وهو معرفة مفاتيح الخير والشر، ثم ذكر

(١) رواه البخاري ج٢/٦٧١، كتاب الصوم، باب الريان للصائمين، ورواه مسلم ج٢/٧١١، باب من جمع الصدقة وأعمال البر.

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٦١.

(٣) رواه أحمد في مسنده ،ج٣٣/٢٢٨ رقم الحديث ٢٠٠٢٥.

(٤) رواه البخاري ج٤/١٧٤٥، كتاب تفسير سورة الإسراء.

(٥) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٦١.

(٦) رواه البخاري ج١/٤١٥، باب الجنائز ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله.

مفاتيح عدّة وقال: ينبغي للعبد أن يعتنيَ كل الاعتناء بمعرفة المفاتيح وما جُعلت المفاتيح له، والله من وراء توفيقه وعدله، له الملك وله الحمد وله النعمة والفضل لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون"[1].

ويقول **الهراس:** " ويجب ألا يُفهم منها أن لا إله إلا الله بمجردها كافية في دخول الجنة والنجاة من النار، بل لابد معها من حقوقها التي هي أسنان المفتاح "[2].

ثم يورد لنا الإمام ابن القيم قولاً رائعاً في توقيع الجنة ومنشورها الذي يوقِّعُ به لأصحابها بعد الموت وعند دخولها، فيقول:[3]

هـــذا ومـــن يـــدخل فلـــيس بـــداخلٍ	**إلا بتوقيـــــعٍ مـــــن الـــــرحمن**
ولـــذلك يكتـــب للفتـــى لدخولـــه	**مـــن قبـــل توقيعـــان مشـــهودان**
إحـــداهما بعـــد الممـــات وعـــرضُ أر	**واحِ العبـــاد بـــه علـــى الـــديّان**
فيقـــول ربُّ العـــرش جـــل جلالـــه	**للكـــاتبين وهـــم أولـــو الـــديوان**
ديـــوانُ عليـــينَ أصـــحابُ القـــرآ	**نِ وســـنةُ المبعـــوث بـــالقرآن**

ويشير في ذلك إلى حديث البراء بن عازب ﷺ أنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة... وساق الحديث بطوله، وفيه: " اكتبوا كتاب عبدي في عليين ..." [4].

ويقول ابن القيم: إن الله تعالى يقول: **﴿كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّين * وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّون * كِتَابٌ مَّرْقُوم * يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُون﴾**[المطففين: ١٨ـ ٢١].

فإن الله تعالى أخبر أن كتابهم كتابٌ مرقوم تحقيقاً لكونه مكتوباً كتابة حقيقية، وخص تعالى كتاب الأبرار بأنه يُكتب ويُوقّع لهم به بمشهد المقربين من الملائكة والنبيين وسادات المؤمنين، ولم يذكر شهادة هؤلاء لكتاب الفجّار تنويهاً بكتاب الأبرار وما وقّع لهم به، وإشهاراً له وإظهاراً بين خواص خلقه كما يكتب الملوك تواقيع من تعظمه بين الأمراء وخواص أهل المملكة تنويهاً باسم المكتوب له وإشادةً لذكره، وهذا نوع من صلاة الله سبحانه وتعالى وملائكته على عبده"[5].

---

(١) حادي الأرواح، ص١٣٩ـ١٤٠.

(٢) شرح القصيدة النونية للهراس، ج٢ /٣٤٠.

(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٦١– ٢٦٢.

(٤) رواه أحمد في مسنده، ج٣٠/٤٩٩، رقم الحديث ١٨٥٣٤.

(٥) حادي الأرواح، ص١٤١.

ويقول رحمه الله:[1]

هـذا وقـد كُتـب اسـمه مـذ كـان فـي الــ   أرحـــــام قبـــــل ولادة الإنســــــان

ويتضمن هذا البيت معنى حديث عبد الله بن مسعود ﷺ الذي قال فيه: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: " أن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً وأربعين ليلةً، ثم يكون علقةً مثله، ثم يكون مضغةً مثله، ثم يبعث إليه الملك فيؤذن بأربع كلمات فيكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد..."[2].

ثم يثني على الله بما هو أهله، فهو صاحب الفضل والمنة وهو المسبّح والممجد وعالم السر والعلن في كل لحظة وحين سبحانه عما يقولون علواً كبيراً ويقول:

والأمـــرُ مـــن قبـــلٍ ومـــن بعـــدٍ لــــه   ســـــبحانك اللهـــــم ذا الســـــلطان

ويشير في ذلك إلى قوله تعالى:﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ﴾[الروم: ٤]، ويتطرق للحديث عن صفوف أهل الجنة فيقول:

هـــذا وإنّ صـــــفوفهم عشــــرون مــــع   مائـــــةٍ وهــــذي الأمــــة الثلثــــان

وتم اقتباسُ هذا البيت من حديث بريدة عن أبيه ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: " أهلُ الجنة عشرون ومائة صف، منهم ثمانون من هذه الأمة" [3].

ويشير أيضاً إلى حديث أبى هريرة ﷺ الذي قال فيه: لما نزلت﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ * وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ [الواقعة: ٣٩ ـ ٤٠] قال رسول الله ﷺ: " أنتم ربع أهل الجنة، أنتم ثلث أهل الجنة، أنتم نصف أهل الجنة، أنتم ثلثا أهل الجنة "[4].

ويقول أيضاً:[5]

ولقـــد أتانـــا فـــي الصـــحيح بـــأنهم   شـــطرٌ ومـــا اللفظـــان مختلفـــان
إذ قـــال أرجـــو أن تكونـــوا شـــطرَهم   هــــذا رجـــاءٌ منـــــه للــــرحمن

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٦١- ٢٦٢.

(٢) رواه البخاري، ج٢٧١٣/٦، كتاب التوحيد، باب " ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ".

(٣) رواه أحمد في مسنده، ج٢٣/٣٨، رقم الحديث: ٢٢٩٤٠ .

(٤) المصدر السابق، ج٣٨/١٥، رقم الحديث ٩٠٨٠٠ .

(٥) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٦٣.

ويشير إلى قول النبي ﷺ في حديث أبي سعيد الخدري ﷺ: " وإني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة " فكبرنا، ثم قال: " ثلث أهل الجنة " فكبرنا، ثم قال: " شطر أهل الجنة " فكبرنا"(١).

أما في صفة أول زمرةٍ تدخل الجنة فقال:(٢)

هـــــذا وأول زمـــــرةٍ فوجـــــوههم	**كالبـــدر ليـــل الســـت بعـــد ثمـــان**
الســـابقون هـــم وقـــد كـــانوا هنـــا	**أيضـــاً أولـــى ســـبق إلـــى الإحســـان**

فقد أشار إلى ما رواه أبو هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: " أول زمرةٍ تدخل الجنةَ على صورة القمر ليلة البدر، والذين على إثرهم كأشد كوكب إضاءةً، قلوبهم على قلب رجلٍ واحد لا اختلاف بينهم ولا تباغض، لكل امرئٍ منهم زوجتان، كل واحدةٍ منهما يُرى مخ ساقها من وراء لحمها من الحسن، يسبّحون الله بكرةً وعشياً، لا يسقمون، ولا يمتخطون، ولا يبصقون، آنيتهم الذهب والفضة، وأمشاطهم الذهب، ووقود مجامرهم الألوة ـ قال أبو اليمان : يعني العود ـ ورشحهم المسك"(٣).

وقد قال ابن القيم في قوله تعالى:﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُون﴾[الواقعة: ١٠] " لقد اختلف في تقريرها على ثلاثة أقوال:

فالأول: أنه من باب التوكيد اللفظي ويكون الخبر في ذلك قوله ﷻ:﴿أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُون﴾[الواقعة: ١١].

والثاني: أن يكون السابقون الأول مبتدأ، والثاني خبر له.

والثالث: أن يكون الأول غير الثاني ويكون المعنى في هذه الحالة: السابقون في الدنيا إلى الخيرات هم السابقون يوم القيامة إلى الجنات، والسابقون إلى الإيمان هم السابقون إلى الجنان وهذا أظهر والله أعلم" (٤).

ويقول سيد قطب في كتاب **مشاهد القيامة:** " فالسابقون هم المحرومون في الدنيا الذين صبروا على الشظف، وسارعت نفوسهم إلى الإيمان واثقين في فضل الرحمن، وقد جاءت صورة النعيم مادية شاخصة للنعيم المادي المحسوس"(٥).

---

(١) رواه البخاري ج٤/ ١٧٦٧، باب " وترى الناس سكارى" .

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٦٣.

(٣) رواه البخاري ج٣/١١٨٦، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة .

(٤) حادي الأرواح، ص ٢٣٤ ـ ٢٣٥.

(٥) مشاهد القيامة في القرآن، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الرابعة عشر، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م، ص١٢٨.

ثم ينتقل بنا رحمه الله تعالى للحديث عن تفاضل أهل الجنة في الدرجات العُلا فيقول:[1]

ويــرى الـــذين بـــذيلها مَـــن فـــوقهم ... مثـــلَ الكواكـــبِ رؤيـــةً بعيـــان

مـــا ذاك مختصـــاً برســـل الله بـــل ... لهـــم وللصـــدّيق ذي الإيمـــان

وهو يقصد من وراء ذلك معنى الحديث الذي رواه أبو سعيد الخدري ﵁ عن النبي ﷺ قال: " إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم " قالوا يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم، قال: " بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدّقوا المرسلين" [2].

أما في ذكر أعلى أهل الجنة منزلةً وأدناهم فيقول:[3]

هـــذا وأعلاهـــم فنـــاظر ربـــه ... فـــي كـــل يـــومٍ وقتـــه الطرفـــان

وهو يشير إلى ما رواه ثوير، أنه قال: سمعتُ ابن عمر يقول: قال رسول الله ﷺ: " إن أدنى أهل الجنة منزلةً لمن ينظر إلى جنانه وأزواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة ألف سنة، وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوةً وعشية " ثم قرأ رسول الله ﷺ﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** ﴾[القيامة: ٢٢، ٢٣][4]، ثم يقول رحمه الله تعالى:[5]

فهـــو الـــذي تُلفـــى مســـافةُ ملكـــه ... بســـنيننا ألفـــان كاملتـــان

وهو يقصد حديث ابن عمر قال رسول الله ﷺ: " إن أدنى أهل الجنة منزلةً ينظر في ملكه ألفي سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه..."[6].

ويحدثنا عن آخر أهل الجنة دخولاً لها وإكرام الله تعالى لعباده الموحدين، فيقول:[7]

أو مـــا ســـمعتَ بـــأن آخـــرَ أهلِهـــا ... يُعطيـــه ربّ العـــرش ذو الغفـــران

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٦٣.

(٢) رواه البخاري ج١١٨٨/٣، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة أهل الجنة وأنها مخلوقة، ورواه مسلم ج٢١٧٧/٤ كتاب الجنة.

(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٦٤.

(٤) رواه الترمذي ٢٦٩/٤، باب ما جاء في صفة الجنة .

(٥) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٦٤.

(٦) رواه أحمد في مسنده، ٢٤٠/٨ رقم الحديث: ٤٦٢٣

(٧) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٦٤.

أضعافَ دنيانا جميعاً عشر أمثالٍ لها سبحان ذي الإحسان

وهو يشير الى الحديث الذي رواه البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال النبي ﷺ:" إني لأعلم آخر أهل النار خروجاً منها وآخر أهل الجنة دخولاً: رجل يخرج من النار حبواً فيقول الله: اذهب فادخل الجنة، فيأتيها فيخيّل إليه أنها ملآى فيرجع فيقول: يا رب وجدتها ملآى، فيقول: اذهب فادخل الجنة فيأتيها فيخيّل إليه أنها ملآى فيرجع فيقول: يا رب وجدتها ملآى، فيقول: اذهب فادخل الجنة، فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها، أو إن لك عشرة أمثال الدنيا، فيقول: تسخر مني أو تضحك منى وأنت الملك. فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه وكان يقول: " ذلك أدنى أهل الجنة منزلة" [١].

ويذكر لنا سنّ أهل الجنة فيقول:[٢]

هذا وسنّهم ثلاثٌ مع ثلاثين التي هي قوةُ الشبان

فيتحدث عن قوة الشباب في الجنة وأن الصغير والكبير على حد سواء في الجنة، ويشير إلى حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " يدخل أهل الجنةِ الجنةَ جُرداً مُرداً بيضاً جِعاداً مكحّلين أبناء ثلاث وثلاثين وهم على خلق آدم ستون ذراعاً في عرض سبعة أذرع "[٣].

وأما عن طول قامات أهل الجنة وعرضهم فيقول رحمه الله:[٤]

والطولُ طولُ أبيهم ستون لكن عرضُهم سبعٌ بلا نقصان

ويتضمن هذا القول ما رواه لنا أبو هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: " خلق الله آدم وطوله ستون ذراعاً ثم قال: اذهب فسلّم على أولئك من الملائكة فاستمع ما يحيّونك، تحيتك وتحية ذريتك فقال: السلام عليكم فقالوا: السلام عليك ورحمة الله، فزادوه: ورحمة الله. فكل من يدخل الجنة على صورة آدم، فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن" [٥].

---

(١) رواه البخاري ج٥/٢٤٠٢ كتاب الرقائق، باب صفة الجنة والنار، ورواه مسلم ج١/١٧٣ كتاب الإيمان باب آخر أهل النار خروجاً.

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٦٤.

(٣) رواه أحمد في مسنده ١٥/٢٢٠ رقم الحديث ٩٣٧٥.

(٤) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٦٤.

(٥) رواه البخاري ج٣/١٢١٠، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: " وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة" [البقرة: ٣٠] .

ويقول في **حادي الأرواح:** " ولا يخفى التناسب بين الطول والعرض، فلو زاد أحدهما على الآخر فات الاعتدال وتناسب الخلقة يصير طولاً مع دقة أو غلظاً مع قصر، وكلاهما غير مناسب، والله أعلم"[(١)].

أما في وصفه لحليّهم وألوانهم فيقول:[(٢)]

ألـــوانُهم بـــيضٌ ولـــيس لهـــم لحـــىً	**جعـــدُ الشـــعور مكحلـــو الأجفـــان**
هـــذا كمـــالُ الحســـن فـــي أبشـــارهم	**وشـــــعورُهم وكـــــذلك العينــــان**

ومعنى ذلك ما ورد في حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " يدخل أهلُ الجنةِ الجنةَ جرداً مرداً بيضاً جعاداً مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين وهم على خلق آدم ستون ذراعاً في عرض سبعة أذرع "[(٣)].

ويقول **الهرّاس:** " إن أهلَ الجنة يدخلونها بيضاً جُرداً ليس لهم لحىً، جعد الشعور، في شعورهم تكسّر وليست سبطة، مكحلو الأجفان، وهذا هو تمام الحسن في هذه الأشياء الثلاثة، فتمام الحسن في اللون أن يكون أبيضاً صافياً، وتمامه في الشعر أن يكون جعداً، وتمامه في العينين أن تكونا مكحّلتين" [(٤)].

أما في حديثه لأسبق أهل الجنة دخولاً إلى الجنة فيصف لنا ويقول:[(٥)]

هــذا بحســب تفــاوتِ الفقــراء فــي اســ	**ـــــتحقاق ســـبقهم إلـــى الإحســـان**
أو ذا بحســـب تفـــاوتٍ فـــي الأغنيـــا	**ء كلاهمــــا لا شـــك موجـــودان**
هـــذا وأولهـــم دخـــولاً خيـــر خلـــ	**ـــق الله مـــن قـــد خـــص بالفرقـــان**
والأنبيـــاء علـــى مـــراتبهم مـــن الــــ	**ـــــتفضيل تلـــك مواهـــبُ المنـــان**
هـــذا وأمـــةُ أحمـــدٍ سُـــبّاق بـــا	**قـــي الخلـــق عنـــد دخـــولهم لجنـــان**

يبيّن الإمام ابن القيم في هذه المقطوعة الرائعة أول من يدخل الجنة بإذن الله وذلك استناداً لقول الصادق المصدوق ﷺ في الحديث الذي يرويه عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال:

---

(١) حادي الأرواح، ص٣١٩ .

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٦٥.

(٣) رواه أحمد في مسنده ٣١٥/١٣ رقم الحديث ٧٩٣٣.

(٤) شرح القصيدة النونية للهراس، ج٢/٣٥٠.

(٥) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٦٦.

سمعت رسول الله ﷺ يقول: " فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة بأربعين خريفاً "[١]، ويقول رحمه الله: " وتختلف مدة السبق بحسب أحوال الفقراء والأغنياء، فمنهم من يسبق بأربعين ومنهم من يسبق بخمسمائة، كما يتأخر مكث العصاة من الموحدين في النار بحسب أحوالهم وجرائمهم والله أعلم"[٢].

ويشير أيضاً إلى حديث أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "آتي بابَ الجنة فأستفتح، فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أُمرتُ أن لا أفتح لأحد قبلك"، ويقول: "أنا أكثر الناس تبعاً يوم القيامة وأنا أول من يقرع باب الجنة" [٣].

ويدخل الأنبياءُ الجنةَ بعد رسولنا الكريم ﷺ بحسب تفاضلهم، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ [الإسراء: ٥٥].

ويشير أيضاً إلى ما رواه أبو هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، ونحن أول من يدخل الجنة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، وأوتيناه من بعدهم، فاختلفوا، فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه" [٤].

ثم يبين لنا أيضاً أن الشهيد من السّبّاق لدخول الجنة والفقير ذو عيال والعبد المملوك فيقول:[٥]

وكــــذلك الشــــهيدُ فســـبقُه متـــيقنٌ	**وهـــو الجـــديرُ بـــذلك الإحســـان**
وكـــذلك المملـــوكُ حـــين يقـــوم بالـــ	**ـــحقين ســـبّاقاً بغيـــر تـــواني**
وكـــذا فقيـــرٌ ذو عيـــالٍ لـــيس بالـــ	**ـــملحاح بـــل ذو عفّـــةٍ وصـــيان**

ونظير ذلك للمعاني المتضمنة لتلك الأبيات ما صح عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: "عُرِض عليّ أول ثلاثة من أمتي يدخلون الجنة وأول ثلاثة يدخلون النار، فأما أول ثلاثة يدخلون الجنة فالشهيد، وعبدٌ مملوك لم يشغله رق الدنيا عن طاعة ربه، وفقير متعففٌ ذو عيال، وأول ثلاثة يدخلون النار فأمير مسلّط، وذو ثروة من مال لا يؤدي حق الله من ماله، وفقير فخور"[٦]، وكذلك ما رواه عياض بن حمار المجاشعي ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: " أهل الجنة

(١) رواه مسلم ج٤/٢٢٨٥.
(٢) حادي الأرواح، ص٢٤٠.
(٣) رواه مسلم ج١/١٨٨، باب قول النبي ﷺ : "أنا أول الناس يشفع في الجنة".
(٤) رواه مسلم ج٢/٥٨٥، باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة .
(٥) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٦٧.
(٦) رواه أحمد في مسنده، ج١٥/٢٩٧ رقم الحديث ٩٤٩٢.

ثلاثة: ذو سلطان مقسط متصدق موفق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم وعفيف متعفف ذو عيال"[١].

ويقول **الدكتور محمد العريفي** في شرح الكافية الشافية " والحقّان اللذان قصدهما:

حقٌ لله بأداء ما افترضه عليه، واجتناب ما نهى عنه، وحقٌ لسيده بأن يؤدي حقه عليه ويطيعه في غير معصية الخالق" [٢].

ويتحدث ابن القيم عن عدد الجنات وأجناسها ويقول:[٣]

والجنـــةُ اســـم الجـــنسِ وهـــي كثيـــرةٌ   جـــــداً ولكـــــن أصـــــلها نوعـــــان

ذهبيتـــــانِ بكـــــل مـــــا حوتـــــاه مـــــن   حلـــــيٍ وآنيـــــةٍ ومـــــن بنيـــــان

وكـــــذاك أيضـــــاً فضـــــةٌ ثنتـــــان مـــــن   حلـــــــي وبنيـــــــان وكـــــــل أوان

لكـــــن دارُ الخلـــــد والمـــــأوى وعـــــد   نٍ والســـــلام إضـــــافةٌ لمعـــــان

ويفصّل لنا القول في اسم الجنة وجنسها ويقول: " الجنة هو الاسم العام المتناول لتلك الدار وما اشتملت عليه من أنواع النعيم واللذة والبهجة والسرور وقرة الأعين، وهي اسم جامع لكل ما حوته من بساتين ومساكن وقصور" [٤]، ويقول: " وأصل اشتقاق هذه اللفظة من الستر والتغطية، ومن الجنين: لاستتاره في البطن، والجان: لاستتاره عن العيون، والمجن: لستره ووقايته الوجه، والمجنون: لاستتار عقله وتواريه عنه، وسمي البستان جنة، لأنه يستر ما بداخله من الأشجار ويغطيه، فلا يستحق هذا الاسم إلا موضع كثير الشجر مختلف الأنواع " [٥].

ويشير في المقطوعة السابقة إلى حديث أنس بن مالك أن أم الربيع بنت البراء وهي أم حارثة بن سراقة " أتت رسول الله ﷺ فقالت: يا نبي الله لتحدثني عن حارثة؟ وكان قتل يوم بدر أصابه سهم غرب، فإن كان في الجنة صبرت، وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه في البكاء. قال: " يا أم حارثة إنها جنان في الجنة وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى"[٦].

---

(١) رواه مسلم ج٤/٢١٩٧، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار.

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، تح: محمد عبد الرحمن العريفي وآخرون، دار عالم الفوائد، المجلد الأول، ١٤٢٨هـ، ص٩٤٤.

(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٦٧.

(٤) حادي الأرواح، ص١٩١، وانظر: توضيح المقاصد وتصحيح القواعد، ج٢/٤٩٥.

(٥) المصدر السابق، ١٩١ـ ١٩٢.

(٦) رواه البخاري ج٣/١٠٣٤، باب من أتاه سهم غرب .

ويشير أيضاً إلى ما رواه أبو بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه عن رسول الله ﷺ أنه قال: "جنتان من ذهب آنيتهما وحليتهما وما فيهما، وجنتان من فضة آنيتهما وحليتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن "(١).

ثم يضمّن معنى شعره في المقطوعة السابقة قوله تعالى:﴿**قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ**﴾ [الفرقان: ١٥]، وقوله تعالى:﴿**عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ**﴾[النجم: ١٥].

ويقول عن جنة المأوى: "والمأوى مفعل من أوى يأوي إذا انضم إلى المكان وصار إليه واستقر به " (٢)، أما عن جنات عدن فيقول: " قيل هي اسم لجنة من الجنات والصحيح أنه اسم لجملة الجنات وكلها جنات عدن، فقال الله جلّ في علاه:﴿**جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ**﴾[مريم: ٦١]، ويقال: عدن بالمكان إذا أقام به، وعدنت البلد: توطنته، وعدنت الإبل بمكان كذا: لزمته فلم تبرح منه "(٣).

ويقول **سيد قطب:** " جنة عدن للإقامة، وتلك الجنة لا يرثها إلا من كان تقياً ومن شاء الوراثة فالطريق معروف هو التوبة والإيمان والعمل الصالح، وأما وراثة النسب فلا تُجدي"(٤).

ويقول **ابن القيم:** "وقد سمّاها الله تعالى بالسلام، ونظير ذلك من القرآن الكريم، فيقول عز وجل: ﴿**لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِندَ رَبِّهِمْ**﴾[الأنعام: ١٢٧]، وقوله:﴿**وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ**﴾[يونس: ٢٥] وهي أحقّ بهذا الاسم فإنها دار السلامة من كل بليّة وآفة ومكروه، وهي دار الله، واسمه سبحانه السلام الذي سلّمها وسلّم أهلها" (٥).

ويبدع ابن القيم في الوصف ويقول:(٦)

لكنمـــا الفـــردوسُ أعلاهـــا وأو	**ســطُها مســاكنُ صــفوةِ الــرحمن**
أعــلاه منزلـــةً لأعلـــى الخلـــقِ منـــ	**ـــزلةً هـــو المبعـــوثُ بـــالقرآن**
وهـــي الوســيلةُ وهـــي أعلـــى رتبـــةٍ	**خلصــت لـــه فضــلاً مـــن الــرحمن**

(١) رواه البخاري ج٦/٢٧١٠، ومسلم ج١/١٦٣.
(٢) حادي الأرواح، ص ١٩٧.
(٣) المصدر السابق، ص ١٩٨.
(٤) في ظلال القرآن، سيد قطب، ج٤/٢٣١٤– ٢٣١٥.
(٥) حادي الأرواح، ص ١٩٤ .
(٦) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٦٧.

فيشير لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً * خَالِدِينَ فِيهَا لاَ يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً﴾[الكهف:١٠٧ـ ١٠٨]، وقوله تعالى:﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُون الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُون﴾[المؤمنون:١٠ـ١١]، ويقول رحمه الله: " والفردوس اسمٌ يقال على جميع الجنة ويقال على أفضلها وأعلاها، كأنه أحق بهذا الاسم من غيره من الجنات، وأصل الفردوس البستان والفراديس البساتين" (١).

والحق أن الفردوس هو أعلى الجنة ووسطها، وهي مساكن المختارة من خلق الله من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

ويشير ابن القيم إلى حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: " إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله بين كل درجتين كما بين السماء والأرض فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجّر أنهار الجنة "(٢).

ويقول رحمه الله كلاماً عن الوسيلة في غاية الروعة: " سُمّيت درجةُ النبي ﷺ الوسيلة لأنها أقربُ الدرجات إلى عرش الرحمن، وهي أقرب الدرجات إلى الله، وأصل اشتقاق لفظ الوسيلة من القرب وهي فعيلة من وسل إليه تقرب إليه، ومعنى الوسيلة من الوصلة ولهذا كانت أفضل الجنات وأشرفها وأعظمها نوراً "(٣).

ويشير أيضاً إلى حديث عمرو بن العاص ﷺ أنه سمع النبي ﷺ يقول: " إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلّوا عليّ فإنه من صلى عليّ صلاة واحدة صلي الله عليه عشراً، ثم سلوا لي الوسيلةَ فإنها منزلةٌ في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون هو، فمن سأل لي الوسيلة حلّت عليه شفاعتي"(٤).

ويقول في خطاب رب العالمين للجنة:(٥)

لمـــا قضـــي ربّ العبـــادِ الغـــرس قـــا	**ل تكلمــــي فتكلمـــــت ببيــــان**
قـــد أفلـــح العبـــدُ الـــذي هـــو مـــؤمنٌ	**مـــاذا ادّخـــرت لـــه مـــن الإحســـان**

---

(١) حادي الأرواح، ص ٢٠١ ـ ٢٠٢ .

(٢) رواه البخاري ج٣/١٠٢٨ كتاب الجهاد والسير .

(٣) حادي الأرواح، ص١٦٤.

(٤) رواه مسلم ج١/٢٨٨ .

(٥) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٦٨.

وهذا إشارة لما رواه أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " خلق الله جنة عدن بيده لبنة من درة بيضاء، ولبنة من ياقوتة حمراء، ولبنة من زبرجدة خضراء ملاطها المسك، وحصباؤها اللؤلؤ، وحشيشها الزعفران ثم قال لها: انطقي، قالت: قد أفلح المؤمنون"(١).

ويذكر أن الله تعالى أعد لعباده الصالحين في الجنة مالا عينٌ رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فيقول:(٢)

فيهـــا الـــذي واللّـــهِ لا عـــينٌ رأت	**كـــلا ولا ســـمعت بـــه الأذنـــان**
كـــلا ولا قلـــبٌ بـــه خطـــر المثـــا	**ل لـــه تعـــالى اللّـــه ذو الســـلطان**

فقد أعد الله لعباده في جنة عدن ما لم يخطر مثاله بقلب أحد، ويشير ابن القيم في هذين البيتين إلى ما رواه أبو هريرة ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: " قال الله عز وجل:" أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر"، ثم تلا قوله تعالى:﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[السجدة: ١٧] (٣).

ويقول **سيد قطب** في هذا المشهد: " هذا تعبير يشي بحفاوة الله تعالى بالقوم، وتوليه بذاته العلية إعداد المدخور لهم عنده من الحفاوة والكرامة مما تقر به العيون، فلا يكشف لهم عنه إلا عند لقياه، فهي صورة وضيئة لهذا اللقاء الحبيب الكريم في حضرة الله تبارك وتعالى"(٤).

أما في وصفه لبناء الجنة فيصف ويقول:(٥)

وبناؤهـــا اللبنـــاتُ مـــن ذهـــبٍ وأخـــ	**ـــرى فضـــةٌ نوعـــان مختلفـــان**
وقصـــورُها مـــن لؤلـــؤٍ وزبرجـــدٍ	**أو فضـــةٍ أو خـــالصِ العقيـــان**
والطـــينُ مســـكٌ خـــالصٌ أو زعفـــرا	**نٌ جـــا بـــذا أثـــران مقبـــولان**

---

(١) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي،(٧٧٤هـ)، تح: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م ، ج١٥/٣٤٤ .

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٦٩.

(٣) رواه البخاري ج٣/١١٨٥.

(٤) في ظلال القرآن، سيد قطب، ج٥/٢٨١٣.

(٥) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٦٩.

ويشير رحمه الله تعالى إلى ما رواه أبو هريرة ﷺ أنه قال: يا رسول الله إنا إذا رأيناك رقت قلوبنا وكنا من أهل الآخرة وإذا فارقناك أعجبتنا الدنيا وشممنا النساء والأولاد، قال: " لو تكونون ـ أو قال: لو أنكم تكونون ـ على كل حال على الحال التي أنتم عليه عندي لصافحتكم الملائكة بأكفهم ولزارتكم في بيوتكم، ولو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون حتى يغفر لهم "، قال: قلنا يا رسول الله حدثنا عن الجنة ما بناؤها؟ قال: " لبنةُ ذهبٍ ولبنة فضة، وملاطها المسك الأذفر، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وترابها الزعفران، من يدخلها ينعم ولا ييأس، ويخلد ولا يموت، لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه " [(١)].

وإشارة أيضاً إلى ما رواه أنس بن مالك ﷺ قال: كان أبو ذر يحدث أن رسول الله ﷺ قال: أدخلت الجنة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ وإذا ترابها المسك " [(٢)]، وهو من حديث المعراج الطويل.

وفي حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ لابن صائد: " ما تربة الجنة؟ قال: درمكة بيضاء مسك يا أبا القاسم، قال: " صدقت" [(٣)].

ويقول **ابن القيم**: " إن تربة الجنة وُصفت بالمسك والزعفران والدرمكة، وتربتها متضمنة للنوعين، ويحتمل أن يكون التراب من زعفران، فإذا عجن بالماء صار مسكاً، والطين يسمى تراباً والملاط هو الطين، فلما كانت تربتها طيبة وماؤها طيباً، فانضم أحدهما إلى الآخر حدث لهما طيب آخر فصار مسكاً، أو يكون زعفراناً باعتبار اللون ومسكاً باعتبار الرائحة، وهذا من أحسن شيء تكون البهجة والإشراق في لون الزعفران، والرائحة في رائحة المسك وتشبيهها بالدرمك وهو الخبز الصافي الذي يضرب لونه إلى الصفرة مع لينها ونعومتها "[(٤)].

أما وصفه لأرض الجنة وحصبائها وتربتها فيقول:[(٥)]

والأرضُ مرمـــرةٌ كخـــالص فضـــةٍ[(٦)] — مثـــل المـــرآة تنالهـــا العينـــان

حصــــــباؤها درٌ ويـــــاقوتٌ كـــــذا — ك لآلـــئ نُثِّـــرت كنثـــر جُمـــان[(٧)]

وترابُهـــا مـــن زعفـــرانٍ أو مـــن الـــ — ــمسك الـذي مـا اسـتلّ مـن غـزلان

---

(١) رواه أحمد في مسنده، ج ٤١٠/١٣ رقم الحديث: ٨٠٤٣

(٢) رواه البخاري ج١٢١٧/٣، ورواه مسلم ج١٤٨/١.

(٣) رواه مسلم ج٢٢٤٣/٤ .

(٤) حادي الأرواح، ص ٢٨٥ ـ ٢٨٦ .

(٥) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٦٩.

(٦) مرمرة : نوع من الرخام الصلب، والمرمرة واحدة المرمر، لسان العرب ج١٧٠/٥.

(٧) الجمان: أشكال اللؤلؤ من الفضة، والواحدة جمانة، لسان العرب ج٩٢/١٣.

ويبدع قوله في صفة غرفاتها:[١]

غرفاتُها في الجو يُنظر بطنُها	**من ظهرها والظهرُ من بطنان**
سكانُها أهلُ القيامِ مع الصيا	**م وطيّب الكلمات والإحسان**
ثنتان خالصٌ حقه سبحانه	**وعبيده أيضاً لهم ثنتان**

وفي هذا إشارة لما رواه على ﷺ قال: قال النبي ﷺ: " إن في الجنة غرفاً ترى ظهورها من بطونها، وبطونها من ظهورها" فقام أعرابي فقال: لمن هي يا رسول الله؟ قال: " لمن أطاب الكلام، وأطعم الطعام، وأدام الصيام، وصلى بالليل والناس نيام" [٢].

ويقول **الدكتور العريفي**: " حق الله: القيام والصيام، وحق العبيد: طيب الكلام والإحسان" [٣].

أما في وصفه لخيام الجنة فيقول:[٤]

للعبد فيها خيمةٌ من لؤلؤٍ	**قد جُوفت هي صنعةُ الرحمن**
ستون ميلاً طولُها في الجوّ في	**كلِّ الزوايا أجملُ النسوان**

ويشير في هذا المقطع إلى ما رواه أبو موسى الأشعري ﷺ عن النبي ﷺ قال: " إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلاً فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضاً" [٥].

وهذا إشارة أيضاً إلى ما رواه أبو موسى الأشعري ﷺ عن النبي ﷺ قال: " الخيمة درة طولها في السماء ستون ميلاً في كل زاوية منها أهل للمؤمن لا يراهم الآخرون" [٦].

وقال **ابن كثير** في تفسيره: " قال ابن مسعود ﷺ: إن لكل مسلم خيرة، ولكل خيرة خيمة، ولكل خيمة أربعة أبواب يدخل عليه كل يوم تحفة وكرامة وهدية لم تكن قبل ذلك، لا مزحات ولا طمثات ولا بخرات ولا ذفرات، حور عين كأنهن بيض مكنون" [٧].

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٧٠.
(٢) رواه الترمذي ج٣/٤٢٢، باب ما جاء في قول المعروف.
(٣) الكافية الشافية للعريفي، ص٩٥٤ .
(٤) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٧٠.
(٥) رواه البخاري، ج٤/١٨٤٩، باب حور مقصورات، ورواه مسلم ج٤/٢١٨٢، باب صفة خيام أهل الجنة.
(٦) رواه مسلم ج٤/٢١٨٢ .
(٧) تفسير ابن كثير، ج١١/٣٩٢ .

ويكمل رحمه الله الوصف ويقول:[١]

يغشـــى الجميـــعَ فـــلا يشـــاهد بعضُـــهم	**بعضـــاً وهـــذا لاتســـاع مكـــان**
فيهـــا مقاصـــيرٌ بهـــا الأبـــواب مـــن	**ذهـــبٍ ودرٍّ زيـــن بالمرجـــان**[٢]
وخيامُهـــــا منصـــــوبةٌ برياضـــــها	**وشـــواطئُ الأنهـــارِ ذي الجريـــان**

والمعنى أن في كل ركنٍ من أركان الخيمة زوجةً من أجمل النسوان بحيث يجامع كل واحدة منهنّ من غير أن يرى بعضُهن بعضاً وذلك لاتساع الخيمة.

قال ابن كثير في هذا المعنى:" قال ابن عباس ﷺ في قول الله تعالى:﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾[الرحمن: ٧٢]، قال: حورٌ مقصورات في خيام اللؤلؤ، وفي الجنة خيمة واحدة من لؤلؤةٍ واحدة أربع فراسخ، عليها أربعةُ آلاف مصراع من ذهب" [٣].

وقال **ابن القيم:** " وهذه الخيم غير الغرف والقصور، بل هي خيامٌ في البساتين وعلى شواطئ الأنهار" [٤].

أما في وصفه لأرائك الجنة وسررها فيقول:[٥]

فيهـــا الأرائـــكُ وهـــي مـــن ســـررٍ عليـــ	**ـــهنّ الحجـــالُ كثيـــرةُ الألـــوان**

ويشير في ذلك إلى قوله تعالى:﴿مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ﴾[الكهف: ٣١].

وقال **ابن القيم:** "الأرائك جمع أريكة، ولا تكون أريكةً حتى يكون السرير في الحجَلة، فإذا كان سريراً بغير حجلةٍ فلا يكون أريكة، وإن كانت حجلة بغير سرير لم تكن أريكة، ولا تكون أريكة إلا والسرير في الحجلة، فإذا اجتمعا كانت أريكة، وههنا ثلاثة أشياء مجتمعة هي: السرير، والحجلة، والفراش الذي على السرير، ولا يسمّى السرير أريكة حتى يجمع ذلك كله" [٦].

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٧٠.
(٢) المرجان: اللؤلؤ الصغار ونحوه، واحدته مرجانة، لسان العرب ج٣٦٦/٢ .
(٣) تفسير ابن كثير، ج٣٩٣/١١ .
(٤) حادي الأرواح، ص ٤٥٤.
(٥) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٧١.
(٦) حادي الأرواح، ص٤٦١ .

ويشير **صاحب الظلال** لهذا المعنى في قوله: " هم في جلسة مريحة مطمئنة، والجو حولهم رخاء ناعم دافئ في غير حرٍّ، نديٌّ في غير برد، فلا شمسٌ تلهب النسائم ولا زمهريرٌ قارس"[١].

وفي وصفه لأشجار الجنة وثمارها فيقول:[٢]

أشـــجارُها نوعـــان منهـــا مـــا لـــه	**فـــي هـــذه الـــدنيا مثـــالٌ دانِ**
كالســدر أصــلُ النبــقِ مخضــودٌ مكــا	**ن الشــوكِ مــن ثمــرٍ ذوي ألــوان**
والطلــحُ وهــو المــوز منضــودٌ كمــا	**نُضِــدت يــدٌ بأصــابعَ وبنــانِ**
وكـــذلك الرمـــانُ والأعنـــاب والنخـــ	**ـــلُ التـــي منهـــا القطـــوفُ دوانِ**
يكفـــي مـــن التعـــداد قـــولُ إلهنـــا	**مـــن كـــل فاكهـــةٍ بهـــا زوجـــان**

قال **العريفي:** " إنّ أشجار الجنة نوعان: نوعٌ له شبيه في الدنيا، ونوع ليس له شبيه في الدنيا، فبدأ بالنوع الذي له شبيه في الدنيا وهو السدر" [٣].

وقال **ابن القيم:** " والنبق هو ثمر شجر السدر، ينفع من الإسهال، ويدبغ المعدة، ويسّكن الصفراء، ويشهي الطعام، بطئ الهضم، ويصلح الأمزجة الصفراوية، وتدفع مضرته بالهضم "[٤].

قال **القرطبي** في تفسير قوله تعالى:﴿وَطَلْحٍ مَّنضُود﴾[الواقعة: ٢٩]:" الطلح: شجر الموز واحدها طلحة" [٥]. وذكر **ابن عيسى** أن الطلح: " هو شجر عظيم من البوادي كثير الشوك، له نورٌ ورائحة طيبة وظل ظليل"[٦]، ويشير الإمام ابن القيم في هذه المقطوعة إلى قول الله تعالى:﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّان﴾[الرحمن: ٦٨]، وقوله تعالى:﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازاً * حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا﴾[النبأ:٣١ـ ٣٢]، وقوله تعالى:﴿قُطُوفُهَا دَانِيَة﴾[الحاقة: ٢٣].

ويقول: " وخصّ النخلَ والرمانَ من بين الفاكهة بالذكر لفضلهما وشرفهما كما نصّ على حدائق النخل والأعناب إذ هما من أفضل أنواع الفاكهة وأطيبها وأحلاها " [٧]، ويتطرق للإشارة إلى قوله تعالى: ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَان﴾[الرحمن:٥٢]، ويكمل وصفه لثمار الجنة ونعيمها فيقول:

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، ج٦/٣٧٨٢.
(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٧١.
(٣) الكافية الشافية للعريفي، ص ٩٥٨.
(٤) زاد المعاد، ج٤/٤٠٠ .
(٥) تفسير القرطبي ج١٧/٢٠٨.
(٦) توضيح المقاصد وتصحيح القواعد، ج٢/ ٥١٢.
(٧) حادي الأرواح، ص ٣٦٧.

وأتـــوا بـــه متشـــابهاً فـــي اللـــون مخـــ ـــــتلفُ الطعـــوم فـــذاك ذو ألـــوان

ويشير في هذا البيت إلى قوله تعالى: ﴿ **وَبَشِّرِ الَّذِين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً قَالُواْ هَـذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً** ﴾[البقرة: ٢٥].

وفي قوله أيضاً:[١]

قـــال ابـــن عبـــاسٍ ومـــا بالجنـــة الـــ ـــــعليا ســـوى أســـماءَ مـــا تريـــان

وإذا تناولـــــتَ الثمـــــارَ أتـــــت نظيـــــ ـــــرتُها فحلّـــــت دونهـــــا بمكـــــان

وكـــذلك لـــم تمنـــع ولـــم تحـــتج إلـــى أن ترتقـــيَ للقنـــو فـــي العيـــدان

بـــل ذُللـــت تلـــك القطـــوف فكيـــف مـــا شـــئت انتزعـــت بأســـهل الإمكـــان

ويعني في قول ابن عباس:" أنه لا يشبه شيء مما في الجنة ما في الدنيا إلا الأسماء"[٢]، ويشير ابن القيم إلى قوله تعالى: ﴿ **وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ * لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ** ﴾[الواقعة:٣٢ ـ ٣٣]، وقوله: ﴿ **قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ** ﴾[الحاقة: ٢٣]، وقال **ابن كثير**: قال البراء بن عازبٍ عن هذه الآية:" أي أنها قريبةٌ يتناولها أحدهم وهو نائم على سريره "، وقال مجاهد: ﴿ **وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً** ﴾[الإنسان: ١٤]، إن قام ارتفعت معه بقدر وإن قعد تذللت معه حتى ينالها، وإن اضّطجع تذللت له حتى ينالها" [٣].

ويقول **الشريف الرضي في تلخيص البيان**: " والمراد بتذليل القطوف هي عناقيد الأعناب وواحدها قطف، وقد جُعلت قريبة من أيديهم غير ممتنعة على مجانيهم لا يحتاجون إلى معاناة في اجتنائها ولا مشقة في اهتصار أفنانها، فهي كالظهر الذلول الذي يوافق صاحبه ويواتي راكبه"[٤].

وقوله أيضاً:[٥]

ولقـــد أتـــى أثـــرٌ بـــأنّ الســـاقَ مـــن ذهـــــبٍ رواه الترمـــــذي ببيـــــان

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٧٢.

(٢) تفسير ابن كثير ج١/٣٨٤.

(٣) المصدر السابق، ج١٢/٢٨٨.

(٤) تلخيص البيان في مجازات القرآن، الشريف الرضي،(٤٠٤هـ)، تحقيق: على محمود مقلد، دار مكتبة الحياة، بيروت، ص٣٤٥.

(٥) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٧٢.

فيشير إلى ما رواه أبو هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " ما في الجنة شجرةٌ إلا وساقها من ذهب" [١].

ويصف جذوعَ الشجرِ وسعفها قائلاً:

قـــال ابـــن عبـــاسٍ وهاتيـــك الجـــذو	**ع زمـــرّدٌ مـــن أحســـن الألـــوان[٢]**
ومقطّعـــــاتهم مـــــن الكَـــرَب الـــــذي	**فيهـــا مـــن ســـعَفٍ مـــن العقيـــان**
وثمارُهـــا مـــا فيـــه مـــن عجـــمٍ كأمـــ	**ـــثال القـــلال فجـــلّ ذو الإحســـان[٣]**
وظلالهـــا ممـــدودةٌ ليســـت تقـــي	**حـــــراً ولا شمســـــاً وأنـــــى ذانِ**

ويشير في هذا البيت إلى قول الله تعالى: ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾[الإنسان: ١٣].

ثم يخبرنا عن ظلال تلك الأشجار وطولها ويقول:[٤]

أو مـــا ســـمعتَ بظـــلٍ أصـــلٍ واحـــدٍ	**فيـــــه لســـير الراكـــب العجـــلان**
مائـــــةٌ ســـــنينٌ قـــــدّرت لا تنقضـــــي	**هـــذا لعظـــم الأصـــلِ والأفنـــان**

وفي ذلك إشارة إلى ما رواه أبو هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: " إن في الجنة شجرةً يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها" [٥].

ويقول رحمه الله:

تتفـــتّحُ الأكمـــامُ منهـــا عـــن لبـــا	**ســـهم بمـــا شـــاؤوا مـــن الألـــوان[٦]**

ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾[الرحمن: ١١].

ثم ينتقل للحديث عن سماع أهل الجنة وطربهم وغناء الحور العين لأزواجهن في الجنة فيصف ويقول:[٧]

---

(١) رواه الترمذي ج٤/٢٥٢ كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في صفة شجر الجنة.

(٢) الزمرد: هو الزبرجد، وهو حجر كريم من الجواهر معروف أخضر اللون شديد شفاف، وواحدته زمردة، لسان العرب، ج٣/٤٩٣.

(٣) والعجم بالتحريك: نوى التمر والنبق، والواحدة عجمة، لسان العرب، ج١٢/٣٩١.

(٤) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٧٢.

(٥) رواه البخاري ج٤/١٨٥١ باب قوله: " وظل ممدود"، ورواه مسلم،ج٤/٢١٧٥، باب إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها.

(٦) الأكمام: ما غطى جمّارها من السعف والليف والجذع، لسان العرب، ج١٢/٥٢٦.

(٧) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٧٢- ٢٧٣.

قـــال ابـــن عبـــاسٍ ويرســـل ربنـــا	ريحـــاً تهـــزّ ذوائـــبَ الأغصـــان
فتثيـــر أصـــواتاً تلـــذ لمســـمع الـــ	إنســـان كالنغمـــات بـــالأوزان
يـــا لـــذةَ الأســـماع لا تتعوّضـــي	بلـــذاذة الأوتـــار والعيـــدان
أو مـــا ســـمعتَ ســـماعهم فيهـــا غنـــا	ءُ الحـــور بالأصـــوات والألحـــان
واهـــاً لـــذيّاك الســـماعِ فإنـــه	مُلئـــت بـــه الأذنـــان بالإحســـان

ويشير إلى ما أورده ابن كثير عن ابن عباس ﷺ قال: " في الجنة شجرة على ساقٍ، ظلها قدر ما يسير الراكب في كل نواحيها مائة عام، فيخرج إليها أهل الجنة وأهل الغرف وغيرهم فيتحدثون في ظلها، فيشتهي بعضهم ويذكر لهوَ الدنيا، فيرسل الله ريحاً من الجنة، فتحرك تلك الشجرة بكل لهوٍ كان في الدنيا" [١].

يقول **الهراس:** " فيا لذة الأسماع لا تستعيضي عن هذا السماع العالي الحلو النشيد بما تسمعين في هذه الدنيا من أوتار وعيدان ولا تستبدلي الذي هو أدنى بالذي هو خير" [٢].

ويشير ابن القيم إلى ما رواه على ﷺ قال رسول الله ﷺ: " إن في الجنة لمجتمعاً للحور العين يرفعن بأصوات لم يسمع الخلائق مثلها، قال: يقلن نحن الخالدات فلا نبيد، ونحن الناعمات فلا نبأس، ونحن الراضيات فلا نسخط، طوبى لمن كان لنا وكنا له" [٣].

ثم يشرع ابن القيم في تقديم النصيحة لنا لترك الأغاني والنغمات ولهوِ الدنيا الذي هو سبب في حرماننا من سماع الأغاني في الجنة يوم القيامة، وإن سماع الأغاني في الدنيا هو للجهال والسفهاء وأصحاب العقول الناقصة، فيقول:[٤]

نـــزّه ســـماعك إن أردتَ ســـماعَ ذيـــ	ـــاك الغِنـــا عـــن هـــذه الألحـــان

ويحذرنا من استبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير، ويخبرنا بأنّ سماع الأغاني في القلب كالسم في الأبدان.

وينتقل بنا الى وصف أنهار الجنة فيقول:[٥]

(١) تفسير ابن كثير، ج١١/٤٢٥.
(٢) شرح القصيدة النونية للهراس، ج ٢/ ٣٧١ .
(٣) رواه الترمذي في سننه، ج٤/٢٧٧ باب ما جاء في كلام الحور العين.
(٤) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٧٣.
(٥) المصدر السابق، ص٢٧٣.

أنهارهـــا مـــن غيـــر أخـــدودٍ جـــرت سـبحان ممسـكها عـن الفيضـان

مـن تحـتهم تجـري كمـا شـاؤوا مفجّـــرةً ومـا للنهـر مـن نقصـان

عسـلٌ مصـفىً ثـم مـاءٌ ثـم خمـــرٌ ثـم أنهـارٌ مـن الألبـان

قال **ابن عيسى**: " تجري الأنهار في غير أخدود من تحت القصور والمنازل والغرف، ومن تحت الأشجار، وهذا يدل على أن الأنهار موجودة حقيقة، وأنها جارية لا واقفة، وأنها تحت الغرف والقصور والبساتين"[١]، ويشير إلى قوله تعالى:﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾[البقرة: ٢٥]، وقوله تعالى:﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإنسان: ٦]، وكذلك الى ما رواه أبو هريرة ﷺ وفيه " فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجّر أنهار الجنة" [٢].

ويشير أيضاً إلى قوله تعالى:﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾[محمد: ١٥].

ويشير إلى ما رواه حكيم بن معاوية عن أبيه عن النبي ﷺ قال: " إن في الجنة بحر الماء وبحر العسل وبحر اللبن وبحر الخمر ثم تشقق الأنهار بعد" [٣].

ثم يأخذنا بسحره وشعره إلى أن يصل بنا إلى وصف طعام أهل الجنة فيقول:[٤]

وطعـامُهم مـا تشـتهيه نفوسُـهم ولحـومُ طيـرٍ نـاعمٍ وسـمان

وفواكـهٌ شـتّى بحسـب مُنـاهمُ يـا شـبعةً كمُلـت لـذي الإيمـان

لحـمٌ وخمـرٌ والنسـا وفواكـهٌ والطيـب مـع روحٍ ومـع ريحـان

وصـحافهم[٥] ذهـبٌ تطـوف علـيهم بـأكفّ خـدامٍ مـن الولـدان

ويشير ابن القيم في هذه المقطوعة الرائعة إلى قوله تعالى:﴿وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُون * وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُون﴾[الواقعة:٢٠ـ ٢١]، وقوله:﴿وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُون﴾[الطور: ٢٢] .

(١) توضيح المقاصد وتصحيح القواعد، ج٢/ ٥٢٧.

(٢) رواه البخاري ٦ج٦/٢٧٠٠، وقد سبق تخريجه.

(٣) رواه الترمذي ٤ج٤/٢٨١، باب ما جاء في صفة أنهار الجنة.

(٤) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٧٤.

(٥) والصُحفة: هي القصعة والجمع صحاف وهي تشبع الخمسة ونحوهم، لسان العرب ج٩/١٨٧.

وأيضاً إلى ما رواه جابر بن عبد الله ﷺ قال رسول الله ﷺ: " يأكل أهل الجنة فيها ويشربون ولا يتغوّطون ولا يمتخطون ولا يبولون، ولكن طعامهم ذاك جشاء كريح المسك، يُلهمون التسبيح والحمد كما تُلهمون النفَس"[١].

ونظير ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُون﴾[الزخرف: ٧١]، أما في وصفه لشراب أهل الجنة فيقول رحمه الله:[٢]

يُسقون فيها من رحيقٍ ختمُه	بالمسك أولُه كمثل الثاني
من خمرٍ لذت لشاربها بلا	غولٍ ولا داءٍ ولا نقصان

يشرع ابن القيم في وصف شراب أهل الجنة ولذته دون إحداث غولٍ للعقل كشراب الدنيا، ويشير إلى قوله تعالى: ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُوم * خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُون﴾[المطففين: ٢٥، ٢٦] ويشير لقوله تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِن مَّعِين * بَيْضَاء لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِين * لاَ فِيهَا غَوْلٌ وَلاَ هُمْ عَنْهَا يُنزَفُون﴾[الصافات: ٤٥ ـ٤٧].

قال **ابن كثير** في تفسير هذه الآية: " كل كأسٍ في القرآن فهو خمرٌ، وقد نزّه الله تعالى خمرَ الجنة عن الآفات التي في خمر الدنيا من صداع الرأس ووجع البطن، وذهابها بالعقل جملة"[٣]، فالشرع يحمّل شارب الخمر تبعات شربه دون عذرٍ يُقبل منه ومسئوليته الكاملة في تلك الفاحشة البغيضة، لأنه تسبب في قتل نفسه وإغوائها وغَولها.

أما **صاحب الظلال** فيقول: " فتلك أجمل أوصاف الشراب التي تحقق لذة الشراب ونفي عقابيله، فلا خمار يصدع الرؤوس ولا منع ولا انقطاع يذهب بلذة المتاع "[٤].

ويقول رحمه الله تعالى:

وشرابُهم من سلسبيلٍ مزجُه الـ	ـكافورُ ذاك شرابُ ذي الإحسان
هذا شرابُ أولي اليمين ولكن الـ	أبرارُ مشربُهم شرابٌ ثانِ
يُدعى بتسنيمٍ سنام شرابهم	شِربُ المقرب خيرةُ الرحمن

(١) رواه مسلم، ج٤/٢١٨١ .
(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٧٤.
(٣) تفسير ابن كثير، ج١٠/١٧١.
(٤) في ظلال القرآن، سيد قطب، ج٥/٢٩٨٧.

ونظيره من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾[الإنسان: ٥]، وفي قوله تعالى: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً * عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً﴾[الإنسان: ١٧، ١٨].

وقال **ابن كثير**: " ويسقون الأبرار كأساً كان مزاجها زنجبيلاً، فتارةً يمزج لهم الشراب بالكافور وهو بارد وتارة بالزنجبيل وهو حار ليعتدل الأمر وهؤلاء يمزج لهم من هذا تارة ومن هذا تارة، وأما المقربون فإنهم يشربون من كلٍ منها صرفاً" [١]، وفي البيت الثالث يشير لقوله تعالى: ﴿وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيم﴾[المطففين: ٢٧].

وقال **ابن كثير** في هذه الآية: "ومزاج هذا الرحيق الموصوف تسنيم، أي من شراب يقال له تسنيم، وهو أشرف شراب أهل الجنة وأعلاه، لذلك قال: "عيناً بالأرائك يشرب بها المقربون" أي يشربها المقربون صرفاً وتمزج لأصحاب اليمين مزجاً" [٢].

ويقول **الدكتور العريفي**: " يعني أن المقرب حينما أخلص في سعيه لله عز وجل وصفّاه من كل ما يشوبه من أعمال غير صالحة صفّى الله له شرابه هذا ولم يمزج، والجزاء من جنس العمل، وأن أهل اليمين حينما مزجوا أعمالهم بالمباحات وفعل المكروهات مُزج لهم الشراب فلم يكن صافياً" [٣].

أما في هضم الطعام والشراب وتصريفه فيقول:[٤]

هـــذا وتصـــريفُ المآكـــلُ مـــنهم	**عـــرقٌ يفـــيض لهـــم مـــن الأبـــدان**
كـــروائح المســـكِ الـــذي مـــا فيـــه خلـــ	**ـــطٌ غيـــره مـــن ســـائر الألـــوان**

ويشير ابن القيم رحمه الله إلى ما رواه زيد بن أرقم ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ : " إن الرجل من أهل الجنة يعطى قوة مائة رجل في الأكل والشرب والشهوة والجماع " فقال رجل من اليهود: فإن الذي يأكل ويشرب تكون له الحاجة، فقال له رسول الله ﷺ " حاجة أحدهم عرق يفيض من جلده فإذا بطنه قد ضمر"[٥]، وقد وصف لباس أهل الجنة كما ورد في القرآن الكريم فقال:

وهـــم الملـــوكُ علـــى الأســـرّة فـــوق هـــا	**تيـــك الـــرؤوسِ مرصـــعُ التيجـــان**

(١) تفسير ابن كثير، ج١٢/٢٨٩.
(٢) المصدر السابق، ج١٢/٣٩٧ .
(٣) الكافية الشافية للعريفي، ص٩٧٢.
(٤) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٧٥.
(٥) رواه أحمد في مسنده، ج ١٨/٣٢ رقم الحديث: ١٩٢٦٩

ولباسُهم من سندسٍ خضرٍ ومن إستبرقٍ نوعان معروفان

وقد أشار في هذا المشهد إلى حديث عبد الله بن بريدة عن أبيه أنه قال: كنت جالساً عند النبيﷺ ... وفيه:

" فيعطى الملك بيمينه والخلد بشماله ويوضع على رأسه تاج الوقار..." (١).

وفي البيت الثاني يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ [الكهف: ٣١]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ* فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾[الدخان: ٥١ ـ ٥٣]، فيكون أهل الجنة ملوكاً متكئين على الأسرّة والتيجان المرصّعة فوق رؤوسهم.

ويقول ابن القيم: " السندس ما رقّ من الديباج، والإستبرق ما غلظ منه، وهما نوعان من الحرير وأحسن الألوان الخُضر وألين اللباس الحرير، فجمع لهم بين حسن منظر اللباس والتذاذ العين به وبين نعومته والتذاذ الجسم به" (٢).

ويكمل وصفه ويقول:(٣)

حللٌ تشق ثمارها عنها فتبـ دو كالرياط بأحسن الألوان

بيضٌ وخضرٌ ثم صفرٌ ثم حمـ ـرٌ شُبّهت بشقائق النعمان(٤)

لا تقبل الدنس المقرّب للبلى ما للبلى أبداً بهنّ يدان

ونظير ذلك ما رواه ابن عمر ﷺ أنه قال: " جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أخبرنا عن ثياب أهل الجنة تُخلق خلقاً أم تنسج نسجاً؟ فضحك بعض القوم، فقال رسول الله ﷺ: " ممن تضحكون؟ من جاهل يسأل عالماً" ثم أكبّ رسول الله ﷺ ثم قال: " أين السائل؟" قال: هو ذا أنا يا رسول الله. قال: " لا بل تشقّق عنها ثمر الجنة ثلاث مرات" (٥).

---

(١) رواه أحمد في مسنده ج٣٨/٤١ رقم الحديث: ٢٢٩٥٠

(٢) حادي الأرواح، ص٤١٩.

(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٧٦.

(٤) شقائق النعمان: نبات، واحدتها شقيقة سميت بذلك لحُمرتها على التشبيه بشقيقة البرق، وأضيف إلى النعمان بن المنذر لأنه نزل بشقائق رمل قد أنبتت الشَّقِر الأحمر فاستحسنها وأمر أن تُحمى، فقيل للشقر شقائق النعمان بمنبتها لا أنها اسم للشقر، لسان العرب، ج١٠/١٨٢.

(٥) رواه أحمد في مسنده، ج١١/٦٦٦.

وفي البيت الثاني يشير ابن القيم إلى ما رواه أبو أمامة الباهلي ﷺ وهو يحدث عن رسول الله ﷺ أنه قال: " ما منكم من أحد يدخل الجنة إلا انطلق به إلى طوبى فتفتّح له أكمامها فيأخذ من أي ذلك شاء إن شاء أبيض، وإن شاء أحمر، وإن شاء أخضر، وإن شاء أصفر، وإن شاء أسود، مثل شقائق النعمان وأرقّ وأحسن" (١).

وفي البيت الثالث إشارة إلى ما رواه أبو هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: " من يدخل الجنة ينعم ولا يبأس لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه" (٢).

وقال رحمه الله: " لا تبلى ثيابه، الظاهر أن المراد به الثياب المعينة لا يلحقها البلى، ويحتمل أن يراد به الجنس، بل لا تزال عليه الثياب الجدد كما أنها لا ينقطع أكلها في جنسه بل كل مأكول يخلفه آخر" (٣).

ويقول **الهراس:** " وهذه الحلل في بهائها وحسنها لا يمسها الدنس والوسخ الذي يسرع بها إلى البلى والتمزق إذ ليس للبلى عليها من سبيل" (٤).

وفي قوله أيضاً:(٥)

ونصيفُ إحداهنّ وهو خمارها ... ليست له الدنيا من الأثمان

سبعون من حللٍ عليها لا تعو ... قُ الطرف عن مخٍّ ورا السيقان

وفي هذين البيتين يشير ابن القيم رحمه الله إلى رواه أبو هريرة ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: " قِيد سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا ومثلها معها، ولقاب قوس أحدكم من الجنة خير من الدنيا ومثلها معها، ولنصيف امرأة من الجنة خير من الدنيا ومثلها معها "، قال: قلت: يا أباهريرة ما النصيف؟ قال: " الخمار" (٦).

وحديث أبي سعيد الخدري ﷺ الذي قال فيه: قال رسول الله ﷺ: " أول زمرةٍ تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والثانية على لون أحسن كوكب دريّ في السماء، لكل رجل منهم زوجتان، على كل زوجة سبعون حلة يبدو مخ ساقها من ورائها " (٧).

---

(١) تفسير ابن كثير، ج٦/١١١.
(٢) رواه مسلم، ج٤/٢١٨١، باب دوام نعيم أهل الجنة.
(٣) حادي الأرواح، ص٤٢٨.
(٤) شرح القصيدة النونية للهراس، ج٢/ ٣٨٢.
(٥) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٧٦.
(٦) رواه أحمد في مسنده، ج١٦/١٨٩ رقم الحديث: ١٠٢٧٠
(٧) رواه الترمذي، ج٤/٢٥١

وفي وصفه لفراش أهل الجنة فيقول:[1]

والفــــرشُ مــــن إســــتبرقٍ قــــد بُطّنــــت ۝ مــــا ظــــنكم بظهــــارةٍ لبطــــانِ

ويشير في هذا البيت إلى قوله تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ [الرحمن: ٥٤].

وقد أوضح ذلك في **حادي الأرواح** فقال: " فوصفُ الفرش بكونها مبطّنة بالإستبرق يدل على أمرين:

أحدهما: أن ظهائرها أعلى وأحسن من بطائنها، لأن بطائنها للأرض وظهائرها للجمال والزينة والمباشرة.

الثاني: يدل على أنها فرش عالية لها سمكٌ وحشوٌ بين البطانة والظهارة" [2].

ويصف قائلاً:

مرفوعــــةٌ فــــوق الأســــرّة يتّكــــي ۝ هــــو والحبيــــب بخلــــوةٍ وأمــــان

هــــذا وكــــم زربيــــةٍ ونمــــارقٍ ۝ ووســــائدٍ صــــفّت بــــلا بحســــبان

ويشير إلى قوله تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ﴾ [الغاشية: ١٣]، وقوله تعالى: ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ * وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ [الغاشية: ١٥، ١٦]، وقد قال ابن القيم: " والزرابي بمعنى البسط والطنافس، واحدها زربية، والمبثوثة المبسوطة والمنتشرة، والنمارق هي الوسائد واحدها نُمرقة" [3].

ويقول **صاحب الظلال:** "فارتفاع السرر يوحي بالنظافة كما يوحي بالطهارة، وأكوابهم مصفوفة مهيأة للشراب لا تحتاج إلى طلب ولا إعداد" [4].

ووصف حليّ أهل الجنة فقال:[5]

والحلــــيُ أصــــفى لؤلــــؤٍ وزبرجــــدٍ ۝ وكــــذاك أســــورةٌ مــــن العقيــــان[6]

مــــاذاك يخــــتص الإنــــاث وإنمــــا ۝ هــــو للإنــــاث كــــذاك للــــذكران

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٧٦– ٢٧٧.

(٢) حادي الأرواح، ص٤٤١.

(٣) المصدر السابق، ص ٤٤٦.

(٤) في ظلال القرآن، سيد قطب، ج٦/٣٨٩٧.

(٥) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٧٧.

(٦) الزبرجد: الزمرد، وهو نوع من الجواهر، لسان العرب ج٣/١٩٤.

وهذا إشارة لقوله تعالى:﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾[الحج: ٢٣].
ويقول **العريفي:**" والأساور جمع أسورة، وواحد الأسورة: سوار" [(١)]، وقد أورد **صاحب الظلال** قولاً رائعاً في هذا المشهد فقال: " إن هذا المشهد يتكشف عن نعيم مادي ملموس، ونعيم نفسي محسوس، فهم يحلّون من أساور الذهب واللؤلؤ والحرير، وهذا بعض المتاع ذي المظهر المادي الذي يلبي رغائب النفوس، وبجانبه ذلك الرضا والأمن والاطمئنان"[(٢)].

ويقول **ابن القيم:** " واختلفوا في جر لؤلؤ ونصبه، فمن نصبه ففيه وجهان:

أحدهما: أنه عطف على موضع قوله من أساور.

والثاني: أنه منصوب بفعل محذوف دلّ عليه الأول، أي: ويحلون لؤلؤاً، ومن جره فهو عطف على الذهب، ثم يحتمل أمرين:

١- أن يكون لهم أساور من ذهب وأساور من لؤلؤ.

٢- أن تكون الأساور مركبة من الأمرين معاً، الذهب المرصع باللؤلؤ والله أعلم بما أراد"[(٣)].

ويقول أيضاً: " قال الحسن: الحلي في الجنة على الرجال أحسن منه على النساء " [(٤)].
وينتقل بنا ببراعة وإبداع لوصف عرائس الجنات وحسنهن وجمالهن ولقائهن ولذة وصالهن والأنس بهن في الخيام والقصور فيصف ويقول:[(٥)]

فتيمّموا تلك الخيامِ فآنسوا ... فيهنّ أقماراً بلا نقصان

من قاصرات الطرفِ لا تبغي سوى ... محبوبها من سائر الشبان

وقد جاء وصف الحور العين في القرآن الكريم بالقاصرات في ثلاثة مواضع:﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلاَ جَانٌ﴾[الرحمن: ٥٦]، وقوله:﴿وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ * كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾[الصافات: ٤٨، ٤٩]، وقوله تعالى:﴿وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ﴾[ص: ٥٢].

وأشار **ابن القيم** وفصّل وقال: " والمفسرون كلهم على أن المعنى قصرن طرفهن على أزواجهن، فلا يطمحن إلى غيرهم، وقيل: قصرن طرف أزواجهن عليهن، فلا يدعهم حسنهن

---

(١) الكافية الشافية للعريفي، ص٩٧٩.

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب، ج٥/٢٩٤٤.

(٣) حادي الأرواح، ص ٤٢٤.

(٤) المصدر السابق، ص ٤٢٥ .

(٥) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٧٨.

وجمالهن أن ينظروا إلى غيرهن، وهذا صحيح من جهة المعنى، وأما من جهة اللفظ فإن قاصرات صفة مضافة إلى الفاعل الحسان الوجوه وأصله قاصر طرفهن أي: ليس بطامح متعدّ" (١).

ويقول **صاحب الظلال:** " فيهن قاصرات الطرف عفيفات الشعور والنظر، لا تمتد أبصارهن إلى غير أصحابهن، مصوناتٌ ناضرات لامعات، لم يمسسهن إنسٌ قبلهم ولا جان "(٢).

ثم شرع ابن القيم في بيان عيوب نساء الدنيا المتخذات أخدان المنقادة لأراذل الناس ذوات العيوب الخُلقية المتجردات عن الحسن والإحسان، والواحدة منهن شيطانة في صورة الإنسان لا دينٌ ولا عقل ولا خوف من الله تعالى، المجبولة على الغدر والخيانة لبعلها المنكرة للمعروف والإحسان، فيقول في حقها:(٣)

إن قصّر الساعي عليها ساعةً — قالت: وهل أوليتَ من إحسان؟

أو رام تقويماً لها استعصَت ولم — تقبل سوى التعويج والنقصان

أفكارُها في المكر والكيد الذي — قد حار فيه فكرة الإنسان

فأشار في البيت الأول لحديث رسول الله ﷺ الذي قال فيه: " يا معشر النساء تصدّقن فإني رأيتكن أكثر أهل النار" فقلن: وبمَ يا رسول الله؟ قال: تكثرن اللعن وتكفرن العشير" (٤)، ثم ينتقل إلى حديث أبي هريرة ﷺ الذي قال فيه: قال رسول الله ﷺ: " استوصوا بالنساء خيراً فإن المرأة خُلقت من ضلعٍ وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوجاً فاستوصوا بالنساء " (٥).

ثم يتطرق إلى معنى الآية الكريمة﴿إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ﴾[يوسف: ٢٨]، فهنّ صاحبات مكر وكيد، ويقول **العريفي:** " جمالها قشرة رقيقة تحتها من العيوب والقبائح ما شاء الله، فهو يشبه نقداً رديئاً قد انطلى بالذهب والفضة، فالعقلاء يميزون بين الذهب الحقيقي والمزيف، فهؤلاء النساء الجميلات الظاهر قد عمي أكثر الناس بحبهنّ ولم يعلموا ما تحت هذا الجمال المزوّر من أخلاق سيئة، فهم اهتموا بالمظهر دون المخبر" (٦).

---

(١) حادي الأرواح، ص ٤٧٩ .

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب، ج٦/٣٤٥٨.

(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٧٩.

(٤) رواه البخاري، ج١/١١٦، ورواه مسلم، ج١/٨٦ .

(٥) رواه البخاري، ج٣/١٢١٢، ورواه مسلم، ج٢/١٠٩١ .

(٦) الكافية الشافية للعريفي، ص٩٨٥.

ويقدّم ابن القيم نصيحة لنا بألا نبيع الذي هو أدنى بالذي هو خير، والباقي بلذة الحطام الفاني، وأن نوجه قلوبنا للباري سبحانه وتعالى، فيقول:[1]

فاخطب من الرحمن خوداً ثم قدّ ... م مهرَها ما دمت ذا إمكان[2]

أهملتَ جمعَ الزاد حتى فات بل ... فات الذي ألهاك عن ذا الشانِ

والله لو أنّ القلوب سليمةٌ ... لتقطّعت أسفاً من الحرمان

لكنها سكرى بحب حياتها الدّ ... نيا وسوف تفيق بعد زمان

والمعنى: أنك إذا لم تكن تستطع أن تخطبَ خوداً وهي الفتاة الحسناء، وأعياك ذلك ولم تقدر حتى الآن، فاخطب من الرحمن خوداً، وقدم لها مهراً، وهو صدق الإيمان والعمل الصالح ما دمت ذا قدرة وإمكان، وإن كنت ذا عقل سليم وإدراك كامل فكيف يليق بك أن تبيع العالي بالسافل وأن تستبدل العاجل الفاني بالذي هو خير وأبقى وأهنأ وأصفى، فإن ذلك لا يقدم عليه إلا ذو عقل مدخول وبصيرة مغلولة وإيمان مهزول.

ويقدم الإمام ابن القيم موعظةً في مكانها ومكانتها أنه ينبغي للمسلم أن يعلم أن هذه الدنيا ليست دار قرار، وإنما هي دار عمل وإعداد للزاد وهو العمل الصالح الذي يوصلك بإذن الله إلى الدار الآخرة، وهي دار الحياة الحقيقية الباقية.

ويشير في البيت الرابع إلى قوله تعالى: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَاحَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِين * أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِين * أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِين﴾ [الزمر: ٥٦ ـ ٥٨] .

ثم يفرد ابن القيم فصلاً لوصف عرائس الجنات والنساء الجميلات ذوات الحسن والإحسان اللواتي يشبهن القمر في ليلة البدر من شدة جمالهن، فيقول:[3]

فاسمع صفاتِ عرائسِ الجنات ثم ... اختر لنفسك يا أخا العرفان

حورٌ حسانٌ قد كملن خلائقاً ... ومحاسناً من أجمل النسوان

كمُلت خلائقها وأُكمل حسنُها ... كالبدر ليل الست بعد ثمان

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٧٩.

(٢) الخود: الفتاة الحسناء الشابة الجارية الناعمة والجمع خودات وخود، لسان العرب، ج٣/١٦٥ .

(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٨٠.

ويشير في هذه الأبيات إلى قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾[الدخان: ٥٤].

وقال: " الحور مأخوذ من الحوَر في العين وهو شدة بياض العين مع قوة سوادها، والحوراء هي التي يحار فيها الطرف من رقة الجلد وصفاء اللون، والعِين جمع عيناء، وهي العظيمة العين من النساء، ورجل أعين إذا كان ضخم العين، وامرأة عيناء، والجمع عِين، والعِين اللاتي جمعن صفات الحسن والملاحة" (١)، وعرائس الجنات مكتملات الحسن والجمال كالقمر في أوج اكتماله وإضاءته، ثم يصف ويقول:

وكلاهمـــــا مـــــرآةُ صـــــاحبه إذا ... مـــا شـــاء يبصـــر وجهـــه يريـــان

ونظير ذلك ما رواه أبو سعيد الخدري ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: " إن الرجل ليتكئ في الجنة سبعين سنة قبل أن يتحول، ثم تأتيه امرأته فينظر وجهه في خدها أصفى من المرآة، وإن أدنى لؤلؤة عليها تضيء ما بين المشرق والمغرب، فتسلم عليه فيرد السلام، ويسألها: من أنت؟ فتقول: أنا من المزيد، وإنه ليكون عليها سبعون ثوباً أدناها مثل النعمان من طوبى، فينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك، وإن عليها من التيجان، وإن أدنى لؤلؤةٍ عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب" (٢).

وفي قوله أيضاً:(٣)

لكـــــــنهنّ كواعـــــــبٌ ونواهـــــــدٌ ... فنهـــــودهن كـــــألطف الرمـــــان

والصـــدرُ متســـعٌ علـــى بطـــنٍ لهـــا ... حفّـــت بـــه خصـــران ذات ثمـــان

وجماعُهـــا فهـــو الشـــفاءُ لصـــبّها(٤) ... فالصـــبُّ منـــه لـــيس بالضـــجران

ويشير إلى قوله تعالى: ﴿وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا﴾[النبأ: ٣٣]، وقال **ابن كثير**: " كواعب أي نواهد، يعني أن ثديهن نواهد لم يتدلين لأنهن أبكار" (٥).

ويقول **الهراس**: " فالقد كالغصن الرطيب في حسن القوام والاعتدال، فلم يشنه قصر ولا طول، وهذا القد الممشوق والقوام المعتدل قد قام على عجيزة بيضاء كالعاج ثقيلة ممتلئة كأنها كثيب من الرمل فليس الظهر بلاحق لها، بل هي متميزة منفصلة عنه، وكذلك ثدياها قد بعدا عن

---

(١) حادي الأرواح، ص ٤٧٥ ـ ٤٧٦

(٢) رواه أحمد في مسنده، ج ٢٤٣/١٨ رقم الحديث: ١١٧١٥

(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٨١.

(٤) الصبابة: الشوق وصببت اليه صبابة، فأنا صبّ أي: عاشق مشتاق والأنثى صبّة، لسان العرب ج٥١٨/١ .

(٥) تفسير ابن كثير، ج٣١٨/١٢.

بطنها فليسا بلاصقين فيه ولا بقريبين منه بل نساء الجنة كلّهن كواعب ونواهد، قد كعبت أثداؤهن ونهدت، أي تمت استدارتها وبرزت وارتفعت، فصارت كالرمان المستدير الجيد" (١).

وفي البيت الثاني يعني أن صدرها متسع وهو فوق البطن الذي حف به من الجانبين خصران له ثمان عُكن من الخلف، وأشار إلى حديث أم سلمة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان عندها وفي البيت مخنّث فقال لعبد الله أخي أم سلمة: يا عبد الله إن فُتح لكم غداً الطائف فإني أدلك على بنت غيلان فإنها تقبل بأربع وتدبر بثمان فقال النبي ﷺ :" لا يدخل هذا عليكن" (٢).

ثم يصف لنا شغل أهل الجنة كما فهمه من القرآن الكريم فقال:(٣)

ولقد رُوينا أن شغلَهم الذي ... قد جاء في يس دون بيان

شغلُ العروسِ بعرسه من بعد ما ... عبثت به الأشواقُ طولَ زمان

وهذا إشارة لقوله تعالى:﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ* هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ﴾ [يس:٥٥ ـ ٥٦]، وقال **ابن كثير**:" شغلهم في الجنة هو افتضاض الأبكار" (٤)، ويقول **صاحب الظلال النديّة**: " إنهم مشغولون بما هم فيه من النعيم، ملتذون متفكهون، إنهم في ظلال مستطابة يستروحون نسيمها، ولهم فوق تلك اللذائذ سلام من ربهم الكريم"(٥).

ثم يصف ابن القيم نساء أهل الجنة ولذة وصالهن والهيام بهن والشوق إليهن ويقول:

والريح مسكٌ والجسوم نواعمٌ ... واللون كالياقوت والمرجان

وكلامها يسبي العقول بنغمة ... زادت على الأوتار والعيدان

وهي العروب بشكلها وبدلّها ... وتحبب للزوج كل أوان

فيشير رحمه الله إلى قوله تعالى:﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾[الرحمن: ٥٨]، وقوله تعالى:﴿عُرُبًا أَتْرَابًا ﴾ [الواقعة: ٣٧]، فقال **ابن كثير**: "هن في صفاء الياقوت، وبياض المرجان،

---

(١) شرح القصيدة النونية للهراس، ج٢/ ٣٩٥.
(٢) رواه البخاري، ج٥/٢٢٠٨.
(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٨١.
(٤) تفسير ابن كثير، ج١٠/١٣٠.
(٥) في ظلال القرآن، سيد قطب، ج٥/٢٩٧٢، وانظر: مشاهد القيامة، ص ١٠٩.

فالمرجان ههنا اللؤلؤ، والعُرُب: يعني بعد الثيوبة يعدن أبكاراً عرباً متحببات إلى أزواجهن بالملاحة والظرافة والحلاوة والتغنج" [١].

ويسهب ابن القيم ويقول:[٢]

أتـــراب ســـنٍ واحـــدٍ متماثـــل ســـنّ الشـــباب لأجمـــل الشـــبان

بكـــرٌ فلـــم يأخـــذ بكارتهـــا ســـوى الـــ ـــمحبوب مـــن إنـــس ولا مـــن جـــان

قال **ابن كثير** في قوله تعالى " عربا أترابا": قالت أم سلمة: يا رسول الله أخبرني عن قوله تعالى" عربا أترابا " قال: " هن اللواتي قبضن في الدنيا عجائز رُمصاً شمطاً، خلقهن الله بعد الكبر، فجعلهن عذارى عرباً متعشقاتٍ متحبّباتٍ أتراباً على ميلادٍ واحد" [٣].

ويشير في البيت الثاني إلى قول الله تعالى:**﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ﴾**[الرحمن: ٥٦]، ويقول: " إن ظاهر القرآن أن هؤلاء النسوة لسن من نساء الدنيا وإنما هن من الحور العين، وأما نساء الدنيا فقد طمثهن الإنس، ونساء الجن قد طمثهن الجن، وهذا إعلام بكمال اللذة بهن، فإن لذة الرجل بالمرأة التي لم يطأها سواه لها فضل على لذته بغيرها وكذلك هي أيضاً " [٤].

ويقول رحمه الله:[٥]

ولقـــد رُوينـــا أنـــه يغشـــى بيـــو مٍ واحـــدٍ مائـــةً مـــن النســـوان

ويشير في هذا البيت إلى ما رواه أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال: " يعطى المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا من الجماع " قيل: يا رسول الله أوَ يطيق ذلك؟ قال: " يُعطى قوة مائة "[٦].

---

(١) تفسير ابن كثير، ج٤٢٩/١١.
(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٨٢.
(٣) تفسير ابن كثير، ج٤٣١/١١.
(٤) حادي الأرواح، ص٤٨٣.
(٥) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٨٣.
(٦) رواه الترمذي، ج٢٥٨/٤، باب ما جاء في صفة جماع أهل الجنة.

ويقول رحمه الله: " يكون تفاوتهم في عدد النساء بحسب تفاوتهم في الدرجات، وحسب المنازل في القلة والكثرة كالخدم والولدان والله أعلم" [(١)].

ويصف ويقول:[(٢)]

وسـل المتـيّمَ كيـف مجلسـه مـع الـ	**ـمحبوب فـي رَوحِ وفـي ريحـان[(٣)]**
وتـدور كاسـاتُ الرحيـق عليهمـا	**بـأكف أقمـارٍ مـن الولـدان**
يتنازعـان الكـأسَ هـذا مـرة	**والخَـود أخـرى ثـم يتكئـان**

يشير في البيت الأول إلى قوله تعالى:﴿ فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ﴾ [الواقعة: ٨٨، ٨٩]، وفي البيت الثاني لقوله تعالى:﴿ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُون * بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴾[الواقعة: ١٧، ١٨]، وقال **القرطبي:**" فيخدمهم الولدان المخلدون لأنهم أخفّ في الخدمة، وهم باقون على ما هم عليه من الشباب والغضاضة والحسن، لا يهرمون ولا يتغيرون، ويكونون على سن واحدة على مر الأزمنة" [(٤)].

ويقول **سيد قطب:** " ثم نشهد الطواف عليهم بالأكواب ولكننا نشاهدها قوارير من فضة شفّة لا يحجب ما بداخلها، وتلك نهاية الإبداع في الصنعة ونهاية الترف في النعيم "[(٥)].

ويقول **محمد الطاهر بن عاشور** في تفسيره: " لقد جاءت لفظة أكواب مقترنة بالطواف، وفي هذا دلالة على الملازمة من الغلمان والولدان لأهل الجنة، إذ معنى الطواف هو المشي المكرر حول الشيء وهو يقتضي الملازمة له "[(٦)].

وفي البيت الثالث فإنه يشير إلى قوله تعالى:﴿يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾[الطور: ٢٣]، ويورد ابن القيم فصلاً في نونيته عن حمل النساء في الجنة وولادتهن، فقال بانتفاء الولد والإيلاد معتمداً على الحديث الذي أورده الإمام البخاري في صحيحه، فهو حديث طويل عليه من الجلالة والمهابة ونور النبوة ما ينادي على صحته .

---

(١) حادي الأرواح، ص ٥٠٥.

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٨٤.

(٣) المتيّم: هو الذي تيّمه الحب، أي: استولى عليه، لسان العرب، ج١٢/٧٥.

(٤) تفسير القرطبي، ج١٩/١٤٣.

(٥) مشاهد القيامة في القرآن، سيد قطب، ص٢٥٤.

(٦) تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م، ج٢٧/٢٩٣.

وأشار إلى ما رواه أبو رزين العقيلي ﷺعن النبي ﷺ قال: "إن أهل الجنة لا يكون لهم فيها ولد"[١]، وأشار إلى حديث أبي سعيد الخدري ﷺ الذي قال فيه: قال رسول الله ﷺ: " المؤمن إذا اشتهى الولد في الجنة كان حمله ووضعه وسنّه في ساعة كما يشتهي، ولكن لا يشتهي" [٢].

ثم يورد فصلاً في رؤية أهل الجنة لربهم تبارك وتعالى والنظر إلى وجهه الكريم، وتجليه لهم ضاحكاً إليهم، فيقول رحمه الله:[٣]

ويرونـــــه ســـــبحانه مــــن فـــــوقهم　　نظـــر العيـــان كمـــا يُـــرى القمـــران

وأتـــى بـــه القـــرآن تصـــريحاً وتعـــــ　　ـــــريضاً همـــا بســـياقه نوعـــان

وهـــي الزيـــادةُ قـــد أتـــت فـــي يـــونسٍ　　تفســـير مـــن قـــد جـــاء بـــالقرآن

وقد أشار إلى هذه الرؤية تصريحاً كقوله تعالى:﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾[القيامة: ٢٢، ٢٣]، وقوله تعالى:﴿**وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّكُم مُّلاَقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[البقرة: ٢٢٣]، وتعريضاً كما في قوله تعالى:﴿**كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ**﴾[المطففين: ١٥]، وقوله تعالى: ﴿**لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ**﴾[يونس: ٢٦] .

وقد أورد ابن القيم كلاماً في هذا المشهد في غاية الروعة والبيان فقال:

" وهذا الباب من أشرف الأبواب، وأجلّها قدراً، وأعلاها خطراً، وأقرّها لعيون أهل السنة والجماعة، وأشدها على أهل البدعة والضلالة، وهي الغاية التي شمّر إليها المشمّرون وتنافس فيها المتنافسون، إذا نال أهل الجنة هذه الرؤية نسوا ما هم فيه من النعيم، وحرمانه والحجاب عنه لأهل الجحيم أشد عليهم من عذاب الجحيم، فقد اتفق على هذه الرؤية الأنبياء والمرسلون والصحابة والتابعون وأئمة الإسلام على تتابع القرون، وأنكرها أهل البدع المارقون، والجهمية المتهوّكون، والفرعونية المعطّلون، والباطنية الذين هم من جميع الأديان منسلخون، والرافضة الذين هم بحبائل الشيطان متمسكون ومن حبل الله منقطعون" [٤]، ويشير في البيت الثالث إلى تفسير الرسولﷺ لقوله تعالى:﴿**لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ**﴾[يونس: ٢٦]، في الحديث الذي رواه صهيب ﷺ عن النبي ﷺ قال: "إذا دخل أهل الجنة الجنةَ قال الله تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم

(١) رواه الترمذي عن محمد الإمام البخاري، ج٤/٢٧٧، باب ما لأدنى أهل الجنة من الكرامة.
(٢) رواه أحمد في مسنده،ج١٧/١١٦، رقم الحديث: ١١٠٦٣، ورواه الترمذي في سننه ج٤/٦٩٥.
(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٨٧.
(٤) حادي الأرواح، ص٦٠٥.

تبيّض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجّنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحبّ إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل، ثم تلا هذه الآية: " للذين أحسنوا الحسنى وزيادة " [(١)].

وقال **ابن القيم:** " فالحسنى هي الجنة، والزيادة: النظر إلى وجه الله الكريم، كذلك فسّرها رسول الله ﷺ الذي أنزل عليه القرآن، والصحابة من بعده " [(٢)]، ونظير ذلك قول الله تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾[الأحزاب: ٤٤]، ويقول **صاحب الظلال:** " كيف بهذه الوجوه وهي تنظر، لا إلى جمال صنع الله، ولكن إلى جمال ذات الله، إنه مقام يحتاج أولاً إلى مددٍ من الله، ويحتاج ثانياً إلى تثبيت من الله، وما لها لا تنتضر وهي إلى جمال ربها تنظر"[(٣)].

ويقول ابن القيم في نونيته الشافية:[(٤)]

هـــــذا ويكفـــــي أنـــــه ســـــبحانه	**وصـــفَ الوجـــوهَ بنضـــرةٍ بجنـــان**
ولقـــد أتـــى فـــي ســـورة التطفيـــفِ أن	**القـــوم قـــد حُجبـــوا عـــن الـــرحمن**
وأتـــــى بـــــذاك مكـــــذباً للكافريـــــــ	**ـــــن الســـاخرين بشـــيعة الـــرحمن**

ففي البيت الأول أشار لقوله تعالى:﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[القيامة: ٢٢، ٢٣]، وأشار في البيت الثاني إلى قوله تعالى:﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾[المطففين: ١٥].

ويقول **ابن القيم:** "ووجه الاستدلال بهذه الآية أن الله تعالى جعل عقوبة الكفار كونهم محجوبين عن رؤيته، وسماع كلامه، فلو لم يره المؤمنون ولم يسمعوا كلامه كانوا أيضاً محجوبين عنه، وقد احتج بهذه الحجة الإمام الشافعي نفسه، فقد وصل محمد بن إدريس الشافعي رقعة من الصعيد، والربيع بن سليمان جالساً عنده مكتوب فيها: ما تقول في قول الله تعالى " كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون "، قال **الهراس:** " فهذا يدل على أن المؤمنين لا يحجبون عنه سبحانه، بل يرونه في جنة الخلد التي وعدها عباده المتقين، وبهذا احتج الشافعي وأحمد رحمهما الله وغيرهما من علماء أهل السنّة" [(٥)].

وقد قال **الشافعي:** " لما أن حجب هؤلاء في السخط كان في هذا دليل على أن أولياءه يرونه في الرضا، فقال الربيع: يا أبا عبد الله: وبه تقول؟ قال: نعم وبه أدين، ولو لم يوقن محمد بن

---

(١) رواه مسلم، ج١/١٦٣، باب إثبات الرؤية.

(٢) حادي الأرواح، ص٦١٠.

(٣) في ظلال القرآن، سيد قطب، ج٦/٣٧٧١.

(٤) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٨٧.

(٥) شرح القصيدة النونية للهراس، ج٢/ ٤١٤.

إدريس أنه يرى الله لما عبد الله تعالى" [١]، ويشير في البيت الثالث إلى قوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُون * عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُون * هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُون﴾ [المطففين: ٣٤ـ ٣٦] .

قال **ابن كثير**: " فاليوم: يعني يوم القيامة " الذين آمنوا من الكفار يضحكون " أي: في مقابلة ما ضحك منهم " على الأرائك ينظرون" أي: ينظرون إلى الله عز وجل في مقابلة من زعم فيهم أنهم ضالون، وليسوا بضالين، بل هم من أولياء الله المقربين ينظرون إلى ربهم في دار كرامتهم " [٢].

ثم ينتقل بنا لوصف لحظة خروج الله تبارك وتعالى لعباده المؤمنين وسلامه عليهم، فيقول:[٣]

بينمـــا هـــم فـــي عَيشـــهم وســـرورهم	**ونعـــيمهم فـــي لـــذة وتهـــاني**
وإذا بنــــورٍ ســـــاطعٍ قـــد أشــــرقت	**منــــه الجنــــان قصـــيها والـــداني**
رفعـــوا إليـــه رؤوسَـــهم فـــرأوه نـــو	**رَ الـــرب لا يخفـــى علـــى إنســـان**
وإذا بـــــــربهم تعـــــالى فـــــوقهم	**قـــد جـــاء للتســـليم بالإحســـان**
قـــال: الســـلام علـــيكم فيرونـــه	**جهـــراً تـــراه مـــنهم العيـــان**
مصـداقُ ذا " يـس " قـد ضـمنته عنـــ	**ـــد القـول مـن رب بهـم رحمـن**

فيشير **ابن القيم** في هذه المقطوعة إلى ما رواه جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: كنا عند النبي ﷺ فنظر الى القمر ليلة أربعة عشر فقال: " إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس، وقبل غروبها فافعلوا" ثم قرأ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾[طه: ١٣٠] [٤]، ويشير أيضاً إلى قوله تعالى: ﴿سَلامٌ قَوْلاً مِن رَّبٍّ رَّحِيم﴾[يس: ٥٨]، ويبين أن صلاة الفجر والعصر من أعظم العبادات التي تكون سبباً لرؤية الله تعالى في الجنة، وأن الجنة لا قيمة لها دون لذة النظر إلى وجه الله الكريم، لأنه أعلى النعيم في الجنة، وأن أشد العذاب على أهل النار احتجاب الله عليهم، فتقطع قلوبهم من الحرمان، ويمكثوا في آلامهم وحسراتهم مدي الأزمان.

ويقول رحمه الله تعالى:[٥]

---

(١) حادي الأرواح، ص٦١٦.

(٢) تفسير ابن كثير، ج٣٩٩/١٢.

(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٨٨.

(٤) رواه البخاري، ج ٢٠٩/١، ورواه مسلم ج٤٣٩/١.

(٥) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٩٠.

شـــوقاً إليـــه ولــــذةَ النظـــر الـــذي	لجـــلال وجـــه الـــرب ذي الســـلطان
وكـــــذاك رؤيـــــةُ وجهِـــــه ســـــبحانه	هـــي أكمـــلُ اللـــذات للإنســـــان

ويشير رحمه الله في البيت الأول إلى ما رواه أبو مجلز ﷺ قال: صلى بنا عمار صلاة فأوجز فيها، فأنكروا ذلك، فقال: ألم أُتم الركوع والسجود؟ قالوا: بلى. قال: أما إني دعوت فيها بدعاء كان رسول الله ﷺ يدعو به: " اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما علمتَ خيراً لي، وتوفني إذا علمت الوفاة خيراً لي وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وكلمة الحق في الغضب والرضا، والقصد في الفقر والغنى، ولذة النظر الى وجهك، والشوق إلى لقائك وأعوذ بك من ضراءَ مُضرةٍ ومن فتنةٍ مُضلة، اللهم زينّا بزينة الإيمان واجعلنا هداةً مهتدين"(١).

أما في البيت الثاني فإنه يشير إلى ما رواه صهيب ﷺ وفيه: " فما أعطاهم شيئاً أحبّ إليهم من النظر إليه "(٢).

ويورد الإمام **ابن القيم** فصلاً في تكليم الله تعالى لأهل الجنة ومحاورته لهم، وأن هذا الكلام من تمام اللذة والرضوان، حيث يحفّهم بفضله وعفوه وإحسانه، فيقول:(٣)

أو مـــــا علمـــــتَ بأنـــــه ســـــبحانه	حقـــــاً يكلـــــم حزبـــــه بجنـــــان
فيقـــولُ جـــل جلالـــه هـــل أنـــتم	راضـــون قـــالوا نحـــن ذو رضـــوان
أم كيـــف لا نرضـــى وقـــد أعطيتنـــا	مـــا لـــم ينلـــه قـــطُّ مـــن إنســـان
هـــل ثَـــمّ شـــيء غيـــر ذا فيكـــون أفـــ	ـــضلَ منـــه نســـأله مـــن المنـــان
فيقـــول أفضـــل مـــن رضـــواني فـــلا	يغشـــاكم ســـخط مـــن الـــرحمن

فيشير في هذه المقطوعة الرائعة إلى ما رواه أبو سعيد الخدري ﷺ قال: قال النبي ﷺ:" إن الله يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك وسعديك والخير في يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رب، وقد أعطيتنا ما لم تعطِ أحداً من خلقك؟ فيقول: أعطيكم أفضل من ذلك، فيقولون: يا رب وأي شيءٍ أفضل من ذلك؟ فيقول: أحلّ عليكم رضواني فلا أسخط عليكم أبداً " (٤).

---

(١) رواه أحمد ج٣٠/٢٦٤ رقم الحديث: ١٨٣٢٥.

(٢) رواه مسلم، ج١/١٦٣، باب إثبات رؤية المؤمنين ربهم في الآخرة، وقد سبق ذكره .

(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٩٠.

(٤) رواه البخاري، ج٦/٢٧٣٢، باب كلام الرب مع أهل الجنة، ورواه مسلم، ج٤/٢١٧٦، باب إحلال الرضوان على أهل الجنة.

ويقول رحمه الله:[1]

ويــــذكّر الـــــرحمنُ واحـــــدَهم بمـــــا	قـــد كـــان منـــه ســـالفَ الأزمـــان
منـــه إليـــه لـــيس ثَـــمَّ وســـاطةٌ	مـــا ذاك توبيخـــاً مـــع الغُفـــران
لكـــن يعرّفـــه الـــذي قـــد نالـــه	مـــن فضـــله والعفـــوِ والإحســـان

ونظير ذلك ما رواه ابن عمر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره فيقول: أتعرف ذنب كذا وكذا؟ فيقول: نعم أي رب، حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه هلك قال: سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، فيعطى كتاب حسناته.."[2].

وفي حديثه عن يوم المزيد وما أعد الله لأوليائه من الكرامات في الجنة، فيقول:[3]

أو مـــا ســـمعتَ بشـــأنهم يـــوم المزيـــ	ـــدِ وأنـــه شـــأن عظـــيم الشـــان
هـــو يـــومُ جمعتِنـــا ويـــوم زيـــارةُ الـــر	حمـــــنِ وقـــــت صـــــلاتنا وأذان

وهو يشير إلى ما رواه أنس بن مالك ﷺ قال: " أتى جبريل عليه السلام بمرآة بيضاء فيها وكتة، إلى النبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ: " ما هذه؟ قال: هذه الجمعة فضّلتَ بها أنت وأمتك، فالناس لكم فيها تبع، اليهود والنصارى، ولكم فيها خير، وفيها ساعة لا يوافقها مؤمن يدعو الله تعالى بخير إلا استجيب له، وهو عندنا يوم المزيد، قال النبي ﷺ: يا جبريل: ما يوم المزيد؟ قال: إن ربك اتخذ في الفردوس وادياً أفيحَ، فيه كثب مسكٍ، فإذا كان يوم الجمعة أنزل الله ما شاء من ملائكته، وحوله منابرُ من نورٍ عليها مقاعد النبيين، وحفّ تلك المنابرَ بمنابرَ من ذهب مكللةٍ بالياقوت والزبرجد، عليها الشهداء والصدّيقون، فجلسوا من ورائهم على تلك الكثب فيقول الله لهم: أنا ربكم، قد صدقتكم وعدي، فسلوني أعطكم، فيقولون: ربنا نسألك رضوانك، فيقول: قد رضيتم عنكم، ولكم عليّ ما تمنيتم، ولديّ مزيد، فهم يحبون يوم الجمعة لما يعطيهم فيه ربهم من الخير...[4].

أما في وصفه لسوق الجنة فيقول رحمه الله:[5]

يـــأتون ســـوقاً لا يُبـــاع ويُشـــترى	فيـــه فخـــذ منـــه بـــلا أثمـــان

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٩١.

(٢) رواه البخاري، ج٢/٨٦٢، باب قوله تعالى: " ألا لعنة الله على الظالمين ".

(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٩١.

(٤) رواه الشافعي في مسنده، ج١/٧٠ كتاب إيجاب الجمعة .

(٥) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٩٢.

لله ســـــوقٌ قـــــد أقامتهـــــا المـــــلا ئكـــــة الكـــــرام بكـــــلٍ مـــــا إحســـــان

ويدلل **ابن القيم** على أن في الجنة سوقاً بما رواه أنس بن مالكﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "إن في الجنة لسوقاً يأتونها كل جمعة، فتهب ريح الشمال، فتحثو في وجوههم وثيابهم، فيزدادون حسناً وجمالاً، فيرجعون إلى أهليهم وقد ازدادوا حسناً وجمالاً، فيقول لهم أهلوهم: والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً " [١].

قال **ابن القيم:** " فيأتون سوقاً قد حفّت بها الملائكة، فيها ما لم تنظر العيون إلى مثله، ولم تسمع الآذان، ولم يخطر على القلوب، قال: فيحمل لهم ما ليس يباع فيه ولا يشترى، وفي ذلك السوق يلقى أهل الجنة بعضهم بعضاً، ثم يقبل ذو المنزلة المرتفعة فيلقى من هو دونه ـ وما فيهم دني ـ فيروعه ما يرى عليه من اللباس والهيئة، فما ينقضي آخر حديثه حتى يتمثل عليه أحسن منه، وذلك أنه لا ينبغي لأحد أن يحزن فيها، ثم ينصرفون إلى منازلهم فيلقوا أزواجهم فيقلن: مرحباً وأهلاً بحبنا، لقد جئت وإن بك من الجمال والطيب أفضل مما فارقتنا عليه، فيقول: جالسنا اليوم ربنا الجبار عز وجل وبحقنا أن ننقلب بمثل ما انقلبنا" [٢].

ثم يمدح هذا السوق وأهله الذين تاجروا مع الله تعالى في الدنيا بالطاعات والعبادات، ولم ينشغلوا بلهو الدنيا الفاني، فيقول:[٣]

واهـــاً لـــذا الســـوقِ الـــذي مـــن حلّـــه نـــال التهـــاني كلهـــا بأمـــانِ

وتجّـــاره مـــن لـــيس تلهيـــه تجـــا راتٌ ولا بيـــعٌ عـــن الـــرحمن

أهـــلُ المـــروءة والفتـــوّة والتّقـــى والـــذكر للـــرحمن كـــلّ أوان

لـــو كنـــت تـــدري قـــدر ذاك الســـوق لـــم تـــركن إلـــى ســـوق الكســـاد الفـــاني

ويشير إلى قوله تعالى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَار﴾[النور: ٣٧]، ثم يصف خلود أهل الجنة ودوام صحتهم وعافيتهم ونعيمهم وشبابهم واستحالة نومهم وموتهم، فيقول رحمه الله:[٤]

هـــذا وخاتمـــةُ النعـــيم خلـــودُهم أبـــداً بـــدار الخلـــد والرضـــوان

---

(١) رواه مسلم، ج٤/٢١٧٨، باب فيمن يودّ رؤية النبي ﷺ .

(٢) حادي الأرواح، ص٥٧٢ ـ ٥٧٣، نقل بتصرف .

(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٩٣.

(٤) المصدر السابق، ص٢٩٣.

أوَ مـا سـمعتَ منـادي الإيمـان يخـــبر عـن منـاديهم بحسـن بيـان
لكـم حيـاةٌ مـا بهـا مـوتٌ وعـا فيـةٌ بـلا سـقم ولا أحـزان
ولكـم نعـيمٌ مـا بـه بـؤسٌ ومـا لشـبابكم هـرمٌ مـدى الأزمـان
كـلا ولا نـومٌ هنـاك يكـون إذ نـومٌ ومـوتٌ بيننـا أخـوان

فقد دلت آيات كثيرة على خلود أهل الجنة، كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾[النساء: ٥٧]، وقوله تعالى: ﴿وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾[التوبة: ٢١]، وقول الله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ﴾ [هود: ١٠٨]، وقوله تعالى: ﴿لاَ يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾[الحجر: ٤٨].

ثم يخبر أن منادي الإيمان هو رسول الله ﷺ ، ويشير إلى ما رواه أبو سعيد الخدري وأبو هريرة رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: " ينادي منادٍ: إن لكم أن تصحّوا فلا تسقموا أبداً، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً، وإن لكم أن تشبّوا فلا تهرموا أبداً، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً، فذلك قول الله عز وجل: ﴿وَنُودُواْ أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[الأعراف: ٤٣] (١).

ويورد ابن القيم شعراً في ذبح الموت بين الجنة والنار، فيقول:(٢)

أو مـا سـمعتَ بذبحـه للمـوت بيـــن المنـزلين كـذبح كـبش الضـان

ونظير ذلك من السنّة النبوية ما رواه أبو سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ :" يؤتى الموت كهيئة كبش أملح فينادي منادٍ: يا أهل الجنة: فيشرئبون وينظرون فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت وكلهم قد رآه ثم ينادي: يا أهل النار: فيشرئبّون وينظرون فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت وكلهم قد رآه فيذبح ثم يقول: يا أهل الجنة: خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت ثم قرأ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم: ٣٩] (٣).

قال **ابن القيم**: " وهذا الكبش والإضجاع والذبح ومعاينة الفريقين ذلك حقيقة لا خيال ولا تمثيل كما أخطأ فيه بعض الناس خطأ قبيحاً، وقال الموت عرض والعرض لا يتجسم، فضلاً عن

---

(١) رواه مسلم، ج٤/٢١٨٢، باب في دوام نعيم أهل الجنة.

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٩٤.

(٣) رواه البخاري،ج٤/١٧٦٠، باب " وأنذرهم يوم الحسرة "، ورواه مسلم،ج٤/٢١٨٨، باب الجنة يدخلها الجبارون.

أن يُذبح وهذا لا يصح، فإن الله تعالى ينشئ من الموت صورة كبشٍ يذبح كما ينشئ من الأعمال صوراً معاينة يثاب بها ويعاقب، والله تعالى ينشئ من الأعراض أجساماً تكون الأعراض مادةً لها وينشئ من الأجسام أعراضاً كما ينشئ سبحانه من الأعراض أعراضاً ومن الأجسام أجساماً، فالأقسام الأربعة ممكنة مقدورة بأمر الله تعالى" [1].

ثم يبين أن أعمال العباد تعرض يوم القيامة على الميزان فمنها ما يثقل، ومنها مايخفّ فيقول:[2]

أفمـــا تصـــدقّ أن أعمـــالَ العبـــا	**د تُحـطّ يـوم العـرض فـي الميـزان**
ولـــذلك تثقـــل تـــارة وتخـــف أخـــ	**ـــرى ذاك فـــي القـــرآن ذو تبيـــان**

ويشير في هذين البيتين إلى قول الله تعالى: ﴿**وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِين**﴾[الأنبياء: ٤٧]، وقوله تعالى: ﴿**فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُه * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَة**﴾ [القارعة: ٦، ٩]، وقوله تعالى: ﴿**فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُون * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُون**﴾[المؤمنون:١٠٢- ١٠٣].

" فإن أعمال العباد التي عملوها من خيرٍ أو شر توضع يوم القيامة في ميزان حقيقي له لسان وكفتان، وتوصف حينئذٍ بالخفة أو الرجحان، ومعلوم أن الأعمال أعراض لا تقبل الوزن، ولكن الله تعالى يحوّلها يوم القيامة أعياناً محسوسة" [3].

ثم يبين أن تلاوة القرآن والتسبيح والذكر والأعمال الصالحة هي التي تجادل وتدافع عن صاحبها يوم القيامة وتؤنسه في قبره، وتنشئ له نوراً على مد بصره في اليوم الذي يتخلى فيه الأخ عن أخيه والصديق عن صديقه والوالدة عن ولدها، فيقول:[4]

أو مـــا ســـمعتَ بـــأن ذلـــك مـــؤنسٌ	**فـــي القبـــر للملفـــوف فـــي الأكفـــان**
فـــي صـــورة الرجـــل الجميـــل الوجـــه فـــي	**ســـن الشـــباب كأجمـــل الشـــبان**

ويقول **العريفي** في هذا الموضع: " إن الأعمال تنفع وتشفع لصاحبها عند الله تعالى وتذكّره" [5]. ويستدلّ ابن القيم بحديث البراء بن عازب ﷺ الذي قال فيه: خرجنا مع النبيﷺ في

(١) حادي الأرواح، ص٨١٥.

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٩٤.

(٣) توضيح المقاصد وتصحيح القواعد، ج٢/ ٥٩٣.

(٤) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٩٥.

(٥) الكافية الشافية للعريفي، ص١٠٣٠.

جنازة رجل من الأنصار، [وفيه]:" ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول: أبشر بالذي يسرّك هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول له: من أنت فوجهك الوجه الذي يجيء بالخير فيقول: أنا عملك الصالح" (١).

قال **ابن عيسى**: " أنشأ الله تعالى من الأعمال صورةً حسنةً وصورة قبيحة تخاطب صاحبها، وهذا حقيقة لا خيال" (٢).

ويقول ابن القيم:(٣)

هـــذا مثـــالُ الأجـــر وهـــو فعالنـــا لـــــتلاوة القـــرآن بالإحســـــان

ونظير ذلك عنده ما رواه أبو أمامة الباهلي ﷺ أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:" اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه، اقرأوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران، فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما غيايتان، أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما، اقرأوا سورة البقرة، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطَلة "(٤).

ثم يصف الموت بأنه مخلوق من مخلوقات الله وأن الناس سيرونه يوم القيامة، فيقول:

والمـــوتُ مخلـــوقٌ بـــنصّ الـــوحي والـــ ـــمخلوقُ يقبـــل ســـائر الأكـــوان

ويستدل بقوله تعالى: ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾[الملك: ٢].

ويقول **ابن القيم**: " ألا إن سلعة الله غالية، ألا وإن سلعة الله الجنة، فإن السلعة إذا خفي عليك قدرها فانظر إلى المشتري لها من هو، وانظر إلى الثمن المبذول فيها ما هو؟ وانظر إلى من جرى على يده عقد التبايع، فالسلعة: النفس، والله سبحانه: المشتري لها، والثمن: جنات النعيم، والسفير في هذا العقد خير خلق الله تعالى من الملائكة جبريل عليه السلام، وأكرمهم عليه، وخير خلقه من البشر محمد ﷺ وأكرمهم عليه" (٥).

ويبين لنا أن جميع الناس في خسارة إلا من كان في طاعة الله وذكره وشكره، وأنه لن يدخل الجنة أحد بعمله، إلا بعفو الله ومغفرته ورضوانه، فيقول:(٦)

---

(١) رواه أحمد، ج٤٩٩/٣٠ رقم الحديث: ١٨٥٣٤

(٢) توضيح المقاصد وتصحيح القواعد، ج٥٩٤/٢.

(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٩٥.

(٤) رواه مسلم، ج ٥٥٣/١، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة.

(٥) حادي الأرواح، ص١٧١.

(٦) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٩٦.

لـــن يـــدخلَ الجنـــاتِ أصـــلاً كـــادحٌ   بالســعي منـــه ولـــو علـــى الأجفـــان

لكـــن بـــا الإثبـــات للتســـبيب والــــ   ـــباء التـــي للنفـــي بـــا الأثمـــان

فيظهر لنا الفرق بين باء السببية وباء المعاوضة استناداً لأحاديث رسول الله ﷺ وأراد أن ينبهنا إلى أمر عظيم وهو أن الجنة تُدخل برحمة الله وليس عملُ العبد مستقلاً بدخولها وإن كان سبباً ولهذا أثبت الله تعالى دخولها بالأعمال في قوله:﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُون﴾[العنكبوت:٨]، وقوله تعالى:﴿وَنُودُواْ أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُون﴾[الأعراف: ٤٣]، ونفى رسول الله ﷺ دخولها بالأعمال في قوله: " لن يدخلَ أحدٌ الجنة بعمله، قالوا:ولا أنت يا رسول الله؟ قال: لا ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله منه برحمة، ولكن سدّدوا" [(١)].

ويقول رحمه الله في **حادي الأرواح:** " ولا تنافي بين الأمرين لوجهين:

أحدهما: أن النجاة من النار بعفو الله، ودخول الجنة برحمته، واقتسام المنازل والدرجات بالأعمال، لأن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم .

والثاني: أن الباء التي نفت الدخول هي باء المعاوضة التي يكون فيها أحد العوضين مقابلاً للآخر، والباء التي أثبتت الدخول هي باء السببية التي تقتضي سببية ما دخلت عليه لغيره، وإن لم يكن مستقلاً بحصوله، وقد جمع النبي ﷺ بين الأمرين بقوله: " سددوا وقاربوا، واعلموا أن أحداً منكم لن ينجو بعمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته، فمن عرف الله تعالى وشهد مشهد حقه عليه ومشهد تقصيره وذنوبه، وأبصر هذين المشهدين بقلبه عرف ذلك وجزم به والله سبحانه وتعالى المستعان" [(٢)].

---

(١) رواه البخاري، ج٥/٢١٤٧، رواه مسلم، ج٤/٢١٦٩.

(٢) حادي الأرواح، ص١٧٦ـ ١٧٨.

المبحث الثاني
التشبيه

التشبيه لغةً: " التمثيل، وهو مصدرٌ مشتق من مادة شبه، والشِّبه، والشَّبه، والشبيه: المثل، والجمع أشباه، وأشبه الشيء الشيء: ماثله، وتشابه الشيئان واشتبها، والتشبيه التمثيل" (1).

ويورد ابن القيم هذا المعنى في قصيدته لحظة وصفه لسن أهل الجنة من الرجال والنساء، فيقول:(2)

أتـــــرابُ ســــــنٍّ واحــــــدٍ متماثـــــلٍ ســــــنُّ الشـــــباب لأجمـــل الشُّــــبَّان

وفي اصطلاح البلاغيين:

قال السكاكي: " إن التشبيه مستدع طرفين: مشبهاً ومشبهاً به، واشتراكاً بينهما من وجه، وافتراقاً من آخر "(3).

ويقول **ابن الناظم:** " ولا يصار للتشبيه إلا لغرض وأن حاله تتفاوت في القرب والبعد والقبول والرد"(4).

وعرّفه **الخطيب القزويني،** فقال: "هو الدلالة على مشاركة أمرٍ لأمر في معنى، بأداة من أدوات التشبيه الظاهرة أو المقدرة، وهو ما لم يكن على وجه الاستعارة التحقيقية، ولا الاستعارة بالكناية"(5).

والتشبيه: " فنٌ من فنون الكلام وعنصرٌ من عناصر الأسلوب، يرسم صورةً للحس والشعور، فينقل المعني بصورة واضحة كأننا نراه بأبصارنا، ونلمسه بأيدينا، والتشبيه من أشرف كلام العرب، وفيه تكون الفطنة والبراعة عندهم، وهو بحر البلاغة وسرّها"(6).

ويورد إمام البلاغة وشيخها **عبد القاهر الجرجاني** قولاً في التمثيل ومدى تأثيره في النفس، فيقول:" وهل تشك في أنه يعمل عمل السحر في تأليف المتباينين حتى يختصر بُعدَ ما بين المشرق والمغرب ويجمع ما بين المُشئم والمُعرِق وهو يريك للمعاني الممثلة بالأوهام شبهاً في الأشخاص الماثلة والأشباح القائمة وينطق لك الأخرس ويعطيك البيان من الأعجم ويريك الحياة في

(١) لسان العرب، ابن منظور، ج ١٣ / ٥٠٣ .
(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٨٢.
(٣) مفتاح العلوم للسكاكي، ص ٣٣٢ .
(٤) المصباح في المعاني والبيان والبديع، لابن الناظم، ص ١٠٤ .
(٥) الإيضاح للخطيب القزويني، ص ٢١٧، وانظر: من بلاغة القرآن، ص ١٤٨ـ ١٤٩ .
(٦) القرآن والصورة البيانية، د. عبد القادر حسين، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ،١٩٨٥م، ص ٧.

الجماد، ويريك التئام عين الأضداد فيأتيك بالحياة والموت مجموعين والماء والنار مجتمعين "[1].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن التمثيل نوع من أنواع التشبيه كما يرى الإمام **عبد القاهر الجرجاني**، فيقول: "والتمثيل ضرب من ضروب التشبيه، والتشبيه عامٌ والتمثيل أخص منه، فكل تمثيلٍ تشبيه، وليس كل تشبيه تمثيل"[2].

ويقول **رحمه الله**: " فالتمثيل يريك العدم وجوداً والوجود عدماً والميت حياً والحيَّ ميتاً، أعنى جعلهم الرجل إذا بقى له ذكر جميل وثناء حسن بعد موته كأنه لم يمت وجعل الذكر حياةً له، وحكمهم على الخامل الساقط القدرِ الجاهل الدنيء بالموت وتصييرَهم إياه حين لم يكن ما يؤثَر عنه ويُعرف به كأنه خارج عن الوجود إلى العدم أو كأنه لم يدخل في الوجود."[3]

ويورد **المراغي** قولاً في هذا المعنى: " إلحاق أمر بأمر يقصد بذلك: إلحاق المشبه بالمشبه به، والمعنى المشترك بينهما هو وجه الشبه، وذلك بأداة الكاف وكأن وما في معناهما لغرض الفائدة، والفائدة لإيضاح المعنى المقصود مع الإيجاز والاختصار "[4].

أركان التشبيه:

يرى علماء البلاغة أن للتشبيه أربعة أركان: [5]

١- **المشبه**: ولابد للمشبه أن يشترك مع المشبه به في وجه الشبه.

٢- **المشبه به**: والمشبه به هو الأصل، لأن وجه الشبه فيه أقوى منه في المشبه، ولابد أن يكون ملائماً للمشبه في وجه الشبه المعتبر، واختيار المشبه به المناسب للمشبه هو من أسرار البيان التي لا يهتدي إليها إلا من رزقه الله فهماً سليماً وذوقاً رفيعاً عالياً.

٣- **أداة التشبيه**: " وهي كل لفظٍ يدل على المماثلة والاشتراك، وتكون في الأسماء، والأفعال، والحروف، وكلها تفيد قرب المشبه من المشبه به في صفته" [6].

٤- **وجه الشبه**: وهو الصفة المشتركة بين المشبه والمشبه به.

---

(١) أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني(٤٧١هـ)، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، ط١، ١٤١٢هـ، ١٩٩١م، ص ١٣٢ .

(٢) أسرار البلاغة للجرجاني، ص٩٥.

(٣) المصدر السابق، ص ١٣٥- ١٣٦.

(٤) علوم البلاغة للمراغي، ص ٢١٣ .

(٥) فن التشبيه، بلاغة، أدب، نقد، على الجندي، كلية دار العلوم، مكتبة نهضة مصر، الطبعة الأولى، ١٩٥٢م ج١/ ٩٤، وانظر: من بلاغة القرآن، ص ١٤٩.

(٦) علم البيان، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م، ص ٧٧.

ويقول **القزويني:**" هو المعنى الذي يشترك فيه الطرفان تحقيقاً أو تخييلاً، والمراد بالتخييل أنه لا يمكن وجوده في المشبه به إلا على طريق التخييل" (١).

وهذه الأركان الأربعة منحصرة في:

أولاً: أقسام التشبيه باعتبار الطرفين:

ويقول **ابن الأثير في كتابه المثل السائر:** ينقسم التشبيه باعتبار الطرفين إلى:(٢)

- **الأول: باعتبار المحسوس والمعقول**، ويندرج تحته:

١– **تشبيه المحسوس بالمحسوس:** " وهو ما يدرك هو أو مادته بإحدى الحواس الخمس الظاهرة، ومعنى هذا أنهما قد يكونان من المبصرات، أو المسموعات، أو في المذوقات، أو المشمومات، أو الملموسات" (٣). وذلك كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ * وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾[المعارج:٨ ـ ٩].

وقال **الزمخشري:** " فقد شبه السماء بالزيت المغلي، أو الفضة المذابة في تلونها، والجبال بالصوف المصبوغ، وكلاهما حسيان"(٤).

ويقول **عبد القادر حسين** في قوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ * كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾[الصافات:٤٨ ـ ٤٩]، " فقد قصرن أبصارهن على أزواجهن لا يمددنها إلى غيرهم، لعفتهن وحيائهن، ولفرط محبتهن لأزواجهن، كما وصفهن باتساع العيون وحسنها، وقد شبه نساء الجنة ببيض النعام المكنون الذي لم ينكشف لضوء الشمس ولا لغيره، فلم تلمسه الأيدي، ولم يصبه الغبار لحسنه وصفائه ورونقه، فلا ينظر إليهن أحد سوى أزواجهن، ولا يقترب منهن أحد غيرهم، وكلا الطرفين في التشبيه حسيان" (٥).

وقال **سليمان رطروط:** " لقد شبههن ببيض النعام المصون من الغبار، وذلك في الصفاء والبياض المخلوط بالصفرة، فإن ذلك أحسن ألوان الأبدان، والعرب تشبه النساء ببيض النعام من

---

(١) الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني، ص٢٢٤.

(٢) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين ابن الأثير، تحقيق وتعليق: أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ج٢ / ١٢٧ـ ١٢٨.

(٣) علم البيان، عبد العزيز عتيق، ص٦٦ـ ٦٧، وانظر: المصباح في المعاني والبيان والبديع، لابن الناظم، ص١٠٤ ـ ١٠٥.

(٤) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للزمخشري، شرح وضبط يوسف الحمادي، دار مصر للطباعة، ج٤/ ٤٦٢.

(٥) القرآن والصورة البيانية، عبد القادر حسين، ص ٤٨.

حيث لون الأجساد، وهو لون جسد المرأة المرغوب عندهم إذا كان مائلاً إلى الصفار، أو ما يسمى بالأشقر، وهذا اللون ما يحب الرجال أن تكون أجساد النساء موصوفة به"[١].

وقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾[الرحمن:٥٨]، فقد شبه الحور العين بالياقوت والمرجان والأحجار الكريمة، فظهر جمالهن وحسنهن وبهاؤهن في أجمل صورة من خلال هذا التشبيه المنقطع النظير، للترغيب بهن والشوق إليهن ولأن النفس بفطرتها تميل إلى ذاك الجمال الخلاب، والمشبه والمشبه به حسيان.

" والياقوت هو جوهر نفيس لونه ورديّ، فهو ليس بالأبيض ولا الأحمر الشديد الحمرة، والمرجان صغير اللؤلؤ وأبيضه، فالحور العين وجوههن كأنها الياقوت ذلك اللون الوردي الذي يحب الرجال أن تكون النساء عليه، فهو أبيض مشرب بحمرة، وأما أجسامهن فهي بيضاء صافية كصفاء المرجان"[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ * كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾[الواقعة:٢٢ -٢٣]. ويقول **ابن ناقيا** في هذا المشهد: " فهن كأمثال الدر يخرج من صدفه، ولكنه لم يغيره الزمان، واختلاف أحوال الاستعمال، وقد شبههن في صفائهن وتلألئهن بصفاء الدر وتلألئه، فهن صافيات كأمثال اللؤلؤ المنثور"[٣]، ونظير ذلك ما ورد في القصيدة النونية لابن القيم، فيصف ويقول:[٤]

والـــرِّيح مســـكٌ والجســـوم نـــواعمٌ   واللـــون كاليـــاقوت والمرجـــان

" أما ريحها فنوافح المسك يفوح أريجه من فمها وثيابها حتى يتضوّع به المكان من حولها، وأما جسمها فأشد نعومة من الحرير لا يرى به آثار خشونة ولا تشقق ولا يبوسة، وأما اللون فصفاء الياقوت في بياض المرجان، فقد شبههن في صفاء اللون وبياضه بالياقوت والمرجان "[٥]، وكلا الطرفين حسيان.

وفي البيت **تشبيهٌ بليغٌ** وذلك في قوله: والريح مسك، حيث شبه رائحة نساء أهل الجنة بالمسك، وحذف أداة التشبيه ووجه الشبه.

---

(١) الجنة في القرآن الكريم، أوصافها - أهلها - نعيمها، سليمان حسن رطروط، مكتبة المنار، الأردن، الزرقاء، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ، ١٩٨٩م، ص ١٧٨.

(٢) الجنة في القرآن الكريم، سليمان رطروط، ص١٧٦- ١٧٧.

(٣) الجمان في تشبيهات القرآن، عبد الله بن الحسين بن ناقيا (٤٨٥هـ)، تحقيق وضبط ومراجعة: محمد حسن الشيباني، الرياض، ط١، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م، ص ٢٥١.

(٤) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٨٢.

(٥) شرح القصيدة النونية للهراس، ج٢/ ٣٩٨

ويقول **ابن ناقيا** في هذا المشهد: " وقد شبه نساء الجنة بالياقوت في صفاء اللون والبياض والحسن، والمرجان الذي يميل لونه إلى الحمرة الجميلة، وهي أحسن الألوان" (١).

وقوله في وصف حسنها وبهائها، فيقول:(٢)

كمُلـــت خلائقُهـــا وأُكمــلَ حُســـنها كالبـــدر ليـــل السِّـت بعـــد ثمـــان

فهن حور حسان قد كملت خلائقهن، فلا يرى منهن عيب ولا نقصان، وكملت محاسنهن حتى ليحار الطرف فيهن من رقة الجلد ونعومته وصفاء الألوان، وحتى ليرى مخ سوقهن من وراء ثيابهن ويرى الناظر وجهه في كبد إحداهن، كما ترى الصور في المرآة، ولا تسل عن جمال العيون، ففيها كل السحر والفتون والعشق والجمال، فقد زانها الحور فاشتد بياض بياضها واشتد سواد سوادها، وقد شبههن في كمال وصفهن بالبدر ليلة أربعة عشر، وكلاهما حسيان.

وأورد **التشبيه التمثيلي** في قوله: كالبدر، حيث شبه الحوراء في تمام حسنها بالبدر ليلة التمام، وجاء **بالاستعارة المكنية** في قوله: " كملت خلائقها " حيث شبه خلائقها بالطفل الذي يكتمل نموه، وحذف المشبه به وأبقى صفة من صفاته وهى الاكتمال.

وأقول: فإن الحوراء قد كملت خلائقها فلا يصدر عنها إلا كل جميل من عفةٍ وشرفٍ وطاعةٍ للزوج وتحببٍ إليه وقصرٍ للطرف عليه، ومناجاته بأحب الكلام إليه، فلا يبدر منها إليه ما يسوؤه ولا يرى منها ما يكرهه، ولا يقع منها دائماً إلا على كل ما يزيده حباً فيها وانجذاباً إليها.

وفي وصف صدور الحور العين ونهودهن، فيورد قوله لكل مشتاق متلهف عطشان لهن، فيقول:(٣)

لكـــــنهن كواعـــــبٌ ونواهـــــد فثـــــديهن كـــــألطف الرُّمَّـــــان

فإن ثدييها قد بعُدا عن بطنها فليسا بلاصقين فيه ولا بقريبين منه، بل نساء الجنة كلهن كواعب ونواهد، قد كعبت أثداؤهن ونهدت، فتمت استدارتها وبرزت وارتفعت، فصارت كفحول الرمان اللذيذة، وقد شبه الثدي في استدارته بالرمان وكلاهما حسيّ.

ونظير هذا ما أورده ابن القيم في سماع الغناء لأهل الجنة، عندما تأتي ريح الجنة فتهز ذوائب أغصان الشجر فتحدث أصواتاً جميلة، يغنين نساء الجنة على تلك الألحان، ويتلذذون بها، ولا يملّون من سماعها، فيقول:

---

(١) الجمان في تشبيهات القرآن، ص ٢٤٥.

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٨٠.

(٣) المصدر السابق، ص٢٨١.

فتثيـــر أصـــواتاً تلـــذ لمســـمع الـــ إنســـان كالنغمـــات بـــالأوزان[1]

فقد شبه الأصوات التي تحدثها الرياح وهي تهز ذوائب الأغصان بالنغمات الموسيقية الموزونة، وذلك من شدة روعتها وبهائها، وقد أورد المشبه وهو الأصوات، والمشبه به وهو النغمات، وكلاهما يدركان بالسمع، وهو من باب تشبيه المحسوس بالمحسوس.

" والكواعب جمع كاعب، وهي المساوية لغيرها في السن، وقد وصفهن بالأتراب بالنسبة بينهن في تساوي السن لزيادة الحسن، فلا تفوت واحدة منهن غيرها، فلا تكون النفس إلى إحداهن أميل منها إلى الأخرى، فتكون بعضهن أقل مسرة في نفس الرجل، ويجوز أن يكون هذا الوصف بالنسبة بينهن وبين أزواجهن لأن ذلك أحبّ إلى الرجال في معتاد أهل الدنيا لأنه أوفق بطرح التكلف بين الزوجين، وذلك أحلى المعاشرة "[2].

٢- تشبيه المعقول بالمعقول: " ويدخل في ذلك ما يدرك بالوجدان والعقل، كاللذة والألم، والفرح والحزن والغضب، فمثل هذه المعاني توجد بفعل قوى باطنية تدركها النفس، وتسمى تلك القوى وجداناً، وقد سميت عقلية لخفائها وعدم إدراكها بالحواس الظاهرة، كالألوان المدركة بالعين، والطعم المدرك بالذوق"[3].

ويصف لذة الفسّاق الزائلة الفانية، فيقول:[4]

يـــا لـــذة الفسّـــاق لســـت كلـــذة الـــ أبـــــرار فـــــي عـقـــــلٍ ولا قـــرآن

فقد نفى أن تكون لذة الفساق وذوي المجون، كلذة المتقين الأخيار، فإن لذة الأبرار دائمة لا تنقطع، لأن الله تعالى هو الذي منّ عليهم بها، وقد جاء التشبيه من باب تشبيه المعقول بالمعقول، فكلتا اللذتين لا تدركان بالحس، وإنما بالعقل.

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٧٣.

(٢) تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج٣٠ / ٤٥.

(٣) علم البيان، عبد العزيز عتيق، ص ٧٠، وانظر: من بلاغة القرآن، ص ١٥٣، وانظر: جواهر البلاغة للهاشمي، ص ٢٢١- ٢٢٢.

(٤) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٧٤.

٣- تشبيه المحسوس بالمعقول، أو العكس:

وهذا ما جاء به ابن القيم في ذم أهل الدنيا الذين يتمتعون بالأغاني الفانية، ويتلذذون للحظات، ثم تبقى الهموم والأحزان والحسرات، فتقطع قلوبُهم أسفاً وحسرةً، على ما فرطوا في جنب الله، وقد بيّن أن الإنسان الذي يفضل غناء الدنيا على الآخرة، فقد فضل الذي هو أدنى بالذي هو خير، فقال رحمه الله:[١]

واللهِ إن سـماعهم فـي القلـب والـ إيمـان مثـل السـم فـي الأبـدان

فقد شبه سماع الأغاني في القلب بالسمّ في البدن، وهو من باب تشبيه المعقول بالمحسوس، فالأثر الناجم عن السماع يدرك بحاسة السمع، وهو محسوس، والأثر والنشوة الناجمة عن السم يدرك بالحس، فالسماع يدرك بالعقل، والسمّ في الأبدان يدرك بالحس.

ويقول **ابن عيسى:**" إن سماع الأغاني من مكائد الشيطان التي كاد بها مَن قلّ نصيبُه مِن العلم والعقل والدين وصاد بها قلوب المبطلين والجاهلين سماع المكاء والتصدية والغناء بالآلات المحرمة هو الذي يصد القلوب عن القرآن ويجعلها عاكفةً على الفسوق والعصيان، فهو قرآن الشيطان والحجاب الكثيف عن الرحمن وهو رقية اللواط والزنا وبِه ينال العاشق الفاسق من معشوقه غاية المنى" [٢].

ويصف ابن القيم مشهد ذبح الموت يوم القيامة بين الجنة والنار، وأنه يُذبح كما يذبح الكبش الأقرن، فيقول:[٣]

أوَ مـا سـمعت بذبحـه للمـوت بيـ ـن المنـزلين كذبـح كـبش الضـان

فقد شبه الموت وهو يُذبح بين الجنة والنار بالكبش السمين، فأورد ذبح الموت وهو غير مدرك بالحس، المشبه بذبح الكبش المدرك بالحس، وهو من باب تشبيه المعقول بالمحسوس.

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٧٣.

(٢) توضيح المقاصد وتصحيح القواعد، ج ٢/ ٥٢١.

(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٩٤.

الثاني: باعتبار الإفراد والتركيب والتعدد:

١- تشبيه المفرد بالمفرد: (١)

ونظير ذلك في وصف نساء الجنة وهنّ يتمايلن لأزواجهن ويغنين لهم، حيث قال:(٢)

وإذا بـــدت فـــي حلـــةٍ مـــن لبســـها وتمايلـــــت كتمايـــــل النشـــــوان

حيث شبه الحوراء وهي تختال وتتثنى أمام زوجها بشارب الخمر الذي يتمايل من ثمالته، وقد جاء بالمشبه مفرداً، وهو " الحوراء "، والمشبه به مفرداً وهو " المتمايل النشوان "، وهو من باب تشبيه المفرد بالمفرد.

٢- تشبيه المركب بالمركب: " والمركب هو الصورة المكونة من عدد من العناصر مزج بعضها ببعض حتى صارت شيئاً واحداً"(٣).

وفي تشبيه ابن القيم للحور العين ووصفه لهن، فيقول:(٤)

والمعصـــمان فـــإن تشـــأ شـــبههما بســـــبيكتين عليـــــهما كفّـــــان

كالزبـــد لينـــاً فـــي نعومـــة ملمـــسٍ أصـــــــدافُ درٍّ دوّرت بـــــــوَزان

فقد شبه معصَميها بسبائك الذهب، وذلك بجامع الجمال والبهاء والحسن، فكان هذان المعصمين كالزبدة في نعومتهن وملمسهن، فهن المرفهات ذوات الحسن والإحسان، وقد جاء التشبيه في هذا المشهد مركباً من أمور عدة، هي المعصمان والكفان، وتشبيههما بالزبد وأصداف الدر والياقوت، وهذا من باب تشبيه المركب بالمركب.

ويقول **الزمخشري:** " فكما تزاوج نساء الدنيا بين أنواع الحلي وتجمع بينها، فما أحسن بالمعصم أن يكون فيه سواران: سوار من ذهب وسوار من فضة "(٥).

٣- تشبيه المتعدد بالمتعدد: وذلك كقوله في وصف الحور العين وجمالهن:(٦)

تهتـــزُّ كالغصـــن الرطيـــب وحملُـــه وردٌ وتفـــــاحٌ علـــــى رمّـــــان

---

(١) جواهر البلاغة، للهاشمي، ص ٢٢٣.

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٨٣.

(٣) من بلاغة القرآن، ص ١٥٩.

(٤) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٨١.

(٥) الكشاف للزمخشري، ج ٤ / ٥٢٠.

(٦) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٨٤.

فقد شبه الحوراء وهي تتمايل لزوجها بالغصن الرطيب الممتلئ بالثمار اللذيذة، فخدودها كالورد والتفاح في لذته وجماله وصفائه وهو يتمايل على الأغصان، ونهودهن كألطف الرمان في شكله وطعمه ولذته، وهو من باب تشبيه المتعدد بالمتعدد.

ويقول **على الجندي** في كتابه **فن التشبيه:** " لم يقع التشبيه متعدداً في القرآن، ولم يأت فيه تشبيه شيئين بشيئين، ولا أكثر من ذلك، وإنما جاء تشبيه واحد بواحد فيما ورد من أنواع التشبيه جرياً على أعراق البلاغة الأصيلة التي تنفر من التكلف والإغراق، ولكن مع تراخي الزمن عدل الشعراء عن البساطة والقصد إلى التعقيد والإسهاب، وأفضل التشبيه هو متعدد الطرفين، لأنه أقرب إلى الفطرة، وأبعد عن التعسف والتعقيد، وهو ما وقع فيه تشبيه شيئين بشيئين في بيت واحد"(١).

ثانياً: أدوات التشبيه:

إن لهذه الأدوات دوراً في إفادة المعاني الخاصة في التشبيه، ويمكن تقسيمها على النحو التالي:

١- **في الحروف:** " وتكون بالكاف، وكأن أو إرادتها أو إرادة معناها، والمشهور أنها تفيد التشبيه على الإطلاق"(٢).

ونظير ذلك في ذكر أداة التشبيه ما أورده ابن القيم، فقال:(٣)

والقـــد منهـــا كالقضـــيب اللـــدن فـــي حســـن القـــوام كأوســـط القضـــبان

فقد ذكر أداة التشبيه " الكاف " في موضعين، وهى من حروف التشبيه، وفي البيت أيضاً تشبيه تمثيلي: حيث شبه القد بالقضيب.

٢- **في الأسماء:** " وتكون بمثل وشبه، ومضاهٍ، ومساوٍ، ومشاكل ومشابه ومضارع وما كان بمعناها أو مشتقاً منها"(٤).

ونظير ذلك ما أورده ابن القيم في وصف الحور العين وأقدامها وسيقانها، فقال:(٥)

والســـاق مثـــلُ العـــاج ملمـــومٌ يُـــرى مـــــخّ العظـــــام وراءه بعيـــــان

فذكر أداة التشبيه " مثل " وهي من الأسماء، وفي البيت تشبيه تمثيلي، فقد شبه ساق الحوراء في دقته وجماله بالعاج.

---

(١) فن التشبيه، على الجندي، ج ٢/ ١٢٧ـ ١٤٢.

(٢) المصدر السابق، ج١/ ١٧٥ـ ١٧٨.

(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٨٠.

(٤) القرآن والصورة البيانية، عبد القادر حسين، ص ٧٥.

(٥) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٨٢.

ويقول **الزمخشري:** " إن الحوراء تلبس سبعين حلة، فيرى مخ ساقها من ورائها كما يرى الشراب الأحمر في الزجاجة البيضاء "[1].

٣- **في الأفعال** مثل: شابه، ماثل، يخيل، حاكى، وغير ذلك من الأفعال المشتقة.

وذلك كقوله في وصف لباس أهل الجنة:

بـيض وخضـر ثـم صـفر ثـم حمـ ـر شُـبهت بشـقائق النعمـان

فذكر أداة التشبيه " شبهت " وهي فعل ماضٍ، وفي البيت **تشبيه:** فقد شبه ملابس أهل الجنة وهي تتشقق بشقائق النعمان وهو أجمل أنواع الورد والأزهار.

ثالثاً: أقسام التشبيه باعتبار الأداة:

وقد ذكر **عبد العزيز عتيق** في كتابه علم البيان فقال: " والبلاغيون يقسّمون التشبيه باعتبار الأداة إلى:[2]

١- **التشبيه المرسل:** وهو ما ذكرت فيه أداة التشبيه.

ونظير ذلك ما أورده ابن القيم في قصيدته في مصرف طعام أهل الجنة، وشرابهم وهضمه، وأنه عرقٌ يفيض لهم من أجسادهم رائحته كرائحة المسك، فقال:[3]

كـروائح المسـك الـذي مـا فيـه خلـ ـطٌ غيـره مـن سـائر الألـوان

فقد ذكر أداة التشبيه في قوله " كروائح المسك "، لذلك فإنه يعتبر تشبيه مرسل.

وفي وصفه لأرض الجنة وتربتها وحصبائها، فقال:[4]

حصـباؤُها درٌ ويـاقوتٌ كـذا ك لآلـيء نُثـرت كنثـر جُمـان

فقد شبه حصباء الجنة بالدرّ والياقوت والفضة المنثورة، وقد ذكر أداة التشبيه في موضعين هما:" كذاك، كنثر " والحقيقة إنّ حصباءها كالدرّ والياقوت، فإن لونَ الأرضِ من أحسن وأبهى الألوان، ورائحتها من أطيب الروائح الكريمة.

---

(١) الكشاف للزمخشري، ج٤ / ٣٢٦.

(٢) علم البيان، عبد العزيز عتيق، ص ٨٠، وانظر: البلاغة العربية للميداني، ج٢ / ١٧٣.

(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٧٦.

(٤) المصدر السابق، ص٢٧٠.

وقوله في وصف حلي أهل الجنة:[1]

والحلـــــى أصـــــفى لؤلـــؤ وزبرجـــــد   وكــــذاك أســــورة مـــــن العقيـــان

فشبه حليهم باللؤلؤ والزبرجد، وذلك بجامع النفاسة والجمال، وقد ذكر أداة التشبيه وهي " كذاك ".

وفي وصفه لأرض الجنة وحصبائها وتربتها:[2]

والأرض مرمـــــرةٌ كخـــــالص فضـــــةٍ   مثـــل المـــرآة تنالهـــا العينـــان

حيث شبه الأرض بالمرمرة، وقد ذكر أداة التشبيه في موضعين هما: " كخالص ـ مثل "، وفي المشهد ذاته، يصف ويقول: " والأرض كخالص فضة "، فقد شبه الأرض بالفضة الخالصة، وأيضاً في قوله: " مثل المرآة " حيث شبه الأرض بالمرآة التي تنالها الأعين.

٢- التشبيه المؤكد: وهو ما حذفت فيه الأداة.

وسمي بالمؤكد لأنه يؤكد العلاقة بين المشبه والمشبه به وهو أبلغ من المرسل، وقد أورده ابن القيم في وصفه للروائح الكريمة التي تخرج من بطونهم وأبدانهم، فتعود ضامرةً تبغي الطعام على مدى الأزمان فقال:[3]

ولهـــم جشـــاءٌ ريحـــه مســـك يكـــو   نُ بـــه تمـــامُ الهضـــم بالإحســـان

فقد شبه رائحة هضم الطعام برائحة المسك الذي يفوح من الجسد، ولم يذكر أداة التشبيه في قوله: " ريحه مسك "، والتقدير: " ريحه كالمسك "، لذلك يعتبر تشبيهاً مؤكداً، وتحذف الأداة للمبالغة.

وفي وصفه للزمرة الثانية التي تدخل الجنة، فقال:[4]

أمشـــاطهم ذهـــب ورشـــحهم فمســـ   ـــكٌ خـــالصٌ ياذلـــة الحرمـــان

فشبه أمشاطهم في جمالها بالذهب، وعرقهم بالمسك الخالص، وقد حذف أداة التشبيه، وهو من باب التشبيه المؤكد، والتقدير: أمشاطهم كالذهب ورشحهم كالمسك.

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٧٧.

(٢) المصدر السابق، ص٢٦٩.

(٣) المصدر السابق، ص٢٧٦.

(٤) المصدر السابق، ص٢٦٣.

٣- التشبيه البليغ:

يقول **الميداني**: " وهو ما حذفت فيه أداة التشبيه ووجه الشبه "[١].

ونظير ذلك في وصف الحور العين وثغورهن المتلألئة وعيونها وجفونها:[٢]

حمـــــر الخــــدود ثغـــــورهن لآلـــئ   ســــود العيـــون فـــواتر الأجفـــان

فقد شبه ثغورهن باللؤلؤ وذلك بجامع أعلى مراتب الحسن والجمال، وقد حذف أداة التشبيه ووجه الشبه وهذا من أعلى مراتب التشبيه وأقواه.

وقوله في وصف لحاهم وألوانهم وشعورهم:[٣]

ألـــوانهم بـــيض ولـــيس لهـــم لحـــىً   جعـــد الشـــعور مكحّلـــو الأجفـــان

ففي هذا المشهد يشبه ألوانهم بالبياض، وهذا من تمام الحسن والجمال، وقد حذف أداة التشبيه ووجه الشبه، فهي من باب **التشبيه البليغ**.

وفي البيت **استعارة تصريحية**، وذلك في قوله: جعد الشعور: حيث حذف الوجوه وهي المشبه، وصرح بالمشبه به وهي الشعور.

وهذا يعني: أن أهل الجنة يدخلونها بيضاً جرداً ليس لهم لحىً، جعد الشعور في شعورهم تكسّر وليست سبطة، مكحّلو الأجفان، وهذا هو تمام الحسن في هذه الأشياء الثلاثة، فتمام الحسن في اللون أن يكون أبيضاً صافياً، وتمامه في الشعر أن يكون جعداً، وتمامه في العينين أن تكونا مكتحلتين.

وقوله في وصف الزمرة الثانية التي تدخل الجنان وتتنعم فيها، فيصف ويقول:

أمشـــاطهم ذهـــب ورشـــحهم فمســـــ   ــــك خـــالص يـــا ذلـــة الحرمـــان

حيث شبه أمشاطهم بالذهب ورشحهم بالمسك الخالص، وقد حذف أداة التشبيه ووجه الشبه، فهو من باب **التشبيه البليغ**.

وإن آنيتهم وأمشاطهم الذهب والفضة ومجامرهم الألوّة ورشحهم المسك، فهؤلاء هم السابقون الذين سبقوا في الدنيا إلى الخيرات وسبقوا في الآخرة إلى الجنات.

---

(١) البلاغة العربية للميداني، ج ٢ / ١٧٣.

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٨٠.

(٣) المصدر السابق، ص٢٦٥.

ويقول **الهراس:** " وأما الجماعة التي تلي هؤلاء المقربين في دخول الجنة، فإن أحدهم يرى كأشد الكواكب إضاءةً في أفق السماء، وتكون أمشاطهم من ذهب وعرقهم مسك خالص، فما أعظم هذا النعيم، ويإذلة من حرمه ولم يظفر به، إن ذلك هو الخسران المبين"[1].

ووصفه لبناء الجنة، فيقول:[2]

وقصـــورُها مـــن لؤلـــؤٍ وزبرجـــدٍ   أو فضـــةٍ أو خـــالص العقيـــان

حيث شبه القصور باللؤلؤ والزبرجد والفضة بعقيان الذهب، وقد حذف أداة التشبيه ووجه الشبه، لذلك فإنه يعتبر من **التشبيه البليغ**.

وقوله:

وبناؤهـــا اللبنـــات مـــن ذهـــب   وأخـــرى فضـــة نوعـــان مختلفـــان

تشبيه بليغ: حيث شبه البناء باللبنات، وهذه اللبنات من ذهب وفضة، وقد حذف أداة التشبيه ووجه الشبه.

ويصف قامات أهل الجنة، فيقول:[3]

والطـــولُ طـــولُ أبـــيهم ســـتون لـــ   كـــن عرضُـــهم ســـبعٌ بـــلا نقصـــان

تشبيه بليغ: حيث شبه طولهم بطول أبيهم، وقد حذف أداة التشبيه ووجه الشبه.

وفي وصفه لأقدام الحور العين، فيقول:[4]

أقـــدامُها مـــن فضـــةٍ قـــد رُكِّبَـــت   مـــن فوقهـــا ســـاقان ملتفـــان

حيث شبه أقدام الحور العين بالفضة، وحذف أداة التشبيه ووجه الشبه، فهي من باب **التشبيه البليغ**.

وفي وصفه لرائحة الهضم التي تخرج من بطونهم، فيقول:

ولهـــم جشـــاءٌ ريحُـــه مســـكٌ يكـــو   ن بـــه تمـــامُ الهضـــمِ بالإحســـان

تشبيه بليغ: حيث شبه الجشاء بريح المسك، وحذف أداة التشبيه ووجه الشبه.

---

(١) شرح القصيدة النونية للهراس، ج ٢ / ٣٤٦.

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٦٩.

(٣) المصدر السابق، ص٢٦٤.

(٤) المصدر السابق، ص٢٨٢.

رابعاً: أقسام التشبيه باعتبار وجه الشبه:

الأول: تمثيل وغير تمثيل.

الثاني: مفصل ومجمل.

الثالث: قريب وبعيد.

١– التشبيه التمثيلي:

قال الحسن المفتي: " هو ما كان وجه الشبه فيه صورة منتزعة من متعدد أمرين أو أمور "(١).

" وهذا هو مذهب جمهور البلاغيين، ولا يشترط فيه غير تركيب الصورة، سواءً أكانت العناصر التي تتألف منها صورته أم تركيبته حسية أو معنوية"(٢).

ونظير ذلك قوله:(٣)

فــــالوردُ والتفـــــاحُ والرمـــــــانُ فـــــي غصـــنٍ تعـــالى غـــارس البســـتان

فقد جاء وجه الشبه صورة منتزعة من أمور عدة، وهذا من باب تشبيه المتعدد بالمتعدد، حيث شبه الحوراء في جمال خدودها وصدرها ووجهها وجبينها، بالغصن المثمر الذي حمل فواكه عدة كثيرة الألوان، فشبه نهديها في استدارتهما بالرمان، وخدها بالورد، وجبينها ووجهها بالتفاح، وذلك في أجمل صورة، فأورد تشبيه التمثيل في أجمل صورة يمكن أن نتدبرها.

فالحور العين طرية الجسم تكاد تتفجر شباباً وصحةً وامتلاءً، يجري ماء الشباب في جسمها الممشوق فيزيده ليناً وطراوةً وحسناً، فهي بيضاء باكرَها النعيم وجرى ماؤه في غصنها الناعم الرخيم، فحمل من كل الثمار ففيه ما شئت من ورد على الخدود وتفاح على الجبين ورمان في الصدور، فتعالى اللّه غارس ذلك البستان الذي أودعه من كل ما تشتهيه النفس وتلذه الأعين.

ومنه قوله أيضاً وهو يصف بناء الجنة ولبناتها وقصورها وتربتها، فيقول:(٤)

وبناؤهــــا اللبنـــــات مـــــن ذهـــــب وأخـــرى فضـــة نوعـــان مختلفـــان

وقصـــــورها مـــــن لؤلــــؤ وزبرجـــــد أو فضـــــة أو خـــــالص العقيـــان

وكـــــذاك مـــــن در ويـــــاقوت بـــــه نُظـــم البنـــــاءُ بغايـــــة الإتقـــان

(١) خلاصة المعاني للحسن المفتي، ص ٣٥٥.

(٢) علم البيان، عبد العزيز عتيق، ص٨٦ ، وانظر: جواهر البلاغة للهاشمي، ص ٢٣٤.

(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٨٠.

(٤) المصدر السابق، ص٢٦٩.

والطـــين مســـك خـــالص أو زعفـــرا ن جابـــذا أثـــران مقبـــولان

فجاء وجه الشبه منتزعاً من عدة أمور، فقد شبه لبنات الجنة وحجارتها بالذهب والفضة، بجامع الزينة والنفاسة، والقصور باللؤلؤ والزبرجد والذهب الخالص والدر والياقوت والمرجان، وتربتها بالمسك الخالص والزعفران، وكل ذلك بجامع الحسن والجمال الذي لا يتخيله العقل.

ومنه قوله:(١)

حمـــرُ الخـــدودِ ثغـــورُهن لآلـــئٌ ســـودُ العيـــون فـــواترُ الاجفـــان

والبـــرقُ يبـــدو حـــين يبســـم ثغرُهـــا فيضـــئُ ســـقفَ القصـــرِ بالجـــدران

فجاء وجه الشبه صورة متعددة من أمور عدة، فنساء الجنة حمر الخدود وسود العيون وفواتر الأجفان وشفاههن كاللؤلؤ، وثغورهن كالياقوت والمرجان، فالجدران والقصور تتلألأ لحظة ابتسامتها لزوجها.

وغير التمثيل: وذلك إذا لم يكن وجه الشبه صورة منتزعة من متعدد، أو ما كان مفرداً غير مركب. ونظير ذلك في قوله:

والقـــد منهـــا كالقضـــيب اللـــدن فـــي حســـن القـــوام كأوســـط القضـــبان

فقد شبه قدّها بالغصن الرطيب، وذلك في حسن القوام والاعتدال، فلم يُشنه قصر ولا طول، ولم يكن التشبيه في هذا المشهد منتزعاً من صور متعددة، بل من صورة مفردة.

٢- التشبيه المفصل:" وهو ما ذكر فيه وجه الشبه "(٢).

ونظير ذلك قول ابن القيم في وصف أهل الجنة ولحاهم وألوانهم:(٣)

ألـــوانهم بـــيض ولـــيس لهـــم لحـــى جعـــد الشـــعور مكحّلـــو الأجفـــان

هـــذا كمـــال الحســـن فـــي أبشـــارهم وشـــــعورهم وكـــــذلك العينـــــان

فتمام الحسن في اللون أن يكون أبيضاً صافياً، وتمامه في الشعر أن يكون جعداً، وتمامه في العينين أن تكونا مكتحلتين، فذكر وجه الشبه وهو كمال الحسن في جميع تلك الصفات.

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٨٠.

(٢) جواهر البلاغة للهاشمي، ص ٢٣٥.

(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٦٥.

وقوله عند سماع العبد لصوت رب العالمين في الجنة واهتزاز قلبه شوقاً ووجلاً لسماع ذياك الصوت، فيقول:[1]

يهتـــز قلـــب العبـــد عنـــد ســـماعه　　　طربـــاً بقـــدر حـــلاوة الإيمـــان

فقد شبه قلب العبد بالغصن الذي يتمايل ويهتز من شدة الفرح والشوق للقاء الله وسماع صوته، وقد صرح بوجه الشبه بجامع الطرب والفرح والرشاقة.

والمجمل: وهو ما حذف منه وجه الشبه.

ونظير هذا ما أورده ابن القيم، في تفاضل أهل الجنة في الدرجات العلى، فقال:[2]

ويـــرى الـــذين بـــذيلها مَـــن فـــوقهم　　　مثـــل الكواكـــب رؤيـــة بعيـــان

شبه أهل الجنة وهم يتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق، وقد ذكر المشبه والمشبه به وأداة التشبيه، ولكنه حذف وجه الشبه.

٣- التشبيه القريب:[3] وهو المبتذل، وينتقل فيه من المشبه إلى المشبه به من غير تدقيق نظر.

وذلك كقوله في وصف ثمار الجنة:[4]

وثمارهـــا مـــا فيـــه مـــن عجـــم كأمـــ　　　ـــثال القـــلال فجـــلّ ذو الإحســـان

فقد شبه ثمرها كأمثال القلال والدلاء، وهي أشد بياضاً من اللبن وأحلى مذاقاً من العسل وألين من الزبدة ليس فيها عجم، وتشبيه الثمار في حجمها بالقلال لا يحتاج لامعان نظر وتفكر، فقد انتقل من المشبه إلى المشبه به من غير تدقيق نظر.

والبعيد: " وهو ما لا ينتقل فيه من المشبه إلى المشبه به إلا بعد إمعان للفكر، وذلك لخفاء وجهه في بادئ الرأي، وحكم وجه الشبه أن يكون في المشبه به أقوى منه في المشبه، وإلا فلا فائدة في التشبيه "[5].

ونظير ذلك في وصف نساء الجنة، فقال رحمه الله تعالى:[6]

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٦٨.

(٢) المصدر السابق، ص٢٦٣.

(٣) علم البيان، عبد العزيز عتيق، ص ٩٣، وانظر: البلاغة العربية للميداني، ج ٢ / ١٧٨.

(٤) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٧٢.

(٥) جواهر البلاغة للهاشمي، ص ٢٣٦.

(٦) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٨٠.

والشمسُ تجري في محاسن وجهِها   والليلُ تحت ذوائب الأغصان

فهذا التشبيه يحتاج لامعان نظر وتفكر، وذلك لدقته وخفائه، فكيف تجري الشمس بنورها في وجهها، وكيف يكون الليل تحت ذوائب شعرها الفاحم الجميل، فعجباً للشمس والليل كيف يجتمعان مع بعضهما البعض في وجهها وشعرها، فلا الليل يدرك شمسها فتغيب عند إقباله، ولا شمسها تطرد الليل عند إدباره، بل يتلازمان فيها كأنهما أخوان لا يفترقان، فهذه الصورة تحتاج إلى إمعان نظر وفكر وتدقيق.

وكقوله أيضاً:[١]

في مغرسٍ كالعاج تحسبُ أنه   عالى النقا أو واحد الكثبان

فقد شبه عجيزتها البيضاء الممتلئة والمثقلة بالعاج الثقيل النفيس، وشبه هذا العاج بكثبان الرمل العظيمة، فهذا التشبيه يحتاج إلى تدقيق وتفكر، لأنه تشبيه بعيد.

يقول **الهراس**: " فقوامها المعتدل قد قام على عجيزة بيضاء كالعاج ثقيلة ممتلئة كأنها كثيب من الرمل"[٢].

أنواع التشبيه:

١- التشبيه الضمني:

" هو تشبيه لا يوضع فيه المشبه والمشبه به في صورة من صور التشبيه المعروفة، بل يلمحان في التركيب، ويفهمان من المعنى، وهذا النوع من التشبيه أنفذ في النفوس والخواطر، لاكتفائه بالتلميح مما يزيد من قوة تأثيره"[٣].

ونظير ذلك ما أورده الإمام ابن القيم في وصفه للدنيا الفانية المغرّرة بالإنسان وخداعها له، فقال:[٤]

لا يُرتَجى الوفاءُ منها لصبّها   أين الوفا من غادرٍ خوّان

ففي هذا المشهد يشبه حال الدنيا الماكرة التي تخدع أهلها بزينتها ودمالجها بالإنسان الخائن الذي ينكر عهوده ومواثيقه مع الناس، وفي البيت طباق إيجاب في قوله: " الوفا وغادر".

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٨١.

(٢) شرح القصيدة النونية للهراس، ج٢/ ٣٩٤.

(٣) من بلاغة القرآن، ص ١٧٧، وانظر: علم البيان، عبد العزيز عتيق، ص ١٠١.

(٤) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٥٩.

ووصفه للحور العين لحظة خروجها من خيمتها، فيقول:

مــا فــي الخيــامِ ســوى التــي لــو قابلَــت   للنيّــــرين لقلـــــتَ منكســــــفان[١]

تشبيه ضمني: حيث شبه حال ذهاب نور الشمس وضياء القمر لحظة خروج الحوراء من خيمتها وتغطية نورها على نور الشمس والقمر، بالكسوف والخسوف الذي يحدث مع الشمس والقمر، فضياؤها حجب نور الشمس والقمر، وذلك من شدة جمالها وحسنها وبهائها.

وكقوله أيضاً:[٢]

أبـــــدانهم أجــــداث هاتيــــك النفــــو   س الـــلاء قـــد قُبـــرت مـــع الأبـــدان

فشبه حال قلوبهم الموحشة والمظلمة الخاوية من العلم والإيمان، بالأبدان المدفونة داخل القبور المظلمة الموحشة، فقلوبهم وأرواحهم في وحشة لا تزول عنهم.

وقوله أيضاً في ذمهم بجعلهم الدنيا جنتهم، فقال:[٣]

عمـــرت بهـــم هـــذي الـــديار وأقفـــرت   مـــــنهم ربــــوع العلــــم والايمــــان

فقد شبه قلوبهم حال فراغها من العلم والإيمان بالديار المقفرة الجدباء الخاوية على عروشها، وفيه تشبيهٌ آخر: حيث شبه أبدانهم بمقابر النفوس.

٢- التشبيه المقلوب:

" وهو ما رجع فيه وجه الشبه إلى المشبه به، وذلك حين يراد تشبيه الزائد بالناقص ويلحق الأصل بالفرع للمبالغة، وهذا النوع جاري على خلاف العادة في التشبيه، ووارد على سبيل الندور"[٤].

وذلك كقوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيم * أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِين﴾[القلم: ٣٤- ٣٥].

ويقول **الدكتور محمد علوان:** " فأصل الكلام: أفنجعل المجرمين كالمسلمين، ولكنه قلبها مسايرة لاعتقادهم أنهم أفضل من المسلمين"[٥].

---

(١) النيران هما: الشمس والقمر، واللام في " النيرين " زائدة، الكافية الشافية للعريفي، ص٩٥٧.

(٢) المصدر السابق، ص٢٥٩.

(٣) المصدر السابق، ص٢٥٨.

(٤) جواهر البلاغة للهاشمي، ص ٢٣٩.

(٥) من بلاغة القرآن، ص ١٧٩.

وقوله في وصف أسنان الحور العين وجمال ثغرها:[1]

والبـــرق يبـــدو حـــين يبســـم ثغرهـــا فيضـــئ ســـقف القصـــر بالجـــدران

ففي قوله: " البرق يبدو- يبسم ثغرها "، حيث جعل البرق فرعاً، وأسنانها أصلاً، فيظهر البرق بعد ظهور أسنانها، فيكون قد شبه البرق بأسنانها بجامع اللمعان والضياء، فالأصل أن البرق يلمع فتظهر الأسنان، ولكن الذي حدث هو أن الحوراء تضحك في وجه زوجها في الجنة فيبدو البرق واللمعان ناتجاً عن ضحكها وذلك على سبيل التشبيه المقلوب.

ويقول إمام البلاغة **عبد القاهر الجرجاني:** " واعلم أن هذا النوع من التشبيه يوقع المبالغة في نفسك من حيث لا تشعر، ففيه إغراق في المبالغة وشيءٍ من السحر "[2].

٣- التشبيه التمثيلي:

يقول **السكاكي:** " هو ما كان وجهه وصفاً منتزعاً من عدة أمور، وخص باسم التمثيل"[3].

وذلك كقوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ ﴾[البقرة:٢٦٥]، " فقد شبه حال من ينفق في سبيل الله ابتغاء مرضاته بعيداً عن الرياء والسمعة، بحال البستان الذي استقر على مرتفع من الأرض، ويسقى بماء المطر فجاء البستان بثمره مضاعفاً، ووجه الشبه هو الهيئة الحاصلة من مجموع أشياء تكامل بها تضعيف المنفعة، فالهيئة المشبهة هي النفقة التي حفّ بها طلب رضا الله والتصديق بوعده، فضوعفت أضعافاً كثيرة أو دونها في الكثرة، والهيئة المشبهة بها هي هيئة الجنة الطيبة المكان التي جاءها المطر الهتان فزكا ثمرها وتزايد، فأكملت الثمرة "[4].

ونظير ذلك ما ورد في القصيدة النونية، في وصفه لأشجار الجنة وظلالها وثمارها:[5]

أشـــجارها نوعـــان منهـــا مـــا لـــه فـــي هـــذه الـــدنيا مثـــال دانِ

كالســـدر أصـــل النبـــق مخضـــود مكـــا ن الشـــوك مـــن ثمـــر ذوي ألـــوان

والطلـــح وهـــو المـــوز منضـــود كمـــا نضـــدت يـــد بأصـــابع وبنـــان

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٨٠.

(٢) أسرار البلاغة للجرجاني، ص ٢٢٣.

(٣) مفتاح العلوم للسكاكي، ص ٣٤٦.

(٤) تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج٣ / ٥٢.

(٥) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٧١.

وكــــذلك الرمــــان والأعنــــاب والنَّخــــــــ ـــــــل التـــي منهـــا القطـــوف دوانـــــي

وثمارهـــا مـــا فيـــه مـــن عجـــم كأمـــــ ـــــثال القـــلال فجـــل ذُو الاحســـــان

فقد أورد **التشبيه** في البيت الثالث في قوله: والطلح وهو الموز، حيث شبه الطلح بالموز، وهو تشبيه بليغ قد حذف منه وجه الشبه والأداة.

وفيها أيضاً: **استعارة مكنية**، وذلك في قوله: كما نضدت، فقد شبه اليد بالشجرة المثمرة التي ينضد ثمرها أثناء نضجها، وحذف المشبه به وأبقى صفة من صفاته وهى النضد.

وأورد **التشبيه التمثيلي** في البيت الخامس من هذه المقطوعة فقال: ثمارها كأمثال القلال، فقد شبه عجم الثمار بالقلال، وفي البيت **كناية** عن العظمة والإبداع في الصنعة وذلك في قوله: جلّ ذو الاتقان.

يقول **الزمخشري**: " فالسدر شجر النبق، والمخضود الذي لا شوك كأنما خُضد شوكه، وهو الذي تثنى أغصانه من كثرة حمله من خضد الغصن إذا ثناه وهو رطب، والطلح شجر الموز، أو شجر له نوّار كثيرٌ طيب الرائحة، أو شجر يشبه طلح الدنيا، ولكن ثمره أحلى من العسل "[١].

وقد ورد التشبيه التمثيلي، وذلك كقوله:[٢]

لكـــــن تــــــراه مِــــــن ورا ذا كلــــــه مثــــل الشــــراب لــــدى زجـــاج أوان

فأورد **التشبيه التمثيلي** في هذا المشهد، حيث شبه كل ما ورا السيقان بالشراب.

وكقوله أيضاً:[٣]

والطــرفُ يشــرب مــن كــؤوس جمالهـــا فتــــراه مثــــلَ الشــــارب النشــــوان

فأورد **التشبيه التمثيلي** في قوله: " مثل الشارب " حيث شبه الطرف بالشارب النشوان، وهي من باب **الاستعارة المكنية**، فقال:" والطرف يشرب " حيث شبه الطرف بإنسان يشرب، وحذف المشبه به وجاء بلازمة من لوازمه وهو الشرب.

ويقول رحمه الله:

حتــى يحــار الطــرف فــي الحســن الــذي قــــد أُلبســــت فــــالطرف كــــالحيران

---

(١) الكشاف للزمخشري، ج٤ / ٣٣١.

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٧٦.

(٣) المصدر السابق، ص٢٨٠.

حيث شبه الطرف بالحيران وهو من باب **التشبيه التمثيلي.**

وأورد المشهد بصورة **الاستعارة المكنية** في قوله: " يحار الطرف " حيث شبه الطرف بالإنسان الحيران، وحذف المشبه به وأبقى صفة من صفاته وهى الحيرة.

ويصف الحوراء لحظة خروجها لزوجها وعاشقها في أجمل الحلل والثياب، فيقول:(١)

وإذا بـــدت فـــي حلـــةٍ مـــن لبســـها   وتمايلـــــت كتمايـــــل النشـــــوان

فإن هذا البيت مشتمل على **التشبيه التمثيلي،** حيث شبه الحور العين في لبسها وتمايلها بالشارب النشوان.

ويقول في وصف العمل الصالح الذي يأتي للإنسان على هيئة رجل جميل المنظر :(٢)

فـي صـورة الرجـل الجميـل الوجـه فـي   ســـن الشـــباب كأجمـــل الشـــباب

ففي قوله: كأجمل الشبان، حيث شبه العمل الصالح بالشاب الجميل، وذلك بجامع الحسن والبهاء.

ويقول كذلك:(٣)

أن العبـــــاد يرونـــــه ســـــبحانه   رؤيـــا العيـــانِ كمـــا يُـــرى القمـــران

فجاء بالتشبيه التمثيلي، وذلك في قوله: " كما يرى القمران " حيث شبه رؤية الله في الجنان كرؤية القمرين وهما الشمس والقمر.

ويصف سحاب الجنة وما تمطره على أهل الجنان، فيقول:(٤)

ويظلّهـــــم إذ ذاك منـــــه ســـــحابةٌ   تـــأتي بمثـــل الوابـــل الهتـــان

حيث شبه ظلال الله وهي تسقط عليهم بالمطر الغزير، وذلك بجامع الكثرة في كل.

ويقول:(٥)

كالبــدر ليلـــة تمّـــه قـــد حُـــفّ فـــي   غســـق الـــدجى بكواكـــب الميـــزان

حيث شبه الحوراء بالبدر ليلة التمام، وهو من باب التشبيه التمثيلي.

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٨٣.
(٢) المصدر السابق، ص٢٩٥.
(٣) المصدر السابق، ص٢٨٩.
(٤) المصدر السابق، ص٢٩٢.
(٥) المصدر السابق، ص٢٨٤.

وقوله أيضاً:[1]

فـــي مســـلمٍ تشـــبيهها بالـــدرمك الصـــا فـــي وبالمســـك العظـــيم الشـــأن

حيث شبه الأرض بالدرمك الصافي والمسك، وهي من باب التشبيه التمثيلي.

وقوله في الزمرة الثانية التي تدخل الجنة:[2]

والزمـــرة الأخـــرى كأضـــوأ كوكـــب فـــي الأفـــق تنظـــره بـــه العينـــان

حيث شبه وجوههم بأضوأ كوكب في الأفق الغابر، وهي من باب التشبيه التمثيلي.

الأغراض التي تعود إلى المشبه:

١- بيان حال المشبه:

وذلك كقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ * فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾[المدثر: ٥٠- ٥١]، " فقد شبه حال المنافقين ونفورهم وإعراضهم عن الحق بحال الحُمُر الوحشية النافرة نفاراً قوياً، فهي تعدو بأقصى سرعة العدو لحظة هروبها من الأسد "[3].

ونظير هذا ما ذكره ابن القيم في وصفه للمعصمَين والكفين، وأنهما ألينُ من الزبدة وألذّ من العسل، فقال:[4]

كالزبـــد لينـــاً فـــي نعومـــة ملمـــسٍ أصـــــــــدافُ درّ دوّرت بـــــــــوزان

فقد شبه نعومة يديها بالزبد، وذلك بجامع اللين والدلال، وكأن يديها أصدافٌ من الدر والياقوت والمرجان في بهائها وجمالها، فقد شبه حال ملامسة يديها بحال الزبدة اللينة الطرية، وهي مستديرة مع رشاقتها ونعومتها وجمالها.

ويصف ابن القيم الحور العين لحظة عشقها لزوجها وتساقطها في حضنه وهما على فرشيهما خلوان، فيقول:[5]

يتســـــاقطان لآلئـــــاً منثـــــورةً مـــن بـــين منظـــومٍ كـــنظم جُمـــان

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٦٩.

(٢) المصدر السابق، ص٢٦٣.

(٣) تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج ٢٩ / ٣٢٩ ـ ٣٣٠.

(٤) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٨١.

(٥) المصدر السابق، ص٢٨٤.

فقد شبه حال الحور العين لحظة تساقطها على الفراش مع معشوقها باللؤلؤ والجمان لحظة تناثره من العقد بصورة بهية.

ويقول **الزمخشري:** " وقد شُبهوا في حسنهم وصفاء ألوانهم وانبثاثهم في مجالسهم ومنازلهم باللؤلؤ المنثور، وقد شبهوا أيضاً باللؤلؤ الرطب إذا نثر من صدفه لأنه أحسن، وأينما وقع بصرُ الرائي لم يتعلق إدراكه إلا بنعيم كثير وملك كبير "(١).

٢- بيان مقدار حال المشبه: " وذلك في القوة والضعف والزيادة والنقصان "(٢).

وذلك كقوله في وصف ثمار الجنة:

وثمارهـــا مـــا فيـــه مـــن عجـــم كأمثـــا ل القـــلال فجـــلّ ذو الإحســـان

فثمار الجنة عظيمة وكبيرة ذات حسن وجمال، وتقع عليها العيون في الجنة، ولكن المخاطب لا يعلم مدى عظمها وضخامة حجمها، فالغرض من التشبيه بيان مقدار حجم هذه الثمار وأشجارها، وأنها أشبه شيءٍ بالقلال الكبيرة الحجم الضخمة، فسبحان من أتقن صنعها وأبدعها.

وقوله كذلك:(٣)

تهتـــز كالغصـــن الرطيـــب وحملـــه ورد وتفـــــاح علـــــى رمـــــان

فشبه حالها وهي تهتز متثنيةً في مشيتها ومختالة أمام زوجها بالغصن الطري الممتلئ بثماره اللذيذة، فلون الورد في خدودها، وطعم التفاح في شفتيها، ونهودها كالرمان المزهو بالجمال واللذة.

ويقول **الزمخشري:** " فالجنة ذللت قطوفها، وتذليل القطوف أن تجعل ذُللاً لا تمتنع على قُطّافها كيف شاءوا، أو تُجعل ذليلة لهم خاضعة "(٤).

٣- بيان إمكان وجود المشبه:

" وذلك إذا كان المشبه أمراً غريباً لا يتصور ثبوته، ولا يعقل إمكانه، ويمكن أن يدعى امتناعه، فيأتي المشبه به ليبيّن إمكان وقوعه "(٥).

---

(١) الكشاف للزمخشري، ج٤ / ٥١٨- ٥١٩.

(٢) القرآن والصورة البيانية، عبد القادر حسين، ص ٩٣.

(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٨٤.

(٤) الكشاف للزمخشري، ج ٤ / ٥١٧.

(٥) من بلاغة القرآن، ص ١٨٩.

يقول الميداني: " إذ إن الصفة في المشبه به ظاهرة لا نزاع في وجودها فيه، ويرى المتلقي عدم إمكان وجودها في المشبه، فيأتي التشبيه فيكشف حقيقة هذه الصفة المجهولة"(١).

وذلك كقوله في وصف طعام أهل الجنة وتصريف مآكلهم، فيقول:(٢)

هـــذا وتصـــريفُ المآكـــل مـــنهم   عـــرقٌ يفـــيض لهـــم مـــن الأبـــدان

كـــروائح المســك الــذي مــا فيــه خلـــ   ـــطٌ غيـــره مـــن ســـائر الألـــوان

فالمشبه هو حال تصريف المآكل التي تخرج من أجساد أهل الجنة على شكل العرق الذي يفيض من أبدانهم، والمشبه به هو حال رائحة المسك الصافي الذي لم يخلط مع غيره من الألوان والروائح الأخرى، ووجه الشبه هو نقاء المسك وصفائه وجماله ورائحته البهية، والغرابة حاصلة في هذا الأمر، لأن هناك من قد ينكر وجودها بأن تصريف الطعام يكون عن طريق العرق، فذكر العرق ورائحة المسك فيه، وذلك لبيان إمكانية وجوده، فطعام أهل الجنة وشرابهم لا يخلف في بطونهم فضلات تؤذيهم يحتاجون معها إلى بول أو غائط، بل تخرج عرقاً له رائحة كرائحة المسك الخالص الذي لم يخلط به غيره.

٤- تقرير حال المشبه في ذهن السامع:

يقول **عبد القادر حسين:** " وهذا الغرض نسعى إليه حين يراد إبراز الأمور المعنوية الذهنية في صورة حسية مشاهدة حتى تستقر في نفس السامع، وتتمكن في ذهن المخاطب، وذلك لأن النفس تميل إلى الأمور المحسوسة التي يقع عليها الحس فإذا برزت الأفكار المتخيلة في صورة مشاهدة قوي الإيمانُ بها وأصبح دليلاً يدفع كل تردد في تصديق هذه الدعوى"(٣).

وفي هذ المشهد العظيم الذي تقشعر منه الأبدان، يصف ابن القيم مشهد ذبح الموت بين الجنة والنار وكأنه كبشٌ أُعد للذبح، فيقول:(٤)

أو مـــا ســـمعتَ بذبحـــه للمـــوت بيـــ   ـــن المنـــزلين كـــذبح كـــبش الضـــان

فالموت شيء معنوي لا يتمكن من نفوسنا، ولا يستقر في أذهاننا إلا إذا أتى في معرض الحس والمشاهدة، فجاءت صورته المحسوسة يوم القيامة وكأنه كبشٌ أملحٌ أعدّ للذبح، فنراه بأعيننا، فتطمئن نفوسُ المؤمنين لوقوع ذلك المشهد، ويزول كلُّ شكٍّ أو تردد في ذهن السامع في حتمية

(١) البلاغة العربية للميداني، ج٢ /١٧٠.

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٧٥- ٢٧٦.

(٣) القرآن والصورة البيانية، عبد القادر حسين، ص ٩٥.

(٤) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٩٤.

ذبح الموت يوم القيامة وخلود المؤمنين في الجنان دون موت أو فناء، وخلود الكافرين في جهنم دون موت أو فناء.

وفي البيت **تشبيه تمثيلي** وذلك في قوله: كذبح كبش الضأن، حيث شبه الموت بالكبش الذي يذبح.

وفيه أيضاً **استعارة تصريحية:** وهذا في قوله: بذبح الموت، حيث إنه حذف المشبه وصرح بالمشبه به وهو الموت.

ونظير ذلك في وصفه لسماع الأغاني في الدنيا وأن تدميرها للإيمان في القلب واستحواذها عليه كاستحواذ السم في البدن، وسيطرته عليه وفتكه به، فيقول:[(١)]

واللّـــهِ إن ســـماعهم فـــي القلـــب والـــــ ... إيمـــان مثـــل الســـمّ فـــي الأبـــدان

فإن سماع الاغاني أمر معنوي لا يستقر في النفس إلا إذا أتى في صورة مادية مشاهدة، وقد جاءت صورة سماع الأغاني والتعلق بها وعشقها وكأنها سمٌ فتّاك مستقر داخل القلب فلا ينجو منه ولا يبرأ، فأبرز الصورة المعنوية بصورة مادية مرئية لكي يستقر حالها في النفوس والأذهان، وفي المشهد تشبيه تمثيلي: حيث شبه سماع الأغاني وأثرها على قلب المؤمن بالسم الذي يتفشى في البدن، فلا يرجى شفاؤه.

٥- تزيين المشبه:

وذلك كقوله تعالى: ﴿**كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ**﴾[الرحمن:٥٨]، فجاءت الصورة الجميلة لتظهر زينة المشبه في صفاء لونه كأنه الياقوت، وحُمرته كأنه المرجان، وقوله تعالى:﴿**كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ**﴾[الصافات:٤٩]، وفي هذا المشهد أظهر زينتهن كأنهن بيض لامعة كبيض النعام المحتفظ بصفائه ولم يُصبه الغبارُ والأذى، وقوله تعالى:﴿**وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا**﴾[الإنسان:١٩]، وفي هذا المشهد يقول **عبد القادر حسين:** " فقد وصف زينة الولدان التي لا تنقطع عنهم تلك الزينة والبهاء، فزينتهم دائمة على ما هم عليه من صفات الحسن والجمال، حتى لتظنهم من صفاء بشرتهم وإشراق وجوههم دُرّاً متفرقة، واللؤلؤ إذا نثر على البساط انبهرت به العيون أكثر من اللؤلؤ المنظوم، وقد يكون المراد اللؤلؤ المحفوظ بعيداً عن الأتربة والغبار والرياح،

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٧٣.

حتى يكون أشد لمعاناً وأكثر صفاءً، فالتشبيه في هذه المشاهد الرائعة لم يرد به بيان الحال فقط، وإنما تحسين حال المشبه وتزيينه "[١].

ويقول **صاحب الظلال النديّة:** " واللؤلؤ المكنون هو الذي لم يتعرض للمس والنظر، فلم تثقبه يد ولم تخدشه عين، وفي هذا كناية عن معانٍ حسية ونفسية لطيفة في هؤلاء الحور الواسعات العيون، وذلك كله جزاءً بما كانوا يعملون"[٢].

ونظير ذلك في وصف ابن القيم للباس أهل الجنة وحللهم المصنوعة من الإستبرق والسندس الخضر الجميلة، فيقول:[٣]

ولباسهم من سندسٍ خضرٍ ومن ... إستبرقٍ نوعان معروفان

حُلل تشق ثمارها عنها فتبـ ... ـدو كالرياط بأحسن الألوان

---

(١) القرآن والصورة البيانية، عبد القادر حسين، ص ٩٩.

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب، ج٦/٣٤٦٤، وانظر: مشاهد القيامة، ص ١٢٨.

(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٧٦.

المبحث الثالث
الاستعارة

الاستعارة لغةً:

" النقل والإعارة، أعاره الشيء وأعاره منه، وتقول: أعرتُه الشَّيء أعيره إعارة وعَارةً، وهي مشتقة من العارية، وهي طلب شئ للانتفاع به دون مقابل، على أن يرد المستعير إلى المعير عند انتهاء المدة الممنوحة أو عند الطلب "[١].

أما تعريفها في اصطلاح البلاغيين: " فهي استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين المعنى الأصلي للكلمة، والمعنى الذي نقلت إليه الكلمة مع وجود قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي "[٢].

وهي عند **السكاكي:** " ذكر أحد طرفي التشبيه، وإرادة الطرف الآخر، بادعاء دخول المشبه في جنس المشبه به"[٣].

وقال **أبو هلال العسكري:** " الاستعارة نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض، وذلك الغرض إما أن يكون شرح المعنى وفضل الإبانة عنه أو تأكيده والمبالغة فيه أو الإشارة إليه بالقليل من اللفظ، أو تحسين المعرض الذي يبرز فيه، وهذه الأوصاف موجودة في الاستعارة المصيبة ولولا أن الاستعارة المصيبة تتضمن ما لا تتضمنه الحقيقة من زيادة فائدة لكانت الحقيقة أولى منها استعمالاً "[٤].

وعبد القاهر الجرجاني هو صاحب اليد الطولى في هذه الفنون، فيقول في تعريفه لها: "وهي أن تريد الشيء بالشيء فتدع أن تفصح في التشبيه وتظهره، وتجئ إلى اسم المشبه به فتعيره المشبه وتجريه عليه "[٥].

ويقول **الهاشمي:** " والاستعارة تشبيهٌ حذف أحد طرفيه ووجه الشبه والأداة، ولكنها أبلغ منه، لأن التشبيه مهما يتناهى في المبالغة فلابد فيه من ذكر المشبه والمشبه به، وهذا اعتراف

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، ج ٤ / ٤١٩، وانظر: البلاغة العربية للميداني، ج٢ / ٢٢٩.

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة، للقزويني، ص ٢٨٥، وانظر: القرآن والصورة البيانية، عبد القادر حسين، ص ١٧١، وانظر: من بلاغة القرآن، ص ٢١٥.

(٣) مفتاح العلوم، للسكاكي، ص ٣٦٩.

(٤) الصناعتين، أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري، تحقيق: محمد علي البجاوي، ومحمد أبو الفضل ابراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م، ص ٢٦٨.

(٥) دلائل الإعجاز للجرجاني، ص ٦٧.

بتباينهما، وأن العلاقة ليست إلا التشابه والتداني، فلا تصل إلى حد الاتحاد، بخلاف الاستعارة لأن فيها دعوى الاتحاد والامتزاج، وأن المشبه والمشبه به صارا معنىً واحداً يصدق عليهما لفظٌ واحد، فالاستعارة استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقته المشابهة بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه مع قرينة صارفةٍ عن إرادة المعنى الأصلي"[1].

أركان الاستعارة:

١- **المستعار**: وهو اللفظ المنقول.

٢- **المستعار منه**: وهو المشبه به.

٣- **المستعار له**: وهو المشبه.

والمستعار منه، والمستعار له هما طرفا التشبيه.

ويقول **الهاشمي**: " وللاستعارة أجمل وقع في الكتابة، لأنها تجدى الكلام قوة، وتكسوه حسناً ورونقاً، وفيها تثار الأهواء والإحساسات "[2].

أقسام الاستعارة:

١- الاستعارة المكنية:

" وهي ما حذف منها المشبه به (المستعار منه) وبقيت صفةٌ من صفاته أو لازمة من لوازمه، وذلك كقوله تعالى:﴿**وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا**﴾[مريم:٤]، فقد شبه الشيب بالنار في البياض والانبساط، وحذف المشبه به وهو النار وأبقى صفةً من صفاته وهي الاشتعال، وذلك على سبيل الاستعارة المكنية، فالمستعار منه النار لأنه مشبه به، والمستعار له الشيب لأنه مشبه، ولفظ النار هو المستعار "[3].

ويقول **إمام البلاغة وشيخها**: " فالاستعارة تثبت بها معنىً لا يعرف السامع ذلك المعنى من اللفظ، ولكنه يعرفه من معنى اللفظ "[4].

ونظير ذلك ما أورده الإمام ابن القيم في قصيدته، فقال:[5]

---

(١) جواهر البلاغة للهاشمي، ص ٢٥٨.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٥٩.

(٣) القرآن والصورة البيانية، عبد القادر حسين، ص ١٧٢، وانظر: من بلاغة القرآن، ص ٢١٧.

(٤) دلائل الإعجاز للجرجاني، ص ٤٣١.

(٥) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٥٨.

فاعشـق وحـدّث بالوصـال الـنَّفس وابـــ ـــذل مهرهــا مــا دمــت ذا امكــان

فاعشق وحدث بالوصال: حيث شبه النفس بالمرأة التي يخاطبها بجامع العقلانية والاستيعاب وذلك على سبيل **الاستعارة المكنية التبعية** لأن اللفظ المستعار لفظ مشتق من الفعل، **ومرشحة** لأنه ذكر معها ما يلائم المشبه به وهو العشق والحديث وبذل المهر، وسر جمالها التشخيص.

وفي وصفه لمن ترك عبودية الله وحده واتخذ إلهه هواه، وابتلي باتباع النفس والشيطان، فقال:(١)

هربــوا مــن الــرّقّ الَّــذي خُلقــوا لــه فبُلـــوا بـــرق الـــنَّفس والشـــيطان

بُلوا برق النفس: حيث شبه الهوى ورقّ النفس بالمعبود أو الخالق الذي اتبعوه، وقد حذف المشبه به وهو المعبود وأبقى صفة من صفاته وهي الرق" العبودية " وذلك على سبيل **الاستعارة المكنية الأصلية الجامدة**، وهي " رق النفس "، وفي البيت **مشاكلةٌ تحقيقية** بين " الرق والرق" حيث حملت الأولى المعنى الأصلي وهي العبودية لله، والثانية حملت المعنى المجازي وهو اتباع الهوى والشيطان.

ويشتمل البيت على **استعارة مكنية** أخرى وذلك في قوله: هربوا من الرق، حيث شبه الرقّ وهو العبودية لله والخضوع له بالعدو الذي يفرون منه، وذلك بجامع الخوف من الإيمان، وسر جمالها التشخيص، لأنه شبه شيئاً عقلياً وهو الرق بشيءٍ محسوس وهو الإنسان، وقد حذف المشبه به وهو العدو وأبقى لازمةً من لوازمه أو صفة من صفاته وهو الهروب.

وفي خطاب رب العالمين لجنة الفردوس بعدما زيّنها لخُطّابها وحواره معها، فيصف ويقول:

لمــا قضـــى رب العبـــاد الغـــرس قـــا ل تكلّمـــــي فتكلمـــــت ببيـــــان

حيث شبه الجنة وهي مكان ومأوى المتقين ومحل استقرارهم بالإنسان الذي ينطق بأحسن بيان وأروع كلام، بعدما تزيّنت وتجهزت لخطّابها وأهلها، وذلك على سبيل **الاستعارة المكنية التبعية المطلقة** لأنه ذكر ما يلائم المشبه الجنة " الغرس" والمشبه به " الانسان " التكلم والبيان وهما " الغرس والكلام" وسر جمالها التشخيص وحذف المشبه به وهو الإنسان وأبقى صفةً من صفاته وهو النطق والكلام.

وقوله أيضاً:(٢)

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٥٩.

(٢) المصدر السابق، ص٢٧٣.

ثقـــل الكتـــاب علـــيهمُ لمـــا رأوا تقييـــدَه بشـــرائع الإيمـــان

فقد شبه أحكام الدين وشرائعَ الإيمان بالحبل بجامع الوثاق في كلٍ، وحذف المشبه به وهو الحبل، وأبقى صفةً من صفاته وهي التقييد وذلك على سبيل **الاستعارة المكنية الأصلية** وهي باعتبار اللفظ الملائم **مجردة** لذكر لفظ الكتاب التي تلائم شرائع الإيمان وهي المشبه.

وفي وصفه للقلوب الفاسدة التي آثرت غناءَ الدنيا المفسد للقلوب، على غناء الآخرة الذي يزيل كلَّ الهمومِ والأحزان، فقال:

واللَّهـــو خـــف علـــيهم لمـــا رأوا مـــا فيـــه مـــن طـــربٍ ومـــن ألحـــان

حيث شبه اللهو بالشيء المادي الخفيف، بجامع الانحراف عن شرائع الدين وفساد القلوب في كلٍ، وقد حذف المشبه به وهو الشيء المادي، وأبقى صفةً من صفاته وهو الخفة، وذلك على سبيل **الاستعارة المكنية التبعية.**

وقوله أيضاً:[١]

لكنّهـــا ســـكرى بحـــبّ حياتهـــا الـــد نيـــا وســـوف تفيـــق بعـــد زمـــان

شبه القلوب المريضة والبعيدة عن منهج الله تعالى والغارقة في حب الدنيا ومتاعها الزائف بالإنسان الثمل السكران العاشق لمشروبه الذي لا يستطيع أن يفيق من سكرته، وذلك بجامع فقدان العقل والتوازن، فحذف المشبه به وهو الإنسان، وأبقى صفة من صفاته وهي السُكُر، على سبيل **الاستعارة المكنية الأصلية المرشحة،** لأنه ذكر معها ما يلائم المشبه به الإنسان وهي " تفيق".

وفي وصفه لكلام الحور العين وحديثها لزوجها في الجنة: فيقول:[٢]

وكلامهـــا يســـبي العقـــولَ بنغمـــةٍ زادت علـــى الأوتـــار والعيـــدان

تشبيه ضمني: حيث شبه جمال ونغمة صوت الحور العين وكلامها لزوجها ومحبوبها في الجنة بنغمة الجيتار والأوتار الموسيقية الرائعة بجامع اللذة والجمال في كلٍ، الذي ينجم عنه الطرب عند سماعه، وفي البيت **استعارة مكنية:** حيث شبه جمال نغمة كلامها وصوتها بالإنسان الذي يسبي إنساناً ويعتقله، فحذف المشبه به وهو الإنسان وأبقى صفة من صفاته وهي السبي والاعتقال، وذلك على سبيل **الاستعارة المكنية التبعية.**

وفي وصفه للمكذبين والمبتدعين، والمؤوّلين والمفترين على هذا الدين، فقال:[٣]

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٧٩.

(٢) المصدر السابق، ص٢٨٢.

(٣) المصدر السابق، ص٢٩٥.

فمكـــــذبٌ ومـــــؤولٌ ومحيّـــــرٌ مـــا ذاق طعـــــم حـــــلاوة الإيمـــــان

فقد شبه حلاوة الإيمان في قلب الإنسان بالطعام اللذيذ الذي تشتهيه النفس بجامع اللذة والاستمتاع في كلٍ، فحذف المشبه به وهو الطعام اللذيذ، وأبقى صفة من صفاته وهى الذوق، وذلك على سبيل **الاستعارة المكنية التبعية المطلقة.**

وفي وصفه لسماع أصوات الحور العين وهنّ يغنين أزواجهن بأجمل الألحان والأصوات في الجنان، فيقول:(١)

يهتـــز قلـــب العبـــد عنـــد ســـماعه طربـــاً بقـــدر حـــلاوة الإيمـــان

حيث شبه قلب المؤمن حال سماعه لغناء الحور العين في الجنة، بالإنسان الذي يرقص بجامع الحركة الناجمة عن كلٍ، وحذف المشبه به وهو الإنسان وأبقى لازمةً من لوازمه وهو الاهتزاز، واشتق منه الفعل "يهتز" وذلك على سبيل **الاستعارة المكنية التبعية المرشحة** باعتبار اللفظ الملائم لأنه ذكر ما يلائم المشبه به.

وقوله في إحلال رضوان الله تعالى على عباده في الجنة:(٢)

فيقـــول أفضـــل منـــه رضـــواني فـــلا يغشـــاكم ســـخطٌ مـــن الـــرَّحمن

حيث شبه السخط بالشيء المادي الذي يغشى جسد الإنسان بجامع الإحاطة في كلٍ، وحذف المشبه به وهو الشيء المادي، وأبقى صفة من صفاته وهي التغشية، وذلك على سبيل **الاستعارة المكنية التبعية.**

وقوله أيضاً:(٣)

صـــحبوا الأمـــاني وابتُلـــوا بحظـــوظهم ورضـــوا بكـــل مذلـــةٍ وهـــوان

حيث شبه الأماني بالإنسان الذي يصاحبه بجامع المرافقة في كلٍ، ، فحذف المشبه به وهو الإنسان وأبقى صفةً من صفاته وهي المصاحبة، وسر جمالها التشخيص، وذلك على سبيل **الاستعارة المكنية التبعية.**

وقوله:(٤)

والطـــرفُ يشـــرب مـــن كـــؤوس جمالهـــا فتـــراه مثـــلَ الشـــارب النشـــوان

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٦٨.

(٢) المصدر السابق، ص٢٩٠.

(٣) المصدر السابق، ص٢٥٩.

(٤) المصدر السابق، ص٢٨٠.

حيث شبه الطرف وهو العين بالإنسان الذي يشرب بجامع اللذة في كلٍ، وحذف المشبه به وهو الإنسان، وجاء بشيءٍ من لوازمه وهو الشرب، وذلك على سبيل **الاستعارة المكنية التبعية**.

وفي وصف وجهها، فيقول:

والشمس تجري في محاسن وجهها   والليل تحت ذوائب الأغصان

حيث شبه الشمس بالإنسان الذي يجري، وذلك بجامع الحسن والجمال، فحذف المشبه به وهو الإنسان وأبقى لازمةً من لوازمه وهي الجري على سبيل **الاستعارة المكنية التبعية**.

وفي وصفه لاشتياق المحبوب لمحبوبه في الجنة، فيقول:[١]

والشوق يزعجه إليه وما له   بلقائه سببٌ من الإمكان

حيث شبه الشوق بالإنسان الذي يحثّ ويشد صاحبه، وذلك بجامع الجذب في كلٍ، وقد حذف المشبه به وهو الإنسان وجاء بشيءٍ من لوازمه وهو الشد أو الجذب على سبيل **الاستعارة المكنية التبعية المرشحة**، لأنه ذكر معها ما يلائم المشبه به وهو " اللقاء"، فهو يلائم الانسان.

وقوله في وصف الحُبّ لأهل الجنان:[٢]

فوصاله يكسوه حباً بعده   متسلسلاً لا ينتهي بزمان

حيث شبه الوصال بالثوب الذي يكسو صاحبه بجامع الستر في كلٍ، وحذف المشبه به وهو الثوب وأبقى لازمةً من لوازمه وهو الكسوة، وذلك على سبيل **الاستعارة المكنية التبعية المرشحة** لأنه ذكر معها ما يلائم المشبه به، وهو الحب والتسلسل وعدم الانتهاء.

وقوله فيمن أسرف على نفسه في المعصية ولم يتب إلى الله تعالى:[٣]

ولسوف تعلم حين ينكشف الغطاء   ماذا صنعت وكنت ذا إمكان

حيث شبه الغطاء بالموت بجامع الإحاطة في كلٍ، وحذف المشبه به وأبقى صفةً من صفاته وهو الكشف والحضور، وذلك على سبيل **الاستعارة المكنية التبعية**.

وقوله كذلك:[٤]

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٨١.

(٢) المصدر السابق، ص٢٨٤.

(٣) المصدر السابق، ص٢٨٥.

(٤) المصدر السابق، ص٢٩٤.

أفمـــا تصـــدقُ أن أعمـــال العبـــا دِ تُحـطّ يـوم العـرض فـي الميـزان

فقد شبه الأعمال بشيءٍ مادي يوضع في الميزان، فحذف المشبه به وأبقى صفة من صفاته وهي تحط، وذلك على سبيل **الاستعارة المكنية التبعية.**

وفي وصفه لملابس الحور العين وجمال تلك الحُلل:[1]

سـبعون مـن حلـلٍ عليهـا لا تعـو قُ الطـرف عـن مـخٍّ ورا السـيقان

حيث شبه الحلل بالشيء المادي الذي يعيق النظر والطرف، بجامع الشفافية والجمال وقد حذف المشبه به وأبقى صفة من صفاته وهي تعوق، وذلك على سبيل **الاستعارة المكنية التبعية.**

وقوله في سماع أصوات النغمات التي تحدِثُها رياح الجنة:

فتثيـر أصـواتاً تلـذ لمسـمع الإ نسـان كالنغمـات بـالأوزان

حيث شبه الريح بالآلة الموسيقية التي تثير الأصوات بجامع الطرب واللذة وحذف المشبه به وأبقى لازمةً من لوازمه وهي التحريك والإثارة على سبيل **الاستعارة المكنية التبعية.**

وفي البيت **تشبيه تمثيلي،** فقد شبه صوت الرياح في الجنان بصوت النغمات الموزونة.

٢- الاستعارة التصريحية:

" هي ما حذف فيها المشبه (المستعار له)، وصُرح بلفظ المشبه به (المستعار منه)، أو ما استعير فيها لفظ المشبه به للمشبه"[2].

وذلك كقوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾[إبراهيم: ١]، " فاستعير للضلال لفظ الظلمات، وللهدى لفظ النور، وذلك لعلاقة المشابهة بينهما، فكما يحجب الضلال الهداية والرشاد عن القلوب، تحجب الظلمات الأضواء والأنوار عن الآفاق، وكذلك النور والهدى، أو فتخرج الناس من ظلمات الكفر والجهل إلى نور الإيمان والعلم."[3].

وعرّفها **ابنُ الناظم،** فقال: "هي أن تذكر مشبهاً به في موضع مشبه محقق بالقيد المذكور، كما إذا أردت أن تلحق شجاعاً في شدة بطشه بالأسد وكمال الإقدام، فتقول: رأيت أسداً يتكلم "[4].

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٧٦.

(٢) علم البيان، عبد العزيز عتيق، ص ١٧٦، وانظر: من بلاغة القرآن، ص ٢٢٠.

(٣) القرآن والصورة البيانية، عبد القادر حسين، ص، ١٨٥، وانظر: من بلاغة القرآن، ص ٢٢٠.

(٤) المصباح في المعاني والبيان والبديع، ابن الناظم، ص ١٣٠.

ونظير هذا في وصفه لحظة اشتمال الزوجين على فرشيهما وضمّهما لبعضهما البعض، فيقول:

يتســــــاقطان لآلئـــــــــاً منثـــــــورة   مـــن بـــين منظـــوم كـــنظم جمـــان

استعارة تصريحية وذلك في قوله: " لآلئاً منثورة " حيث شبه الأزواج وهم يتساقطون على فروشهم باللآلئ المتناثرة على الأرض، فحذف المشبه وهو الأزواج، وصرح بالمشبه به وهو اللآلئ، وذلك على سبيل **الاستعارة التصريحية الجامدة**.

وفي البيت صورة جمالية ثانية وهي **التشبيه**، وذلك في قوله: كنظم جمان، فقد شبه اللآلئ المنثورة بالجُمان وهو الفضة.

وفي وصفه للأزواج حال دخولهم على نسائهم في تلك الخيام المشرقات، وإعجابهم بهن، فقال:[١]

فتيمّمــــــوا تلــــك الخيـــــامِ فآنســــوا   فـــــيهنَّ أقمـــــاراً بـــــلا نقصـــــان

حيث شبه النساء داخل الخيام بالأقمار، وذلك بجامع الحسن والجمال وقد حذف المشبه وهو الحور العين اللواتي ينتظرن أزواجهن في الخيام المجوفة من اللؤلؤ والياقوت، وصرّح بالمشبه به وهو الأقمار ليلة البدر، وهي من باب **الاستعارة التصريحية الأصلية الجامدة**.

وقوله أيضاً:[٢]

فـــــالوردُ والتفـــــاح والرمَّــــان فـــــي   غصــــنٍ تعــــالى غـــارس البســـتان

استعارة تصريحية: حيث شبه خديها بلون الورد وحمرته وذلك بجامع الزينة، وشبه نهديها على صدرها بحبّ الرمان وذلك بجامع الاستدارة، وحذف المشبه في الصورتين وصرح بالمشبه به وهو الورد والتفاح والرمان، وهي على سبيل **الاستعارة الأصلية الجامدة**.

وقال رحمه الله تعالى:[٣]

ووقودهــــا الشــــهواتُ والحســــرات والآ   لام لا تخبـــــو مـــــدى الأزمـــــان

استعارة تصريحية: حيث شبه الشهوات بالنار، وقد حذف المشبه وهو النار وصرح بالمشبه به وهو الشهوات والحسرات.

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٧٨.

(٢) المصدر السابق، ص٢٨٠.

(٣) المصدر السابق، ص٢٥٩.

وقوله أيضاً:[١]

فيهـــا مقاصـــيرٌ بهـــا الأبـــواب مـــن ذهـــــبٍ ودرٍ زيـــــن بالمرجـــــان

ففي هذا المشهد **تشبيه بليغ**، حيث شبه الأبواب بالذهب والدرّ، وقد حذف أداة التشبيه ووجه الشبه، وذلك بجامع اللمعان والنور والبهاء، ويشتمل البيت أيضاً على **استعارةٍ تصريحية:** حيث شبه العروس في زينتها ليلة زفافها بالمرجان، وقد حذف المشبه وهو العروس وصرّح بالمشبه به وهو المرجان.

الاستعارة الأصلية والتبعية:

١- **الأصلية:** " وهي ما كان اللفظ المستعار اسماً جامداً غير مشتق، سواءً أكان الاسم لذات أم لمعنىً، لأن الأصلية يكون التجوز فيها بطريق الأصالة "[٢].

ونظير هذه الاستعارة ما أورده ابن القيم في وصفه لسماع أهل الجنة، وهم يغنون بطيب الكلمات والإحسان، فيقول:[٣]

واهـــــاً لـــــذيّاك الســـــماع وطيبـــــه مـــن مثـــل أقمـــارٍ علـــى أغصـــان

فقد حذف المشبه وهو نساء الجنة، وصرّح بالمشبه به وهو الأقمار، وذلك بجامع الزينة والجمال، وجاءت كلمة أقمار جامدة غير مشتقة، فهي على سبيل **الاستعارة التصريحية الأصلية الجامدة.**

ويقول عبد القادر حسين: " ولكل حرف من الحروف معناه الحقيقي المحدد، ففي تستعمل للظرفية، كالماء في الكوب، وعلى للاستعلاء، واللام للتعليل، فإذا استعمل أي حرف من هذه الحروف في غير معناه الحقيقي كان استعارةً "[٤].

ونظير ذلك قول ابن القيم وهو يصف نساء الجنة وهن في الخيام المجوفة في انتظار أزواجهن، فيقول:

فتيمّمـــــوا تلـــــك الخيـــــام فآنســـــوا فـــــيهنَّ أقمـــــاراً بـــــلا نقصـــــان

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٧٠.

(٢) القرآن والصورة البيانية، عبد القادر حسين، ص ١٨٤، وانظر: من بلاغة القرآن، ص ٢٢٣.

(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٧٣.

(٤) القرآن والصورة البيانية، عبد القادر حسين، ص١٨٥.

حيث شبه الحور العين وهنَّ في الخيام المجوفة بالأقمار وذلك بجامع الحسن والبهاء، وحذف المشبه وهو الحور العين وصرح بالمشبه به وهو الأقمار، وهذه الاستعارة على سبيل **الاستعارة التصريحية الأصلية الجامدة**، فمن المستحيل أن تكون " في " هنا مستعملة في معناها الحقيقي، أي في الظرفية، إذ لا نتصور أن الأقمار الحقيقية والكواكب داخل الخيام المجوفة، وإنما هو استعمال مجازي يفيد أن الحور العين والنظر إليهن أجمل من القمر ليلة البدر، فتم استعمال لفظ " في " في غير معناه الحقيقي، لإفادة شدة التمكن والاستقرار، لأن الحروف لا يفهم معناها الحقيقي أو المجازي إلا إذا تعلقت بغيرها.

٢- **التبعية:** " وهي ما كانت واقعةً في الأفعال والصفات والحروف، فإنها لا توصف، ويكون التجوّز فيها بطريق التبع، وتكون في الفعل الماضي المبني للمعلوم والمبني للمجهول، والفعل المضارع والأمر، وذلك كقوله تعالى:﴿**إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ**﴾[الحاقة:١١]، فمعنى طغى: علا، لأن طغى: علا في شيءٍ من القهر، وفيه مبالغة نجدها لا نجدها في علا" [١]، وفي وصفه للأزواج لحظة لقائهما في الجنة، فيقول:[٢]

حتـــى إذا مـــا واجهتـــه تقـــابلا   أرأيـــتَ إذ يتقابـــلُ القمـــران

حيث شبه القمرين بشخصين يتقابلان، وحذف المشبه به وجاء بشيءٍ من لوازمه وهو التقابل أو اللقاء وهي مشتقة، لذلك فإنها تعتبر من باب **الاستعارة المكنية التبعية**.

وقوله فيمن عشق الدنيا وآثرها على حب الآخرة:[٣]

يـــا عاشـــق الـــدنيا تأهـــب للـــذي   قـــد نالـــه العشـــاق كـــلَّ زمـــان

حيث شبه الدنيا بالمرأة المحبوبة التي يعشقها، وذلك بجامع الحب والغرام والهيام، فحذف المشبه به وهو المرأة المحبوبة، وأبقى صفة من صفاتها وهي العشق والحب، وجاءت كلمة " عاشق " اسم فاعل، فهي مشتقة وليست جامدة، لذلك هي من باب **الاستعارة المكنية التبعية**.

أما في وصفه لأشجارها وظلالها، ولحظة تفتح أكمام الشجر وخروج ثياب أهل الجنة منها، فيصف ويقول:[٤]

---

(١) المصباح في المعاني والبيان والبديع، ابن الناظم، ص١٣٤، وانظر: القرآن والصورة البيانية، ص ١٨٤-١٨٨.

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٨٤.

(٣) المصدر السابق، ص٢٥٩.

(٤) المصدر السابق، ص٢٧٢.

تتفـــتح الأكمـــام فيهـــا عـــن لبـــا ســـهم بمـــا شـــاءوا مـــن الألـــوان

حيث شبه أكمام الثياب الجميلة بالأبواب التي تتفتح، وقد حذف المشبه به وهو الأبواب، وأبقى صفة من صفاتها وهي التفتح، وجاء الفعل المضارع " تتفتح " مشتقاً وليس جامداً، لذا فإننا نعتبرها من باب **الاستعارة المكنية التبعية.**

وقوله فيمن عشق الدنيا وتعلق بها، ولم يتجهز لآخرته:(١)

لكنّهـــا ســـكرى بحـــبّ حياتهـــا الـــد نيـــا وســـوف تفيـــقُ بعـــد زمـــان

فقد شبه القلوب الغافلة عن ذكر الله وطاعته، بالإنسان النائم في غفلته وغفوته ولم يستيقظ بعد، وذلك بجامع الغفلة والنوم، وقد حذف المشبه به وهو الإنسان وأبقى صفة من صفاته وهو الإفاقة، وجاءت كلمة " تفيق " فعلاً مضارعاً مشتقاً، وليس جامداً، لذلك نعتبرها من باب **الاستعارة المكنية التبعية.**

يقول **الهراس:** " واعلم أنك لم تخرج إلى هذه الدنيا لتتخذها دار قرار تعكف على لذاتها العاجلة وحطامها الهزيل الفاني، وإنما خرجت للابتلاء والامتحان لكي تكسب لنفسك زاداً يؤهلك لبلوغ دار القرار، ولكنك بدلاً من أن تشتغل بما خلقت له وقفت عند شهواتك الدنيا، وأذهبت طيباتك في هذه الحياة، ولم تتخذ الزاد لآخرتك حتى فات العمر وذهبت الفرصة، وحتى فاتك الذي ألهاك عن الاستعداد لأخراك فو اللّه لو أن القلوب سليمةٌ غير معلولةٍ لتقطعت حسرات على ما مرَّ من أيام قضتها في التفريط والغفلات والجري وراء الأوهام والخيالات، ولكنها ثملة بحب ما ترتع فيه من شهوات وسوف تصحو من سكرتها بعد حين، ولكن هيهات هيهات أن ينفعَها ذلك "(٢).

وفي وصفه للأزواج في الجنة وانشغالهم بمحبوباتهم، فيقول:(٣)

شُـــغْلُ العـــروسِ بعُرســـه مـــن بعـــد مـــا عبثـــت بـــه الأشـــواقُ طـــولَ زمـــان

حيث شبه الأشواق بالإنسان الذي يعبث، وذلك بجامع اللهو وقد حذف المشبه به وهو الإنسان وأبقى صفةً من صفاته وهو العبث واللعب، وقد جاء الفعل " عبثت " ماضياً مشتقاً، لذا فهي على سبيل **الاستعارة المكنية التبعية.**

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٧٩.

(٢) شرح القصيدة النونية للهراس، ج٢ /٣٩١.

(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٨١.

إجراء الاستعارة:

" ويقصد بإجراء الاستعارة تحليلها إلى عناصرها الأساسية التي تتألف منها، وهذا التحليل يتطلب تعيين كل من المشبه والمشبه به في الاستعارة، وعلاقة المشابهة أو الصفة التي تجمع بين طرفي التشبيه، ونوع الاستعارة، ونوع القرينة التي تمنع من إرادة المعنى الحقيقي، والتي تكون أحياناً حالية تفهم من السياق"[١].

ويقول **الدكتور محمد علوان:** " والاستعارة يحذف منها أركان التشبيه، كالوجه والأداة والمشبه أو المشبه به حسب نوعيها، ولذلك إذا أردنا أن نجري الاستعارة في أي شاهدٍ لابد وأن نظهر التشبيه أولاً، أي: توضيح المشبه والمشبه به والجامع بينهما، ثم نبين المحذوف والمذكور ليتم تحديد النوع باعتبار الطرفين"[٢].

وفيما يلي إجراء لبعض الاستعارات بتحليلها وتوضيح عناصرها التي تتألف منها:

ونظير ذلك، قول ابن القيم رحمه الله تعالى:[٣]

يـــا رب غفـــراً قـــد طغـــت أقلامُنـــا   يـــا رب معـــذرةً مـــن الطغيـــان

فإن المستعار " كثرة الأقلام " وهي حسية، والمستعار منه " الطغيان " والجامع بينهما الاستعلاء المفرط، واجراء الاستعارة: شُبهت كثرة الأقلام المفرطة بمعنى الطغيان، وهو مجاوزة الحد بجامع الاستعلاء المفرط في كلٍ، واستعير لفظ المشبه به وهو الطغيان للمشبه وهو الكثرة المفرطة، واشتق منه الفعل طغى، بمعنى كثر كثرةً مفرطة، وذلك على طريق **الاستعارة التصريحية التبعية.**

أو أنه شبه الأقلام حال كتابتها المتتالية بالماء الذي يطغي ويفيض، وذلك بجامع الكثرة في كلٍ والمبالغة في الإفاضة، وقد حذف المشبه به وهو الماء وأبقى صفةً من صفاته وهو الطغيان، وجاء بالفعل الماضي " طغى " وهو مشتق غير جامد، لذلك فإنها من باب **الاستعارة المكنية التبعية.**

---

(١) علم البيان، عبد العزيز عتيق، ص١٧٩.

(٢) من بلاغة القرآن، ص٢٢٧.

(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٨٢.

الاستعارة المرشحة والمجردة والمطلقة:

١- **المرشحة:** " وهي التي يذكر معها ما يلائم المشبه به (المستعار منه)، وذلك كقوله تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوُاْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾[البقرة:١٦]، فقد استعار الشراء للاختيار والاستبدال، ثم ذكر الربح والتجارة، وهما يلائمان المشبه به "[١].

وذلك كقوله:[٢]

والجيـــد ذو طـــولٍ وحســـنٍ فـــي بيـــا ضٍ واعتـــدالٍ لـــيس ذا نكـــران

فقد استعار الحسن والطول للجيد، ثم ذكر ما يلائمهما وهو البياض والاعتدال.

٢- **المجردة:** "هي ما قرنت بما يلائم المشبه فقط" [٣].

وورد هذا في وصف خمر الدنيا وما بها من الأدواء، فقال:[٤]

والخمـــر فـــي الـــدنيا فهـــذا وصـــفها تغتـــال عقـــل الشـــارب الســـكران

فنلاحظ أنه استعار الاغتيال للخمر، وقرَنَها بما يلائمها وهو عقل الإنسان الشارب للخمر سواءً كان سكرانَ أم لا، فالخمر تخامرهم وتغتال عقولهم، فيصدعون وينزفون، فهي على سبيل **الاستعارة المجردة**.

ونحن نعلم أن خمر الدنيا هذا وصفها، تغتال عقل شاربها حتى يهذي ويقدم على ارتكاب العظائم، وتُحدث له من الأدواء والعلل ما هي جديرة به، وتورثه العدم والإملاق بعد الغنى واليسار، فنفى لنا الرحمن عزّ وجل كل هذه الآفات التي تُحدثها خمر الدنيا عن خمر الجنة من الصداع والغَول واللغو والإنزاف وعدم اللذة.

٣- **المطلقة:**

" وهي التي لم تقترن بشيءٍ يلائم المشبه ولا المشبه به، أو قرنت بما يلائمهما معاً "[٥].

ونظير ذلك قوله:[٦]

فاســـمع صـــفاتِ عـــرائسِ الجنـــات ثـــم اختـــر لنفســـك يـــا أخـــا العرفـــان

---

(١) من بلاغة القرآن، ص٢٢٥.

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٨١.

(٣) جواهر البلاغة للهاشمي، ص ٢٧١.

(٤) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٧٥.

(٥) جواهر البلاغة للهاشمي، ص ٢٧١، وانظر: علم البيان، عبد العزيز عتيق، ص ١٨٩، وانظر: من بلاغة القرآن، ص ٢٢٥.

(٦) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٨٠.

ففي لفظة " عرائس " **استعارة تصريحية أصلية جامدة،** فقد شبه نساء الجنة بالعرائس وذلك بجامع الجمال الذي لا يوصف، لأنهن عرائس في ليلة زفافهن، وقد استعار اللفظ الدال على المشبه به وهو العرائس للمشبه وهو النساء، وذلك على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية وهذه الاستعارة التي استوفت قرينتها قد خلت من كل ما يلائم المشبه والمشبه به، لذا فهي من باب الاستعارة المطلقة.

مكانة الاستعارة من البلاغة:

يقول **إمام البلاغة:** " إن فضيلة الاستعارة الجامعة تتمثل في أنها تبرز البيان أبداً في صورة مستجدة تزيد قدرَه نبلاً، وتوجب له بعد الفضل فضلاً، وإنك لتجد اللفظةَ الواحدة قد اكتسبت بها فوائد، حتى تراها مكررةً في مواضع، ولها في كل واحد من تلك المواضع شأن مفرد وشرف منفرد، وفضيلة مرموقة، وخلابة مومقة، ومن خصائصها التي تذكر بها، وهي عنوان مناقبها أنها تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ حتى تخرج من الصدفة الواحدة عدة من الدرر، وتجني من الغصن الواحد أنواعاً من الثمر، وإنك لترى به الجماد حياً ناطقاً، والأعجم فصيحاً، والأجسام الخُرس مبينة، والمعاني الخفية بادية جلية "[١].

ويقول **عبد العزيز عتيق:** " ومن خصائصها المبالغة في إبراز المعنى في صورة المشاهدة، والتشخيص والتجسيد في المعنويات، وبث الحياة والنطق في الجمادات وهي صورة من صور التوسع والمجاز في الكلام، وهي من أوصاف الفصاحة والبلاغة التي ترجع إلى المعنى"[٢].

---

(١) أسرار البلاغة للجرجاني، ص ٤٢ ـ ٤٣.

(٢) علم البيان، عبد العزيز عتيق، ص ١٩٦.

المبحث الرابع
الكناية

الكناية لغة:

"وهي أن تتكلم بشيءٍ وتريد غيره، وكنّى عن الأمر بغيره يكنّي كنايةً، وتكنّى تستّر من كنّى عنه إذا ورّى وأكننتُ الشيء إذا سترته، وكننتُه إذا صنته" [1].

أما اصطلاحاً:

قال **إمام البلاغة عبد القاهر الجرجاني:** " أن يريد المتكلم إثبات معنىً من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيئ إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومئ به إليه ويجعله دليلاً عليه، وذلك كقولك في المرأة: " نؤوم الضحى"، والمراد أنها مترفة مخدومة، لها من يكفيها أمرها"[2].

وهي عند **القزويني:** "لفظٌ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة المعنى حينئذٍ، كقولك: "فلان طويل العماد"، يعني: طويل القامة"[3].

أقسام الكناية:

ولا تخرج الكناية عن ثلاثة أقسام: [4]

١- كناية عن صفة:

يقول فضل عباس: " وهي أن تذكر الموصوف وتنسب له صفة، ولكنك لا تريد هذه الصفة وإنما تريد لازمها، فالصفة ليست مقصودة في ذاتها وإنما تقصد ما تنشأ عن هذه الصفة"[5].

وقد أورد ابن القيم هذا النوع من الكناية فقال:[6]

لـو كنــت تــدري مَـن خطبـت ومــن طلبــ ـــت بــذلتَ مــا تحــوي مــن الأثمــان

فقد أورد الكناية في هذا المشهد، وهي كناية عن الشئ النفيس أو الثمين، وهي كناية عن صفة.

---

(١) معجم المصطلحات البلاغية، ج ٣ / ١٥٤، وانظر: لسان العرب، ج ١٣ / ٣٦١.

(٢) دلائل الاعجاز للجرجاني، ص٦٦.

(٣) الايضاح في علوم البلاغة للقزويني، ص ٣٣٠.

(٤) المصباح في المعاني والبيان والبديع، لابن الناظم، ص ١٤٧، وانظر: مفتاح العلوم للسكاكي، ص ٤٠٣.

(٥) البلاغة فنونها وأفنانها، علم البيان والبديع، د. فضل حسن عباس، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، الاردن، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م، ص ٢٤٥ـ ٢٤٦.

(٦) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٥٨.

وفي وصفه لحال بطون أهل الجنة وكيفية الهضم للطعام، فيقول:[١]

فتعـــودُ هاتيـــك البطـــونُ ضـــوامراً تبغـــي الطعـامَ علـى مـدى الأزمـان

كناية عن صفة الرشاقة والنحافة للحور العين في الجنة.

وقوله في الحث والتشمير للوصول إلى الجنان:[٢]

أســـرع وحـــث الســـيرَ جهـــدك إنمـــا مســـراك هـــذا ســـاعةٌ لزمـــان

ففي هذا البيت: كنايةٌ عن السرعة والجد والاجتهاد، وهي كناية عن صفة.

وقوله أيضاً:[٣]

يغشـــى الجميـــعَ فـــلا يشـــاهدُ بعضـــهم بعضـــاً وهـــذا لاتســـاع مكـــان

وهذه كناية عن القوة التي يعطيها الله تبارك وتعالى لعبده في الجنة، وهي كناية عن صفة.

وقوله كذلك:[٤]

يـــا طيـــب هاتيـــك الثمـــار وغرســـها فـــي المســـك ذاك التـــرب للبســـتان

وهذا كناية عن الروائح الجميلة المنبعثة كالمسك، وهي كناية عن صفة.

وقوله أيضاً:[٥]

واهـــاً لـــذيّاك الســـماعِ فكـــم بـــه للقلـــب مـــن طـــربٍ ومـــن أشـــجان

ففي هذا البيت كناية عن عذوبة الصوت، وهو من باب كناية الصفة.

وقوله فيمن آثر الدنيا الفانية على الآخرة الباقية:

لا تـــؤثر الأدنـــى علـــى الأعلـــى فتُحـــ ـــرم ذا وذا يـــا ذلـــة الحرمـــان

حيث أورد الكناية عن الحرمان والتحسر، وهي كناية عن صفة.

وفي وصفه لأنهار الجنة، فقال:[٦]

أنهارهـــا فـــي غيـــر أخـــدود جـــرت ســـبحان ممســـكها عـــن الفيضـــان

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٧٦.

(٢) المصدر السابق، ص٢٥٨.

(٣) المصدر السابق، ص٢٧٠.

(٤) المصدر السابق، ص٢٧٢.

(٥) المصدر السابق، ص٢٧٣.

(٦) المصدر السابق، ص٢٧٤.

حيث أورد الكناية عن عذوبة الماء، وهي من باب كناية عن صفة الماء.

وقوله كذلك:[1]

لا تقـــربُ الـــدنسَ المقـــرّبَ للبِلـــى ... مـــا للبلـــى أبـــداً بهـــنّ يـــدان

ففيها كناية عن الطهارة والعفة، وهي كناية عن صفة.

ووصفه لثغر الحور العين ولذة وصاله، فقال:[2]

للّـــه لاثـــم ذلـــك الثغـــر الـــذي ... فـــي لثمـــه إدراك كـــل أمـــان

فجاءت الكناية عن الحلاوة واللذة في لثم ثغر الحور العين، وهي كناية عن صفة.

وقد وصف تمام الفرحة المشتملة على أهل الجنة وأزواجهم، فقال:[3]

والقلـــب قبـــل زفافهـــا فـــي عرســـه ... والعـــرسُ أثـــر العـــرسِ متصـــلان

ففي البيت كناية عن الشوق لهن قبل اللقاء، وهو من باب كناية الصفة.

وفي وصفه للأزواج لحظة اجتماعهم على فرشهم، وهم في سرور وحبور، فقال:[4]

فســل المتــيّم هــل يحــل الصــبر عــن ... ضـــمٍ وتقبيـــلٍ وعـــن فلتـــان

وســـل المتـــيم أيـــن خلّـــف صـــبره ... فـــي أي وادٍ أم بـــأي مكـــان

وســل المتــيم كيــف حالتُــه وقــد ... مُلئـــت لـــه الأذنـــان والعينـــان

وســـل المتـــيم كيـــف عيشـــته إذاً ... وهمـــا علـــى فرشَـــيهما خلـــوان

وســل المتــيم كيــف مجلسُــه مــع الـــ ... ـــمحبوب فـــي روحٍ وفـــي ريحـــان

ففي المشاهد الرائعة يقدم لنا الإمام ابن القيم وصفاً رائعاً لما يدور بين الأزواج وزوجاتهم في الجنان من نعيم لا يعلم به إلا الله، وقد أورد الكناية عن اللذة والاستمتاع، وهي من باب كناية الصفة، فقد وصف عيشة أهل الجنة ومجالسهم وفرشهم وأحوال لقائهم.

يقول **الهراس:** " فسله وهو العاشق الولهان هل يملك الصبر حينئذٍ عن عناقٍ وتقبيل وإسراع إلى المحبوب في لهفة وشوق، بل سله أين خلّف صبره وفي أي مكان تركه، ثم سله كيف هو وقد امتلأت من الفتون والسحر الحلال عيناه وأذناه حين يسمع منطقها الرخيم وأنغامها الحلوة

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٧٦.

(٢) المصدر السابق، ص٢٨٠.

(٣) المصدر السابق، ص٢٨٤.

(٤) المصدر السابق، ص٢٨٤.

التي تزري بأجمل الألحان، وحين توجه إليه ألفاظها العذبة وتبث أشواقها وحبها، وحين يرى وجهها المضيء كأن الشمس تجري في صفحته، ثم سله كيف عيشته الهانئة الراضية وقد اتكأ هو وعروسه على فرشيهما منفردَين يتناجيان بأعذب الألحان وينثران الدر من أفواههما كأنه عقود جمان، ثم سله كيف مجلسه مع محبوبه تُحمل إليهما النسائمُ الندية عبير الروض وشذاه، تدور عليهما كؤوس الرحيق المختوم على أيدي غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون، فيتنازعان الكأس يرشفها هو مرة وترشفها خَوده مرة، ثم يتكئان على الأسرّة فيتضامان ويتلاصقان فما ظنك بمحبوبَين بعد البين يتلاقيان"[١].

وقوله أيضاً:

غـــاب الرقيـــب وغـــاب كـــل منكـــدٍ وهمـــا بثـــوب الوصـــل مشـــتملان

فأورد الكناية عن صفاء العيش وطيبه بينهما في الجنة، وهي كناية عن صفة.

وقوله في كلام الله سبحانه وتعالى لأهل الجنة:

فيقـــول أفضـــل منـــه رضـــواني فـــلا يغشـــاكم ســـخطٌ مـــن الـــرحمن

حيث وردت الكناية عن الرضا، وهي كناية عن صفة الرضوان.

وفي البيت **استعارة مكنية:** حيث شبه السخط بالليل الذي يغشى، وحذف المشبه به وأبقى صفة من صفاته وهو التغشية.

وقوله أيضاً:[٢]

واهـــاً لـــذا الســـوق الـــذي مـــن حلّـــه نـــال التهـــاني كلهـــا بأمـــان

فقد ذكر الكناية عن الراحة الأبدية الحاصلة لأهل الجنة، وهي كناية عن صفة.

فإن الملائكة تنصب ذاك السوق لأولياء اللّه وحزبه المتقين، وهذا السوق ملئٌ بالتّحف والهدايا وفيه من النعيم والكرامة ما لا عينٌ رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فيأخذون منه دون بيعٍ أو شراء.

ويقول:[٣]

وإذا يجامعهـــا تعـــود كمـــا انتشـــت بكـــراً بغيـــر دمٍ ولا نقصـــان

وهذا كناية عن عودة بكارتها واستمرار عفتها، وهي من باب كناية الصفة.

---

(١) شرح القصيدة النونية للهراس، ج ٢ / ٤٠٣ ـ ٤٠٤.

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٩٣.

(٣) المصدر السابق، ص٢٨١.

فإن في جماعها راحةً ولذة لعاشقها الولهان، فلا يملّها ولا تملّه، فهو يشتهيها دائماً ولا يمكنه التفريط فيها بعدما وصل إليها وأصبحت في حبه وكنفه، لأن شغله الشاغل هو الإفضاء إليها.

٢- **كناية عن موصوف:** " وهي أن تذكر الصفة والنسبة ولا تذكر الموصوف المكنى عنه، والغرض من ذكر الصفة التوصل بها إلى الموصوف، فالصفة المذكورة من خصائص الموصوف المحذوف المكنّى عنه"[١].

ويقول الإمام الجرجاني: ليس المعنى إذا قلنا: " إن الكناية أبلغ من التصريح إنك لمّا كنيت عن المعنى زدت في ذاته بل المعنى أنّك زدت في إثباته فجعلته أبلغ وآكد وأشدَّ "[٢].

وقد أورد ابن القيم هذا النوع من الكناية في قصيدته، فقال:[٣]

هـــذا وأولهـــم دخـــولاً خيـــرُ خلـــ ـــق اللّـــه مَـــن قـــد خُـــصّ بـــالقرآن

وهي كناية عن الفخر بسيد الأنبياء والمرسلين، والأولين والآخرين، والذي خصّه الله تعالى بالقرآن الكريم، والذي بيده لواء الحمد ومفاتيح الجنة وهو أكرم ولد آدم، وأول من يقرع باب الجنة، وهذه كلها كناية عن موصوف.

ومنه قوله أيضاً في وصف غرفات الجنة:[٤]

غرفاتهـــا فـــي الجـــو يُنظـــر بطنُهـــا مـــن ظهرهـــا والظهـــر مـــن بطنـــان

وهذا كناية عن المنزلة الرفيعة لغرف الجنة، وهي كناية عن موصوف، وأن سكان تلك الغرف لا خوفٌ عليهم ولا يحزنون.

وفي قوله:[٥]

فـــيهن حـــورٌ قاصـــرات الطـــرفِ خيـــ ـــرات حســـان هـــنّ خيـــر حســـان

خيـــرات أخـــلاقٍ حســـانٌ أوجهـــاً فالحســـن والإحســـان متفقـــان

بكـــرٌ فلـــم يأخـــذ بكارتهـــا ســـوى الـــ ـــمحبوب مـــن إنـــسٍ ولا مـــن جـــان

ففيه كناية عن العفة والصون والطهارة والحياء الذي يمتلك هؤلاء النسوة، فلا ينظرن لأحد سوى أزواجهن، وأنهن أبكارٌ لم يلمسهن ولم يُزِل بكارتهن أحدٌ من إنس ولا من جان، وهذه النسوة قد

---

(١) البلاغة فنونها وأفنانها، فضل عباس، ص ٢٥٠.

(٢) دلائل الاعجاز للجرجاني، ص ٧١.

(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٦٦.

(٤) المصدر السابق، ص٢٧٠.

(٥) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٧٠.

كمل منهن الخَلق والخُلق، فاتفق لها حسنها وجمالها الباطن والظاهر مع الإحسان والصفات الكريمة، وهذه الكناية من باب كناية الموصوف.

يقول **فضل عباس:** " وهؤلاء النسوة قد قصرن الطرف عن غير أزواجهن، فهذه القناعة وتلك العفة طبيعة فيهن، فهن لا يتجاوزن بنظراتهن أحداً من الرجال"(١).

وكقوله أيضاً في وصف رمان الجنة وأعنابها وثمارها:(٢)

وكـــــــذلك الرمـــــــان والأعنـــــــاب   والنخــل التــي منهــا القطــوف دوان

وفيها كناية عن تمام اللذة في تلك المأكولات خاصة دون غيرها من سائر الفواكه، وهي كناية عن موصوف.

وفي وصف الفاكهة يقول:(٣)

وفواكـــــهٌ شـــــتى بحســـــب منـــــاهمُ   يـــا شـــبعةً كمُلـــت لـــذي الإيمـــان

فأورد الكناية عن تمام النعيم واللذة، لأن فواكه الجنة لا يصيبها عفنٌ ولا عطب، فإن كل شيءٍ من الطعام والشراب يطيب لهم، وهذه كناية عن موصوف.

وفي وصفه لفرش الجنة وسررهم، فيقول رحمه الله تعالى:(٤)

مرفوعـــــةٌ فـــــوق الأســـــرّة يتكـــــئ   هـــــو والحبيــــب بخلـــــوةٍ وأمـــــان

فقد وردت الكناية عن الراحة والسعادة والطمأنينة، وهي كناية عن موصوف، فإن الزوج يجالس زوجه في الجنة فيتحدثان ويتناجيان ويتمايلان في خلوةٍ وراحةٍ أبدية.

وقوله كذلك:(٥)

والنــــاس قـــد قضـــوا مناســـكهم وقـــد   حثـــوا ركـــائبهم إلـــى الأوطـــان

كناية عن الموت والفناء للدنيا والرحيل إلى الدار الآخرة، وهي كناية عن موصوف.

ويقول في الحور العين ووصفه لعفتهن وشرفهن:

مـــن قاصـــرات الطـــرف لا تبغـــى ســـوى   محبوبهـــا مـــن ســـائر الشـــبان

قصـــرت عليـــه طرفهـــا مـــن حســـنه   والطـــرف فـــي ذا الوجـــه للنســـوان

---

(١) البلاغة فنونها وأفنانها، فضل عباس، ص٢٦١.

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٧١.

(٣) المصدر السابق، ص٢٧٤.

(٤) المصدر السابق، ص٢٧٧.

(٥) المصدر السابق، ص٢٧٨.

أو أنهـــا قصـــرت عليـــه طرفـــه   مـــن حســـنها فـــالطرف للـــذكران

فقد أورد في هذه المشاهد الكناية عن العفة والشرف والطهارة للحور العين، فإنهن يحبسن أطرافهن على أزواجهن فلا يطمحن ولا ينظرن إلى غيرهم، فهي كناية عن موصوف.

وفي وصفه للنساء اللواتي خسرن الدنيا والآخرة، فيقول:[١]

قبُحـــت خلائقهـــا وقـــبّح فعلهـــا   شـــيطانةٌ فـــي صـــورة الإنســـان

فإنها كناية عن الخسة والدناءة لتلك النسوة، فقد تجردن من الأخلاق الحميدة والشيم الكريمة، فخسرن وشقين يوم القيامة، وهذه الكناية من باب التكنية بالموصوف.

وقوله أيضاً:[٢]

وعليــه أحســنُ ســرةٍ هــي مجمــع الـــ   ـــخصرين قــد غــارت مــن الأعكــان

حـــقٌ مـــن العـــاج اســـتدار وحولـــه   حبـــات مســـكٍ جـــلّ ذو الاتقـــان

فقد وصف السرة وهي مجمع الخصرين، وهي كناية عن الرشاقة والنعومة، وهي كناية عن موصوف.

ويقول **الهراس:** " وهذه السرة في بياضها واستدارتها وشدة غورها تشبه حقاً من العاج مستديراً، وحوله حبات مسك أسود فجلّ ربنا الذي خلقها على هذه الصورة من الإبداع والإتقان "[٣].

ويصف ويقول:[٤]

لطفـــاً وحســـنَ تبعّـــلٍ وتغـــنجٍ   وتحبـــبٍ تفســـير ذي العرفـــان

فقد جاءت الكناية عن تمام المتعة وقت الجماع، وهي كناية عن موصوف، فإن مودتها وملاحة صورتها وغناجها لا يوصف، فهي الرقيقة لزوجها والمتبعّلة له والمتغنّجة والمتلاطفة له عند الجماع.

ويقول أيضاً:[٥]

لـــن يـــدخل الجنـــات أصـــلاً كـــادحٌ   بالســـعي منـــه ولـــو علـــى الأجفـــان

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٧٩.

(٢) المصدر السابق، ص٢٨١.

(٣) شرح القصيدة النونية للهراس، ج٢ /٣٩٥.

(٤) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٨٢.

(٥) المصدر السابق، ص٢٩٦.

وفي هذا المشهد كناية عن انقطاع الأمل واستحالة دخول الجنة لمن مات ولم يكن من التائبين، وهي كناية عن موصوف.

وقال في وصف أهل الدنيا وتحقيره لهم، لأنهم ارتضوا بها بدلاً لهم من الفردوس الأعلى:[١]

سكانها أهل الجهالة والبطا   لة والسفاهة أنجس السكان

فأورد الكناية عن تحقيرهم والاستهزاء بهم وحقارتهم وخستهم لأنهم اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة، وهي من باب كناية الموصوف.

ويقول رحمه الله:[٢]

يا غافلاً عما خُلقتَ له انتبه   جد الرحيلُ فلستَ باليقظان

وفيها كناية عن الاستهزاء والاستهتار، وذلك لمن غفل عما خلقه الله له، فالإنسان قد اقترب أجله وما زال في لهوٍ ولعبٍ، فمتى يستيقظ ويتنبه، وقد جاء الوصف كناية عن موصوف.

٣- كناية عن نسبة: " وهي إثبات شيءٍ لشيء أو نفيه عنه، وبدلاً من نسب الصفة لصاحبها فإنها تنسب لشيءٍ آخر"[٣].

ويقول عبد القاهر الجرجاني في الكناية والتعريض: " هذا فنٌ من القول دقيقُ المسلك لطيف المأخذ وهو أنَّا نراهم كما يصنعون في نفس الصفة بأن يذهبوا بها مذهب الكناية والتعريض، كذلك يذهبون في إثبات الصفة هذا المذهب، وإذا فعلوا ذلك بدت هناك محاسن تملأ الطرف ودقائق تُعجز الوصف، ورأيت هناك شعراً شاعراً وسحراً ساحراً وبلاغةً لا يكمل لها إلاّ الشاعر المُفلِقُ والخطيب المصقع، وكما أنَّ الصفة إذا لم تأتك مصرَّحاً بذكرها مكشوفاً عن وجهها ولكن مدلولاً بغيرها كان ذلك أفخم لشأنها وألطف لمكانها، كذلك إثباتك الصفة للشيء تثبتها له إذا لم تلقه إلى السامع صريحاً وجئت إليه من جانب التعريض والكناية والرمز والإشارة كان له من الفضل والمزية ومن الحسن والرونق ما لا يقلُّ قليله لا يُجهل موضع الفضيلة فيه"[٤].

ويقول أيضاً:[٥]

لو ساوت الدنيا جناح بعوضةٍ   لم يسقِ منها الربُّ ذا الكفران

كناية عن وصف الدنيا بنسبة حقارتها ودناءتها، فإن الدنيا أهون على الله من جناح البعوضة.

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٥٨.

(٢) المصدر السابق، ص٢٨٥.

(٣) البلاغة فنونها وأفنانها، فضل عباس، ص ٢٥٣.

(٤) دلائل الاعجاز للجرجاني، ص ٣٠٦.

(٥) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٥٩.

وقوله في وصف نعيم الجنة الذي لا يخطر على قلب بشر:[1]

فيهـــا الـــذي واللّـــه لا عـــينٌ رأت   كـــلا ولا ســـمعت بـــه أذنـــان

كـــلا ولا قلـــب بـــه خطـــر المثـــا   ل لـــه تعـــالى اللّـــه ذو السـلطان

حيث أورد الكناية عن التعظيم وتمام النعيم في الجنة، وهي من باب كناية النسبة.

ويقول أيضاً:[2]

ولقـــد رُوينـــا أنـــه يغشـــى بيـــو   مٍ واحـــدٍ مائـــةً مـــن النســـوان

وهذا كناية عن القوة وكثرة الجماع، وهي من باب كناية النسبة.

" والحقيقة أن الرجل في الجنة يستطيع بقوة المائة التي حصلت له أن يفضي إلى مائة امرأة بلا ضعف ولا فتور، وأقوى أهل الجنة وأقدرهم على الجماع هو أعفهم في هذه الدنيا لزهده في هذا المتاع الحقير والحطام الفاني"[3].

ويقول رحمه الله تعالى في عدد الجنان وأجناسها:[4]

ذهبيتـــان بكـــل مـــا حوتـــاه مـــن   حلـــيٍ وآنيـــةٍ ومـــن بنيـــان

فإنها كناية عن فخامة تلك الجنتين وعظمتهما ونعيمهما وشدة جمالهما، وهي من باب كناية النسبة لذاك الجمال الخلاب.

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٩٢- ٢٩٣.

(٢) المصدر السابق، ص٢٨٣.

(٣) شرح القصيدة النونية للهراس، ج٢ /٤٠١.

(٤) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٦٧.

المبحث الخامس
المجاز

المجاز لغةً:

"جزت الطريق وجاز الموضع جوازاً، وجاز به وجاوزه وأجازه غيره، وجازه سار فيه وسلكه، وجاوزت الموضع جوازاً بمعنى جزته، والمجاز والمجازة الموضع"(١).

ويقول **شيخ البلاغة وإمامها:**" المجاز مفعل من جاز الشيء يجوزه إذا تعداه وإذا عُدل باللفظ عما يوجبه أصل اللغة وصف بأنه مجاز على معنى أنهم جازوا به موضعه الأصلي أو جاز هو مكانه الذي وضع فيه أولاً "(٢).

أما في الاصطلاح:

يقول **ابن الناظم:** " هي كلمة مستعملة في غير ما هي موضوعة له مع قرينة مانعة من إرادة معناها فيه"(٣).

ويقول **الهاشمي في جواهره** " والعلاقة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي قد تكون المشابهة، وقد تكون غيرها، فإذا كانت المشابهة فهو استعارة، وإلا فهو مجاز مرسل، والقرينة قد تكون لفظية أو حالية، وهذه العلاقة هي المناسبة بين المعنى المنقول عنه والمنقول إليه" (٤).

أقسام المجاز:

ينقسم المجاز إلى نوعين هما:

أولاً: المجاز العقلي: " هو إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير ما هو له لعلاقة مع وجود قرينة مانعة من إرادة الإسناد الحقيقي"(٥).

من علاقات المجاز العقلي:

١- **الزمانية:** " ويسند الفعل فيها إلى الزمان الذي وقع فيه الفعل، وذلك كقولك: نهاره صائم وليله قائم، فأسند الصيام إلى النهار والقيام إلى الليل"(٦).

---

(١) لسان العرب لابن منظور، ج ٥ / ٣٢٦، وانظر: معجم المصطلحات البلاغية، ج ٣ / ١٩٣.
(٢) أسرار البلاغة للجرجاني، ص ٣٩٥.
(٣) المصباح في المعاني والبيان والبديع لابن الناظم، ص ١٢٢.
(٤) جواهر البلاغة للهاشمي، ص ٢٥١.
(٥) من بلاغة القرآن، ص ١٩٩.
(٦) المصدر السابق، ص ٢٠٠.

وقد أورد ابن القيم في هذا المشهد قوله:[1]

هـــو نـــائمٌ وأمـــوره قـــد دُبّـــرت لـــيلاً ولا يـــدري بـــذاك الشـــأن

مجاز عقلي علاقته زمانية، حيث أسند فعل التدبير إلى الزمان الذي وقع فيه وهو الليل.

٢- **المكانية:** هو إسناد الفعل إلى المكان الذي وقع فيه الفعل.

وذلك كقوله:[2]

منـــه تفجّـــر ســـائر الأنهـــار فالـــ ـــمنبوع منـــه نـــازلٌ بجنـــان

مجاز عقلي علاقته مكانية، حيث أسند الفعل إلى المكان الذي وقع فيه الفعل، فأسند تفجير الأنهار وهو مكان الماء إسناداً مجازياً، فالأنهار لا تنفجر، وإنما المياه التي تنفجر.

وفي وصفه لأنهار الجنة وجريانها، فيقول:[3]

وخيامهـــا منصـــوبة برياضـــها وشـــواطئ الأنهـــار ذي الجريـــان

مجاز عقلي علاقته مكانية، حيث أسند فعل الجري لشواطئ الأنهار إسناداً مجازياً، لأن شواطئ الأنهار لا تجري، وإنما الماء الذي يجري فيها.

وقوله أيضاً في وصف أنهار الجنة:[4]

أنهارهـــا فـــي غيـــر أخـــدودٍ جـــرت ســـبحان ممســـكها عـــن الفيضـــان

مـــن تحـــتهم تجـــري كمـــا شـــاءوا مفجـــ ـــرةً ومـــا للنهـــر مـــن نقصـــان

مجاز عقلي علاقته مكانية، حيث أسند فعل جري الأنهار من غير أخدود إسناداً مجازياً، لأن ماء أنهار الجنة هو الذي يجري وليس الأنهار ذاتها، ولأن الأنهار اسم للوادي الذي تجري فيه المياه والأنهار مكان له، فالإسناد هنا مجاز عقلي علاقته مكانية، والبيت الثاني كذلك، فالأنهار لا تجري من تحتهم، وإنما الماء الذي يجري والنهر مكان للجري فالإسناد مجاز عقلي علاقته مكانية، وفي البيت الأول مجاز عقلي علاقته سببية، حيث أسند فعل الإمساك إلى الله تعالى مجازاً، مع أن الملائكة المكلفة بهذه الأعمال من الله تعالى هي التي تقوم بتلك الأعمال والله أعلى وأعلم.

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٦٨.

(٢) المصدر السابق، ص٢٦٠.

(٣) المصدر السابق، ص٢٧٠.

(٤) المصدر السابق، ص٢٧٤.

٣- **السببية:** ويسند الفعل فيها إلى السبب الذي أدى إليه، وذلك كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَاهَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَاب * أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى ﴾[غافر:٣٧]، ونظير هذا ما ورد في القصيدة النونية:(١)

ويـــــداه أيضـــــاً أتقنـــــت لبنائهـــــا فتبـــــارك الـــــرحمنُ أعظـــــمُ بـــــان

حيث أسند الفعل " أتقن "، إلى الله تعالى علماً بأن الله تعالى لم يقم بعملية البناء حقيقةً، ولكن لما كان أمر الإتقان صادر منه أسند إتقان البناء وفعله إليه علي سبيل المجاز العقلي الذي علاقته سببية، فالذي يتقن البناء ويقوم به هم الملائكة الذين خصهم الله بذلك الأمر.

وقوله أيضاً:(٢)

لا يلهينـــــك منـــــزلٌ لعبـــــت بـــــه أيـــدي الـــبِلا مُـــذ ســـالف الأزمـــان

مجاز عقلي علاقته سببية، حيث أسند الفعل " يلهي"، إلى أيدي البِلا على سبيل المجاز العقلي، مع أن السبب في لهو الإنسان وضياعه هو النفس والشيطان.

ومنه قوله أيضاً:(٣)

ســبحان مـــن غرســـت يـــداه جنـــة الـــ ـــفردوس عنـــد تكامـــل البنيـــان

مجاز عقلي علاقته سببية، حيث أسند فعل الغرس إسناداً مجازياً علاقته السببية إلى الله تعالى، لأن الله تعالى هو الآمر للغرس، علماً بأن الملائكة المكلفة بالغرس هي التي قامت بالغرس.

ونظير ذلك في قوله أيضاً:(٤)

فـــإذا هـــم رجعـــوا إلـــى أهلـــيهم بمواهـــبٍ حصـــلت لهـــم مـــن الـــرحمن

مجاز عقلي علاقته سببية، حيث أسند فعل الحصول على الهدايا إسناداً مجازياً علاقته السببية، فالله تبارك وتعالى هو الآمر بتلك الهدايا، ولكن الملائكة الكرام هي المكلفة بتوزيع تلك الهدايا والكرامات.

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٦٨.

(٢) المصدر السابق، ص٢٥٨.

(٣) المصدر السابق، ص٢٦٨.

(٤) المصدر السابق، ص٢٩٣.

وفي قوله: " فإذا هم رجعوا " مجاز مرسل علاقته باعتبار ما يكون.

٤- **المصدرية:** " ويسند الفعل فيه إلى المصدر بدلاً من الفاعل الحقيقي، وذلك كقوله تعالى:﴿ **فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ** ﴾[الحاقة:١٣]، فقد أسند الفعل وهو النفخ إلى المصدر إسناداً مجازياً، ولم يسنده إلى الفاعل الحقيقي وهو النافخ في الصور "[١].

ونظير ذلك ما ورد في القصيدة في رؤية أهل الجنة لربهم تبارك وتعالى ونظرهم إلى وجهه الكريم، فقال:[٢]

فيـــه تجلّـــى الـــربّ جـــلّ جلالُـــه ... ومجيئُـــــه وكلامـــــه ببيـــــان

حيث أسند الفعل " جلّ " إلى مصدره إسناداً مجازياً وهو: "جلاله " مع أنها ليست الفاعل الحقيقي، فالإسناد هنا مجاز عقلي علاقته مصدرية.

وقوله كذلك:[٣]

فيقـــول جـــلّ جلالـــه هـــل أنـــتم ... راضـــون قـــالوا نحـــن ذو رضـــوان

حيث أسند الفعل " جلّ " إلى مصدره،" جلاله " وهي ليست الفاعل الحقيقي، فالإسناد مجاز عقلي علاقته مصدرية.

ومثله أيضاً في وصف نساء الجنة:[٤]

وإذا بـــدت فـــي حُلّـــةٍ مـــن لبســـها ... وتمايلـــــت كتمايـــــل النشـــــوان

حيث أسند الفعل : تمايلت " إلى المصدر إسناداً مجازياً علاقته مصدرية.

وقوله أيضاً:[٥]

مُـزِجَ الشـرابُ لهـم كمـا مزجـوا هـم الــ ... أعمـــــالَ ذاك المـــــزجُ بـــــالميزان

مجاز مرسل علاقته مصدرية، حيث أسند الفعل " مُزج " إلى غير فاعله الحقيقي، وإنما إلى مصدره " المزج"، وذلك من باب الإسناد المجازي العقلي.

---

(١) فن البلاغة، عبد القادر حسين، ص٩٣، وانظر: من بلاغة القرآن، ص٢٠٢.
(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٨٨.
(٣) المصدر السابق، ص٢٩٠.
(٤) المصدر السابق، ص٢٨٣.
(٥) المصدر السابق، ص٢٧٥.

٥ـ **الفاعلية:** " وهو اسناد الفعل المبني للمجهول إلى الفاعل، فيسند الفعل إلى صيغة اسم المفعول، ويراد به اسم الفاعل، وذلك كقوله تعالى:﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾[الإسراء:٤٥]، فقد أسند الفعل إلى صيغة اسم المفعول " مستوراً "، وأراد صيغة الفاعل " ساتراً "، لأن من شأن الحجاب أن يكون ساتراً "[(١)].

ونظير ذلك في قوله:[(٢)]

بكـــرٌ فلـــم يأخـــذ بكارتَهـــا ســـوى الـــ	**ـــمحبوب مـــن إنـــسٍ ولا مـــن جـــان**

مجاز عقلي علاقته فاعلية، حيث أسند الفعل " يأخذ " إلى صيغة اسم المفعول " المحبوب "، وأراد صيغة الفاعل، وهو الحبيب العاشق.

٦- **المفعولية:** ويسند ما بنى للفاعل إلى المفعول، وفيها يسند الفعل إلى صيغة اسم الفاعل، والمراد هو اسم المفعول، ونظير ذلك ما أورده الإمام ابن القيم في قصيدته، فقال:

وذلك كقوله رحمه الله تعالى:[(٣)]

فتيممـــــوا تلــــك الخيــــام فآنســــوا	**فـــــيهن أقمـــــاراً بـــــلا نقصـــــان**
مـــن قاصـــرات الطـــرف لا تبغـــى ســـوى	**محبوبهـــا مـــن ســـائر الشـــبان**

مجاز عقلي علاقته مفعولية، فقد أسند الفعل إلى صيغة اسم الفاعل وذلك في قوله:

" قاصرات "، وأراد اسم المفعول وهو " مقصورات في الخيام ".

ثانياً: المجاز المرسل: " هو ما كانت علاقته بين ما استعمل فيه وما وضع له غير المشابهة، وتسميته بالمرسل كونه غير مرتبط بقيود"[(٤)].

- **علاقات المجاز المرسل:**

١- **السببية:** وهو أن يطلق السبب ويراد المسبب.

ونظير ذلك في قوله رحمه الله تعالى:[(٥)]

---

(١) من بلاغة القرآن، ص ٢٠٣.

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٨٢.

(٣) المصدر السابق، ص٢٧٨.

(٤) الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني، ص٢٧٧.

(٥) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٧٦.

ولهـــم جشـــاء ريحـــه مســـك يكـــو ن بـــه تمـــام الهضـــم بالإحســـان

فأورد المجاز المرسل في قوله: تمام الهضم بالإحسان، فهي مجاز مرسل علاقته سببية، حيث أطلق السبب وهو الجشاء، وأراد المسبب وهو تمام الهضم، لأن الجشاء هو سبب الهضم، وفي البيت مجاز مرسل وذلك في قوله: ولهم جشاء ريحه مسك يكون به تمام الهضم، فهي مجاز مرسل علاقته باعتبار ما سيكون في الجنة.

٢- **المسببية:** وهو أن يطلق المسبب ويراد السبب، " أو حينما يطلق اللفظ المذكور مسبباً عن المعنى المراد، ويكون المعنى المراد سبباً في المذكور"[١].

ونظير ذلك في قوله رحمه الله:[٢]

عمـــرت بهـــم هـــذي الـــديار وأقفـــرت مـــنهم ربـــوع العلـــم والإيمـــان

مجاز مرسل علاقته مسببية، حيث ذكر المسبب وهو إعمار القلوب بحب الدنيا الفاني، وأراد السبب وهو فراغ القلوب من العلم والإيمان.

٣- **الجزئية:** وهو أن يطلق الجزء ويراد الكل، أو تكون علاقة المجاز المرسل الجزئية إذا كان اللفظ المستعمل جزءاً من المعنى المراد، وذلك كقول ابن القيم رحمه الله تعالى:[٣]

واللّـــهِ لـــو شـــاهدتَ هاتيـــك الصـــدو رَ رأيتَهـــــا كمراجـــــل النيـــــران

مجاز مرسل علاقته جزئية، حيث أطلق الجزء وهو الصدور وأراد جميع النفس بأكملها.

وقوله في وصف الحور العين:[٤]

فـــيهنّ حـــورٌ قاصـــراتُ الطّـــرف خيـــــراتٌ حســـانٌ هـــنّ خيـــرُ حســـانِ

فهذا مجاز مرسل علاقته جزئية، حيث أطلق الجزء وهو طرف العين، وأراد الكل وهو العفة بأكملها.

ويقول **الشريف الرضي:** " وقد ذكر الطرف على طريق المجاز، وإلا فحقيقة المعنى أنهن حبسن الأنفس على الأزواج عفةً وديناً وصوناً"[٥].

---

(١) البلاغة فنونها وأفنانها، فضل عباس، ص ١٥٠.

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٥٨.

(٣) المصدر السابق، ص٢٥٩.

(٤) المصدر السابق، ص٢٧٠.

(٥) تلخيص البيان في مجازات القرآن، الشريف الرضي، ص٢٥٧.

ونظير ذلك أيضاً في تحقير الله عز وجل للدنيا، فقال:[1]

لـــو ســـاوت الـــدنيا جنـــاح بعوضـــةٍ   لـــم يســـقِ منهـــا الـــربُّ ذا الكفـــران

مجاز مرسل علاقته جزئية، فقد أطلق الجزء وهو جناح البعوضة وأراد الكل وهي الدنيا، فهي أهون على اللّه من ذلك الجناح الضعيف الذي لا يقوى على الطيران.

وقوله في وصف المتعة واللذة الحاصلة للأزواج في الجنان:[2]

وهـــي التـــي عنـــد الجمـــاع تزيـــد فـــي   حركاتهـــــا للعـــــين والأذنـــــان

مجاز مرسل علاقته جزئية، حيث أطلق الجزء وهو العين والأذن، وأراد كل الأعضاء.

وقوله أيضاً:[3]

فـــــالورد والتفـــــاح والرمـــــان فـــــي   غصـــن تعـــالى غـــارس البســـتان

مجاز مرسل علاقته جزئية، حيث أطلق الجزء وهو الورد والتفاح والرمان، وأراد كل الثمار والفواكه واللذات.

ونظير ذلك أيضاً في وصفه لطعام أهل الجنة، فقال:[4]

وطعـــامهم مـــا تشـــتهيه نفوسُـــهم   ولحـــوم طيـــرٍ نـــاعمٍ وسِـــمَان

مجاز مرسل علاقته جزئية، حيث ذكر الجزء وهو لحوم الطير، وأراد كل الطعام بأشكاله وألوانه.

وفي وصفه لنساء الدنيا المائلات المميلات، فأورد قوله:[5]

وجمالهـــا زورٌ ومصـــنوعٌ فـــإن   تركتـــه لـــم تطمـــح لهـــا العينـــان

مجاز مرسل علاقته الجزئية، حيث أطلق الجزء وهي " العينان "، وأراد الكل وهو النفس، فليست العين فقط التي تعزف عن تلك النسوة المسافحات، وإنما كل شيءٍ في الإنسان.

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٥٩.

(٢) المصدر السابق، ص٢٨٢.

(٣) المصدر السابق، ص٢٨٠.

(٤) المصدر السابق، ص٢٧٤.

(٥) المصدر السابق، ص٢٧٩.

وقوله أيضاً:[1]

شـــوقا إليـــه ولـــذة النظـــر الـــذي لجـــلال وجـــه الـــرب ذي الســـلطان

مجاز مرسل علاقته جزئية، حيث أطلق الجزء وهو "الوجه"، وأراد جميع لذة النظر لله ﷻ.

وقوله في وصف لذة الإنسان في نعيم الجنان، فيقول:[2]

وانظـــر إلـــى جعـــل اللـــذاذة للعيـــو ن وشـــهوة للـــنفس فـــي القـــرآن

للعـــين منهـــا لـــذة تـــدعو إلـــى شـــهواتها بـــالنفس والأمـــران

حيث ورد في قوله: وانظر إلى جعل اللذاذة للعيون، مجاز مرسل علاقته جزئية، فقد أطلق الجزء وهو لذة العين وأراد كل اللذات.

وقوله: للعين منها لذةٌ: مجاز مرسل علاقته جزئية، أطلق الجزء وأراد الكل، فاللذة للنفس كلها.

وفي وصفه للحوراء لحظة وقوفها أمام محبوبها ونظرها إليه، فيقول:[3]

فيـــرى محاســـنَ وجهِـــه فـــي وجههـــا وتـــرى محاســـنَها بـــه بعيـــان

مجاز مرسل علاقته جزئية، حيث أطلق الجزء وهو الوجه وأراد كل الجسد، لأنه مشتمل على جميع المحاسن والجمال.

٤- **الكلية:** وذلك حينما نستعمل الكل ونريد الجزء، كقوله تعالى:﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم﴾[البقرة:١٩]، والأصبع لا يجعل كله في الأذن، بل الأنملة، والعلاقة بين الأصبع والأنملة علاقة الجزء بالكل، وهذا ما سوغ المجاز وحسّنه "[4].

ونظير هذا ما أورده ابن القيم في قوله:[5]

رفعـــوا إليـــه رؤوســـهم فـــرأوه نـــور الـــرب لا يخفـــى علـــى إنســـان

مجاز مرسل علاقته كلية، حيث أطلق الكل وهو " رؤوسهم "، وأراد الجزء وهو البصر أو العين.

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٩٠.

(٢) المصدر السابق، ص٢٧٥.

(٣) المصدر السابق، ص٢٨٠.

(٤) البلاغة فنونها وأفنانها، فضل عباس، ص ١٥٢.

(٥) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٧٤.

ومثله أيضاً في قوله:[1]

وصـــحافهم ذهـــبٌ تطـــوف علـــيهمُ   بـــأكفّ خُـــدّامٍ مـــن الولـــدان

مجاز مرسل علاقته كلية، حيث أطلق الكل، وهي الأكف وأراد الجزء وهي أطراف اليد والأصابع.

وفي وصفه لأهل الجنة ولباسهم، فيقول:[2]

وهـمُ الملـوك علـى الأسـرّة فـوق هـا   تيـك الـرؤوس مُرصَّـعُ التيجـان

مجاز مرسل علاقته الكلية، حيث أطلق الكل وهي " الرؤوس " وأراد الجزء من الرأس، وهو مقدمته وأعلاه.

٥- اعتبار ما كان: وهو أن يسمى الشئ المستعمل باسم ما كان عليه من قبل، كقوله تعالى: ﴿**إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى**﴾[طه:٧٤]، فأخبر بأنه مجرمٌ باعتبار ما كان عليه في الدنيا من الإجرام.

ونظير ذلك من القصيدة النونية قوله:[3]

والخمـرُ فـي الـدنيا فهـذا وصـفها   تغتـال عقـلَ الشـارب السـكران

فالخمر في الدنيا: مجاز مرسل باعتبار ما كانت عليه في الدنيا من ذهاب للعقل والنفس.

ومنه قوله أيضاً:[4]

ويـذكّر الـرحمنُ واحـدَهم بمـا   قـد كـان منـه سـالف الأزمـان

مجاز مرسل علاقته ما كان، فإن الله تبارك وتعالى يذكّر عباده المؤمنين في الجنة بما اقترفوه من ذنوب وهم في الحياة الدنيا.

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٨٠.
(٢) المصدر السابق، ص٢٧٦.
(٣) المصدر السابق، ص٢٧٥.
(٤) المصدر السابق، ص٢٩١.

٦- **اعتبار ما يكون:** وهو أن يسمى الشيء المستعمل باسم ما يؤول إليه في المستقبل، وذلك كقوله تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾[الصافات:١٠١].

ونظير ذلك من القصيدة الكافية الشافية في قوله لحظة رجوع أهل الجنة إلى أهليهم ومنازلهم:(١)

فـــإذا هـــم رجعـــوا إلـــى أهلـــيهم بمواهـــب حصـــلت مـــن الـــرحمن

ففي قوله: فإذا هم رجعوا إلى أهليهم، مجاز مرسل علاقته باعتبار ما سيكون بعد رجوعهم لأهليهم في الخيام المجوفة.

ومنه قوله أيضاً فيمن أراد أن يخطب من الحور العين وهو في الدنيا:(٢)

فاخطـــب مـــن الـــرحمن خَـــوداً ثـــم قـــدّ م مهرهـــا مـــا دمـــتَ ذا إمكـــان

مجاز مرسل باعتبار ما يكون في المستقبل بعد الموت، فإن خطبة الحور العين لا تكون إلا في الجنة.

وقوله أيضاً:(٣)

ولســـوف تعلـــم حـــين ينكشـــف الغطـــا مـــاذا أضـــعت وكنـــت ذا إمكـــان

حيث ورد في قوله: حين ينكشف الغطاء، مجاز مرسل علاقته باعتبار ما سيكون بعد حضور ملك الموت لقبض الروح، وأما في قوله: وكنت ذا امكان، فهي مجاز مرسل علاقته ما كان قبل الموت وخروج الروح لبارئها.

وقوله أيضاً:

يـــا غـــافلاً عمـــا خُلقـــتَ لـــه انتبـــه جـــدّ الرحيـــلُ فلســـتَ باليقظـــان

مجاز مرسل علاقته باعتبار ما يكون من قرب موت الإنسان ولقائه لله تعالى بعد الموت.

وفي تكليم رب العالمين لجنة الفردوس، فيقول:

لمـــا قضـــى رب العبـــاد الغـــرس قـــا ل تكلّمـــــي فتكلمـــــت ببيـــــان

ففي قوله: فتكلمت ببيان، مجاز مرسل علاقته باعتبار ما سيكون من الحوار والتكليم بين الجنة والكريم المنّان جل في علاه.

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٩٣.

(٢) المصدر السابق، ص٢٧٩.

(٣) المصدر السابق، ص٢٨٥.

٧- **الحالية:** " وهي أن يكون اللفظ المستعمل حالاً في المعنى، فنطلق اسم الحال ونريد المحل"(١).

ونظير ذلك في قوله:(٢)

وإذا بـــــــربهم تعـــــــالى فـــــــوقهم   قـــد جـــاء للتســـليم بالإحســـان

فأورد في قوله: فوقهم، مجاز مرسل علاقته حالية، حيث أطلق الحال وهو التسليم، وأراد المحل، وهو الفردوس الأعلى.

وذلك كقوله:(٣)

وســـل المتـــيّم كيـــف عيشـــته إذاً   وهمـــا علـــى فرشـــيهما خلـــوان

مجاز مرسل علاقته حالية، حيث ذكر الحال وهو العيشة الهنية، وأراد المحل وهي الجنة، لأن الحياة الهانئة لا تكون إلا في الجنة.

وكقوله رحمه الله تعالى:(٤)

غرفاتهـــا فـــي الجـــو ينظـــر بطنُهـــا   مـــن ظهرهـــا والظهـــر مـــن بطنـــان

مجاز مرسل علاقته حالية، حيث أطلق الحال وهو لذة النعيم، وأراد المحل وهو غرفات الجنة.

وقوله أيضاً:(٥)

مرفوعـــــةٌ فـــــوق الأســـــرّة يتكـــــئ   هـــو والحبيـــب بخلـــوةٍ وأمـــان

يتحـــدثان علـــى الأرائـــك مـــا تـــرى   حبّـــين فـــي الخلـــوات ينتجيـــان

مجاز مرسل علاقته حالية، حيث ذكر الحال وهو الاتكاء على الأرائك مع المحبوب، وأراد المحل وهو الجنة، فالسرر المرفوعة والاتكاء مع الأوانس المحبوبات بخلوة وأمان لا يكون إلا في الجنان.

---

(١) من بلاغة القرآن، ص٢١١.

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٨٨.

(٣) المصدر السابق، ص٢٨٤.

(٤) المصدر السابق، ص٢٧٠.

(٥) المصدر السابق، ص٢٧٧.

٨- **المحلية:** وهي أن يكون اللفظ المستعمل محلاً، والمعنى المراد حالاً فيه، وذلك كقوله تعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾[يوسف:٨٢]، وتقدير الكلام: واسأل أهل القرية.

ونظير ذلك في قوله:[1]

هــي جنــة طابــت وطــاب نعيمهــا فنعيمهــا بــاقٍ ولــيس بفــان

دار الســلام وجنــة المــأوى ومنـــزل عســكر الإيمــان والقــرآن

مجاز مرسل علاقته محلية، حيث ذكر المحل وهو الجنة وأراد الحال فيه، وهم حزب الله من المؤمنين.

يقول **سيد قطب:** " جنة المأوى هي التي تؤويهم وتضمهم، فينزلون فيها ويثوون جزاءً بما كانوا يعملون"[2].

وكقوله أيضاً:[3]

فــدعوه يــدخل جنــة المــأوى التــي ارتفعــت ولكــنّ القطــوفَ دوان

مجاز مرسل علاقته محلية، حيث أطلق المحل وهو الجنة، وأراد الحالّ فيه وهو المؤمن.

وقوله في تفاضل أهل الجنة في الدرجات العلى:

ويــرى الــذين بــذيلها مَــن فــوقهم مثــل الكواكــب رؤيــةً بعيــان

مجاز مرسل علاقته محلية، حيث أطلق المحل وهو الجنة وأراد الحال فيه وهم أهل الدرجات العلا.

٩- **الآلية:** وهو إسناد الفعل إلى الآلة التي يقوم بها الفعل، وذلك كقوله تعالى:﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾[الشعراء:٨٤]، ونظير هذا ما أورده ابن القيم في وصف ثمار الجنة ولذة طعمها، فقال:[4]

فيلــذّها فــي الأكــل عنــد منالِهــا وتلــذّها مــن قبلــه العينــان

مجاز مرسل علاقته آلية، فذكر لذة الأكل وأراد آلة الذوق وهي اللسان، وكذلك لذة الرؤية والتي تكون بالعين.

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٦٠.

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب، ج٥/٢٨١٣.

(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٦٢.

(٤) المصدر السابق، ص٢٧٢.

الفصل الثالث
الإشارات البلاغية في علم البديع

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: المحسنات المعنوية.

المبحث الثاني: المحسنات اللفظية.

المبحث الأول
المحسنات المعنوية

علم البديع لغة: "من أبدع وبدع واخترع وخلق على غير مثال سابق، وبديعٌ فعيلٌ بمعنى فاعل، وهي صفة من صفات الله تعالى"[١].

وفي الاصطلاح: " هو علم يُعرف به وجوه تحسين الكلام المعنوية واللفظية، والمزايا التي تزيده حسناً وطلاوة وتكسوه بهاءً ورونقاً بعد مطابقته لمقتضى الحال ووضوح دلالته على المراد"[٢].

أولاً: المحسنات البديعية المعنوية:

١ – الطباق:

لغةً: هو الموافقة، " فيقال: طابقت بين الشيئين، إذا جمعت بينهما على حدّ واحد "[٣].

أما في الاصطلاح: "هو الجمع بين المتضادين، أو الجمع بين الشئ وضده في الكلام، ويكون بين الاسمين المتضادين"[٤]، وذلك كقوله تعالى: ﴿**وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِير * وَلاَ الظُّلُمَاتُ وَلاَ النُّور * وَلاَ الظِّلُّ وَلاَ الْحَرُور * وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاء وَلاَ الْأَمْوَاتُ**﴾[فاطر:١٩ـ ٢٢]، فجاء الطباق بين لفظ الأعمى والبصير، والظلمات والنور، والظل والحرور، والأحياء والأموات، وكلها أسماء، ونظير ذلك ما أورده الإمام ابن القيم في قصيدته، وذلك في الحث والسير إلى الجنة دون تواني وكسل، فقال:

واجعــل نعــوت جمالهــا الحــادي وســـر تلقـــى المخـــاوف وهـــي ذات أمـــان

فجاء بالطباق بين " المخاوف ـ أمان " وكلاهما من الأسماء.

ويأتي الطباق بين فعلين متضادين، وذلك كقوله تعالى: ﴿**وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى**﴾[النجم:٤٣].

ونظير هذا ما أورده ابن القيم في قصيدته الكافية الشافية، فقال:

عمـــرت بهـــم هـــذي الـــديار وأقفـــرت مـــنهم ربـــوع العلـــم والإيمـــان

فجاء الطباق بفعلٍ مع فعلٍ مثله، وذلك في قوله: " عمرت ـ أقفرت ".

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، ج ٨ /٦.

(٢) الايضاح في علوم البلاغة للقزويني، ص ٣٤٨، وانظر: جواهر البلاغة للهاشمي، ص ٢٩٨.

(٣) مفتاح العلوم للسكاكي، ص ٤٢٣، وانظر: علم البديع، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م، ص٧٧.

(٤) جواهر البلاغة للهاشمي، ص ٣٠٣.

وقوله أيضاً:[١]

يمحــــو ويثبـــت مـــا يشـــاء بحكمـــة وبعـــــزة ويرحمـــــة وحنـــــان

فأورد الطباق بين الفعلين " يمحو ـ يثبت ".

أنواع الطباق:

١- **طباق الإيجاب:**" وهي ما صرّح فيها بإظهار الضدين، أو هي ما لم يختلف فيه الضدان إيجاباً وسلباً "[٢]، ونظيره من القصيدة، قول ابن القيم رحمه الله:[٣]

فتـرى الفتـى يمسـي علـى حـالٍ ويصـــ ـــبح فـي سـواها مـا همـا مـثلان

فجاء الطباق في هذا المشهد بين الفعلين " يمسي ـ يصبح "، وهو طباق ايجاب.

وقوله فيمن آثر غناء الدنيا على الآخرة وعاقبته الوخيمة:[٤]

فـــإذا تعلـــق بالســـماع أصـــاره عبـــداً لكـــل فلانـــةٍ وفـــلان

فجاء الطباق بين اسمين متضادين وهما: " فلان وفلانة "، وهذا من باب مطابقة الإيجاب، وفي وصفه لأهل الجنان لحظة اجتماعهم مع الأوانس الكريمات، ووصالهن، فقال:[٥]

فالوصـــل محفـــوفٌ بحـــبٍّ ســـابقٍ وبلاحـــقٍ وكلاهمـــا صـــنوان

فذكر لفظ " السابق واللاحق " وهما متطابقان طباق إيجاب، ووصفه للحور العين وهنّ في أحضان أزواجهن في القُبلات والمداعبات، فيقول:

فسـل المتـيّم هـل يحـلّ الصـبر عـن ضـمٍ وتقبيـل وعـن فلتـان

وقد أورد الطباق بين لفظ " الضم والفلتان "، وهو من باب طباق الإيجاب، وقوله في أسبق الناس دخولاً إلى الجنة، وهم الصابرون الشاكرون لله على ما أصابهم من لأواء وابتلاء، فيصف حالهم ويقول:[٦]

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٦٨.
(٢) معجم المصطلحات البلاغية، أحمد مطلوب، ج٣/٦٦، وانظر: جواهر البلاغة للهاشمي، ص ٣٠٣، وانظر: علم البديع، عبد العزيز عتيق، ص٧٩.
(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٦٨.
(٤) المصدر السابق، ص٢٧٣.
(٥) المصدر السابق، ص٢٨٤.
(٦) المصدر السابق، ص٢٦٧.

إن كــان فــي الســراء أصــبح حامــداً   أو كــان فــي الضــرّا فحمــدٌ ثــان

فقد جاء بالطباق في هذا المشهد بين الاسمين" السراء ـ الضراء "، وهو من باب طباق الإيجاب.

وفي وصفه لفرش أهل الجنة، فقال رحمه الله تعالى:

والفُــرش مــن إســتبرقٍ قــد بُطّنــت   مــا ظــنكم بظهــارة لبطــان

فجاء الطباق بين الظهارة والبطان، وهو من باب طباق الإيجاب.

ونظيره أيضاً:

فلقــد ترحــل عنــه كــلُّ مســرّةٍ   وتبــدّلت بــالهمّ والأحــزان

فأورد الطباق بين اسمين متضادين هما:" المسرة ـ والهمّ " وهو مطابقة الإيجاب، وقوله في وصف الدنيا الزائل نعيمُها، وأنها مجبولة على الهم والحزن:[1]

طُبعــت علــى كــدرٍ فكيــف ينالهــا   صــفواً أهــذا قــطّ فــي الإمكــان

حيث أورد الطباق بين الاسمين وهما: " كدر ـ صفواً "، وهو من باب طباق الإيجاب.

وفي وصفه لمصارع عشاق الدنيا وطلابها، فقال:

أو مــا ســمعت بلــى رأيــت مصــارع الــ   ــعشاق مــن شــيب ومــن شــبان

فجاء بالطباق بين لفظين اسمين وهما:" شيب ـ شبان "، وهو من باب طباق الإيجاب، وأما في ذكره لسن أهل الجنة، فيصف ويقول:

وصــغيرهم وكبيــرهم فــي ذا علــى   حــدٍ ســواء مــا ســوى الولــدان

فأورد طباق الإيجاب بين " صغيرهم ـ كبيرهم "، وهما من الأسماء.

وفي وصفه لطول قامات أهل الجنة وعرضهم، فقال:

والطــول طــول أبــيهم ســتون لــ   ــكن عرضــهم ســبع بــلا نقصــان

هــذا ولا يخفــي التناســب بــين هــ   ــذا العـرض والطـول البـديع الشـان

فأورد في هذين البيتين طباق الإيجاب بين " الطول والعرض" وهما اسمان متطابقان إيجاباً، وقوله:

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٥٩.

فـدعوه يـدخل جنـة المـأوى التـي ارتفعـت ولكـن القطـوف دوان

فأورد طباق الإيجاب بين اللفظين: " ارتفعت ـ دواني "، وقوله فيمن تعلق بالدنيا ونسى حظه من الآخرة، فقال رحمه الله تعالى:(١)

منّتـك نفسُـك باللحـاق مـع القعـود عـن المسـير وراحـة الأبـدان

فأورد طباق الإيجاب في قوله: " القعود ـ والمسير "، وقوله في تعظيم جلال الله:(٢)

واللّـه أكبـر عـالم الإسـرار والـإعـلان واللحظـات بالأجفـان

والحمـد للّـه السـميع لسـائر الـأصـوات مـن سـرٍ ومـن إعـلان

والأمـر مـن قبـلٍ ومـن بعـدٍ لـه سـبحانك اللهـم ذا السـلطان

حيث جاء الطباق بين " لفظ الإسرار والإعلان" والسر والاعلان " وكلاهما اسمين، وهذا من باب طباق الإيجاب، وأورد طباق الإيجاب بين الظرفين " من قبل ـ من بعد ".

وقوله في خطاب أهل الجنة لربهم تبارك وتعالى:(٣)

وكـذاك قـد أدخلتنـا الجنـات حيـن أجرتنـا مـن مـدخل النيـران

فجاء بطباق الايجاب بين: " الجنات والنيران " وكلاهما اسمين.

ويقول في اشتياق العبد لربه ولذة النظر إليه:(٤)

فالشـوقُ لـذة روحـه فـي هـذه الـدنيـا ويـوم قيامـة الأبـدان

فأورد الطباق بين: " الدنيا ويوم القيامة "، وهو طباق إيجاب.

ويقول أيضاً:

فيقـول أفضـل منـه رضـواني فـلا يغشـاكم سـخط مـن الـرحمن

حيث ذكر: "الرضوان والسخط " وهما من باب طباق الإيجاب.

وقوله في تفاضل أهل الجنة في الدرجات العلى:

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٨٥.

(٢) المصدر السابق، ص٢٦٢.

(٣) المصدر السابق، ص٢٨٩.

(٤) المصدر السابق، ص٢٩٠.

ويــــرى الـــذين بـــذيلها مَـــن فـــوقهم مثـــل الكواكـــب رؤيـــة بعيـــان

فأتى بالضدين وهما: " ذيلها ـ فوقهم " ، وهذا من باب طباق الإيجاب.

وفي وصفه لشراب أهل الجنان، فيقول:(١)

يســـقون فيهـــا مـــن رحيـــق ختمـــه بالمســـك أولـــه كمثـــل الثـــاني

فطابق بيت ختم الرحيق وأوله، وهو من باب طباق الإيجاب، وفي وصفه للحور العين وجمال جسدها وبهائه، فيقول:(٢)

لا الظهـــر يلحقهـــا ولـــيس ثـــديّها بلواحـــقٍ للـــبطن أو بـــدَوان

فقد جاء بالطباق بين الظهر والبطن، وهو من باب طباق الإيجاب بين الاسمين.

وقوله أيضاً:(٣)

فملاحـــةُ التصـــوير قبـــل غناجهـــا هـــي أولٌ وهـــي المحـــل الثـــاني

فطابق بين لفظ " الأول ـ والثاني "، وهو طباق إيجاب بين اسمين.

٢- **طباق السلب:** " وهي ما لم يصرح فيها بإظهار الضدين، أو ما اختلف فيه الضدان إيجاباً وسلباً، بحيث يجمع بين فعلين من مصدر واحد، أحدهما مثبت ومنفي أو أمر ونهي "(٤)، وذلك كقول الله تبارك تعالى في المثبت والمنفي:﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ﴾[المائدة:١١٦]، وكقوله تعالى في النهي والأمر:﴿فَلاَ تَخْشَوُاْ النَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾[المائدة:٤٤]، ونظير ذلك من القصيدة النونية مما أورده ابن القيم، وذلك في قوله في التحذير من الدنيا وعدم الرضا بها، وأنّ ما عند الله خيرٌ وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون، فقال:

لا تـــرض مـــا اختـــاروه هـــم لنفوســـهم فقـــد ارتضـــوا بالـــذل والحرمـــان

فأورد طباق السلب بالنفي والإثبات في قوله: " لا ترضَ ـ فقد ارتضوا "، وكلا الفعلين من مصدر واحد، وقوله في منشور الجنة الذي يُوقع به لصاحبها:(٥)

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٧٥.

(٢) المصدر السابق، ص٢٨١.

(٣) المصدر السابق، ص٢٨٢.

(٤) معجم المصطلحات البلاغية، أحمد مطلوب، ج٣/٦٧، وانظر: الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني، ص٣٥٠، وانظر: جواهر البلاغة للهاشمي، ص ٣٠٣.

(٥) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٦١.

هـــذا ومـــن يـــدخل فلـــيس بـــداخلٍ إلا بتوقيـــــعِ مـــــن الـــــرحمن

فقد جاء طباق السلب في قوله: " يدخل ـ ليس بداخل" وكلا اللفظين من مصدر واحد وكقوله أيضاً:

يـــا لـــذة الفســـاق لســـت كلـــذة الـــ أبـــــرار فـــــي عقـــــل ولا قـــــرآن

فقد طابق بين لذة الفساق ولذة الأبرار، وذلك من باب طباق السلب بالنفي والإثبات، وقوله في وصف العرائس في الجنان، فيقول:

بِكـــرٌ فلـــم يأخـــذ بكارتهـــا ســـوى الـــ ـــمحبوب مـــن إنـــسٍ ولا مـــن جـــان

فطابق بين لفظين هما: " بكرٌ ـ ولم يأخذ بكارتها "، وهذه المطابقة من باب طباق السلب والتي تكون بالنفي والإثبات.

وفي وصفه للنعيم الدائم الذي لا يزول عن أهل الجنة، فيقول رحمه الله تعالى:(١)

أتراهمـــا ضـــجرين مـــن ذا العـــيش لا وحيـــاة ربـــك مـــا همـــا ضـــجران

حيث أورد طباق السلب في هذا المشهد، وذلك في قوله: " أتراهما ضجرين ـ ما هما ضجران "، وقوله في وصف نعيم الجنة ودوامه على أهلها:

هـــي جنـــة طابـــت وطـــاب نعيمهـــا فنعيمهـــــا بـــــاق ولـــــيس بفـــــان

حيث ورد طباق السلب بالنفي والإثبات بين الألفاظ: " نعيمها باقٍ ـ وليس بفان ".

وقوله في ذكر أعلى أهل الجنة منزلةً وأدناهم، فقال:(٢)

لكـــنّ أدنـــاهم ومـــا فـــيهم دنـــيٌّ لـــيس فـــي الجنـــات مـــن نقصـــان

فيـــرى بهـــا أقصـــاه حقـــاً مثـــل رؤ يتـــه لأدنـــاه القريـــب الـــداني

فأورد في البيت الأول الطباق بين لفظ " أدناهم بالإثبات ولفظ وما فيهم دنيّ" وذلك بالنفي، وهذا من باب طباق السلب، وقوله في البيت الثاني " أقصاه ـ أدناه "، فهو من باب طباق الإيجاب في الجمع بين الاسمين، وأما في وصفه لحليّ أهل الجنان، فقال:(٣)

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٨٤.

(٢) المصدر السابق، ص٢٦٤.

(٣) المصدر السابق، ص٢٧٧.

مـــا ذاك يخـــتص الإنـــاثَ وإنمـــا هـــو للإنـــاث كـــذاك للـــذكران

فجاء طباق السلب بالنفي والإثبات بين لفظ " ما يختص الإناث، وإنما هو للإناث ".

وقوله أيضاً:

فيهـــا الـــذي واللّـــه لا عـــين رأت كـــلا ولا ســـمعت بـــه الأذنـــان

حيث جاء الطباق بين حاستي السمع والبصر، وفي وصفه لسوق الجنة، فيقول:[١]

يـــأتون ســـوقاً لا يبـــاع ويُشـــترى فيـــه فخُـــذ منـــه بـــلا أثمـــان

فجاء بطباق الاثبات والنفي بين الفعلين " يباع - يشترى "، وفي حديثه عن رؤية أهل الجنة لربهم تبارك وتعالى، ونظرهم إلى وجهه الكريم، فقال:[٢]

رفعـــوا إليـــه رؤوســـهم فـــرأوه نـــو رَ الـــرب لا يخفـــى علـــى إنســـان

فذكر الطباق في الألفاظ: " رأوه - لا يخفى "، وهى من باب مطابقة السلب بالنفي والإثبات.

٣- إيهام التضاد: " وهو أن يوهم لفظ الضد أنه ضد، مع أنه ليس بضد، وذلك كقوله تعالى: ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا﴾[نوح:٢٥]، فإدخال النار ليس ضد الإغراق في المعنى، ولكنه يستلزم ما يقابله وهو الإحراق، فإن من دخل النار فقد احترق، والاحتراق ضد الغرق"[٣].

ونظير ذلك ما أورده ابن القيم في قصيدته، فقال:

ســجنٌ يضــيقُ بصــاحبِ الإيمــان لـــ ـــكن جنّــةُ المــأوى لــذي الكفــران

فأورد إيهام التضاد بين السجن الضيق الذي يعني الدنيا، وجنة المأوى والتي تعني الآخرة.

وفي وصفه لخلود أهل الجنة فيها ودوام صحتهم ونعيمهم وشبابهم واستحالة الموت والنوم عليهم، فيقول رحمه الله تعالى:[٤]

لكـــم حيـــاةٌ مـــا بهـــا مـــوتٌ وعـــا فـــيـــةٌ بـــلا ســـقـــمٍ ولا أحزان

ولكـــم نعـــيمٌ مـــا بـــه بـــؤسٌ ومـــا لشـــبابكم هـــرمٌ مـــدى الأزمـــان

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٩٢.

(٢) المصدر السابق، ص٢٨٨.

(٣) علم البديع، عبد العزيز عتيق، ص ٨٠.

(٤) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٩٤.

فذكر إيهام التضاد بين الحياة مع نفي الموت، والعافية مع عدم السقم، والنعيم وعدم البؤس، والشباب ونفي الهرم.

وقوله أيضاً:

يـــا غـــافلاً عمـــا خُلقـــتَ لـــه انتبـــه   جـــد الرحيـــل فلســـت باليقظـــان

حيث ذكر إيهام التضاد بين الغفلة وعدم اليقظة.

وقوله أيضاً:

واحفـــظ حـــدود الـــرب لا تتعـــدها   وكـــذاك لا تجـــنح إلـــى النقصـــان

فأورد إيهام التضاد بين حفظ حدود رب العالمين وعدم تعديتها.

ومنه قوله أيضاً:[1]

وكـــذلك المملـــوكُ حـــين يقـــوم بالـــ   ـــحقيّن ســـبّاقاً بغيـــر تـــوان

فجاء بإيهام التضاد بين السبق وعدم التواني وهي البطء.

٤- **الطباق الخفي**: ونظيره من القصيدة النونية في وصف وجه الحور العين في الجنة، فيقول:

والشـــمسُ تجـــري فـــي محاســـن وجههـــا   والليـــلُ تحـــت ذوائـــب الأغصـــان

فأورد الطباق الخفي في قوله: الشمس والليل، فالشمس سبب في الإنارة والضوء، والليل سبب في العتمة والظلام.

ومنه قوله أيضاً:[2]

فتـــراه يعجـــب وهـــو موضـــع ذاك مـــن   ليـــلٍ وشـــمسٍ كيـــف يجتمعـــان

فجاء بالطباق الخفي بين الشمس والليل.

٢- المقابلة:

وهي عند **ابن الناظم**: " أن تأتي في الكلام بجزأين فصاعداً ثم تعطف عليه متضمناً أضدادها أو شبه أضدادها على الترتيب، وأقلها مقابلة اثنين باثنين"[3].

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٦٧.

(٢) المصدر السابق، ص٢٨٠.

(٣) المصباح في المعاني والبيان والبديع، ابن الناظم، ص١٩٢.

أما عند **الخطيب القزويني** " فهي أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معانٍ متوافقة، ثم بما يقابلها على الترتيب، كقوله تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلاً وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾[التوبة:٨٢][١].

ونظير ذلك من القصيدة النونية قوله رحمه الله تعالى في صفة عرائس الجنات، وبذل الغالي والنفيس للوصول إليهن والاستئناس بهن، فقال:[٢]

وارغب بعقلك أن تبيع العالي الـ ... ـباقي بذا الأدنى الذي هو فان

وهذا الشاهد من باب المقابلة، وهو أن يؤتى بمعنيين متوافقين، ثم بما يقابلهما على الترتيب، فأورد لفظ " العالي الباقي ـ المقابل للفظ الأدنى الفاني "، فالأول في المقطع الأول يقابل الأول في المقطع الثاني، والثاني في المقطع الأول يقابل الثاني في المقطع الثاني ، وقوله في وصف الحوراء لحظة سيرها في الجنان وانتظارها لزوجها على أحر من الجمر، فقال:[٣]

ووصائفٌ من خلفها وأمامها ... وعلى شمائلها وعن أيمان

فجاء بالطباق بأكثر من وجه، فذكر: الخلف والأمام، والشمائل والأيمان.

وقوله في وزن أعمال العباد على الميزان يوم القيامة:[٤]

ولذاك تثقلُ تارةً وتخفُّ أخـ ... ـرى ذاك في القرآن ذو تبيان

فجاء بالمقابلة بين الفعل " تثقل تارةً، وتخف أخرى".

وأيضاً في وصفه لعرائس الجنات وحسنهن وجمالهن، فيقول:[٥]

قصرت عليه طرفَها من حسنه ... فالطرفُ في ذا الوجه للنسوان

أو أنها قصرت عليه طرفَهُ ... من حسنها فالطرفُ للذكران

فأورد المقابلة بين " طرفها ـ وطرفه " و" حسنه ـ وحسنها " و" النسوان ـ والذكران ".

وقوله أيضاً:[٦]

---

(١) الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني، ص٣٥٣، وانظر: من بلاغة القرآن، ص ٢٥٢.

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٧٩.

(٣) المصدر السابق، ص٢٨٤.

(٤) المصدر السابق، ص٢٩٤.

(٥) المصدر السابق، ص٢٧٨.

(٦) المصدر السابق، ص٢٨٣.

واللّـــه قـــد جعـــل النســـاء عوانيـــاً شـرعاً فأضـحى البعـل وهـو العـاني

فقابل بين جملتين هما: " جعل النساء عوانياً ـ وأضحى البعل وهو العاني "، وقوله في وصف ريح أهل الجنة وأنها توجد من مسيرة كذا، فقال:(١)

إمـــا بحســـب المـــدركين لريحهـــا قربـــاً وبعـــداً مـــا همـــا ســـيّان

أو بـــــاختلاف قرارهـــــا وعلوّهـــــا أيضـــاً وذلـــك واضـــح التبيـــان

فقد ذكر في البيت الأول التضاد بين الاسمين، وهما " قرباً ـ وبعداً "، وفي البيت الثاني بين اللفظين " قرارها ـ وعلوها " وهذا من باب" المقابلة "، وقوله في صفة غرفات الجنة:

غرفاتهـــا فـــي الجـــو يُنظـــر بطنهـــا مـــن ظهرهـــا والظهـــر مـــن بطنـــان

فأورد المقابلة بين الجملتين " يُنظر بطنها من ظهرها ـ والظهر من بطنان ، ووصفه في سماع غناء أهل الدنيا، وأن هذا السماع من النقصان للعقل والدين والأخلاق، فقال:(٢)

لا تـــؤثر الأدنـــى علـــى الأعلـــى فتُحـــ ـــرمَ ذا وذا يـــا ذلـــة الحرمـــان

إن اختيـــارك للســـماع النـــازل الـــ أدنـــى علـــى الأعلـــى مـــن النقصـــان

حيث جاءت المقابلة بين المقطعين: " لا تؤثر الأدنى على الأعلى ـ واختيارك الأدنى على الأعلى "، ونظيره أيضاً:

ســجن يضــيق بصــاحب الإيمـــان لـــ ـــكن جنّــة المــأوى لــذي الكفــران

فأورد المقابلة بين" صاحب الايمان، وذي الكفران "، وبين السجن وهي الدنيا وجنة المأوى. وقوله أيضاً:(٣)

ثقـــل الكتـــاب علـــيهم لمـــا رأوا تقييـــده بشـــرائع الإيمـــان

واللهـــو خـــف علـــيهم لمـــا رأوا مـــا فيـــه مـــن طـــرب ومـــن ألحـــان

فأورد التقابل بين البيتين السابقين، فقال: " ثقل الكتاب عليهم، وقوله: واللهو خف عليهم" والمقابلة بين الكتاب الذي يعني شرائع الإيمان، واللهو الذي يعني الطرب والألحان، وبين الثقل والخفة، ويقول في وصفه ليوم المزيد وما أعد الله تعالى لعباده من كرامات عظيمة:(٤)

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٦٦.

(٢) المصدر السابق، ص٢٧٣.

(٣) المصدر السابق، ص٢٧٣.

(٤) المصدر السابق، ص٢٩١.

سـبقٌ بسـبقٍ والمـؤخر هاهنـا   متـأخرٌ فـي ذلـك الميـدان

قـربٌ بقـربٍ والمباعـد مثلـه   بعـدٌ ببعـدٍ حكمـة الـديان

فقد جاء التقابل بين الألفاظ: " سبقٌ بسبقٍ ـ والمؤخر والمتأخر " ، وبين: " قربٌ بقربٍ ـ وبعدٌ ببعدٍ ".

٣- اللف والنشر:

" هو ذكر متعدد على جهة التفصيل أو الإجمال، ثم ذكر ما لكل واحدٍ من المتعدد من غير تعيين، اعتماداً على تصرف السامع في تمييز ما لكل واحدٍ منها، وردّه إلى ما هو له" [(١)].

اللف والنشر المفصّل:

ويقول **السيد المدني في أنوار الربيع:**

" يكون اللف والنشر على ضربين، والأول هو الأكثر والأشهر"[(٢)].

١- **أن يكون النشر على ترتيب اللف:** وذلك كقوله تعالى:﴿ **وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُون** ﴾[القصص:٧٣]، " فقد جمع الليل والنهار بواو العطف ثم ذكر لكلٍ منهما ما يختص به، فذكر ما يختص بالليل وهو " لتسكنوا فيه " لأن فيه النوم والراحة، ثم ذكر ما يختص بالنهار وهو" لتبتغوا من فضله " لما فيه من الكد والعمل"[(٣)].

ونظير ذلك ما أورده الإمام ابن القيم في وصف أهل الجنة وهم ينظرون إلى أزواجهم بإعجابٍ ولهفة، فيقول:[(٤)]

فـالطرف منـه وقلبـه ولسـانه   فـي الـدهش والإعجـاب والسُـبحان

فإذا تتبعنا المعاني الواردة في هذا البيت نجد أن اللف قد جاء في الشطر الأول المتمثل في قوله: فالطرف والقلب واللسان، ثم أورد النشر في الشطر الثاني من البيت في قوله: الدهش

---

(١) الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني، ص ٣٦٦، وانظر: جواهر البلاغة للهاشمي، ص ٣١٠.

(٢) أنوار الربيع في أنواع البديع، السيد على صدر الدين بن معصوم المدني، (١١٢٠هـ)، تحقيق: شاكر هادي شكر، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ط١، ١٣٨٨هـ، ١٩٦٨م، ج٣٤١/١.

(٣) مفتاح العلوم للسكاكي، ص ٤٢٥، وانظر: علوم البلاغة للمراغي، ص٣٣٠.

(٤) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٨٤.

والإعجاب والسبحان، وقد جاء النشر على ترتيب اللف، فالدهش للطرف، والإعجاب للقلب، والتسبيح للسان، أما في وصفه لنساء الدنيا ناقصات العقل والدين، فقال:[١]

مـــا هاهنـــا إلا النقـــار وســـيئ الـــ   أخـــلاق مـــع عيـــبٍ ومـــع نقصـــان

هـــــمٌّ وغـــــمٌّ دائـــــمٌ لا ينتهـــــي   حتـــى الطـــلاق أو الفـــراق الثـــاني

حيث أورد اللف في البيت الأول على النحو التالي: فذكر النقار وسوء الأخلاق، ثم أردف بالنشر في قوله: مع عيب ومع نقصان، وقد جاء اللف والنشر في البيت الأول مرتباً على النحو التالي: فالعيب للنقار، والنقصان لسوء الأخلاق، وأما في البيت الثاني فكان على النحو التالي: فذكر اللف في قوله: همٌّ وغمٌّ، ثم ذكر ما يلائمه بالنشر وذلك في قوله: الطلاق أو الفراق الثاني، فجاء النشر متناسقاً مع الطلاق والهمّ، وجاء الفراق الثاني وهو الموت متلائماً مع الغم الدائم.

وقوله أيضاً:[٢]

وهـــي التـــي عنـــد الجمـــاع تزيـــد فـــي   حركاتهـــــا للعـــــين والأذنـــــان

لطفـــــاً وحســـــنَ تبعـــــلٍ وتغـــــنّجٍ   وتحبـــــبٍ تفســـــيرَ ذي العرفـــــان

حيث ذكر متعدد وهو العين والآذان على جهة التفصيل، وقد عطف الآذان على العين بواو العطف وهو ما يسمي اللف، ثم ذكر النشر وهو اللطف والحسن والتبعل والتغنج والتحبب، وقد جاء النشر ملائماً للف، فاللطف وحسن التبعل هو الذي يتناسب مع حركة العين، والتغنج والتحبب هو الذي يلائم حركة الأذن.

وقوله أيضاً:

يمحـــو ويثبـــت مـــا يشـــاء بحكمـــةٍ   وبعـــــزةٍ وبرحمـــــةٍ وحنـــــان

فذكر متعددين في الفعل هما: " يمحو ويثبت "، وذلك على جهة التفصيل، فقد عطف الفعل يثبت على الفعل يمحو، وهو ما يسمى باللف، ثم ذكر ما يلائم الفعل الأول وهو الحكمة والعزة، فالله تعالى بحكمته وعزته يمحو الذنوب عن العباد التائبين، وذكر الرحمة والحنان اللتين تتلاءمان مع تحقيق المغفرة والرضوان للعبد من ربه تبارك وتعالى.

ونظير ذلك أيضاً في قوله رحمه الله:[٣]

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٨٣.

(٢) المصدر السابق، ص٢٨٢.

(٣) المصدر السابق، ص٢٨١.

والجيـــدُ ذو طـــولٍ وحســـنٍ فـــي بيـــا ضٍ واعتـــــدالٍ لـــــيس ذا نكـــــران

حيث أورد اللف في الشطر الأول المتمثل في قوله: " والجيد ذو طول وحسنٍ "، ثم أورد النشر بعد ذلك في قوله: " بياض واعتدال "، وقد جاء النشر على ترتيب اللف، فالبياض للجيد وهو عنق الحوراء والاعتدال للطول والحُسن.

وكقوله أيضاً: [١]

وســـعيت جهـــدك فـــي وصـــال نـــواعمٍ وكواعـــبٍ بـــيضِ الوجـــوه حســـان

فقد أورد اللف في الشطر الأول من البيت، وذلك في قوله: " نواعمٍ وكواعبٍ "، ثم أردف النشر بعده وهو المتمثل في قوله: بيض الوجوه حسان "، فالبِيض للنواعم والحسان للكواعب.

٢- **أن يكون النشر على غير ترتيب اللف، أو ما يسمى " المشوش"**[٢]،" وذلك كقوله تعالى في اللف: **﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾**[آل عمران:١٠٦]، والنشر كقوله: **﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾**وقوله: **﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾**، فقد جاء النشر على غير ترتيب اللف، فالأول يعود على الثاني في اللف، والثاني في النشر يعود على الأول في اللف"[٣].

ونظير ذلك في وصفه لسوق الجنة الذي ينصرفون إليه بعد جلوسهم مع ربهم تبارك وتعالى، فقال رحمه الله:[٤]

وتجّـــاره مـــن لـــيس تلهيـــه تجـــا راتٌ ولا بيـــــعٌ عـــــن الـــــرحمن

أهـــلُ المـــروءة والفتـــوّة والتّقـــى والـــــذكر للـــــرحمن كـــــلَّ أوان

فقد ذكر متعدد وهو: التجارة والبيع، على جهة التفصيل حيث عطف البيع على التجارة بواو العطف، وهذا يسمى " اللف "، ثم ذكر " النشر " وهو: أهل المروءة والفتوة والتُّقَى والذكر وأن هؤلاء الناس أصحاب تلك الصفات هم الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وطاعته.

وأما اللف والنشر المجمل: وذلك كقوله تعالى: **﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾**[المائدة:٣٣]، فقد ذكر متعدد على جهة الإجمال وهو قوله تعالى: **﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾**، ثم أورد النشر

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٩٧.

(٢) البلاغة فنونها وأفنانها، فضل عباس، ص ٢٩٤.

(٣) من بلاغة القرآن، ص٢٦٨.

(٤) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٩٣.

مفصلاً وهو جزاء هؤلاء الناس المتمثل في باقي الآية الكريمة، ونظير هذا ما أورده ابن القيم في وصف نساء الجنة وهنّ يتمايلن في حللهن، فيقول:(١)

وإذا بـــدت فـــي حلـــةٍ مـــن لبســـها	**وتمايلـــــت كتمايـــــل النشـــــوان**
تهتـــز كالغصـــن الرطيـــب وحملُـــه	**وردٌ وتفـــــاحٌ علـــــى رمـــــان**

حيث ذكر التمايل والاهتزاز للغصن الرطيب المحمّل بجميع أنواع الثمار اللذيذة بطريقة مجملة وهو عبارة عن اللف، ثم أورد النشر في الشطر الثاني في صورة تفصيلية، فالورد الذي يهتز على غصنه، والتفاح الرطيب اللذيذ، والرمان المحمل على تلك الأغصان.

٤- أسلوب الحكيم:

" هو تلقي المخاطب بغير ما يترقبه أو يتوقعه إما بترك سؤاله والإجابة عن سؤال لم يسأله، وإما بحمل كلامه على غير ما كان يقصد، إشارةً إلى أنه كان ينبغي له أن يسأل هذا السؤال أو يقصد هذا المعنى"(٢)، وذلك كقوله تعالى:﴿**يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ**﴾[البقرة:٢١٥]، فقد سألوا عن حقيقة ما ينفقون فكانت الإجابة ببيان طرق الإنفاق ولمن ينبغي أن تكون النفقة، تنبيهاً على أن هذا هو الأجدر بالسؤال عنه"(٣)، ونظير هذا في قوله رحمه الله تعالى:(٤)

يـــا عاشـــقَ الـــدنيا تأهـــب للـــذي	**قـــد نالـــه العشـــاقُ كـــل زمـــان**
أَو مـــا ســـمعتَ بلـــى رأيـــت مصـــارع الــــ	**ـــعشاقِ مـــن شـــيبٍ ومـــن شـــبان**

فالمخاطب كان متوقعاً للإجابة على ما ورد في مسألة السماع، فإذا به يجد نفسه أمام مشهد آخر وهو مشهد الرؤية لمصارع العشاق الذين فتنوا بالدنيا وزينتها الزائفة.

وكقوله أيضاً:(٥)

فيضـــمها وتضـــمه أرأيـــت معـــ	**ـــشوقين بعـــد البعـــد يلتقيـــان**

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٨٣- ٢٨٤.

(٢) جواهر البلاغة للهاشمي، ص ٣١٩، وانظر: من بلاغة القرآن، ص ٢٧٣.

(٣) البلاغة فنونها وأفنانها، فضل عباس، ص ٢٨٩.

(٤) المصدر السابق، ص٢٥٩.

(٥) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٨٤.

فبعد أن وصف المشهد الرائع لحظة عناق الزوجة لزوجها في الجنان، فإذا به ينتقل بنا فجأة للسؤال عن مشهد آخر وهو حال لقاء العشاق بعد الفراق والبعد الذي وقع بينهما في الدنيا.

وفي قوله:[١]

لمـــا قضـــى رب العبـــاد الغـــرس قـــا   ل تكلمـــــي فتكلمـــــت ببيـــــان

قـــد أفلـــح العبـــد الـــذي هـــو مـــؤمنٌ   مـــاذا ادخـــرت لـــه مـــن الإحســـان

فيظهر في هذا المشهد أسلوب الحكيم بطريقة جلية ورائعة، فقد ذكر خطاب رب العالمين للجنة وتكليمها له أن المؤمن الذي حافظ على دينه في الدنيا هو الذي سيدخلها لا غيره، ثم نتفاجأ بسؤالٍ لا يخطر على بال الإنسان، وهو ماذا ادخرت من الإحسان.

٥- تأكيد المدح بما يشبه الذم:

وهو عند **ابن الناظم:** " أن تنفى عن الممدوح وصفاً معيباً، ثم تعقبه بالاستثناء فتوهم أنك ستثبت له ما يذم به، فتأتي بما من شأنه أن يذم به ويكون للمبالغة في المدح"[٢].

ويكون على ضربين:

الأول: " وهو أن يذكر صفة ذم منفية، ثم يأتي بالاستثناء أو الاستدراك فيتوهم السامع أنه يريد أن يستثني من هذا المنفي شيئاً يذم به الممدوح، ذلك لأن المستثنى يخالف المستثنى منه"[٣]، ونظيره في قوله تعالى:﴿**لاَ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلاَ تَأْثِيمًا * إِلاَّ قِيلاً سَلاَمًا سَلاَمًا**﴾[الواقعة:٢٥- ٢٦]، فقد جاء بصفة ذم منفية، ثم أعقبها بأداة استثناء لتوهم السامع أن ما سيأتي بعدها صفة ذم أخرى، فإذا هي صفة مدح أخرى تؤكد المدح السابق.

ونظير ذلك ما أورده ابن القيم في قصيدته، فقال:[٤]

لا الظهـــر يلحقهـــا ولـــيس ثـــديها   بلواحـــــق للـــــبطن أو بـــــدَوان

لكـــــــنهن كواعـــــــبٌ ونواهـــــــدٌ   فثـــــديهن كـــــألطف الرمـــــان

حيث أورد صفة ذم منفية، ثم أردفها بصفة مدح تالية لها لتؤكد صفة المدح الأولى.

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٦٨.
(٢) المصباح في المعاني والبيان والبديع، ابن الناظم، ص ٢٣٩.
(٣) البلاغة فنونها وأفنانها، فضل عباس، ص ٢٨٧.
(٤) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٨١.

وكقوله أيضاً:[1]

أتـــــراب ســـــن واحـــــد متماثـــــل ســـن الشـــباب لأجمـــل الشـــبان

بِكـــرٌ فلـــم يأخـــذ بكارتهـــا ســـوى الـــ ـــمحبوب مـــن إنـــسٍ ولا مـــن جـــان

فقد أورد صفة الذم المنفية في قوله: فلم يأخذ بكارتها، ثم تلاها بالاستثناء ليؤكد صفة المدح بعد المدح، فإن نساء الجنة كلهن أبكاراً، كلٌّ منهن لا يفتض بكارتها إلا محبوبها الذي اختصه اللّه بها، وكقوله أيضاً:[2]

وكـــذا فقيـــر ذو عيـــالٍ لـــيس بالـــ ـــملحاح بـــل ذو عفـــةٍ وصـــيان

فذكر صفة ذم منفية عن الرجل الفقير الصابر والمحتسب المتعفف والذي لا يسأل الناس إلحافاً، ثم جاء بالتأكيد لصفة مدح ثانية لتأكيد الصفة الأولى.

الثاني: أن يثبت للشيء صفة مدح يعقبها بأداة استثناء تليها صفة مدح أخرى.

ونظير ذلك ما جاء في وصف النساء داخل الخيام، فقال:

فتيممـــــوا تلـــــك الخيـــــام فآنســـــوا فـــــيهن أقمـــــاراً بـــــلا نقصـــــان

مـــن قاصـــرات الطـــرف لا تبغـــى ســـوى محبوبهـــا مـــن ســـائر الشـــبان

فقد توهم للسامع بعد أداة الاستثناء "سوى" والتي أعقبت صفة المدح أنه سيذكر صفة ذم، إلا أنه خالف ذلك وأورد صفة مدح أخرى، فكان مدحاً بعد مدحٍ.

وقوله في وصف نعيم رؤية وجه الله عز وجل، فقال:

فلهـــم نعـــيم عنـــد رؤيتـــه ســـوى هـــذا النعـــيم فحبـــذا الأمـــران

فقد أثبت صفة المدح لأهل الجنة وهو يتمتعون بلذة النظر لوجه الله الكريم، ثم ذكر صفة أخرى تدل على المدح لتأكيد تلك الصفة.

٦- تأكيد الذم بما يشبه المدح: ويكون على ضربين أيضاً:

الأول: وهو "أن يستثنى صفة مدح منفية عن الشئ صفة ذم أخرى بتقدير دخولها فيها"[3]، وذلك كقوله تعالى: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا * إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾[النبأ:٢٥- ٢٦]، حيث ذكر صفة مدح منفية، ثم أعقبها بأداة استثناء وأورد صفة ذم أخرى فتأكد الذم، فأصبح ذماً بعد ذم.

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٨٢.

(٢) المصدر السابق، ص٢٦٧.

(٣) من بلاغة القرآن، ص ٢٧٣.

ونظير ذلك ما أورده الإمام ابن القيم في قوله:[1]

مــا هاهنــا واللّــه مــا يســوى قــلا — مــةَ ظفــر واحــدة تُــرى بجنــان

مــا هاهنــا إلا النقــار وســيّئ الــ — أخــلاق مــع عيــبٍ ومــع نقصــان

حيث ذكر صفة مدح منفية وهي أن نساء الدنيا ونعيمها الفاني لا يساوي قلامة أظافر الحور العين في الجنان، ثم أعقب هذه الصفة بأداة الاستثناء، وجاء بصفة ذم أخرى وهي النقار وسوء الأخلاق والعيب والنقصان لنساء الدنيا فتأكد الذم، لأن نفي المدح ذم.

الثاني: أن يثبت للشيء صفة ذم ثم يعقبها بأداة استثناء تليها صفة ذم أخرى، وذلك كالذي أورده ابن القيم في وصف نساء الدنيا القبيحات المائلات المميلات والمنكرات للجميل والمعروف مع أزواجهن، فقال:[2]

إن قصّــر الســاعي عليهــا ســاعةً — قالــت وهــل أوليــت مــن إحســان

أو رام تقويمــاً لهــا استعصــت ولــم — تقبــل ســوى التعــويج والنقصــان

فقد أثبت صفة الذم لهذا الصنف من النساء فلا أمانة لهن ولا وفاء ولا صبر ولا رضى ولا طاعة ولا تواضع، فهن قبيحات الفعال، يخضعن ويملن لمن يهواهن من الأنذال والأرذال، ثم أعقب هذه الصفات بأداة استثناء لتأكيد صفة الذم الأخرى وهي التعويج والنقصان.

٧- تجاهل العارف:

وهو **لغةً:** "والجهل نقيض العلم، وقد جهله فلان جهلاً وجهالةً، وجهل عليه وتجاهل أظهر الجهل وأرى من نفسه الجهل وليس به"[3].

وفي **الاصطلاح:** "هو سؤال المتكلم عما يعلمه حقيقة تجاهلاً منه ليخرج كلامه مخرج المدح أو الذم أو لقصد التعجب أو التوبيخ أو التقرير"[4].

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٨٣.

(٢) المصدر السابق، ص٢٧٩.

(٣) معجم المصطلحات البلاغية، أحمد مطلوب، ج٢/٣٦.

(٤) جواهر البلاغة للهاشمي، ص٣٢٢، وانظر: من بلاغة القرآن، ص ٢٧٧، وانظر البلاغة العربية للميداني، ص ٣٩٦.

وقال السكاكي في اعتراضه على هذا التعريف: " هو سوقُ المعلومِ مساق غيره، ولا أحب تسميتُه بالتجاهل..." [(١)]، وذلك لوروده في كلام الله تعالى، فلا يليق بجلال الله سؤال تجاهل العارف أو أن نصف ربنا بأنه يتجاهل وهو من الأدب مع الله عز وجل.

الأغراض البلاغية المتضمنة لتجاهل العارف:

١- **التوبيخ:** وذلك كما في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَاشُعَيْبُ أَصَلاَتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاء﴾[هود:٨٧]، ونظير هذا ما أورده ابن القيم، فقال:

أتلومُـــــه أن صـــــار ذا شـــــغلٍ بـــــه   لا والـــذي أعطـــى بـــلا حســـبان

حيث جاء الاستفهام في هذا المشهد توبيخاً لمن يلوم أهل الجنة على ما هم فيه من النعيم المقيم في الجنان، وتمتعهم بأزواجهم وكمال لذتهم التي لا تنقطع، فلا ينكر على أهل الجنة شغلهم بأزواجهم وقد تمكنوا من وصالهم بعد طول الغيبة، فإن العاشق الصبّ من أهل الدنيا إذا غاب عن محبوبه في بلاد بعيدة وأصبح يكابد لواعج الفراق ويتجرع مرارة الأشواق وينتظر بفارغ الصبر يوم التلاق، ثم آب إليه ووافاه بعد هذا الغياب الطويل وصار وصاله في الإمكان بعد ما كان أشبه بالمستحيل، فمن ذا يلومه إذا أقبل على محبوبه يطفئ نار أشواقه بالعناق والتقبيل.

ومنه قوله أيضاً:

ولســـوف تعلـــم حـــين ينكشـــف الغطـــا   مـــاذا أضـــعت وكنـــت ذا إمكـــان

فقد ورد السؤال في هذا المشهد توبيخاً لذاك الإنسان الذي فرط في حق الله تعالى، ومنّى نفسه باللحاق مع القعود وراحة البدن والروح ومع إيثار الراحة والسلامة على مشقة السعي والانطلاق، ولسوف يعلم عاقبة تخلفه حين ينكشف له الغطاء ويعضّ بنان الندم على ما ضيّع.

ويقول أيضاً:[(٢)]

أرأيـــتَ لـــو عطّلـــت أرضـــكَ مـــن غـــرا   سٍ مـــا الـــذي تجنـــي مـــن البســـتان

حيث ورد الاستفهام للتوبيخ في حق من أهمل الغرس لنفسه في أيام قدرته وإمكانه وضيع على نفسه أعظم فرصة لدخول الجنان والنظر إلى وجه الكريم المنان.

---

(١) مفتاح العلوم للسكاكي، ص٤٢٧.

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٩٦.

قال **الهراس:** " فمن يؤمن إيماناً جازماً بأنه سيجني هناك ما قدم لنفسه هنا ثم لا يسعى لذلك سعيه ولا يهتم له اهتمامه بأمر دنياه، قل لي بربك كيف يجتمع إيمان وإهمال، أرأيت لو كان لك بستان فعطلته من الغراس هل كنت تجني منه شيئاً، وكذلك لو كان لك أرض فعطلتها من البذر، فهل كنت ترجو أن تغل لك غلة كثيرة؟ "(١).

٢- المبالغة في المدح:

وذلك كقول ابن القيم في قصيدته:(٢)

والفــرش مــن إســتبرقٍ قــد بُطّنــت   مــا ظــنّكم بظهــارةٍ لبطــان

فقد ورد الاستفهام في هذا المشهد مبالغةً في الوصف والمدح لتلك الفرش، فإن ظهائرها أعلى وأحسن من بطائنها، لأن بطائنها تلي الأرض، وظهائرها للجمال والزينة والمباشرة، ويقول رحمه الله تعالى:(٣)

حتــى إذا مــا واجهتــه تقــابلا   أرأيــت إذ يتقابــلُ القمــران

حيث أورد الاستفهام مبالغةً في المدح لتلك الحوراء الجميلة، وكأنها البدر ليلة تمامه بين النجوم المتلألئة.

ويقول أيضاً:(٤)

قــالوا لهــم أهــلاً ورحبــاً مــا الــذي   أُعطيــتم مــن ذا الجمــال الثــاني

فذكر الاستفهام للمبالغة في جمال الأزواج في الجنان، فإن أهل الجنة حين يرجعون إلى أهليهم بعد زيارة ربهم تبارك وتعالى يقولون لهم أهلاً ومرحباً بحبّنا، ما هذا الجمال الذي أضفي عليكم فوق ما كنتم عليه قبل مفارقتنا، لقد ازددتم في أعيننا جمالاً وحسناً وبهاءً.

٣- المبالغة في الذم:

ونظيره من القصيدة الكافية الشافية:(٥)

لا يُرتجــى منهــا الوفــاء لصــبّها   أيــن الوفــا مــن غــادرٍ خــوّان

---

(١) شرح القصيدة النونية للهراس، ج٢/٤٣٨.

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٧٦.

(٣) المصدر السابق، ص٢٨٤.

(٤) المصدر السابق، ص٢٩٣.

(٥) المصدر السابق، ص٢٥٩.

فقد أورد الاستفهام في هذا البيت مبالغةً في ذم الدنيا الغدارة الخائنة المهلكة، وأنها لا تعدل عند الله جناح بعوضة.

ويقول أيضاً:[١]

يـــا مـــن يقـــرّ بـــذا ولا يســـعى لـــه   باللّـــه قـــل لـــي كيـــف يجتمعـــان

حيث أورد الاستفهام في هذا المشهد مبالغةً في ذم من أهمل نفسه ولم يغرس لها ذاك الغراس الطيب وهو سبحان الله والحمد لله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ويقول رحمه الله:[٢]

أو مــا ســمعتَ بلــى رأيــت مصــارع الـــ   ـــعشاق مـــن شـــيبٍ ومـــن شـــبان

فقد ورد الاستفهام مبالغة في ذم الحياة الدنيا، لأنها دار لا يؤمل منها الوفاء لعشاقها الذين أغرموا صبابةً بها وكيف يُنتظر الوفاءُ ممن طبيعته الغدر والإخلاف، فيا عشاق الدنيا وخطّابها انتظروا غدرتها بكم ووثبتها عليكم كما فعلت بعشاقها قبلكم، فلقد سمعتم من أخبار صرعاها الغابرين ورأيتم من مصائر قتلاها الكثيرين ما فيه عبرة لكم إن كنتم من المستبصرين.

٤- التعجب:

وذلك كقوله رحمه الله تعالى:[٣]

فتـــراه يعجـــب وهـــو موضـــع ذاك مـــن   ليـــلٍ وشـــــمسٍ كيـــــف يجتمعـــــان

حيث ذكر الاستفهام متعجباً من اجتماع الليل والشمس في وجهها، فاللّه سبحانه قد جمع فيها بين الليل والنهار، فالشمس تجري في محاسن وجهها، والليل تحت ذوائب شعرها الفاحم الجميل، فياعجباً لشمسٍ وليلٍ كيف يجتمعان.

ويقول رحمه الله تعالى:[٤]

هـــل يســـتوي هـــذا ومبصـــر رشـــده   اللّـــــه أكبـــــر كيـــــف يســـــتويان

حيث أورد الاستفهام في موضعين في هذا البيت متعجباً من حال الرجل الضال المضل، ومن ألهمه اللّه رشده ويمشي على هدىً من اللّه ونور، فهل يستويان أبداً في عقل المتأمل البصير.

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٩٦.
(٢) المصدر السابق، ص٢٥٩.
(٣) المصدر السابق، ص٢٨٠.
(٤) المصدر السابق، ص٢٨٩.

وقوله أيضاً:[١]

مــــن منطــــقٍ رقّــــت حواشــــيه ووجـــــــهٍ كــم بـــه للشـــمس مـــن جريـــان

فقد جاء بالاستفهام متعجباً من سحرها وجمال كلامها الخلاب، وقد امتلأت من الفتون والسحر الحلال عيناه وأذناه حين يسمع منطقها الرخيم وأنغامها الحلوة التي تزري بأجمل الألحان وحين توجه إليه ألفاظها العذبة وتبثه أشواقها وحبها، وحين يرى وجهها المضيء كأن الشمس تجري في صفحته.

وقوله في التفريق بين قوت الأبدان والقلوب:

قـــوت النفـــوس وإنمـــا القـــرآن قـــو تُ القلـــب أنّـــى يســـتوي القوتـــان

حيث أورد الاستفهام متعجباً ممن أحلّ الغناء وجعله قوتاً للقلب بدلاً من القرآن، فإن اللهو والغناء غذاء النفوس المريضة الأمارة بالسوء، ولكن القرآن هو قوت القلوب ولا يمكن أن يستويَ القوتان.

٥- التحقير:

ونظير ذلك في قوله رحمه الله تعالى:[٢]

إن قصّـــر الســـاعي عليهـــا ســـاعةً قالـــت وهـــل أوليـــتَ مـــن إحســـان

حيث ذكر الاستفهام تحقيراً لتلك المرأة المطبوعة على الغدر ونكران العشير وعدم الحفاظ عليه والوفاء بحقه، حتى لو أن الرجل أحسن إليها الدهر كله ثم رأت منه شيئاً لا يعجبها ولو مرةً واحدة قالت له: ما رأيت منك خيراً قط.

وقوله أيضاً:[٣]

إن قلـــتَ قـــال اللّـــهُ قـــال رســـولُه فيقـــول جهـــلاً أيـــن قـــولُ فـــلان

حيث أورد الاستفهام تحقيراً لذاك الإنسان الذي يقدم رأيه وهواه على قول الله تعالى وقول رسوله الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، فهو يظن أنه على شيء من العلم فيمشي تيهاً وتكبراً يختال في حلل جهله وهذيانه.

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٨٤.

(٢) المصدر السابق، ص٢٧٩.

(٣) المصدر السابق، ص٢٩٦.

٦- الإيناس:

ونظير ذلك ما جاء في القصيدة الكافية الشافية، فيقول:[(١)]

فيقـــول جـــلّ جلالـــه هـــل أنـــتم راضـــون قـــالوا نحـــن ذو رضـــوان

حيث ورد الاستفهام في هذا الموضع إيناساً من الله تبارك وتعالى لعباده الكرام في الجنة وتكليمه لهم تكليماً خاصاً بالتحية والتكريم، وقوله أيضاً:[(٢)]

هـل تـذكر اليـوم الـذي قـد كنـت فيـــــه مبـــارزاً بالـــذنب والعصـــيان

فقد ذكر الاستفهام إيناساً لأهل الجنة، فالله سبحانه وتعالى يقول لهم: سلوني أعطكم فيقولون ربنا نسألك رضوانك، فيقول قد رضيت عنكم ولكم ما تمنيتم ولديّ مزيد.

٧- **التعريض:** هو ما يفهم عند اللفظ لا به.

ونظيره من القصيدة في قوله رحمه الله تعالى:[(٣)]

والســاعة الأخــرى إلــى هــذي الســما ء يقــول هــل مــن تائــبٍ نــدمان

فقد ورد الاستفهام تعريضاً بأهل الدنيا الذين لم يتوبوا إلى ربهم تبارك وتعالى وينيبوا إليه، فالله عز وجل يتنزل في الساعة الأخيرة من الليل ويعرض مغفرته ورضوانه على عباده التائبين.

وقوله أيضاً:[(٤)]

أو مــا ســمعتَ بأنهــا القيعــانُ فاغـــرس مــا تشــاء بــذا الزمــان الفــاني

فقد أورد الاستفهام في هذا البيت تعريضاً لمن سمع عن غراس الجنة وأنها قيعان، فليغرس هذا الإنسان ما استطاع في ذاك الزمان الفاني.

وتعليقاً على هذا الضرب من المحسنات المعنوية، فقد أورد **فضل عباس** قولاً أحببنا أن نورده في طيات رسالتنا وهو: " والحق أن هذا الضرب حريٌّ به أن يكون في علم المعاني، فهو إلى أبوابه أقرب وبموضوعه ألصق"[(٥)].

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٩٠.

(٢) المصدر السابق، ص٢٩٢.

(٣) المصدر السابق، ص٢٦٩.

(٤) المصدر السابق، ص٢٩٦.

(٥) البلاغة فنونها وأفنانها، فضل عباس، ص ٢٩٣.

المبحث الثاني
المحسنات اللفظية

أولاً: الجناس:

لغةً: " جانسه يعني شاكله، والجناس الاتحاد في الجنس، أي اشترك معه في جنسه"[1].

أما في **الاصطلاح:** "هو تشابه الكلمتين في اللفظ واختلافهما في المعنى، ويسمى التجانس والتجنيس"[2].

وهو عند **ابن الناظم:** " أن تأتي في غير رد العجز على الصدر بلفظين بينهما تماثل في الحروف وتغاير في المعنى"[3].

وهذا **شيخ البلاغة وإمامها** يتحفُنا بقوله في التجنيس: " فإنك لا تستحسن تجانس اللفظتين إلا إذا كان موقع معنييهما من العقل موقعاً حميداً، ولم يكن مرمى الجامع بينهما مرمىً بعيداً "[4].

ويقول أيضاً: " إن ما يعطى التجنيس من الفضيلة أمرٌ لم يتم إلا بنصرة المعنى، إذ لو كان باللفظ وحده لما كان فيه مستحسن ولما وجد فيه إلا معيب مستهجن ولذلك ذُمّ الاستكثار منه والولوع به، وذلك أن المعاني لا تدين في كل موضع لما يجذبها التجنيس إليه، إذ الألفاظ خدم المعاني والمصرِّفة في حكمها، وكانت المعاني هي المالكة سياستها، المستحقة طاعتها، فمن نصر اللفظ على المعنى كان كمن أزال الشيء عن جهته، وأحاله عن طبيعته وذلك مظنّة الاستكراه، وفيه فتحُ أبواب العيب والتعرض للشَّين"[5].

ويقول **الميداني:** "والجناس فن بديع في اختيار الألفاظ التي توهم في البدء التكرير، لكنها تفاجئ بالتأسيس واختلاف المعنى، ويشترط فيه ألا يكون متكلفاً ولا مستكرهاً استكراهاً، وأن يكون مستعذباً" [6].

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، ج٦/٤٣.
(٢) معجم المصطلحات البلاغية، أحمد مطلوب، ج٢/٤١٤.
(٣) المصباح في المعاني والبيان والبديع، ابن الناظم، ص ١٨٣.
(٤) أسرار البلاغة للجرجاني، ص٧.
(٥) المصدر السابق، ص٨.
(٦) البلاغة العربية للميداني، ج٢/٤٨٥.

أقسام الجناس:

١- الجناس التام المماثل:

" وهو أن يتفق اللفظان في أنواع الحروف وعددها وهيئاتها وترتيبها "[١].

يقول **السيد المدني في أنوار الربيع:** " وهو ما تماثل ركناه لفظاً وخطاً واختلفا معنىً من غير تفاوت في تركيبهما ولا اختلاف في حركاتهما، وهذا الجناس من أكمل أصناف التجنيس وأرفعها رتبةً نحو قوله تعالى: ﴿**وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ**﴾[الروم:٥٥]، فقد ورد الجناس بين لفظتي: " الساعة، وساعة " فالأولى بمعنى القيامة، والثانية بمعنى الزمن "[٢].

ونظير ذلك في القصيدة الكافية الشافية ما أورده ابن القيم، فقال:

وكلامُهـــا يســـبى العقـــول بنغمـــةٍ   زادت علـــى الأوتـــار والعيـــدان[٣]

وكـــذاك لـــم تمنـــع ولـــم تحـــتج إلـــى   أن ترتقـــيَ للقنـــو فـــي العيـــدان[٤]

حيث أورد الجناس التام في هذا المشهد، وذلك في قوله: " العيدان ـ العيدان "، فكانت الأولى بمعنى آلة العزف والموسيقى، أما الثانية فكانت تعني أغصان الأشجار وعيدانها.

ويعتبر لفظ " العيدان " في هذا المشهد أيضاً من باب **المشاكلة التحقيقية**، حيث تشاكل اللفظان ووقعا في صحبة بعضهما البعض تحقيقاً لا تقديراً، " وذلك كما ورد في قول الله تعالى: ﴿**وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُون**﴾، أي أنه أهملهم، فذكر الإهمال بلفظ النسيان لوقوعه في صحبته" [٥].

وقوله أيضاً:[٦]

هربـــوا مـــن الـــرقّ الـــذي خُلقـــوا لـــه   فبُلـــوا بـــرقّ الـــنفس والشـــيطان

فجاء الجناس التام بين: الرق والرق"، فالأولى بمعنى طاعة الله تبارك وتعالى والعبودية له، وحملت الثانية المعنى المجازي وهو اتباع الهوى والشيطان والذي هو بمعنى الاسترقاق.

---

(١) الايضاح في علوم البلاغة للقزويني، ص٣٩٣.

(٢) أنوار الربيع في أنواع البديع، السيد المدني، ج١/١٤٨.

(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٨٢.

(٤) المصدر السابق، ص٢٧٢.

(٥) المصباح في المعاني والبيان والبديع، ابن الناظم، ص١٩٦، وانظر: جواهر البلاغة للهاشمي، ص٣٠٩.

(٦) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٥٩.

٢– الجناس غير التام: " الناقص "

" وهو أن تكون إحدى الكلمتين مشتملة على لفظ الآخر، وزيادة مصدّرة أو مؤخرة، أو اختلاف اللفظين في عدد الحروف، وذلك كقوله تعالى:﴿**وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاق * إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاق**﴾ [القيامة:٢٩ـ٣٠]، فالجناس بين" الساق والمساق "، حيث زادت الثانية عن الأولى بحرف في أول الكلمة" [١].

ونظير هذا ما ورد في القصيدة في قول ابن القيم رحمه الله:

فتثير أصواتاً تلذ لمسمع الـ ... إنسان كالنغمات بالأوزان[٢]

كالزبد ليناً في نعومة ملمسٍ ... أصداف درٍّ دوّرت بوَزان[٣]

فأورد الجناس بين اللفظتين: " أوزان ـ وزان "، حيث زادت اللفظة الأولى على الثانية بحرفٍ واحد في أول الكلمة.

وقوله أيضاً:

ونصيفُ إحداهنّ وهو خمارها ... ليست له الدنيا من الأثمان[٤]

كَمُلت خلائقُها وأُكمل حسنها ... كالبدر ليل الستّ بعد ثمان[٥]

حيث جاء الجناس الناقص في قوله: " أثمان ـ ثمان "، وقد زادت الأولى على الثانية بحرف في أول الكلمة.

وفي قوله أيضاً:

أو كنت تدري أين مسكنها جعلـ ... ـتَ السعي منك لها على الأجفانِ[٦]

واللّهِ لم تخرج إلى الدنيا للذ ... ة عيشها أو للحطام الفاني[٧]

فقد أورد الجناس الناقص بين لفظين هما: " أجفان ـ فان "، وقد زاد أحدهما على الآخر بحرفين في أول الكلمة.

---

(١) المصباح في المعاني والبيان والبديع، ابن الناظم، ص ١٨٧.
(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٧٣.
(٣) المصدر السابق، ص٢٨١.
(٤) المصدر السابق، ص٢٧٦.
(٥) المصدر السابق، ص٢٨٠.
(٦) المصدر السابق، ص٢٥٨.
(٧) المصدر السابق، ص٢٧٩.

وقد تكون الزيادة في وسط الكلمة، وذلك كقوله رحمه الله تعالى:[1]

كـــــدحاً وكـــــدّاً لا يفتّـــــر عـــــنهم ... مـــا فيـــه مـــن غـــمٍ ومـــن أحـــزان

فأورد الجناس بين لفظتين هما: كدحاً ـ كداً "، وقد زادت إحداهما على الأخرى بحرفٍ في وسط الكلمة.

وقد تكون الزيادة في طرف الكلمة، وذلك كقوله:[2]

بـــل لا منـــيَّ ولا منيَّـــةَ هكـــذا ... يـــروي ســـليمان هـــو الطبرانـــي

حيث ذكر الجناس الناقص في قوله: " منيّ ـ منيّة "، وقد جاءت الزيادة في طرف الكلمة.

ويقول **الدكتور محمد علوان:** " ويسمى هذا النوع من الجناس الناقص بالمطرف، لأن الزيادة وردت في طرف الكلمة ونهايتها "[3].

ومنه قوله أيضاً:

ويزيـــد كـــل منهمـــا حبـــاً لصـــا ... حبـــه جديـــداً ســـائر الأزمـــان[4]

للّـــه لاثـــم ذلـــك الثغـــر الـــذي ... فـــي لثمـــه إدراك كـــل أمـــان[5]

فذكر الجناس بين " الأزمان ـ أمان "، وهو جناس ناقص وجاءت الزيادة في إحداهما في وسط الكلام.

ونظير ذلك أيضاً:[6]

أشـــجارها نوعـــان منهـــا مـــا لـــه ... فـــي هـــذه الـــدنيا مثـــال دان

هـــذا وظـــل الســـدر مـــن خيـــر الظـــلا ... ل ونفعـــه التـــرويح للأبـــدان

حيث ورد الجناس الناقص بين لفظتين هما: " دان ـ أبدان "، وقد زادت الثانية على الأولى بحرفين في وسط الكلمة.

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٥٩.

(٢) المصدر السابق، ص٢٨٦.

(٣) من بلاغة القرآن، ص٢٨٣.

(٤) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٨٤.

(٥) المصدر السابق، ص٢٨٠.

(٦) المصدر السابق، ص٢٧١.

وقد يكون الجناس الناقص في وسط الكلمة ولكن دون زيادة أو نقصان، وذلك كقوله:[1]

حــــورٌ حســـــان قــــد كملـــــن خلائقـــــاً ومحاســـــناً مـــــن أجمـــــل النســـــوان

والطـــرف يشـــرب مـــن كـــؤوس جمالهـــا فتـــــراه مثـــــل الشـــــارب النشـــــوان

حيث ورد الجناس الناقص في قوله: " النسوان ـ النشوان "

وقوله أيضاً:[2]

وكلاهمـــــــا مـــــــرآة صـــــــاحبه إذا مـــا شـــاء يبصـــر وجهـــه يريـــان

فيقـــال هـــذا ضـــوء ثغـــرٍ ضـــاحكٍ فـــي الجنـــة العليـــا كمـــا تريـــان

ريانـــةُ الأعطـــاف مـــن مـــاء الشـــبا ب فغصـــنها بالمـــاء ذو جريـــان

فقد أورد الجناس الناقص في قوله: " يريان ـ تريان ـ جريان "، وجميعها مختلف في حرف واحد.

ونظير ذلك أيضاً: [3]

شـــــبههما بغمـــــامتين وإن تشـــــأ بغيـــــايتين همـــــا لِـــــذا مـــــثلان

حيث جاء الجناس الناقص في قوله: " غمامتين ـ وغيايتين ".

٣- الجناس من حيث الاختلاف في أنواع الحروف: وهو على قسمين:

الأول: الجناس المضارع:

" وهو ما اختلف فيه اللفظان المتشابهان في نوع واحدٍ منهما مع تقاربهما في المخرج، سواءً في الأول أو الوسط أو الآخر" [4]، وذلك كقوله تعالى:﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾[القيامة:٢٢ـ ٢٣]، حيث ورد الجناس بين حرفين متقاربين وهما الضاد والظاء.

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٨٠.

(٢) المصدر السابق، ص٢٨٠.

(٣) المصدر السابق، ص٢٩٥.

(٤) البلاغة العربية للميداني، ج٢/٤٩٤.

ونظير ذلك ما أورده الإمام ابن القيم في ذمه لنساء الدنيا المسافحات والمتخذات أخدان، فقال رحمه الله تعالى: (١)

تنقـــــاد للأنـــــــذال والأرذال هـــــــم　　　أكفاؤهـــا مـــن دون ذي الإحســـان

فقد ذكر الجناس الناقص بين كلمتين وهما: " الأنذال ـ الأرذال "، وقد جاء حرف النون والراء متقاربين في المخرج.

وقوله أيضاً:(٢)

هـــــمٌّ وغــــــمٌّ دائــــــمٌ لا ينتهــــــي　　　حتـــى الطـــلاق أو الفـــراق الثـــاني

فأورد الجناس الناقص في قوله: " همّ ـ غمّ "، وحرف الهاء والغين متقاربين في المخرج، فكلاهما يخرج من الحلق.

الثاني: الجناس اللاحق:

وهو ما اختلف فيه اللفظان المتشابهان في نوع حرف واحدٍ منهما غير متقاربين في المخرج، في الأول أو الوسط أو الآخر، وذلك كقوله تعالى:﴿**فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ * وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ**﴾[الضحى:١٠]، حيث ورد الجناس الناقص بين كلمتي " تقهر ـ تنهر "، وجاء الاختلاف في القاف والنون وهما متباعدان في المخرج.

ونظير ذلك في وصف الخيام في الجنان، فقال:(٣)

ورأوا علـــــى بعــــدٍ خيامـــــاً مشـــــرفا　　　تٍ مشـــــرقاتِ النـــــور والبرهـــــان

فقد أورد الجناس بين لفظتي: " مشرفات ـ مشرقات "، وجاء الاختلاف بين الفاء والقاف، وكلاهما متباعد في المخرج.

وقوله أيضاً:(٤)

يُعطَـى المجـامعُ قـوة المائـة التـي اجــ　　　ــــتمعت لأقـــوى واحـــد الإنســـان

ويكــون أقــوى منــه ذا نقـصٍ مــن الــ　　　إيمـــــان والأعمــــال والإحســــان

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٧٩.

(٢) المصدر السابق، ص٢٨٣.

(٣) المصدر السابق، ص٢٧٨.

(٤) المصدر السابق، ص٢٨٣.

حيث جاء الجناس بين الإنسان والإحسان، وبين حرفي النون والحاء تباعدٌ في المخرج.

ثانياً: السجع:

لغةً: هو الكلام المقفى والجمع أسجاع وأساجيع، وكلام مسجّع تسجيعاً وسجع الحمام هديله وترجيعه لصوته"[1].

وفي الاصطلاح: " هو أن تتفق الفاصلتان في الحرف الأخير "[2].

ويقول القزويني في الإيضاح: " هو تواطؤ الفاصلتين من النثر والشعر على حرف واحد ويكون على ثلاثة أضرب، مطرف ومتوازي ومرصّع "[3].

١- السجع المطرف:

" وهو اتفاق الفواصل في الحروف واختلافها في الوزن"[4]، كقوله تعالى:﴿**أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا * وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا**﴾[النبأ:٦ ـ ٧]، حيث وردت كلمة " مهاداً ـ أوتاداً "، وقد اتفقتا في حرف الروي واختلفتا في الوزن، فالأولى على وزن فعالاً، والثانية على وزن أفعالاً.

ونظير هذا ما أورده ابن القيم في قوله:[5]

لـــو ســـاوت الـــدنيا جنـــاح بعوضـــةٍ	**لـــم يســـقِ منهـــا الـــربُّ ذا الكفـــران**
لكنهــــا واللّـــــه أحقـــــرُ عنـــــده	**مـــن ذا الجنـــاح القاصـــر الطيَـــران**

حيث جاء بالسجع المطرف في كلمتين هما:" الكفران ـ الطيَران " وكلاهما متفق في القافية ومختلف في الوزن، فالأولى على وزن فعلان بتسكين العين، والثانية على وزن فعَلان بفتح العين.

ومثل ذلك أيضاً في قوله:[6]

هـــي جنـــةٌ طابـــت وطـــاب نعيمهـــا	**فنعيمهـــا بـــاقٍ ولـــيس بفـــان**
فالـــــدار دار ســـــلامةٍ وخطـــــابهم	**فيهـــا ســـلام واســـم ذي الغفـــران**

(١) لسان العرب، ابن منظور، ج٨/١٥٠.

(٢) البلاغة فنونها وأفنانها، فضل عباس، ص٣٠٣.

(٣) الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني، ص٤٠٣.

(٤) المصدر السابق، ص٤٠٣.

(٥) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٥٩.

(٦) المصدر السابق، ص٢٦٠.

حيث ورد السجع مطرفاً، فذكر لفظ: " فانِ ـ غفران "، وهما فاصلتان متفقتان في القافية ومختلفتان في الوزن، فالأول وزنها " فاعل"، والثانية وزنها " فعلان ".

ونظير هذا أيضاً في ذمّه لذوى الأهواء الباطلة فقال:[1]

قد آثروا الدنيا ولذة عيشها الـ ـفاني على الجنات والرضوان

صحبوا الأماني وابتلوا بحظوظهم ورضوا بكل مذلةٍ وهوان

فقد جاء بالفاصلتين متفقتين في القافية في قوله: " رضوان ـ هوان "، ومختلفتين في الوزن، فكلمة رضوان على وزن " فعلان "، وكلمة " هوان " على وزن فعال.

٢ – السجع المتوازي:

وهو ما اتفقت فيه الفقرتان وزناً وتقفية"[2]، كقوله تعالى:﴿**وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ * وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ**﴾[الغاشية:١٤ـ ١٥].

فاتفقت كلمة " موضوعة ـ مصفوفة " في الوزن والتقفية.

وذلك كما في قوله في وصف محاسن نساء الجنة وأزواجهن:[3]

فيرى محاسنَ وجهِه في وجهها وترى محاسنَها به بعيان

ففي قوله: " يرى محاسن وجهه ـ وترى محاسنها به "، حيث جاءت الفقرتان متفقتان وزناً وتقفية، وهذا على سبيل السجع المتوازي، ونظير ذلك أيضاً في قوله:

حمرُ الخدودِ ثغورهن لآلئٌ سودُ العيونِ فواترُ الأجفان

حيث أورد السجع المتوازي في قوله:" حمر الخدود لآلئ ـ سود العيون فواتر "، وكانت العبارتان متفقتين وزناً وتقفيةً، وفي وصف ابن القيم لمشهدين متناقضين في القصيدة النونية بين نساء الدنيا الخبيثات المائلات، ونساء الجنة الطاهرات العفيفات، حيث أورد السجع المتوازي بطريقة فنية رائعة في قمة الحسن والبهاء والسبك، فقال رحمه الله تعالى في المشهد الأول:

قبُحت خلائقُها وقُبّح فعلُها شيطانة في صورة الإنسان[4]

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٥٩.
(٢) من بلاغة القرآن، ص ٢٨٨.
(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٨٠.
(٤) المصدر السابق، ص٢٧٩.

وفي المشهد الثاني:

كمُلـــت خلائقُهـــا وأُكمـــل حســـنُها كالبـــدر ليـــل الســـت بعـــد ثمـــان[1]

فقد أورد جملة " قبحت خلائقها وقبّح فعلها "، وجملة " كملت خلائقها وأُكمل حسنها "، وكلتا الجملتين متفقتان مع بعضهما وزناً وتقفيةً.

وقوله أيضاً:[2]

مـــا ثَـــمَّ مـــن ديـــنٍ ولا عقـــلٍ ولا خُلـــقٍ ولا خـــوفٍ مـــن الـــرحمن

حيث أورد عبارات متعددة متفقة في الوزن والقافية.

وقوله كذلك:[3]

وســـل المتـــيّم كيـــف عيشـــتُه إذاً وهمـــا علـــى فرشـــيهما خلـــوان

وســل المتــيّم كيــف مجلسُــه مــع الــ ـــمحبوب فـــي روح وفـــي ريحـــان

فإذا نظرنا إلى الشطر الأول من البيت الأول والشطر الأول من البيت الثاني وجدنا أن المقطعين متفقان وزناً وتقفيةً.

وقوله رحمه الله تعالى:[4]

ويـــذكّر الـــرحمنُ واحـــدهم بمـــا قـــد كـــان منـــه ســـالف الأزمـــان

ويســـلّم الـــرحمنُ جـــلّ جلالـــه حقـــاً علـــيهم وهـــو فـــي القـــرآن

حيث أورد السجع المتوازي في قوله: " ويذكّر الرحمن ـ ويسلّم الرحمن "، وقد جاءت الجملتان متفقتين في الوزن والقافية.

٣- السجع المرصع:

" وهو اتفاق الألفاظ في الوزن والقافية "[5]، وذلك كقوله تعالى:﴿**إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيم * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيم**﴾ [الانفطار:١٣ ـ ١٤]، فالأبرار والفجار اتفقتا وزناً وتقفية، وكذلك " نعيم وجحيم ".

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٨٠.
(٢) المصدر السابق، ص٢٧٩.
(٣) المصدر السابق، ص٢٨٤.
(٤) المصدر السابق، ص٢٩١.
(٥) علوم البلاغة للمراغي، ص٣٦١، وانظر: من بلاغة القرآن، ص ٢٨٧.

ونظير ذلك ما أورده ابن القيم في القصيدة، فقال:[(١)]

هـذا وقـد كتـب اسـمه مـذ كـان فـي الــ أرحـــــام قبــــل ولادة الإنســـــان

بـــل قبـــل ذلـــك هـــو وقـــت القبضتيـــ ـــــن كلاهمـــا للعـــدل والإحســـان

حيث جاءت اللفظتان " الإنسان ـ الإحسان "، متفقتان في الوزن والقافية، وكلاهما على وزن " إفعال ".

ونظير ذلك في تعظيمه لجلال الله تعالى فقال:

ســبحان ذي الجبــروت والملكــوت والـــ إجــــلال والإكــــرام والســـــبحان

والأمـــر مـــن قبـــلٍ ومـــن بعـــدٍ لـــه ســــبحانك اللهـــم ذا الســـلطان

حيث ورد السجع المرصع في قوله: " الجبروت ـ الملكوت " وكلاهما متفق في الوزن والقافية، و" السُبحان ـ السُلطان "، وكلا اللفظين متفق في الوزن والقافية، وهما على وزن فُعلان، وأيضاً في قوله: " من قبل ـ من بعد "، فكلاهما متفق في الوزن والقافية، فهما على وزن فَعل.

وقوله في وصف أشجار الجنة وثمارها وظلالها:[(٢)]

كالســدر أصــل النبــق مخضــود مكــا ن الشــوك مــن ثمــر ذوي ألــوان

أو أنــــه شــــجر البـــوادي مـــوقراً حمــلاً مكــان الشـوك فــي الأغصــان

فذكر السجع المرصع في قوله: " ألوان ـ أغصان "، وكلاهما متفق في الوزن والقافية، وهما على وزن أفعال.

ثالثاً: رد العجز على الصدر: أو التصدير.

" وهو أن يكون أحد اللفظين المكررين أو المتجانسين أو الملحقين بالتجانس في آخر البيت والآخر في صدر المصراع أو حشوه أو آخره أو صدر المصراع الثاني "[(٣)].

ونظير هذا ما ورد في القصيدة النونية في قول ابن القيم رحمه الله:[(٤)]

ســــكانها أهـــل الجهالـــة والبطـــا لـــة والســـفاهة أنجـــس الســـكان

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٦٢.

(٢) المصدر السابق، ص٢٧١.

(٣) مفتاح العلوم للسكاكي، ص ٤٣١، وانظر: المصباح في المعاني والبيان والبديع لابن الناظم، ص١٦٦.

(٤) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٥٨.

حيث وردت لفظة " سكان " في صدر مصراع البيت وعجزه، فجاءت الكلمة الأخيرة رداً على الكلمة التي وردت في الصدر.

ومنه قوله كذلك:[1]

أسـنانه الأعمـالُ وهـي شـرائع الـ إسـلام والمفتـاح بالأسـنان

فأورد كلمة أسنان في صدر مصراع البيت وعجزه.

وقوله أيضاً:[2]

أبـدانهم أجـداث هاتيـك النفـو س اللائـي قـد قبـرت مـع الأبـدان

حيث ذكر كلمة الأبدان في صدر البيت وعجزه.

وكقوله أيضاً:[3]

ذكـر وأنثـى والـذي هـو ضـده وكـذاك مـن أنثـى بـلا ذكـران

فقد ذكر كلمة " ذكر " في صدر البيت والتي تكررت في عجز البيت.

وكذلك في قوله:[4]

سـبحان ذي الجبـروت والملكـوت والـ إجـلال والإكـرام والسـبحان

فأورد لفظة " سبحان " في صدر البيت وعجزه مكررة.

وكقوله أيضاً:[5]

ثنتـان خـالصُ حقـه سـبحانه وعبيـده أيضـاً لهـم ثنتـان

فذكر كلمة " ثنتان "في صدر البيت ثم ختم بها البيت.

ومنه كذلك في قوله:[6]

صـفّى المقـرّب سـعيه فصـفا لـه ذاك الشـراب فتلـك تصـفيتان

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٦١.

(٢) المصدر السابق، ص٢٥٩.

(٣) المصدر السابق، ص٢٨٦.

(٤) المصدر الساب، ص٢٦٢.

(٥) المصدر السابق، ص٢٧٠.

(٦) المصدر السابق، ص٢٧٥.

حيث وردت كلمة " صفى " في صدر البيت، وختم البيت بمشتقاتها وهي " تصفيتان".

وكذلك قوله أيضاً: [1]

حتـى يحـار الطـرف فـي الحسـن الـذي   قـد ألبسـت فـالطرف كـالحيران

حيث وردت كلمة " يحار " في حشو المصراع الأول، بينما وردت الكلمة الأخيرة في البيت وهي " الحيران " رداً على الكلمة التي وردت في حشو المصراع الأول.

ونظير ذلك أيضاً:[2]

أتراهمـا ضـجرين مـن ذا العـيش لا   وحيـاة ربـك مـا همـا ضـجران

حيث وردت كلمة " ضجرين " في حشو المصراع الأول، وورد البيت مختوماً بذات الكلمة، رداً من عجز البيت على حشو الصدر.

وقوله كذلك:[3]

واللّـه قـد جعـل النسـاء عوانيـاً   شـرعا فأضـحى البعـل وهـو العـاني

حيث أورد كلمة " عوانياً " في آخر المصراع الأول، وختم البيت بما بلائمها، فردّ العجز على الصدر.

وقوله أيضاً:[4]

ويقـول لمـا أن يشـاهد حسـنها   سـبحان معطـي الحسـن والإحسـان

فذكر لفظة " حسنها " والتي وردت في آخر المصراع الأول، ثم ختم البيت بها راداً العجز على الصدر.

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٨٠.

(٢) المصدر السابق، ص٢٨٤.

(٣) المصدر السابق، ص٢٨٣.

(٤) المصدر السابق، ص٢٨٠.

الفصل الرابع
أثر الاشارات البلاغية في بناء النص

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: الصورة البصرية وأثرها في بناء النص.

المبحث الثاني: الصورة السمعية وأثرها في بناء النص:

الفصل الرابع
أثر الاشارات البلاغية في بناء النص

لقد ظهر أثر الإشارة البلاغية في بناء النص من جانب الاستعارة، حيث أدت الاستعارة في بناء الصورة البصرية دوراً مهماً ورائعاً أسهم في رسم صورة الاستعارة من خلال عذوبة الألفاظ وقوتها وجمال وصفها لتلك المشاهد المرئية المنتجة في النص.

وقد جاءت الإشارة البلاغية من خلال الكناية، فعبّرت عن موصوفٍ من نوع خاص من النعيم الدائم المقيم في الجنان، هذا النعيم يفوق تصور البشر من رؤية وسماع وفهم، ولكن مع وضع شرط لمن يستحق ذاك النعيم والتلذذ به، فإنهم سينالون ما لم يروه في حياتهم الدنيا قط، فالله تبارك وتعالى أعد لعباده في الجنان مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فجاءت الكناية في وصف الجنة بنعيمها الذي لا يزول ولا ينتهي من لذائذ حسية تُرى بالعين، فهذا نعيم تستلذ به وتقر بمشاهدته العين وتستأنس به وتستطيبه، لأنه عنوان السعادة الأبدية.

لقد ظهر التناغم في الإيقاع الصوتي والموسيقي في انسياب وتآلف بين حروف القصيدة، حيث كانت الكلمات متوازنة والألفاظ بما تحمله من دلالات في المعنى وإيقاع متناسق بصورة عامة متلاقياً في أرجاء القصيدة بإيقاع متوالٍ منظوم لتلك العبارات والألفاظ الرائعة المستخدمة في وصف الجنة، وخاصة أنها مستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، واللذان هما أساس البيان والفصاحة، فكانت الألفاظ ذات معنىً عميق ظهر من خلاله الأداء التصويري للصورة البصرية والسمعية، والذي نفذ للقلب وهزّه وللوجدان فرقّقه.

وقد تآلفت المعاني مع الألفاظ من خلال الصورة البصرية، والتي أظهرت الجوانب الجمالية المتكاملة بين اللفظ والمعنى في حلة جميلة ورائعة، فالتقت الألحان في انسجام تام وتوازن، وكأن الألفاظ جاءت مؤاخيةً للألفاظ، وكأن الألفاظ قطّعت لها وسُويت على حجمها.

وقد اتّسمت الصورة البصرية والسمعية في القصيدة النونية بالحركة والحياة والتدفق، حيث كانت مشاهد وصف الجنة متلاحمة ومتمازجة غير منفصلة عن بعضها البعض، مكونة حركةً وصورة دلالية لمشاهد الرؤية البصرية والسمعية في إيقاع منسجم، وقد توفر للصورة المرئية المشاهدة جميع عناصر الجمال التعبيري بصدقٍ ودقة وجمال فني رائع.

وقد تجلت دلالة الصورة البديعية الرائعة كإشارة بلاغية مؤثرة في بناء النص، فورد معنا في هذه القصيدة مشهد المقابلة الرائع في حال ذهاب أهل الجنة لزيارة ربهم تبارك وتعالى ورجوعهم إلى أهليهم وقد ازدادوا حسناً وجمالاً وبهاءً غير الذي كانوا عليه من قبل، وهو ما يسمى بيوم المزيد، حيث قال رسول الله ﷺ" إن في الجنة لسوقاً يأتونها كل جمعة، فتهب ريح الشمال، فتحثو في

وجوههم وثيابهم، فيزدادون حسناً وجمالاً، فيرجعون إلى أهليهم وقد ازدادوا حسناً وجمالاً، فيقول لهم أهلوهم: والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً "[١].

وذلك كما وصف ابن القيم أهل الجنة ورجوعهم إلى أهليهم ومنازلهم، فقال:[٢]

فــــإذا هـــم رجعـــوا إلـــى أهلـــيهم	**بمواهـــبِ حصـــلت مـــن الـــرحمن**
قـــالوا لهـــم أهـــلاً ورحبـــاً مـــا الـــذي	**أُعطيـــتم مـــن ذا الجمـــال الثـــاني**
واللّـــه لازددتـــم جمـــالاً فـــوق مـــا	**كنـــتم عليـــه قبـــل هـــذا الآن**
قـــالوا وأنـــتم والـــذي أنشـــأكم	**قـــد زدتـــم حســـناً علـــى الإحســـان**

فيعرض هذا المشهد مقابلةً بديعيةً بين موقفين لأهل الجنة، وذلك عندما تهب ريح الشمال فيكونون في أعلى درجات الحسن والبهاء والجمال، وبعد رجوعهم إلى أهليهم فيكونون على زيادة من الحسن والجمال، حيث تقابلت الصورتان المرئيتان قبل رجوعهم إلى أهليهم، وبعد رجوعهم إليهم، وذلك لتأكيد ما عليه أهل الجنان من السعادة والراحة الأبدية، فضلاً عن جمالهم وحسنهم الذي منّ الله عليهم به، فوردت المقابلة لزيادة الحسن والجمال والبهاء وإضفاء مشهدٍ يعجز وصفه في الحياة الدنيا.

ويقول **الصباغ في كتابه التصوير الفني في الحديث النبوي:** " فانظر إلى تلك الصورة الرائعة، فالناس في الجنة يزدادون حسناً وجمالاً، وقد جاءت الصورة تمثل حركة الذهاب إلى السوق وإتيانه والرجوع منه وهبوب الريح وصور الأهل الذين ينتظرون أزواجهم في القصور، فهناك مفاجأة القوم بأهليهم وقد ازدادوا حسناً وجمالاً وذلك حتى تتم السعادة، فلا ينظر المرء في الجنة إلّا إلى جميل، وقد جاء التكرار في كلمتي " الحسن والجمال "، مما يجعل الصورة الجميلة في تمام الروعة التي لا يكاد المرء أن يشبع من ترديدها والنظر فيها"[٣].

وظهر أثر الإشارة البلاغية في بناء النص من خلال المشاهدة البصرية المرئية عن طريق الطباق البديعي، حيث وصف لنا مشهداً مقتبساً من حديث رسول الله ﷺ أنه قال: "جنتان من ذهب آنيتهما وحليتهما وما فيهما، وجنتان من فضة آنيتهما وحليتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن "[٤].

---

(١) رواه مسلم، ج٤/٢١٧٨، باب فيمن يودّ رؤية النبي ﷺ .

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٩٣.

(٣) التصوير الفني في الحديث النبوي، محمد الصباغ، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٨م، ص١٦٤.

(٤) رواه البخاري ج٦/٢٧١٠، ومسلم ج١/١٦٣.

ونظير ذلك من القصيدة النونية، في قوله:[١]

ذهبيتـــان بكـــل مـــا حوتـــاه مـــن   حلـــيٍ وآنيـــة ومـــن بنيـــان

وكـــذاك أيضـــاً فضـــةٌ ثنتـــان مـــن   حلـــيٍ وبنيـــان وكـــلِّ أوان

حيث ورد الطباق بين الألوان المرئية البصرية في قوله: " جنتان من ذهب، وجنتان من فضة "، من خلال الرؤية الحسية، فالجنتان الأوليان من ذهب بمكوناتهما جميعاً، وكذلك الجنتان الأخريان من فضة بمكوناتهما جميعاً، فالمتأمل لما تعطيه الأوصاف من المغايرة في اللون الذهبي والفضي المرئيان يتلمّس جمالية الوصف لذاك المكان من خلال الوصف المشاهد والمرئي لتلك الألوان، والتي يختلف أحدهما عن الآخر عن طريق الرؤية الحسية.

ثم تتجلى الإشارة البلاغية من خلال الجناس واشتقاقاته مؤثرة في بناء النص بطريقة إبداعية، وذلك كما في قوله رحمه الله تعالى:[٢]

أو مـــا ســـمعتَ بذبحـــه للمـــوت بيـــ   ـــن المنـــزلين كـــذبح كـــبش الضـــان

لقد جاءت صورة الموت من خلال الصورة البيانية التشبيهية على هيئة الكبش الأملح ووقوفه أمام الناس شاخصاً.

ويقول **الصباغ:** " لقد عرض المشهد في مشهدٍ رائع، فوضع أمام الناس ورآه الفريقان، ويسأل الناس عنه يوم القيامة، ففي هذا صورة متحركة، وهي إتيان الموت ووقوفه والمناداة على أهل الجنة وأهل النار، فيشرئبون وينظرون إليه، ويذبح أمامهم فيزداد أهل الجنة فرحاً ويزداد أهل النار حزناً "[٣].

وقد اشتمل هذا المشهد على نموذجين من جناس الاشتقاق هما: "ذبحه، كذبح"، "منادي، مناديهم"، وهذا الجناس أعطى لمسةً جمالية للنص من خلال التقارب بين الجناسين في نداء أهل الجنة لدخولها، ونداء أهل النار لدخولها جزاءً بما كانوا يعملون.

وأما في حديثه عن عدد درجات الجنة وما بين الدرجتين، فيقول رحمه الله:[٤]

درجاتهـــا مائـــة ومـــا بـــين اثنتيـــ   ـــن فـــذاك فـــي التحقيـــق للحســـبان

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٦٧.

(٢) المصدر السابق، ص٢٩٤.

(٣) التصوير الفني للصباغ، ص٢٠٣- ٢٠٤.

(٤) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٦٠.

مثـل الـذي بـين السـماء وبـين هـذي **الأرض قـول الصـادق والبرهـان**

لكـن عاليَهـا هـو الفـردوس مسـ **ـقوف بعـرش الخـالق الـرحمن**

وسـط الجنـان وعلوهـا فلـذاك كـا **نـت قبـة مـن أحسـن البنيـان**

ويقول **الهراس:** " فالجنة منازلها كثيرة ومتفاوتة بحيث لا يعلم عظمها وتباهيها إلا الله تعالى، فهم درجات عند ربهم"(١).

لقد جاءت الصورة من خلال وصف تلك الدرجات وأعلاهن ووسط الجنة وقبابها وما بين تلك الدرجات من مسافة لا يعلم بها إلا الذي أودعها.

ويقول **الصباغ:** " ولنتصور الدرجات الكثيرة التي وردت من خلال التشبيه والكناية عن فضل الجهاد في سبيل الله، فهو جوّ سمح مليء بالحنان والرحمة والفضل والإكرام "(٢).

ويصف الإمام ابن القيم صفوف أهل الجنة بطريقة رائعة، فيقول:(٣)

هـذا وإن صـفوفهم عشـرون مـع **مائـةٍ وهـذى الأمّـةُ الثلثـان**

إذ قـال أرجـو أن تكونـوا شـطرهم **هـذا رجـاءٌ منـه للـرحمن**

فانظر لتلك الصورة الجميلة، حيث جاءت جلية من خلال التشبيه والوصف، فالمؤمنون في الجنة كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود، أو الشعرة السوداء في جلد الثور الأبيض.

أما في وصفه لطول قامات أهل الجنة وعرضهم، فيقول:(٤)

والطـول طـول أبـيهم سـتون لـ **ـكن عرضـهم سـبع بـلا نقصـان**

إنها صورة تثير العجب والدهشة، حيث جاءت تلك الصورة بوصفها الدقيق بطول وعرض قامات أهل الجنة من خلال الوصف والتشبيه لآدم عليه السلام، وإن هذا الوصف الدقيق الذي يتغلغل إلى أعماق النفس ليصور لنا درجة الإحساس بذاك النعيم الذي لا يضاهيه نعيم آخر.

وفي وصفه لألوان أهل الجنة ولحاهم، فقال:(٥)

---

(١) شرح القصيدة النونية للهراس، ج٢/ ٣٣٥.

(٢) التصوير الفني للصباغ، ص ١٦١.

(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٦٢- ٢٦٣.

(٤) المصدر السابق، ص٢٦٤.

(٥) المصدر السابق، ص٢٦٥.

ألــوانهم بـــيضٌ ولـــيس لهـــم لحـــىً　　　جعـــد الشـــعور مكحّلـــو الأجفـــان

هـــذا كمـــال الحســـن فـــي أبشـــارهم　　　وشـــــعورهم وكـــــذلك العينـــــان

حيث جاءت الصورة مركبة من عدة صور جميلة وكلها في تمام الروعة والدقة، فقد جاء الوصف للصورة رائعاً من خلال وصف الألوان، فانظر لبياض وجوههم، وألوان شعورهم وأجفانهم وبشرة الوجه وعيونهم الرائعة وألوانها الجميلة، فبرزت الصورة في تمام الوضوح والبيان.

وقوله في وصف أرض الجنة وتربتها، فقال:(١)

والأرض مرمـــــرةٌ كخـــــالص فضـــــةٍ　　　مثـــــل المـــــرآة تنالـــــه العينـــــان

فأبرزت لنا هذه الصورة تمام الصنعة والإبداع لتلك الأرض، وذلك من خلال صورة التشبيه لها بالفضة، والعين ناظرة متلذذة بتلك الصورة الجديدة، فهو صنع الله الذي أتقن كل شيء.

وفي وصف لذة النظر لطعام أهل الجنة، فيقول:(٢)

وانظـــر إلـــى جعـــل اللـــذاذة للعيـــو　　　ن وشـــهوةٍ للـــنفس فـــي القـــرآن

للعـــين منهـــا لـــذةٌ تـــدعو إلـــى　　　شـــــهواتها بـــــالنفس والأمـــــران

ســـبب التنـــاول وهـــو يوجـــب لـــذة　　　أخـــرى ســـوى مـــا نالـــت العينـــان

حيث ذكر في المشاهد السابقة الصورة البصرية المختصة بالعين دون غيرها من الحواس، وهذا من تمام اللذة والنعيم لما يراه الإنسان في الجنان، فإنه يتلذذ بالنظر للطعام واللحوم والفواكه وصحاف الذهب قبل أن يتناول شيئاً منها.

ويقول **ابن عيسى** في توضيح المقاصد وتصحيح القواعد: " فانظر إلى اللذاذة التي تحصل بالعيون بسبب النظر إلى ألوان الذين هم كاللؤلؤ المنثور وشهوة النفس لما في الصحاف التي يطوفون بها، فاجتمع لهم لذة النظر ولذة الشهوة لما في الصحاف، وذلك يوجب لذة أخرى فتكمل لهم اللذة والله أعلم "(٣).

وفي وصفه لباس أهل الجنة، فقال:(٤)

وهـــم الملـــوكُ علـــى الأســـرّة فـــوق هـــا　　　تيـــك الـــرؤوس مرصّـــعُ التيجـــان

ولباســـهم مـــن ســـندسٍ خضـــرٍ ومـــن　　　إســـــتبرقٍ نوعـــــان معروفـــــان

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٦٩.

(٢) المصدر السابق، ص٢٧٥.

(٣) توضيح المقاصد وتصحيح القواعد، ج٢/ ٥٣٠- ٥٣١.

(٤) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٧٦.

فانظر لصورة أهل الجنة وهم كالملوك فيها متكئين على أسرّتهم وتيجانهم مرصعة فوق رؤوسهم، يلبسون أجمل الثياب وأطهرها، إنها صورة مرئية تتمتع العين بالنظر إليها.

فأي صورة أجمل من تلك الصورة لك أيها المؤمن، فإن لك عند الله تعالى ما اشتهت نفسك ولذّت عينك.

ويقول **سيد قطب:** " وهذه السرر مشبّكة بالمعادن الثمينة متكئين عليها متقابلين في راحة وخلو بالٍ واطمئنان، ولنشاهدهم الآن في جلستهم الهادئة المريحة التي لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً، منعمون تعلوهم ثيابٌ من السندس والإستبرق وحلي الفضة، يشربون شراباً طهوراً يزيد عن قيمته أن ربهم تبارك وتعالى هو الذي سقاهم إياه "[1].

ويقول **الهراس:** " يلبس اللّه أهل الجنة تاج الملوك ويكسوهم من حلة الكرامة "[2].

وأما في وصفه لثمار الجنة، فقال:[3]

وثمارهـــا مـــا فيـــه مـــن عجـــمٍ كأمـــ ـــثال القـــلال فجـــلّ ذو الإحســـان

لكـــــنّ لبهجتهـــــا ولـــــذة طعمهـــــا أمـــرٌ ســـوى هـــذا الـــذي تجـــدان

فيلـــذّها فـــي الأكـــل عنـــد منالهـــا وتلـــذها مـــن قبلـــه العينـــان

قال **الصباغ:** " لقد شبه رسول الله ﷺ تلك الثمار بالقلال، وهي الجرة العظيمة التي تسع قربتين أو أكثر، وقد أعطى معاني الحسن والجمال لتلك الصورة، فلا يستطيع أحدٌ من خلق الله أن يصفها من شدة حسنها "[4].

وأقول: لقد أورد الإمام ابن القيم مشاهد مزدحمة بالمناظر الحية والحركات المتتابعة، حيث التقى وصف الجنة المرئي بالحوار ورسم الألوان وسماع الأصوات الندية، فجاء النسق المصور للنعيم الذي يلقاه عباد الله المخلصون في تمام الروعة والدقة المتناهية، فظهر معنا في هذه القصيدة صور النعيم المادي والمعنوي وقد استمتعت به النفس وطاب هواها.

---

(١) مشاهد القيامة في القرآن، سيد قطب، ص ١٢٨-٢٥٥.

(٢) شرح القصيدة النونية للهراس، ج٢/ ٣٨١.

(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٧١- ٢٧٢.

(٤) التصوير الفني للصباغ، ص١٤٨.

المبحث الأول
الصورة البصرية وأثرها في بناء النص

يدرس التشكيل البصري علاقة حاسة الإبصار بالصياغة الشعرية، وكيفية التعامل معها بصرياً لاستنتاج دلالتها الفنية في النص، عن طريق العناية بتحليل الأبعاد الجمالية والمكانية لمفردات التشكيل الشعري، تحليلاً يربط الشكل بالمضمون والموسيقى والصور الفنية والوسائل البديعية، ثم علاقة حاسة الإبصار خاصةً بالصياغة الشعرية، وكيفية التعامل معها بصرياً لاستنتاج دلالتها الفنية.

وإذا تتبعنا قول **إمام البلاغة وشيخها** في الصورة البصرية، فيصف المشهد ويقول:" وإنّ مما يقتضى كون الشيء على الذكر وثبوت صورته في النفس أن يكثر دورانه على العيون ويدوم تردده في مواقع الأبصار وأن تدركه الحواس في كل وقت أو في أغلب الأوقات وبالعكس وهو أن من سبب بُعد ذلك الشيء عن أن يقع ذكره بالخاطر وتعرض صورته في النفس قلة رؤيته، وأنه مما يحس بالفينة بعد الفينة وفي الفَرط بعد الفرط وعلى طريق الندرة، وذلك أن العيون هي التي تحفظ صورَ الأشياء على النفوس وتجدّدُ عهدها بها، وتحرسها من أن تُدثر وتمنعها أن تزول، ولذلك قالوا من غاب عن العين فقد غاب عن القلب "(١).

لقد ظهر جمال الأسلوب الأدبي والخيال الرائع والتصوير الفني الدقيق في القصيدة النونية لدرجة إظهار الصورة المعنوية في صورة حسية مرئية بالعين فتمثلت الصورة البصرية في القصيدة بطريقةٍ ابداعية رائعة، وقد اقتصرتُ الصورةَ البصرية في هذه القصيدة على مشاهد الرؤية الموجودة داخل الجنة، والتي أخبرنا بها ربنا سبحانه وتعالى في قرآنه الكريم ورسولنا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، وذلك مما رآه ليلة الإسراء والمعراج عندما نظر لأهل الجنان وهم يتنعمون وما أخبره به جبريل عليه السلام، فأورد الإمام ابن القيم لنا صورةً بصرية في تمام الدقة والروعة أحببنا أن نفرد لها مبحثاً في رسالتنا.

ويقول **سيد قطب في كتابه التصوير الفني في القرآن:** " وهذه الصورة هي التي يعبر بها عن الصورة المحسّة المتخيلة عن المعنى الذهني والحالة النفسية، وعن الحادث المحسوس والمشهد المنظور الذي يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة والحركة المتجددة، فإذا المعني الذهني هيئة أو حركة أو مشهداً، فتصبح تلك المشاهد شاخصة حاضرة فيها الحياة والحركة "(٢).

---

(١) أسرار البلاغة للجرجاني، ص١٦٥.

(٢) التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الشرعية السادسة عشر، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م، ص ٣٦.

ومن الصور البصرية التي وردت في القصيدة الكافية الشافية، قوله رحمه الله تعالى في تفاضل أهل الجنة في الدرجات العلا، فقال: [١]

ويـــرى الـــذين بـــذيلها مَـــن فـــوقهم   مثـــــل الكواكـــــب رؤيـــــة بعيـــــان

لقد جاءت الصورة البصرية في هذا البيت في قمة الروعة والبيان، حيث قدم مشهداً رائعاً بالصورة التشبيهية لمشهد من مشاهد الغيب، وهو رؤية أهل الدرجات العلا في الفردوس الأعلى لمن هم أدنى منهم منزلةً، وهو أمرٌ غيبي أخبرنا به الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام، فالمشهد البصري تجسد في فعل الرؤية " يرى "، والذي أعطى حركةً وإثارةً تصويرية لطرفين هما أهل الجنة وأهل الغرف، فأهل الجنة في منزلةٍ أدنى من أهل الغرف، فهم يتطلعون إليهم ويرفعون رؤوسهم إلى جمال تلك المنزلة المضيئة البهية، وهم يتلهفون للرؤية، فالرائي في الجنة يرى صاحب الغرفة برؤية الرائي للكوكب الدرّي المستضيء الباقي في جانب الشرق أو الغرب في الاستضاءة مع السعداء وأهل الغرف ينظرون إلى أهل الجنة بحكم العلو الذي هم فيه.

وقد ظهر معنا أثر الإشارة البلاغية في بناء النص، وذلك من خلال الصورة التشبيهية، حيث كانت الصورة التشبيهية لأهل الجنة في غاية الجمال من خلال النظر إلى الكوكب الدري الغابر في الأفق، وقد جاء حرف التشبيه " الكاف، ومثْل " لوصف مشهد رائع من مشاهد الجنة، وكان له دلالته وتأثيره في بناء النص، حيث ورد ليعبر عن تراءي الكوكب الدريّ كصورة بصرية وهم في مكانهم العالي ينظرون، مما يجعل نفوسهم مليئة بالأنس والمحبة.

ويقول **الصبّاغ:**" لقد جاءت الصورة المرئية من خلال التشبيه، حيث إنهم يرونهم كما يرون في الدنيا الكوكب في كبد السماء سواءً كان في الأفق الشرقي أو الغربي، ولكن الصورة عبّرت بفعلٍ يدل على المشاركة وهو " يتراءون "، فكما أن أهل الجنة يرونهم من أي موضع في الجنة فكذلك سكان هذه الغرف يرون أهل الجنة، فهذه الغرف هي منازل الأنبياء ورجال آمنوا بالله وصدّقوا المرسلين"[٢].

ويقول أيضاً: " وقد تكون الصورة على طريق التشخيص والحوار والوصف بالتشبيه والموازنة والتصوير "[٣].

إن الصورة البيانية وسيلة الأديب إلى إيقاظ الشعور وبعث الانفعال وإحياء الوجدان وتشكيل التجربة الذي من شأن ذلك كله أن يضع المعنى ضمن تجربة تنقله من الجمود إلى الحيوية، ومن النمطية إلى الفاعلية ومن الفكرة إلى المبدأ والقيمة والموقف، لذا ينبغي التعامل مع الصورة في بناء النص وفق التحامها اللغوي والموضوعي والفكري والشعوري، بكمال انسجامها وتناسقها وتماسكها.

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٦٣.
(٢) التصوير الفني للصباغ، ص١٦١.
(٣) المصدر السابق، ص٢٠٢– ٢١٥.

وإذا تتبعنا فعل الرؤية البصرية ومشتقاته التي ورد فيها نجد أن هذا الفعل قد أعطى صورة دقيقةً في وصف الألوان والحركات وإثارتها ورسمها بطريقة ابداعية راقية، حيث وصف وجوه أول زمرة تدخل الجنة كأنها البدر المكتمل ليلة أربعة عشر، فقال:[1]

هـــــذا وأول زمـــــرةٍ فوجـــــوههم كالبـــدر ليـــل الســـتّ بعـــد ثمـــان

وقد رسم صورة بصريةً أخرى للزمرة الثانية وهي أضوأ كوكبٍ في الأفق يمكن للإنسان أن ينظر إليه ويتمتع بلذة النظر إليه، فقال:[2]

والزمـــرةُ الأخـــرى كأضـــوأ كوكـــبٍ فـــي الأفـــق تنظـــره بـــه العينـــان

ففي هذا المشهد التصويري تنفذ صورة الزمرة الثانية إلى القلب وتهزه وترققه، بعدما تتمتع العين وهي ناظرة لذاك المشهد الخلاب، وقد ورد فعل الرؤية لإضفاء معنى التجدد والاستمرارية والحيوية لتلك الرؤية الجميلة الوادعة.

أما في وصفه لمساكن الجنة ومنازلها فقد أورد صورةً جميلةً عن منازل الجنة وغرفاتها العالية وما فيها من أثاثٍ فاخرٍ وأوانٍ ذهبية وفضية ناهيك عن الحدائق والبساتين، وبيّن أن أرض الجنة وحجارتها كلها من الجواهر واللؤلؤ، هذا بالنسبة للمتع والملذات المادية المحسوسة التي يمكن للإنسان أن يراها ببصره.

وفي وصفه لغرفات الجنة، فقال:[3]

غرفاتهـــا فـــي الجـــو يُنظـــر بطنُهـــا مـــن ظهرهـــا والظهـــرُ مـــن بطنـــان

وفي هذا المشهد يرسم صورة بصريةً رائعة لما ورد عن الصادق المصدوق ﷺ فقال:" إن في الجنة غرفاً ترى ظهورها من بطونها، وبطونها من ظهورها، فقام أعرابي فقال: لمن هي يا رسول الله؟ قال: " لمن أطاب الكلام، وأطعم الطعام، وأدام الصيام، وصلى بالليل والناس نيام" [4].

وتصديق ذلك من كتاب الله تعالى:﴿ **لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَاد** ﴾[الزمر:٢٠]، وقوله أيضاً:﴿ **أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا** ﴾[الفرقان:٧٥].

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٦٢– ٢٦٣.

(٢) المصدر السابق، ص٢٦٣.

(٣) المصدر السابق، ص٢٧٠.

(٤) رواه الترمذي ج٣/٤٢٢، باب ما جاء في قول المعروف.

أما في ذكر أعلى أهل الجنة منزلة وأدناهم، فأورد قولاً رائعاً:[1]

هـــــذا وأعلاهـــــم فنـــــاظر ربـــــه　　فـــي كـــل يـــوم وقتـــه الطرفـــان

حيث ظهرت الصورة البصرية في حلةٍ بهية ورائعة، والتي أعطت حركة متناسقة لذاك المنظر المليء بالحركة والحيوية والنشاط، وفي وصفه لمُلك أهل الجنة وعظمته، فقال:

فيـــرى بهـــا أقصـــاه حقـــاً مثـــل رؤ　　يتـــه لأدنـــاه القريـــب الـــداني

حيث أورد فعل الرؤية ومصدره ولهما إيقاعٌ خاص ومؤثر، استطاع أن يهز القلب البشري ويوقظه وهو يتأمل في ذلك الملك والنعيم الأبدي في الجنان.

وذلك تصديق لما ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: " إن أدنى أهل الجنة منزلةً لمن ينظر إلى جنانه وأزواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة ألف سنة، وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوةً وعشية " ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣][2].

فإذا تتبعنا مشهد الرؤية في البيتين نجد أن فعل الرؤية والنظر قد أعطى معنىً رائعاً في الإثارة والتشويق لما أعده الله تعالى لعباده المكرمين في الجنة، وذلك تصديق لما جاء به خير البرية رسول الله ﷺ حيث قال: " إن أدنى أهل الجنة منزلةً يُنظر في ملكه ألفي سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه..."[3].

فأي إثارة وأي اشتياق لذاك الملك والنعيم، فالله تعالى سيجزي عباده أحسن الجزاء على أعمالهم في الدنيا بأن يدخلهم جنات عدن عالية جداً في مقام أمين ومنزلة كريمة تليق بعباد الله وصفوة خلقه.

وينطلق بنا الإمام ابن القيم في رسم الصورة البصرية في الجنة من خلال فهمه لحديث رسول الله ﷺ الذي رواه عن ربه تبارك وتعالى: أعددت لعبادي الصالحين في الجنة ما لا عينٌ رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر" فاقرؤوا ما شئتم ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧] [4].

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٦٤.

(٢) رواه الترمذي ٤/٢٦٩، باب ما جاء في صفة الجنة .

(٣) رواه أحمد في مسنده، ٨/٢٤٠ رقم الحديث: ٤٦٢٣

(٤) رواه البخاري ج٣/١١٨٥.

وذلك كقوله رحمه الله:(١)

فيهـــا الـــذي واللّـــه لا عـــينٌ رأت   كـــلا ولا ســـمعت بـــه الأذنـــان

ونحن في هذا المشهد أمام صورةٍ محسوسة نرى فيها بعين البصر ونتأمل ذاك النعيم الأبدي في الفردوس الأعلى، حيث كوّن فعل الرؤية حركةً وصورةً دلالية لمشاهد الرؤية البصرية في إيقاعٍ منسجم ومتناسق، فاتسمت هذه الصورة بمشاهد متلاحمة ومتمازجة غير منفصلة عن بعضها البعض لجميع تلك المشاهد التي تخطر على البشر والتي لم تخطر بعد، فإن الإنسان يعجز عن وصف ذاك النعيم مهما تأمل ونظر ببصره وبصيرته.

ولقد اعتنيتُ بالصورة البصرية وجمالها لما لها من أثر في النفس وتحريك للمشاعر والانفعال الوجداني، وكان المغزى من ذلك توضيح مشاهد نعيم الجنة وبيان أثرها وتذوقها الجمالي لزيادة الشحنة الإيمانية لدى المسلم والعمل على علوّ همته للتشمير للجنة والتجهيز لها، فالرسول الكريم يصف لنا الجنة وكأننا ننظر إليها رأي العين، فظهرت لطائف الوصف المرئي المشاهد ما عجز عن وصفه أساطين البيان، فأظهر لنا الجمال التعبيري الذي هز أبصارنا وأشغلها بالتطلع لما أعده الله تبارك وتعالى لعباده الصالحين في الجنان، فاهتزت العواطف وتحركت الأحاسيس والمشاعر للوصول إلى دار الكرامة والنعيم المقيم.

وفي وصفه لخمار الحور العين ونصيفها في الجنة وحللها الشفافة والتي يُرى مخ ساقها من ورائها، فلنتأمل تلك الصورة المشاهدة الحية المثيرة للانتباه والنفس، فيقول:(٢)

ونصـــيفُ إحـــداهن وهـــو خمارهـــا   ليســـت لـــه الـــدنيا مـــن الأثمـــان

ســـبعون مـــن حلـــلٍ عليهـــا لا تعـــو   ق الطـــرفَ عـــن مـــخٍ ورا الســـيقان

لكـــــن تـــــراه مـــــن ورا ذا كلِّـــــه   مثـــل الشـــراب لـــدى زجـــاج أوان

لقد استطاع أن يرسم لنا صورة الحور العين كأنها أمامنا في هذه اللحظة، ونحن نمعن النظر إليها، تارةً لنصيفها وهو على شعرها الفاحم المسدل على كتفيها، وتارةً لسيقانها المركبة من اللؤلؤ والمرجان وما ترتديه من حللٍ بهية وهي تختال في جنات الرضوان.

ويقول **الصباغ في هذا المشهد:** " لقد جاءت الصورة المرئية من خلال التشبيه والوصف، فوجوههم تشع بالنور والضياء، حيث وصف الزوجة في الجنة بالشفافية التي تجعل مخ سوقها يبدو من وراء اللحم، إنه شيءٌ عجيب حقاً "(٣).

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٦٩.

(٢) المصدر السابق، ص٢٧٦.

(٣) التصوير الفني للصباغ، ص ١٦٧.

وفي مشهدٍ مشابهٍ يقول ابن القيم أيضاً:[(١)]

أقـــدامها مـــن فضـــة قـــد ركبـــت — مـــن فوقهـــا ســـاقان ملتفـــان

والســـاقُ مثـــل العـــاج ملمـــوم يُـــرى — مــــخُّ العظـــــام وراءه بعيـــــان

والـــريحُ مســـكٌ والجســـوم نـــواعمٌ — واللـــون كاليـــاقوت والمرجـــان

حيث ظهرت صورة مثيرة مليئة بالحيوية والنشاط، فقد ظهرت ألوان تلك الصورة وهي في غاية البياض والصفاء، كالياقوت والمرجان، فلها أجمل السيقان الناعمة التي لا يرى بها تشقق ولا خشونة ولا يبوسة.

وفي وصفه لأعضائها وأطرافها وحسنها، فيقول رحمه الله تعالى:[(٢)]

والمعصـــمان فـــإن تشـــأ شـــبههما — بســـــبيكتين عليهمـــــا كفـــــان

كالزبـــد لينـــاً فـــي نعومـــة ملمـــسٍ — أصـــــــداف درّ دورت بـــــــوزان

والصـــدر متســـعٌ علـــى بطـــن لهـــا — حفـــت بـــه خصـــران ذات ثمـــان

وعليـــه أحســـنُ ســـرة هـــي مجمـــع الـــ — ـــخصرين قـــد غـــارت مـــن الأعكـــان

إنها صورة تشبيهية حسية مرئية مليئة بتمام اللذة والجمال، فانظر إلى جمال المعصمين والصدر والسرّة والخصر، وألوان تلك الأعضاء التي يعجز العقل البشري أن يستحضر عظمتها وجمالها وبهائها.

ويقول **الصباغ:** " إن النعيم الذي أعده الله لأهل الجنة لا يمكن أن يوصف، لأن مصادر المعرفة البشرية هي الرؤية والسماع والتفكير والخيال، ولأن في الجنة أمور لا تقع تحت وسيلة من تلك الوسائل "[(٣)].

وفي وصفه لعرائس الجنة وحسنهن وجمالهن ولذة اللقاء بهن ووصالهن، فيورد بياناً في قمة الروعة، فقال:[(٤)]

ورأوا علـــــى بُعـــــدٍ خيامـــــاً مشـــــرفا — تٍ مشـــــرقاتِ النـــــور والبرهـــــان

فتيمّمـــــوا تلـــــك الخيـــــام فآنســـــوا — فـــــيهن أقمـــــاراً بـــــلا نقصـــــان

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٨٢.

(٢) المصدر السابق، ص٢٨١.

(٣) التصوير الفني للصباغ، ص١٥٨.

(٤) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٧٨.

مـــن قاصـــراتِ الطـــرف لا تبغـــى ســـوى ... محبوبهـــا مـــن ســـائر الشـــبان

قصـــرت عليـــه طرفَهـــا مـــن حســـنه ... فـــالطرف فـــي ذا الوجـــه للنســـوان

أو أنهـــا قصـــرت عليـــه طرفَـــه ... مـــن حســـنها فـــالطرفُ للـــذكران

فانظر إلى تلك المقطوعة الفنية الرائعة، وكيفية ورود مشهد الرؤية المثير للنفس حال وصول الأزواج إلى خيام زوجاتهم، مع انبثاق النور المشرق من وجوههم وكأنهم أقمارٌ في ليلة البدر، فإن تلك القاصرات لا ينظرن لغير أزواجهن لأنهن عفيفات طاهرات، فطرفها ونظرها مُصان لزوجها لا لغيره، وقد وردت الصورة البصرية في تمام الروعة من خلال التصوير الفني البديعي للمطابقة والمقابلة بين طرف الرجل لزوجته وطرفها له وحسنه لها وحسنها له.

ويقول **سيد قطب:** " فهن عفيفات النظر والملمس، لا يمددن بأبصارهن، ولم يمسسهن إنسٌ ولا جان، وليس هذا وحده، فهن نضرات لامعات ثمينات كأنهن الياقوت والمرجان "[(١)].

ويكمل وصفه لمشاهد الرؤية البصرية فيقول:[(٢)]

حتـــى يحـــار الطـــرف فـــي الحســـن الـــذي ... قـــد أُلبســـت فـــالطرف كـــالحيران

ويقـــول لمـــا أن يشـــاهدَ حســـنها ... ســـبحان معطـــي الحســـن والإحســـان

والطـــرف يشـــرب مـــن كـــؤوس جمالهـــا ... فتـــراه مثـــل الشـــارب النشـــوان

كَمُلـــت خلائقهـــا وأُكمـــل حســـنها ... كالبـــدر ليـــل الســـت بعـــد ثمـــان

والشـــمسُ تجـــري فـــي محاســـن وجههـــا ... والليـــلُ تحـــت ذوائـــب الأغصـــان

فتـــراه يعجـــب وهـــو موضـــع ذاك مـــن ... ليـــلٍ وشـــمسٍ كيـــف يجتمعـــان

لقد ظهرت ملامح التصوير البصري في مشاهد الجنة جلية، وخاصة مشاهد الحور العين مع أزواجهم حيث ورد تجسيم النعيم تجسيماً مادياً ملموساً، وكأنك تلمسه بأصابعك وتحسه بنفسك، وأنت مشتاق لذاك الحضن الدافئ فيتحول المشهد إلى قطعة مصورةٍ من الجمال الذي لا يوصف، ومن هذه المقاطع الجمالية المصورة أيضاً مقطع أهل الجنة وهم يتلذذون بالنظر لأزواجهن الرائعات وحسنهنّ الخلاب، فجعل من هذه الصورة مشهداً حياً تشتاق إليه النفوس في كل لحظة، وخاصة حين يستقرون على سررهم التي نُسجت أطرافها بالذهب نسجاً بديعياً يشرح الصدر، فأي صورة

(١) مشاهد القيامة في القرآن، سيد قطب، ص٢٥١.

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٨٠.

تحجب نور الشمس والقمر أمام ذاك الوجه الناعم المكنون جزاءً لهم بما كانوا يعملونه في الدنيا من أعمال صالحة، فأي نعيم مقيم بعد هذا النعيم.

ويقول **الصباغ:** " وتأتي أفعال الرؤية بصيغة المضارع للمبالغة في إضفاء الواقعية حتى تبدو أحداثها وكأنها تجري الآن" [(١)].

فكانت القصيدة كالعقد المنظوم من الدرر الفريدة وحبات اللؤلؤ، كيف لا وهي تصف ما في الجنان من كرامات لم تخطر على قلب البشر، فجاءت تلك المشاهد الممتلئة بالحركة والحيوية والمتفاعلة مع الحاضر والمستقبل.

وفي وصفه لصورة الأزواج أيضاً، فيقول ابن القيم رحمه الله تعالى:[(٢)]

وكلاهمـــــا مـــــرآة صـــــاحبه إذا ... مـــا شـــاء يبصـــر وجهـــه يريـــان

فيـــرى محاســـن وجهـــه فـــي وجههـــا ... وتـــرى محاســـنها بـــه بعيـــان

حمـــر الخـــدود ثغـــورهن لآلـــئ ... ســـود العيـــون فـــواتر الأجفـــان

والبـــرق يبـــدو حـــين يبســـم ثغرهـــا ... فيضـــيء ســـقف القصـــر بالجـــدران

فالرجل ينظر بعينيه في وجه زوجته، فهي مرآته إذا ما شاء أن يرى وجهه في وجهها رآه، فهو يرى محاسن وجهه في وجهها، فيرى حمرة الخدود، والتي هي أصفى من لون الورود، وينظر إلى ثغرها حين تبتسم كأنها لؤلؤٌ منضود يسطع منه البرق فيضيء جوانب القصر وسقفه، فأي حركة دائبة مثيرة لتلك الرؤية المتناسقة.

وفي رسمه لصورة أهل الجنة وهم ينظرون إلى وجه ربهم الكريم، فإنه يقول:[(٣)]

ويرونـــه ســـبحانه مـــن فـــوقهم ... نظـــر العيـــان كمـــا يـــرى القمـــران

فالمؤمنون في الجنة يرون ربهم سبحانه من فوقهم رؤية حقيقية بأبصارهم كما يُرى الشمس والقمر.

ثم ينتقل بنا لوصف لحظة خروج الله تبارك وتعالى لعباده المؤمنين وسلامه عليهم، فيقول:[(٤)]

بينمـــا هـــم فـــي عَيشـــهم وســـرورهم ... ونعـــيمهم فـــي لـــذة وتهـــاني

---

(١) التصوير الفني للصباغ، ص٢٠٤.

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٨٧.

(٣) المصدر السابق، ص٢٨١.

(٤) المصدر السابق، ص٢٨٨.

وإذا بنـــورٍ ســاطعٍ قـــد أشـــرقت	**منـــه الجنـــان قصـــيها والـــداني**
رفعـــوا إليـــه رؤوسَـــهم فـــرأوه نـــو	**رَ الـــرب لا يخفـــى علـــى إنســـان**
وإذا بـــــربهم تعـــــالى فـــــوقهم	**قـــد جـــاء للتســـليم بالاحســـان**
قـــال: الســـلام علـــيكم فيرونـــه	**جهـــراً تـــراه مـــنهم العيـــان**

حيث رسم صورة مرئية لحديث جرير بن عبد الله البجليﷺ والذي قال فيه: كنا عند النبي ﷺ فنظر إلى القمر ليلة أربعة عشر فقال: " إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس، وقبل غروبها فافعلوا" ثم قرأ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [طه: ١٣٠][(١)].

ويشير أيضاً إلى قوله تعالى: ﴿سَلَامٌ قَوْلاً مِن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾[يس: ٥٨]، ويبين أن صلاة الفجر والعصر من أعظم العبادات التي تكون سبباً لرؤية الله تعالى في الجنة، وأن الجنة لا قيمة لها دون لذة النظر إلى وجه الله الكريم، لأنه أعلى النعيم في الجنة، وأن أشد العذاب على أهل النار احتجاب الله عليهم، فتقطع قلوبهم من الحرمان، ويمكثوا في آلامهم وحسراتهم مدي الأزمان، فلننظر جميعاً إلى تلك الصورة البهية المشرقة من الجنان حين يخرج الكريم المنان علينا فنرفع رؤوسنا ناظرين متمتعين نسلّم على ربنا ونصافحه في جنة عرضها السموات والأرض.

ويقول **الصباغ**: " وقد يأتي المشهد الحي مستكملاً لجميع عناصر الحيوية، فصورة الحوار مثيرة، والمفاجآت الضخمة والتشبيهات الرائعة، فرؤية الله مشابهة لرؤيتنا القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب في الوضوح وزوال المشقة "[(٢)].

وقوله في رؤية وجه الله عز وجل:[(٣)]

شـــوقاً إليـــه ولـــذة النظـــر التـــي	**بجـــلال وجـــه الـــرب ذي الســـلطان**
تلتـــذ بـــالنظر الـــذي فـــازت بـــه	**دون الجـــوارح هـــذه العينـــان**
واللّـــه مـــا فـــي هـــذه الـــدنيا ألـــذّ	**مـــن اشـــتياق العبـــد للـــرحمن**
وكـــذاك رؤيـــةُ وجهـــه ســـبحانه	**هـــي أكمـــل اللـــذات للإنســـان**

---

(١) رواه البخاري ٢٠٩/١، ورواه مسلم ج٤٣٩/١.
(٢) التصوير الفني للصباغ، ص٢١٩.
(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٩٠.

حيث تمثلت الصورة البصرية المرئية دون غيرها من الحواس، وهذا من تمام اللذة والنعيم، فلا شيء ألذ للقلب ولا أبهج للنفس من لذة النظر لوجه الله الكريم.

ويقول **سيد قطب:** " لقد سار تصوير المشهد على نسقٍ خاص، حيث جاءت الرؤية وكأنها حاضرة الآن، وقد رأينا صورة النعيم ترتسم على الوجوه وتبدو في القسمات، تلك وجوه أهل النعيم"(١).

وقوله كذلك:(٢)

وإذا رآه المؤمنـــــون نســـوا الــــذي	**هـــم فيـــه ممـــا نالـــت العينـــان**
فـــإذا تـــوارى عـــنهم عـــادوا إلـــى	**لــــذاتهم مـــن ســـائر الألـــوان**
فلهـــم نعـــيم عنـــد رؤيتـــه ســـوى	**هـــذا النعـــيم فحبـــذا الأمـــران**

حيث رسم صورة بصرية في قمة الإبداع من خلال فعل الرؤية واشتقاقه، فالله يتجلى بوجهه الكريم لعباده المؤمنين في الجنة، فإذا رأوه بأعينهم نسوا ما هم فيه من النعيم، ووجّهوا أبصارهم نحوه متمتعين مستأنسين بلذة النظر لوجهه الكريم، ونعيم الرؤية هو أجلّ النعيم وأشرفه.

وهناك نعيم غير مادي يحسه الإنسان بجوارحه وقلبه، يتمثل بالسعادة والهناء والسرور الذي يشعر به أهل الجنة نتيجة تمتعهم بنعيمها وملذاتها ومتعة الفوز بالجنة ولذة النظر لوجه العزيز الجبار، والراحة من الدنيا وأوصابها ومشاكلها بالاستقرار في الجنة ومتعة الأمن والسلام من الخوف والفرحة بالنجاة من النار ودخول الجنة، وهناك نعمة لا تعادلها نعمة وفضل عظيم هو رضا الله سبحانه ورضوانه عن عباده من الصالحين المتقين الذين يدخلهم جنته.

وقوله أيضاً:(٣)

واللّـــه لـــولا رؤيـــة الـــرحمن فـــي الـــ	**ـــجنات مـــا طابـــت لـــذي العرفـــان**
أعلـــى النعـــيم نعـــيم رؤيـــة وجهـــه	**وخطابـــه فـــي جنـــة الحيـــوان**

يقول **الهراس** في هذا المشهد: " ففي يوم القيامة يتلذذ المؤمن بالنظر إلى وجه اللّه الكريم الذي هو حظ العين من دون الجوارح ، والحقيقة أنه ليس في الآخرة لذة تعدل لذة النظر إلى وجهه

(١) مشاهد القيامة في القرآن، سيد قطب، ص ٨٠.
(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٩٠.
(٣) المصدر السابق، ص٢٨٩.

سبحانه وتعالى، وقد أضاف الرؤية إلى الوجه الذي هو محل الرؤية، إذ هو مشتمل على العينين اللتين تقع بهما، مما ينفي كل توهم ويزيل كل لبس"[١].

وفي قوله أيضاً:[٢]

فيـــــرون ربهـــــم تعـــــالى جهـــــرةً   نظـــر العيـــان كمـــا يُـــرى القمـــران

إنها صورة تحفز الإنسان أن يسأل ربه لذة النظر إلى وجهه والشوق إلى لقائه، فإن هذه الرؤية من أكمل اللذات لك يا أيها المؤمن الكريم على الله تعالى.

وقوله في مشهدٍ مشابهٍ أيضاً:[٣]

إنّ العبـــــاد يرونـــــه ســـــبحانه   رؤيـــا العيـــان كمـــا يُـــرى القمـــران

ويورد **الصباغ** قوله في هذا المشهد فيقول: " هنا تكون المفاجأة، فالذي يرونه في الجنة لم تره عين، فيكشف الله الحجاب فينظرون إلى ربهم تبارك وتعالى فتصغر أمام هذه النعمة الجليلة الجديدة كل هاتيك النعم، وقد جاءت الصورة عن طريق الوصف "[٤].

وفي وصفه للأزواج وهم في الخيام المجوفة من اللؤلؤ، فيقول:[٥]

للعبـــد فيهـــا خيمـــة مـــن لؤلـــؤٍ   قـــد جُوّفـــت هـــي صـــنعة الـــرحمن

ســـتون مـــيلاً طولهـــا فـــي الجـــو فـــي   كـــل الزوايـــا أجمـــل النســـوان

يغشـــى الجميـــع فـــلا يشـــاهد بعضـــهم   بعضـــاً وهـــذا لاتســـاع مكـــان

يقول **الصباغ:** " إنها صورة في غاية الروعة، فيالله ما أوسعها، إنها خيمة ليست كالخيام، إنها لؤلؤةٌ واحدة مجوفة، فلا يرى سكانها بعضهم بعضاً لتباعد ما بين أطرافها وسعتها العظيمة، ففي هذه الصورة لوحة فنية بيانية من خلال الكناية عن الثواب الكبير الذي أعده الله تبارك وتعالى للمؤمنين، ففي الجنة قصور وغرف وخيام، فما أجمل تلك الصورة "[٦].

---

(١) شرح القصيدة النونية للهراس، ج٢/٤١٣-٤٢١.

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٩٢.

(٣) المصدر السابق، ص٢٨٩.

(٤) التصوير الفني للصباغ، ص١٦٥.

(٥) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٧٠.

(٦) التصوير الفني للصباغ، ص١٦٢.

وفي رسمه لمشهد الولدان المخلدون الذين يطوفون على أهل الجنة، فيقول:[١]

وتـــدور كاســـاتُ الرحيـــق عليهمـــا بـــأكف أقمـــارٍ مـــن الولـــدان

ويقول **سيد قطب في هذا المشهد:** " ثم نشاهد الغلمان المخلدين، فلا يفعل فيهم الزمنُ ولا تؤثر فيهم السن، وهم في نضارة وبهجة إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً، ثم يمتد بنا السياق بأبصارنا إلى المشهد كله، وإلى ما وراء تلك الجزئيات، فإلى هنالك حيثما اتجه النظر نعيم عظيم وملك كبير "[٢].

أما في وصفه الرائع في مقابلة الحوراء لنور الشمس والقمر، وطمس نورها لهما، فيقول:[٣]

مـا فـي الخيـام سـوى التـي لـو قابلـت للنيّـــرين لقلـــت منكســـفان

خيـــراتٌ أخـــلاقٌ حســـانٌ أوجهـــاً فالحســـنُ والإحســـان متفقـــان

لقد رسم صورة جليةً مشاهَدةً في تمام الروعة والبيان حين تقابل الحور العين زوجها في الجنان وما تحدثه من كسوف لنور الشمس والقمر.

وفي رسم مشاهد الحلي والأساور ولباس الحرير، فيقول:[٤]

والحلـــيُ أصـــفى لؤلـــؤٍ وزبرجـــدٍ وكـــذاك أســـورةٌ مـــن العقيـــان

حيث يقول **سيد قطب** في رسم صورة هذا المشهد: " لقد تكشف المشهد عن نعيم مادي ملموس، ونعيم نفسي محسوس، فهم يُحلَّون فيها من أساورَ من ذهبٍ ولؤلؤاً ولباس الحرير، وهذا بعض المتاع المادي الذي يلبي رغبة الترف في كثير من النفوس وبجانبه ذلك الرضا والأمن والاطمئنان، فاجتمع لهم في هذا الجو جميع اليسر والراحة والنعيم "[٥].

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٨٤.
(٢) مشاهد القيامة في القرآن، سيد قطب، ص٢٥٥.
(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٧٠.
(٤) المصدر السابق، ص٢٧٧.
(٥) مشاهد القيامة في القرآن، سيد قطب، ص ١١٧.

المبحث الثاني
الصورة السمعية وأثرها في بناء النص

وهي الصورة التي سنقدم من خلالها ما أخبرنا به الصادق المصدوق ﷺ، وذلك مما سمعه من كلام ربه تبارك وتعالى من القرآن الكريم وما أخبره به جبريل عليه السلام.

أثر الصورة الذهنية في تشكيل الصورة السمعية:

إنّ الصورة المتخيلة أو المتصورة تحاكي صورة الأشياء في الوجود والتصور أو التخيل لتكوين الصورة، لذلك لابد أن يُعتمد الفكر شرطاً لتحقيق هذا الوجود، وهكذا فإن الصورة الفنية لابد أن تمر بثلاثة مراحل هي:

أولاً: الصورة : هي الأصل المنظور أو المتخيل من عناصر لها أصل في الحقيقة.

ثانياً: التصور: وهو عمل ذهني يقوم الشاعر من خلاله بجمع عناصر الصورة مطابقة لرؤية بصرية سابقة، أو لرؤى من خياله و فكره قد تستند إلى عناصر الواقع، أو تبدع عالماً يشبه الواقع حتى نستطيع إدراكه.

ثالثاً: التصوير: وهو النتيجة المتحصلة من المرحلتين السابقتين يبرزها الشاعر للوجود بواسطة اللغة الشاعرية المعبرة.

وفي تفسير تلك الصورة الذهنية، يقول **حازم القرطاجني**: " إن المعاني هي الصور الحاصلة في الأذهان عن الأشياء الموجودة في الأعيان، فكل شيء له وجود خارج الذهن، فإنه إذا أُدرك حصلت له صورة في الذهن تطابق ما أدرك منه، فإذا عبّر عن تلك الصورة الذهنية الحاصلة عن الإدراك، أقام اللفظ المعبَّر به هيئة تلك الصورة الذهنية في أفهام السامعين وأذهانهم، فصار للمعنى وجود آخر من جهة دلالة الألفاظ "[١].

ويقول **سيد قطب**: " يكون التصوير باللون وتصوير بالحركة وتصوير بالتخييل وتصوير بالنغمة والوصف والحوار وجرس الكلمات ونغم العبارات وموسيقى السياق في إبراز صورة من الصور تتملّاها العين والأذن والحس والخيال والوجدان"[٢].

ونظير هذا القول ما أورده ابن القيم في صفة الجنة التي أعدها اللّه ذو الفضل والمنّة لأوليائه المتمسكين بالكتاب والسنّة:[٣]

---

(١) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، أبو الحسن حازم القرطاجني، تحقيق محمد بن الحبيب الخوجة، مطبعة دار الكتب الشرقية، تونس ١٩٦٦م، ص ١٨-١٩.

(٢) التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، ص٣٧.

(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٥٩- ٢٦٠.

فاســـمع إذاً أوصـــافها وصـــفات هـــا — تيـــك المنـــازل ربـــة الإحســـان

هـــي جنـــةٌ طابـــت وطـــاب نعيمهـــا — فنعيمهـــا بـــاقٍ ولـــيس بفـــان

دارُ الســـلام وجنـــة المـــأوى ومنـــ — ـــزلُ عســـكر الإيمـــان والقـــرآن

فالـــدار دار ســـلامةٍ وخطـــابهم — فيهـــا ســـلامٌ واســـم ذي الغفـــران

فاعلم أنها جنة طيبة قد تمحض طيبها، فلا يلحقها خبث ولا أذى، وطاب نعيمها فهو باقٍ لا يبيد ولا يفنى، وهو صافٍ من كل شوب فلا يمازجه كدرٌ ولا يعرض له عطب ولا عفن، ولا تبلى جدته ولا تذبل نضارته.

ولأن الجنة طيبة كانت دار الطيبين، فلا يدخلها إلا من صلح وطاب، فقال تعالى: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢].

وقد رسم لنا صورة سمعية في قمة الروعة والبيان، وذلك من خلال ما أخبرنا به رسولنا الكريم ﷺ في عدد درجات الجنة وأبوابها ومقدار المسافة بين مصراعيها ومفاتيحها ومنشور الجنة الذي يوقعه رب العالمين لأهل الجنان، وصفوف أهل الجنة ومنازلهم وآخر من يدخلها من المؤمنين وما يعطيه رب العالمين لعباده المؤمنين، وسنّ أهل الجنة وريح الجنة ومسيرها وأسبق الناس دخولاً لها من الفقراء والمساكين ومراتب الأنبياء وأسبق أهل الجنة من باقي الخلق المكرمين، وفي سماع واهتزاز أغصانها وريحها، ولذاذة ذاك السماع الذي فاق سماع النغمات والأوزان، وسماع أصوات الحور العين وهنّ يغنينَ لأزواجهنّ ويتحببن لهم بأحلى الكلام قائلات: نحن النواعم والخوالد كاملات الحسن والإحسان وكلام تلك الأزواج الذي يسبي العقول وتحببهن وتغنجهن وحسن تبعلهن وملاحتهن، وفي تكليم رب العالمين لعباده في الجنان وسماع صوته ولذيذ خطابه وهو يتلو الفرقان عليهم، ورد السلام عليهم، وسماع منادي الإيمان وهو ينادي على أهل الجنة بأن لهم حياة سرمدية بلا موت وعافية دون سقم ونعيم ما به بؤس ولا شقاء، وشباب ما به هرم وإخبارهم بموعد اللقاء مع ملك الملوك جل في علاه، وإحلال رضوانه ورحمته على عباده المكرمين، وفي يوم المزيد وما أعده الله تبارك وتعالى لأهل الجنة من تلك الكرامات والهدايا والقربات، وسماع خبر ذبح الموت بين الجنة والنار، وتسبيح العباد لربهم تبارك وتعالى وأن هذا التسبيح والذكر يأتي شفيعاً لأصحابه لمن كان ملفوفاً في أكفانه داخل القبر، وإخباره أن الجنة قيعان وأن غراسها هو التسبيح والتحميد والتكبير والاستغفار إلى غير ذلك من اللذات والنعائم الكريمة.

ففي ذكر أعلى أهل الجنة منزلة وأدناهم، يقول رحمه الله:(١)

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٦٤.

أو مـــا ســـمعت بـــأن آخـــر أهلهـــا يعطيـــه ربُّ العـــرش ذو الغفـــران

أضـــعاف دنيانـــا جميعـــاً عشـــر أمـــ ـــثالٍ لهـــا ســـبحان ذي الإحســـان

حيث وردت الصورة السمعية من خلال ما أخبرنا به رسولنا الكريم ﷺ أن موسى عليه السلام سأل ربه ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ فقال: رجل يجيء بعد ما دخل أهل الجنةِ الجنةَ، فيقال له ادخل الجنة، فيقول رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذَاتِهم، فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل ملكٍ من ملوك الدنيا؟ فيقول رضيتُ رب، فيقول لك ذلك ومثلَه ومثله ومثله ومثله فقال في الخامسة رضيت رب، قال رب فأعلاهم منزلة؟ قال: أولئك الذين غرستُ كرامتهم بيدي وختمت عليها، فلم ترَ عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر.

وكقوله أيضاً:[١]

فيهـــا الـــذي واللّـــه لا عـــينٌ رأت كـــلا ولا ســـمعت بـــه الأذنـــان

ونلتقي في هذا البيت مع الشطر الثاني والذي يختص بالصورة السمعية، فالله تبارك وتعالى أعد لعباده المؤمنين ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت من ذاك النعيم، فضلاً عن ذلك فإن هناك نعيماً غير مادي، يحسّه الإنسان بجوارحه وقلبه، يتمثل بالسعادة والهناء والسرور الذي يشعر به أهل الجنة نتيجة تمتعهم بنعيمها وملذاتها ومتعة الفوز بالجنة، والراحة من الدنيا وأوصابها ومشاكلها بالاستقرار في الجنة ومتعة الأمن والسلام من الخوف والفرحة بالنجاة من النار ودخول الجنة وهناك نعمة لا تعادلها نعمة وفضل عظيم هو رضا الله سبحانه ورضوانه عن عباده من الصالحين المتقين الذين يدخلهم جنته.

" وهذا التصوير الحيّ منتزع من عالم الأحياء، ليس مجرد ألوان مجردة أو خطوط جامدة أو مقاييس وأبعاد، بل تصوير بالإحساس والوجدان"[٢].

وفي ذكره لسن أهل الجنة، فقال:[٣]

هـــذا وســـنّهم ثـــلاثٌ مـــع ثـــلا ثـــين التـــي هـــي قـــوة الشـــبان

وصـــغيرُهم وكبيـــرهم فـــي ذا علـــى حـــدٍ ســـواء مـــا ســـوى الولـــدان

" فإن أهل الجنة جميعاً على تفاوت أسنانهم في الدنيا يكونون على هذه السن الواحدة التي هي وقت اكتمال الشباب وعنفوانه وهي ثلاث وثلاثون سنة، ولا يستثنى من ذلك إلا الولدان الذين

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٦٩.
(٢) التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، ص٣٧-٣٨.
(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٦٤.

هم خدم الجنة، وهذا ما أورده الصادق المصدوق مما سمعه من أمين السماء جبريل عليه السلام أن أهل الجنة يبعثون على صورة آدم في ميلاد ثلاث وثلاثين سنة جرداً مرداً مكحلين ثم يذهب بهم إلى شجرة في الجنة فيكسون منها لا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم"(١).

وفي رسمه للصورة السمعية لأسبق الناس دخولاً للجنة، فقال:(٢)

هـــذا وأولهـــم دخـــولاً خيـــرُ خلـــــق اللّـــه مـــن قـــد خـــصّ بـــالقرآن

والأنبيـــاءُ علـــى مـــراتبهم مـــن التـــــفضيل تلـــك مواهـــب المنـــان

هـــذا وأمـــة أحمـــد سُـــبّاق بـــا قـــي الخلـــق عنـــد دخـــولهم بجنـــان

يقول **الهراس:** " فالنبي ﷺ أول من يقرع باب الجنة، فهو أول الناس خروجاً إذا بعثوا، وهو خطيبهم إذا أنصتوا، وقائدهم إذا وفدوا وشافعهم إذا حبسوا، ومبشرهم إذا أيسوا، فإن لواء الحمد بيده ومفاتيح الجنة يومئذٍ بيده، وهو أكرم ولد آدم على ربه ولا فخر "(٣).

والأنبياء بعد ذلك على درجاتهم في الفضل عند الله، وتصديق ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴾ [الإسراء:٥٥]، ثم أمة محمد المكرّمة، فهم الآخرون في الخلق والسابقون لدخول الجنة.

أما في هذه الصورة، فيرسم مشهداً فنياً رائعاً حين يعلو صوت منادي الإيمان وهو يخبرنا عن دوام صحة أهل الجنة ونعيمهم وشبابهم واستحالة موتهم ونومهم، فقال:(٤)

أو مـــا ســـمعتَ منـــادي الإيمـــان يخـــــبر عـــن منـــاديهم بحســـن بيـــان

لكـــم حيـــاةٌ مـــا بهـــا مـــوتٌ وعـــا فيـــةٌ بـــلا ســـقمٍ ولا أحـــزان

ولكـــم نعـــيمٌ مـــا بـــه بـــؤسٍ ومـــا لشـــبابكم هـــرمٌ مـــدى الأزمـــان

" ففي هذا المشهد تتكشف آفاق وراء آفاق من التناسق والاتساق، فمن نظم صحيح إلى سرد عذب مترابط، إلى نسق متسلسل، إلى تعبير مصور، إلى تصوير مشخص، إلى تخييل مجسم، إلى موسيقى منغمة، إلى اتساق في الأجزاء وتناسق في الموسيقي، فيتم الإبداع"(٥).

---

(١) شرح القصيدة النونية للهراس، ج٢/٣٤٩.
(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٦٦.
(٣) شرح القصيدة النونية للهراس، ج٢/٣٥٤.
(٤) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٩٤.
(٥) التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، ص١٢٤.

وقد أورد الصورة السمعية ومنادي الإيمان ينادي بصوتٍ تسمعه الخلائق جميعاً، ثم رد السلام من الملك الجبار جل في علاه﴿ سَلَامٌ قَوْلاً مِن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾[يس: ٥٨].

أما في وصفه سماع أهل الجنة، فقال:(١)

قال ابن عباسٍ ويرسل ربنا	**ريحاً تهزّ ذوائبَ الأغصان**
فتثير أصواتاً تلذ لمسمع الـ	**إنسان كالنغمات بالأوزان**
يا لذةَ الأسماع لا تتعوّضي	**بلذاذة الأوتار والعيدان**

إنّ أهل الجنة حين يشتهون السماع ويذكرون لهو الدنيا وهم تحت شجرة طوبى يرسل اللّه إليهم ريحاً تهز أفنان الشجرة فتنطلق منها أنغام وأصوات هي ألذ في السمع من كل أنغام الدنيا وألحانها.

وكقوله أيضاً:(٢)

أو ما سمعتَ سماعهم فيها غنا	**ءُ الحور بالأصوات والألحان**

ويقول **ابن عيسى**: " إن أهل الجنة في روضة يُحبرون، والحبرة هي اللذة والسماع، فلذة الأذن بالسماع من الحبرة والنعم "(٣).

فالحور العين يغنين في كل صباح بأعذب الألحان، حيث إنهن يجتمعن في الجنة فيرفعن أصواتهن بأصوات لم تسمع الخلائق مثلها.

ويصف ابن القيم مشهداً سماعياً في قمة الروعة، فيقول:(٤)

واهاً لذيّاك السماعِ فإنه	**مُلئت به الأذنان بالإحسان**
واهاً لذياك السماع وطيبه	**من مثل أقمارٍ على أغصان**
واهاً لذياك السماع فكم به	**للقلب من طربٍ ومن أشجان**
واهاً لذياك السماع ولم أقل	**ذياك تصغيراً له بلسان**

ويقول **الهراس** في هذا المشهد: " فوا لهفتا على ذلك السماع التي تمتلئ منه الآذان لذةً

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٧٢- ٢٧٣.

(٢) المصدر السابق، ص٢٧٣.

(٣) توضيح المقاصد وتصحيح القواعد، ج٢/٥١٨.

(٤) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٧٣.

ونشوة، ووا لهفتا لذلك السماع وطيبه حين تنطلق به حناجر الحور الحريرية الناعمة وتتمايل عنده رؤوسهن كأنها أقمارٌ على أغصان، ووا لهفتا لذلك السماع الذي ملأ القلوب طرباً وشجناً، ولم أقل بذياك بصيغة التصغير تحقيراً له وتهويناً من شأنه، فما ظنك بأطيب صوتٍ في أعذب لحنٍ يخرج من أجمل امرأة، لا شك أنه قد اجتمعت له كل عناصر اللذة والإمتاع "[١].

ويقول في حديث الحور العين لأزواجهن، ويقول:[٢]

نحـــن النـــــواعمُ والخوالــــد خيّـــرا ... تٌ كـــاملاتُ الحســـن والإحســـان

لســـنا نمـــوتُ ولا نخـــاف ومـــا لنـــا ... ســـخطٌ ولا ضـــغنٌ مـــن الأضـــغان

حيث إن الحور العين يغنين أزواجهن بأحلى الكلام وطيبه، فيقلن: نحن الخالدات فلا نموت، ونحن الآمنات فلا نخاف، ونحن المقيمات فلا نظعن، وقد جاءت الصورة السمعية لهذا المشهد واصفة لأصوات تلك الأوانس الجميلات وسماع أهل الجنة لغنائهن.

وقوله في إخبار ذاك المنادي وهو ينادي على أهل الجنة ويبشرهم بوعد الله لهم وإنجازه لذاك الوعد:[٣]

أوَ مـــا ســـمعتَ منـــادي الإيمـــان يخـــ ... ـــبر عـــن منـــادي جنـــة الحيـــوان

يـــا أهلَهـــا لكـــم لـــدى الـــرحمنِ وعـــ ... ـــدٌ وهـــو منجـــزه لكـــم بضـــمان

قـــالوا أمـــا بيّضـــت أوجهَنـــا كـــذا ... أعمالنـــــا أثقلـــتَ فـــــي الميـــزان

وكـــذاك قـــد أدخلتَنـــا الجنـــات حيـــ ... ـــن أجرتنـــا مـــن مـــدخل النيـــران

فيقـــول عنـــدي موعـــدٌ قـــد آنَ أن ... أعطيكمـــــوه برحمتـــــي وحنـــــاني

لقد رسم لنا صورةً سمعية في أبهى حللها، حيث أخبر عن سماع صوت ذاك المنادي في جنات النعيم وهو ينادي على أهل الجنان بصوت تسمعه جميع الخلائق، فيقول: يا أهل الجنة إن ربكم تبارك وتعالى يستزيركم فحيّ على زيارته، فيقولون سمعاً وطاعة وينهضون إلى الزيارة مبادرين فإذا بالنجائب قد أُعدت لهم فيستوون على ظهورها مسرعين حتى إذا انتهوا إلى الوادي الأفيح الذي جعل لهم موعداً وجُمعوا هناك فلم يغادر الداعي منهم أحداً، أمر الله تبارك وتعالى بكرسيّه فنصب هناك، ثم نصبت لهم منابر من نور ومنابر من لؤلؤٍ ومنابر من زبرجدٍ ومنابر من ذهبٍ ومنابر من فضةٍ وجلس أدناهم على كثبان المسك ما يرون أن أصحاب الكراسي فوقهم في العطايا، حتى إذا

---

(١) شرح القصيدة النونية للهراس، ج٢/٣٧٢.

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٧٣.

(٣) المصدر السابق، ص٢٨٩.

استقرت بهم مجالسهم واطمأنت بهم أماكنهم نادى المنادي: يا أهل الجنة إن لكم عند اللّه موعداً يريد أن ينجزكموه فيقولون ما هو؟ ألم يبيّض وجوهنا ويثقّل موازيننا ويدخلنا الجنة ويزحزحنا عن النار، فبينما هم كذلك إذ سطع لهم نور أشرقت له الجنة فرفعوا رؤوسهم فإذا الجبار جل جلاله وتقدست أسماؤه قد أشرف عليهم من فوقهم وقال: يا أهل الجنة سلام عليكم، فلا ترد هذه التحية بأحسن من قولهم: اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام، فيتجلى لهم الرب تبارك وتعالى يضحك إليهم ويقول: يا أهل الجنة، فيكون أول ما يسمعون منه تعالى: أين عبادي الذين أطاعوني بالغيب ولم يروني؟ فيجتمعون على كلمة واحدة أن قد رضينا فارضَ عنا، فيقول: يا أهل الجنة لو لم أرضَ عنكم لم أسكنكم جنتي هذا يوم المزيد فاسألوني، فيجتمعون على كلمة واحدة أرنا وجهك ننظر إليه، فيكشف لهم الرب جل جلاله الحجب ويتجلى لهم، فيغشاهم من نوره ما لو أن اللّه تعالى قضى أن لا يحترقوا لاحترقوا ولا يبقى في ذلك المجلس أحد إلا حاضره ربه تعالى محاضرة حتى أنه ليقول له يا فلان: أتذكر يوم فعلت كذا وكذا...؟ فما أجمل ذاك المشهد وأهل الجنة يتمتعون بلذة سماع رب العالمين ومحاضرته لهم وحواره معهم، وإحلال رضوانه عليهم.

وفي وصفه لتكليم رب العالمين لعباده في الجنة قبل كشف الحجاب، وتلاوة القرآن عليهم فيقول رحمه الله:(١)

ويسلّم الرحمنُ جلّ جلاله	**حقاً عليهم وهو في القرآن**
وكذاك يسمعهم لذيذَ خطابِه	**سبحانه بتلاوة الفرقان**

حيث يقول **سيد قطب** في هذا المشهد: " لقد جاءت صورة الجنة هادئةً ساكنة، فلا فضول في الحديث ولا ضجة ولا جدال، وإنما يُسمع فيها صوت واحد يناسب هذا الجو الحالم الراضي هو صوت السلام "(٢).

فالله تبارك وتعالى يخرج على عباده في الجنة ويسلم عليهم ثم يسمعهم لذيذ صوته بتلاوة القرآن، فما يسمع أهل الجنة أروع ولا أجمل من ذلك الصوت الذي تعلق به القلوب شوقاً وإجلالاً وحباً. " وقد أدّى تصوير الجنة غرضاً بيانياً رائعاً، مما جعل السامع يتجاوب مع النص بطريقة رائعة "(٣).

وفي وصفه لغراس الجنة وهو الكلم الطيب والعمل الصالح، فقال:(٤)

أو ما سمعتَ بأنها القيعانُ فاغـ	**ـرس ما تشاء بذا الزمان الفاني**

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٩١.

(٢) مشاهد القيامة في القرآن، سيد قطب، ص١١٩.

(٣) التصوير الفني للصباغ، ص١٤٨.

(٤) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٩٦.

وغراسـها التسـبيح والتكبيـر والتـ ـحميد والتوحيـد للـرحمن

حيث ظهرت الصورة السمعية من خلال حديث رسول الله ﷺ والذي قال فيه: " لقيتُ إبراهيم ليلة أسري بي فقال: يا محمد: أقرئ أمتك مني السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء، وأنها قيعان، وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر " (١).

ويقول **الهراس:** " إن أرض الجنة مستوية ليس فيها غراس، وأن الإنسان بسعيه وعمله في أيام عمره يغرس لنفسه ما يشاء من تسبيح وتهليل وذكر لله" (٢).

" لقد جاءت مشاهد القيامة وصور النعيم في منطقٍ يلمس الحسّ ويوقظ الخيال، فيلمس البصيرة ويوقظ الوجدان ويهيئ النفس للاقتناع والإذعان"(٣).

أما في رسمه لصورة من عشق سماع الأغاني في الدنيا، فقال:(٤)

نـزّه سـماعك إن أردتَ سـماعَ ذيـّ ـاك الغِنـا عـن هـذه الألحـان

لا تـؤثر الأدنـى علـى الأعلـى فتحـ ـرم ذا وذا يـا ذلـة الحرمـان

إن اختيـارك للسـماع النـازل الـ أدنـى علـى الأعلـى مـن النقصـان

فإن أردت أن تحظى بسماع ذلك الغناء فنزّه سمعك عن هذه الألحان المدنسة المنطلقة بسعار الشهوة، ولا تؤثر هذا الأدنى الخسيس على الأعلى الشريف النفيس، فيكون مآلك أن تحرمهما جميعاً، وما أقسى الحرمان وما أصعبه، وإن إيثارك هذا السماع الدنيء المنحط على السماع العلوي الكريم من أمارات نقصانك في عقلك وإيمانك، فكيف يؤثر عاقل لذة حقيرة تفوت وتذهب على لذة عالية تبقى وتخلد.

وقوله أيضاً:(٥)

واللهِ إنَّ سـماعهم فـي القلـب والـ إيمـان مثـلُ السّـمّ فـي الأبـدان

والله مـا انفـك الـذي هـو دأبـه أبـداً مـن الإشـراك بـالرحمن

ويقول **الهراس:** " واللّه إن سماع هذه الألحان لأشد فتكاً بالقلب والإيمان من فتك السموم بالأبدان، وأن الذي يجعل هذا السماع ديدنه ويغرم به لا ينفك أبداً من الإشراك بالرحمن،

---

(١) رواه الترمذي، ج٥/٣٨٧.

(٢) شرح القصيدة النونية للهراس، ج٢/ ٤٣٧.

(٣) التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، ص٢٣٠.

(٤) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٧٣.

(٥) المصدر السابق، ص٢٧٣.

فإن القلب هو بيت الرب جل جلاله ووعاء محبته ومعرفته والإخلاص له"[١].

وقد جاءت الصورة الفنية السمعية حاضرة من خلال تشبيه تلك الأغاني وعملها في القلب كالسموم القاتلة التي تفتك بالإنسان.

وفي قوله أيضاً:[٢]

فالقلب بيت الرب جل جلاله حباً واخلاصاً مع الإحسان

فإذا تعلق بالسماع أصاره عبداً لكل فلانةٍ وفلان

ويقول **ابن عيسى:** " لقد استزلهم الشيطان واستغوى عقولهم في حب الأغاني واللهو وسماع الطقطقة والتغبير، وأقل شيءٍ في هذا الغناء أنه من شعار الفسّاق وشاربي الخمر، وقد اشتمل سماع الأغاني على كل مفسدة وكل محرّم"[٣]، وقد تجلت لنا الصورة السمعية في أعلى مراتبها من خلال إبرازها عن طريق الصورة التشبيهية والاستعارة، والتي رسمت ذاك المشهد السمعي الرائع.

أما فيما أورده عن يوم المزيد وما أعده الله لعباده من الكرامات والهدايا، فيقول رحمه الله:[٤]

أو ما سمعتَ بشأنهم يوم المزيـ ـد وأنه شأنٌ عظيمُ الشأن

هو يوم جمعتِنا ويومُ زيارة الـ ـرحمن وقت صلاتنا وأذان

حيث أورد الصورة السمعية في هذا المشهد لتشويقنا وعلو همتنا للوصول لتلك الكرامة التي منّ الله على عباده، " فالله تعالى يسلّم عليهم ويحاضرهم ويعاتبهم ويذكرهم بذنوبهم ويحل عليهم رضوانه ويمنحهم الهدايا والكرامات، فتقرّ أعينهم بسماع صوته، فلم يسمعوا شيئاً قط أعظم ولا أحسن ولا أجمل من ذلك الصوت النديّ، ثم ينصرفون لرحالهم ناعمين قد قرّت أعينهم لمثل ذاك السماع من الغد "[٥].

فالسابقون لأعمال الخير والبر في الدنيا هم الأَولى في زيارة الرحمن وسماع صوته، فإذا كان يوم الجمعة أنزل اللّه سبحانه وتعالى ما شاء من ملائكته وحوله منابر من نور عليها مقاعد النبيين، وحفّ تلك المنابر بمنابرَ من ذهبٍ مكلّلةٍ بالياقوت.

---

(١) شرح القصيدة النونية للهراس، ج٢/٣٧٣.

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٧٣.

(٣) توضيح المقاصد وتصحيح القواعد، ج٢/٥٢٢-٥٢٤.

(٤) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٢٩١.

(٥) توضيح المقاصد وتصحيح القواعد، ج٢/ ٥٨٣، نقل بتصرف.

خاتمة البحث

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فهذه الأطروحة هي دراسة بلاغية تحليلية وصفية لمستويات البلاغة وفنونها في نونية ابن القيم في وصف الجنة، والأداء البياني والبديعي والتصوير الخيالي وتضمين القيمة الفنية والجمالية للصورة البصرية والسمعية والذهنية وموسيقى النص واللغة، والقيمة الفنية في عرض المعاني والأساليب، وقد اعتمدتُ في هذه الدراسة والتحليل على ذوقي الخاص أولاً، وما ثبت من أسس بلاغية في مجالاتها المتعددة، ومن خلال دراستي للقصيدة النونية توصلت لبعض النتائج والتوصيات منها:

١- لقد مثلت القصيدة النونية المسماة بالكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، نصاً بلاغياً أدبياً في غاية الروعة والجمال بمعنى الكلمة، حيث تعددت الإبداعات واللمسات البلاغية وتشكّلت في جميع جوانبها الثلاثة، وذلك في المعاني والبيان والبديع، بالإضافة إلي الصورة السمعية والبصرية والذهنية والنسق الموسيقي الذي أدته القصيدة بدرجة عالية ومتناهية في الدقة والروعة والبيان، وخاصة في وصف المشاهد الخلابة للجنة ونعيمها ولذة النظر لوجه الله الكريم في الفردوس الأعلى، وهذا ما يتمناه كلّ مسلم يحيا على هذه الأرض، فوردت تقنية اللمسات الجمالية والإبداعية في ذلك الوصف.

٢- لقد قام هذا البحث على مقدمة وأربعة فصول وخاتمة تمثلت في:

- الإشارات البلاغية في وصف الجنة في علم المعاني مشتملة على عدة مباحث كالخبر والإنشاء والتقديم والتأخير والإيجاز والإطناب والمساواة، والوصل والفصل والقصر.
- ثم انتقلتُ للحديث عن الإشارات البلاغية في علم البيان من حيث دلالة الصور البيانية المتمثلة بالتشبيه والاستعارة والكناية والمجاز بالإضافة إلى مصادر التصوير البياني من القرآن والسنة النبوية المشرفة، وقد تبين لي أن الصور البيانية لها نصيب الأسد في تلك الدراسة لأن الإمام ابن القيم أبدع في الوصف البياني ورسم الصور الشاخصة المليئة بالحياة والنشاط.
- والانتقال بعد ذلك للإشارات البلاغية في علم البديع ودلالته، والمتمثل في التجنيس بأنواعه والطباق والمقابلة وتأكيد المدح بما يشبه الذم ورد العجز للصدر والمشاكلة وأسلوب الحكيم وغير ذلك من دلالات بديعية معنوية ولفظية.
- وكان الحديث في الفصل الرابع متعلقاً بحديث رسول الله ﷺ والذي رواه عن ربه تبارك وتعالى" أعددتُ لعبادي الصالحين في الجنة ما لا عينٌ رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على

قلب بشر"، حيث جلّى هذا الفصل حقيقية الرؤية البصرية لأهل الجنان ولذة نعيمهم الذي لا ينقطع ولا يزول، بالإضافة للمشهد السمعي الرائع من غناء الحور العين لأزواجهن في الجنة ولذة سماع الأغاني ثم لذة سماع الملك الجبار جل في علاه وهو يخاطب عباده ويؤنسهم ويعاتبهم ويحلّ عليهم رضوانه، ثم لا يسخط عليهم أبداً.

- اهتم الباحث في هذه الدراسة البلاغية بوصف الجمال الحسى والمعنوي لجميع لذات النعيم، من خلال الوصف الدقيق والتحليل والاستنباط لعذوبة اللفظ ورشاقة المعني والتناغم الموسيقي المتعدد والنظرات الجمالية المؤثرة في الإحساس الصادق لمن أراد أن يكون من أهل الفردوس الأعلى من المؤمنين بموعود الله يوم القيامة.
- لقد أظهر البحث جمالية وصف الجنة والإحساس بها، من خلال تقديم لغةٍ راقية فاقت الفنون والظنون، لأنها نابعة من قلب صادق يغار على الدين ويذود عن حوض الاسلام بكل ما أوتي من قوة.
- لقد قام هذا البحث على أساس عملية الوصف والذي من خلاله تم تقديم أجمل صورة لذاك المكان الذي لم يطؤه أحدٌ بعد، حيث ظهرت الملامح الخارجية والداخلية المتناغمة لذاك المكان وأهله، وظهرت حقيقة العلاقة بين الإنسان وذاك المكان بألوانه وظلاله ومشاهده من خلال الوصف واللغة الإبداعية المتناثرة في أرجاء النص، ولذلك فإني أنصح طلاب العلم والبلاغة أن يهتموا بدراسات ابن القيم وخاصة ما أورده في قصائده لوصف الجنة، لأن كل إنسان يسعى جاهداً للوصول لذاك المكان المطهر.

وقد ذيّلتُ هذه الدراسة بملحق القصيدة الكافية الشافية المختصة بوصف الجنة، والتي قام بتحقيقها الدكتور محمد العريفي، وناصر الحنيني، وعبد الله الهذيل، وفهد المساعد، وذلك تحت إشراف بكر أبو زيد، وقد شملت الدراسة في هذه القصيدة الأبيات من (**٤٩٣١– ٥٦٤٣**)، والتي بدأت بفصلٍ فيما أعد الله تعالى في الجنة لأوليائه المتمسكين بالكتاب والسنّة، وخُتمت الدراسة بفصلٍ في إقامة المأتم على المتخلفين عن رفقة السابقين.

وخلصتُ في خاتمة البحث إلى أن القصيدة النونية عند ابن القيم قد سارت وفق أداء بلاغي راقٍ وعالٍ جداً ذات مستوى أسلوبي وبياني وأدبي وجمالي مؤثر، وقد عكست القصيدة النونية مدى صدق هذا العالِم الرباني وعمق صورة شخصيته العقائدية والفكرية والنفسية والعاطفية، والحقيقة أن هذه الدراسة توصي بتعميق البحث البلاغي بجميع مستوياته في نتاج ابن القيم الأدبي والبلاغي والفني والجمالي، وبعد فاللهَ أسأل السداد والتوفيق، وهو من وراء القصد.

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

١- اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٤ هـ، ١٩٨٤م.

٢- أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، (٤٧١هـ)، قرأه وعلّق عليه: أبو فهر محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ، ١٩٩١م.

٣- الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن على بن فارس الدمشقي الزركلي،(١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، ط١ ،٢٠٠٢م.

٤- أنوار الربيع في أنواع البديع، السيد على صدر الدين بن معصوم المدني، (١١٢٠هـ)، تحقيق: شاكر هادي شكر، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ط١، ١٣٨٨هـ، ١٩٦٨م.

٥- البداية والنهاية، لابن كثير، تحقيق: على شيري، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

٦- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، للشوكاني،(١٢٥٠هـ) وضع الحواشي خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت.

٧- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، (٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية.

٨- البلاغة فنونها وأفنانها، علم البيان والبديع، د. فضل حسن عباس، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ١٤١٩هـ ، ١٩٩٨م.

٩- تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة الدينوري، (٢٧٦هـ)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية ، بيروت.

١٠- التصوير الفني في الحديث النبوي، محمد بن لطفي الصباغ، المكتب الاسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٨م.

١١- التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الشرعية السادسة عشر، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.

١٢- تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر.

١٣- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي،(٧٠٠ـ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م .

١٤- تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي،(٦٧١هـ)، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم اطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م.

١٥- تلخيص البيان في مجازات القرآن، الشريف الرضي،(٤٠٤هـ)، تحقيق: علي محمود مقلد، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٨٤.

١٦- توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم، أحمد بن إبراهيم ابن عيسى، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ١٣٩٤هـ .

١٧- الجامع الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

١٨- الجامع الكبيرـ سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي(٢٧٩هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨م.

١٩- الجُمان في تشبيهات القرآن، عبد الله بن الحسين بن ناقيا،(٤٨٥هـ) تحقيق وضبط ومراجعة: محمد حسن الشيباني، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م.

٢٠- الجنة في القرآن الكريم، أوصافها- أهلها- نعيمها، سليمان حسن رطروط، مكتبة المنار، الأردن، الزرقاء، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ ، ١٩٨٩م.

٢١- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، السيد أحمد الهاشمي، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت.

٢٢- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، ابن قيم الجوزية، تحقيق: زائد بن أحمد النشيري، المجلد الأول، دار عالم الفوائد، ط ١، ١٤٢٨هـ.

٢٣- خلاصة المعاني، للحسن بن عثمان بن الحسين المفتي، (١٠٥٩هـ) تحقيق: د. عبد القادر حسين، الناشرون العرب، الرياض.

٢٤- الداء والدواء، ابن قيم الجوزية، تحقيق: أحمد بن محمد آل نبعة، جمعية إحياء التراث الإسلامي، ط٤ ١٤٢٩هـ ، ٢٠٠٨م .

٢٥- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، للحافظ شهاب الدين أحمد بن على بن محمد العسقلاني(٨٥٢هـ) تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، دائرة المعارف العثمانية.

٢٦- دلائل الإعجاز، الإمام الشيخ عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي،(٤٧١هـ) قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة ، ط٣، ١٤١٣هـ ،١٩٩٢م.

٢٧- زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، مؤسسة الريان، ط٣، الجزء الأول،١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م.

٢٨- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي،(١٠٨٩هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٩- شرح القصيدة النونية، د. محمد خليل هراس (١٣٩٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤١٥هـ .

٣٠- شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان، الحافظ جلال الدين السيوطي (٩١١هـ)، وبهامشه حلية اللب المصون على الجوهر المكنون للشيخ أحمد الدمنهوري، دار الفكر، بيروت .

٣١- الصناعتين، أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري، تحقيق: محمد علي البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

٣٢- طريق الهجرتين وباب السعادتين، ابن قيم الجوزية، تحقيق: أحمد بن شعبان بن أحمد، القاهرة، ط١، ١٤٢٦هـ ، ٢٠٠٥م .

٣٣- علم البديع، د. عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت، ١٤٠٥هـ ، ١٩٨٥م.

٣٤- علم البيان، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

٣٥- علم المعاني، د. عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت ،١٩٧٢م

٣٦- علوم البلاغة، البيان والمعاني والبديع، أحمد مصطفى المراغي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م.

٣٧- فن البديع، عبد القادر حسين، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٤م.

٣٨- فن البلاغة، د. عبد القادر حسين، عالم الكتب، بيروت، ط ٢، ١٩٨٤ .

٣٩- فن التشبيه، بحث، أدب، نقد، على الجندي، كلية دار العلوم، جامعة فؤاد الأول، الطبعة الأولى، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، ١٩٥٢م

٤٠- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، الطبعة التاسعة والثلاثون، ١٤٣٢هـ ، ٢٠١١م.

٤١- القرآن والصورة البيانية، د. عبد القادر حسين، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

٤٢- الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، تحقيق: محمد العريفي، وناصر الحنيني، وعبد الله الهذيل، وفهد المساعد، إشراف بكر أبو زيد، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، المجلد الأول، ط١، ١٤٢٨هـ.

٤٣- الكتاب، أبو البشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، (١٨٠هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت.

٤٤- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للزمخشري، شرح وضبط يوسف الحمادي، دار مصر للطباعة.

٤٥- لسان العرب، جمال الدين بن منظور الأنصاري (٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط ٣، ١٤١٤هـ .

٤٦- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين ابن الأثير، تحقيق وتعليق: أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة.

٤٧- مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني(٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م.

٤٨- مسند الإمام الشافعي، لأبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي(٢٠٤هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٤٩- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري(٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت .

٥٠- مشاهد القيامة في القرآن، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الرابعة عشر، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.

٥١- المصباح في المعاني والبيان والبديع، بدر الدين بن مالك " ابن الناظم "، تحقيق: حسني عبد الجليل يوسف، مكتبة الآداب، المطبعة النموذجية .

٥٢- مفتاح العلوم، للإمام محمد بن على السكاكي(٦٢٦هـ)، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م.

٥٣- من بلاغة القرآن، المعاني . البيان . البديع، د. محمد شعبان علوان، د. نعمان شعبان علوان، ط٥، ١٤٣٢هـ ، ٢٠١١ م.

٥٤- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، أبو الحسن حازم القرطاجني(٦٨٤هـ)، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، مطبعة دار الكتب الشرقية، تونس ١٩٦٦م.

٥٥- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ابن قيم الجوزية، تحقيق: أحمد بن شعبان بن أحمد، القاهرة ط١، ١٤٢٦هـ ، ٢٠٠٥م.

٥٦- الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١ ،١٤٢٠هـ ، ٢٠٠٠م.

فهرس الموضوعات

ملحق أبيات القصيدة

بعنوان:

الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية

وتبدأ من فصل

فيمـــا أعـــد الله تعـــالى فـــي الجـــنـــة
لأوليـــائه المتمسكيـــن بالكتـــاب والسنة

وتنتهي حتى فصل

في إقامة المأتم على المتخلفين عن رفقة السابقين

آثار الإمام ابن قيم الجوزية وما لحقها من أعمال
(٨)



مطبوعات المجمع

الكافية الشافية

في الانتصار للفرقة الناجية

للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية

(٦٩١ - ٧٥١)

تحقيق وتعليق

محمد بن عبد الرحمن العريفي - ناصر بن يحيى الحنيني

عبد الله بن عبد الرحمن الهذيل - فهد بن علي المساعد

تنسيق

محمد أجمل الإصلاحي

إشراف

بكر بن عبد الله أبو زيد

تمويل

مؤسسة سليمان بن عبد العزيز الراجحي الخيرية

دار عالم الفوائد
للنشر والتوزيع

* * *

فصلٌ

فيما أعدَّ اللَّهُ تعالى في الجَنَّةِ لأوليائِهِ المتمسكينَ بالكتابِ والسُّنَّةِ

٤٩٣١ ـ يَا خَاطِبَ الحُورِ الحِسَانِ وَطَالباً ... لِوِصَالِهِنَّ بِجَنَّةِ الحَيَوانِ

٤٩٣٢ ـ لَوْ كُنْتَ تَدْرِي مَنْ خَطَبْتَ وَمَا طَلَبْـ ... ـتَ بَذَلْتَ مَا تَحْوِي مِنَ الأَثْمَانِ

٤٩٣٣ ـ أَوْ كُنْتَ تعرِفُ أَيْنَ مَسْكَنُهَا جَعَلْـ ... ـتَ السَّعْيَ مِنْكَ لَهَا عَلَى الأَجْفَانِ

٤٩٣٤ ـ وَلَقَدْ وَصَفْتُ طَرِيقَ مَسْكَنِهَا فإنْ ... رُمْتَ الوِصَالَ فَلَا تَكُنْ مُتَوانِي

٤٩٣٥ ـ أَسْرِعْ وَحُثَّ السَّيْرَ جَهْدَكَ إِنَّمَا ... مَسْرَاكَ هَذَا سَاعَةٌ لِزَمَانِ

٤٩٣٦ ـ فاعْشَقْ وَحَدِّثْ بالوِصَالِ النَّفْسَ وَابْـ ... ـذُلْ مَهْرَهَا مَا دُمْتَ ذَا إِمْكَانِ

٤٩٣٧ ـ وَاجْعَلْ صِيَامَكَ دونَ لُقْيَاهَا وَيَوْ ... مَ الوَصْلِ يَوْمَ الفِطْرِ مِنْ رَمَضَانِ

٤٩٣٨ ـ وَاجْعَلْ نُعُوتَ جَمَالِهَا الحَادِي وَسِرْ ... تَلْقَ المَخَاوِفَ وَهْيَ ذَاتُ أَمَانِ

٤٩٣٩ ـ لَا يُلْهِيَنَّكَ مَنْزِلٌ لَعِبَتْ بِهِ ... أَيْدِي البِلَى مُذ سَالِفِ الأَزْمَانِ

٤٩٤٠ ـ فَلَقَدْ تَرَحَّلَ عَنْهُ كُلُّ مَسَرَّةٍ ... وَتَبَدَّلَتْ بِالهَمِّ والأَحْزَانِ

٤٩٤١ ـ سِجْنٌ يَضِيقُ بِصَاحِبِ الإِيمَانِ لَـ ... ـكِنْ جَنَّةُ المَأْوَى لِذِي الكُفْرانِ

٤٩٤٢ ـ سُكَّانُهَا أَهْلُ الجَهَالَةِ والبَطَا ... لَةِ وَالسَّفَاهَةِ أَنْجَسُ السُّكَّانِ

٤٩٤٣ ـ [وَأَلَذُّهُم عَيْشاً فَأَجهَلُهم بِحَقِّ م ... اللَّهِ ثُمَّ حَقَائِقِ القُرْآنِ]

٤٩٤٤ ـ عَمَرَتْ بِهِمْ هذِي الدِّيَارُ وَأَقْفَرَتْ ... مِنْهُمْ رُبُوعُ العِلْمِ والإِيمَانِ

٤٩٤٥ ـ قَدْ آثروا الدُّنْيَا وَلَذَّةَ عَيْشِهَا الْـ فَانِي عَلَى الجَنَّاتِ والرِّضْوَانِ
٤٩٤٦ ـ صَحِبُوا الأَمَانِي وَابْتُلُوا بحُظُوظِهِمْ وَرَضُوا بِكُلِّ مَذَلَّةٍ وَهَوَانِ
٤٩٤٧ ـ كَدْحاً وَكَدّاً لا يُفَتَّر عَنْهُمُ مَا فِيهِ مِنْ غَمٍّ وَمِنْ أحْزَانِ
٤٩٤٨ ـ وَاللَّهِ لَوْ شَاهَدْتَ هَاتِيكَ الصُّدُو رَ رَأيْتَهَا كَمَرَاجِلِ النِّيرَانِ
٤٩٤٩ ـ وَوَقُودُهَا الشَّهَوَاتُ والحَسَراتُ والْـ آلامُ لَا تَخْبُو عَلَى الأَزْمَانِ
٤٩٥٠ ـ أَبدَانُهُمْ أَجْدَاثُ هَاتِيكَ النُّفُو سِ الَّلاءِ قَدْ قُبِرَتْ مَعَ الأَبْدَانِ
٤٩٥١ ـ أَرْوَاحُهُمْ فِي وَحْشَةٍ وَجُسُومُهُمْ فِي كَدْحِهَا لَا فِي رِضَا الرَّحْمٰنِ
٤٩٥٢ ـ هَرَبُوا مِنَ الرِّقِّ الَّذِي خُلِقُوا لَهُ فَبُلُوا بِرِقِّ النَّفْسِ والشَّيْطَانِ
٤٩٥٣ ـ لَا تَرْضَ مَا اخْتَارُوهُ هُمْ لِنُفُوسِهِمْ فَقَدِ ارْتَضَوْا بِالذُّلِّ وَالحِرْمَانِ
٤٩٥٤ ـ لَوْ سَاوَتِ الدُّنْيَا جَنَاحَ بَعُوضَةٍ لَمْ يَسْقِ مِنْهَا الرَّبُّ ذَا الكُفْرَانِ
٤٩٥٥ ـ لَكِنَّهَا وَاللَّهِ أَحْقَرُ عِنْدَهُ مِنْ ذَا الجَنَاحِ القَاصِرِ الطَّيَرَانِ
٤٩٥٦ ـ وَلَقَدْ تَوَلَّتْ بَعْدُ عَنْ أصْحَابِهَا فَالسَّعْدُ مِنْهَا حَلَّ فِي الدَّبَرانِ
٤٩٥٧ ـ لَا يُرْتَجَى مِنْهَا الوَفَاءُ لِصَبِّهَا أَيْنَ الوَفَا مِنْ غَادِرٍ خَوَّانِ
٤٩٥٨ ـ طُبِعَتْ عَلَى كَدَرٍ فَكَيْفَ يَنَالُهَا صَفْواً أَهَذَا قَطُّ فِي الإِمْكَانِ؟
٤٩٥٩ ـ يَا عَاشِقَ الدُّنْيَا تَأَهَّبْ لِلَّذِي قَدْ نَالَهُ العُشَّاقُ كُلَّ زَمَانِ
٤٩٦٠ ـ أَوَ مَا سَمِعْتَ بَلى رَأيتَ مَصَارِعَ الْـ عُشَّاقِ مِنْ شِيبٍ وَمِنْ شُبَّانِ

* * *

فصلٌ

[في صفةِ الجَنَّةِ الَّتي أعدَّها اللَّهُ ذُو الفضْلِ والمنَّةِ لأوليائِهِ المتمسِّكينَ بالكتابِ والسُّنَّة]

٤٩٦١ ـ فَاسْمَعْ إذاً أَوْصَافَهَا وَصِفَاتِ هَا تِيكَ المَنَازِلِ رَبَّةِ الإِحْسَانِ

٤٩٦٢ - هِيَ جَنَّةٌ طَابَتْ وَطَابَ نَعِيمُهَا ... فَنَعِيمُهَا بَاقٍ وَلَيْسَ بِفَانِ

٤٩٦٣ - دَارُ السَّلَامِ وَجَنَّةُ المَأْوَى وَمَنْـ ... ـزِلُ عَسْكَرِ الإِيمَانِ والقُرْآنِ

٤٩٦٤ - فَالدَّارُ دَارُ سَلَامَةٍ وَخِطَابُهُمْ ... فِيهَا سَلَامٌ واسْمُ ذِي الغُفْرَانِ

فصلٌ

في عددِ دَرجاتِ الجنَّة ومَا بينَ كلّ دَرجتينِ

٤٩٦٥ - دَرَجَاتُهَا مِائَةٌ وَمَا بَيْنَ اثْنَتَيْـ ... ـنِ فَذَاكَ فِي التَّحْقِيقِ لِلْحُسْبَانِ

٤٩٦٦ - مِثْلُ الَّذِي بَيْنَ السَّمَاءِ وَبَيْنَ هَـ ... ـذِي الأرضِ قَوْلُ الصَّادِقِ البُرْهَانِ

٤٩٦٧ - لَكِنَّ عَالِيَهَا هُوَ الفِرْدَوْسُ مَسْـ ... ـقُوفٌ بِعَرْشِ الخَالِقِ الرَّحْمٰنِ

٤٩٦٨ - وَسطَ الجِنَانِ وَعُلْوَهَا فَلِذَاكَ كَا ... نَتْ قُبَّةً مِنْ أَحْسَنِ البُنْيَانِ

٤٩٦٩ - مِنْهُ تَفَجَّرُ سَائِرُ الأَنْهَارِ فَالْـ ... ـمَنْبُوعُ مِنْهُ نَازِلًا بِجِنَانِ

فصلٌ

في أبوابِ الجنَّةِ

٤٩٧٠ - أَبْوَابُهَا حَقٌّ ثَمَانِيَةٌ أَتَتْ ... فِي النَّصِّ وَهْيَ لِصَاحِبِ الإِحْسَانِ

٤٩٧١ - بَابُ الجِهَادِ وَذَاكَ أَعْلَاهَا وبَا ... بُ الصَّوْمِ يُدْعَى البَابُ بِالرَّيَّانِ

٤٩٧٢ - وَلِكُلِّ سَعْيٍ صَالِحٍ بَابٌ وَرَبُّ ... م السَّعْيِ مِنْهُ دَاخِلٌ بِأَمَانِ

٤٩٧٣ - وَلَسَوْفَ يُدْعَى المرءُ مِنْ أَبْوابِهَا ... جَمْعاً إِذَا وَفَّى حُلَى الإِيمَانِ

٤٩٧٤ - مِنْهُمْ أَبُو بَكْرٍ هُوَ الصِّدِّيقُ ذَا ... كَ خَلِيفَةُ المبْعُوثِ بِالقُرْآنِ

فصلٌ

في مقدارِ ما بينَ البابِ والبابِ مِنْهَا

٤٩٧٥ - سَبْعُونَ عَاماً بَيْنَ كُلِّ اثْنَيْنِ مِنْـ ... ـهَا قُدِّرَتْ بِالعَدِّ وَالحُسْبَانِ

٤٩٧٦ ـ هَذَا حَدِيثُ لَقِيطٍ المعْرُوفُ بالْـ ... خَبَرِ الطَّوِيلِ وَذَا عَظِيمُ الشَّانِ

٤٩٧٧ ـ وَعَلَيْهِ كُلُّ جلَالَةٍ وَمَهَابَةٍ ... وَلَكَمْ حَوَاهُ بَعْدُ مِنْ عِرْفَانِ

❋ ❋ ❋

فصلٌ

في مقدارِ ما بينَ مِصْرَاعَي البابِ الواحدِ

٤٩٧٨ ـ لَكِنَّ بَيْنَهُمَا مَسِيرَةَ أربعِيـ ... ـنَ رَوَاهُ حَبْرُ الأمَّةِ الشَّيْبَانِي

٤٩٧٩ ـ فِي مُسْنَدٍ بالرَّفْعِ وَهْوَ لِمُسْلِمٍ ... وَقْفٌ كَمَرْفُوعٍ بوجْهٍ ثَانِ

٤٩٨٠ ـ وَلَقَدْ رُوِي تَقْدِيرُهُ بِثَلَاثَةِ الْـ ... أيَّامِ لَكِنْ عِنْدَ ذِي العِرْفَانِ

٤٩٨١ ـ أَعْنِي البُخَارِيَّ الرِّضا هُوَ مُنْكَرٌ ... وَحَدِيثُ رَاوِيهِ فَذُو نُكْرَانِ

❋ ❋ ❋

فصلٌ

في مِفتاحِ بابِ الجنَّةِ

٤٩٨٢ ـ هَذَا وَفَتْحُ البَابِ لَيْسَ بِمُمْكِنٍ ... إلَّا بِمِفْتَاحٍ عَلَى أسْنَانِ

٤٩٨٣ ـ مِفْتَاحُهُ بِشَهَادَةِ الإِخْلَاص والتَّـ ... ـوْحِيدِ تِلْكَ شَهَادَةُ الإِيمَانِ

٤٩٨٤ ـ أَسْنَانُهُ الأعْمَالُ وَهْيَ شَرَائِعُ الْـ ... إسْلَامِ والمِفْتَاحُ بالأسْنَانِ

٤٩٨٥ ـ لَا تُلْغِيَنْ هَذَا المِثَالَ فَكَمْ بِهِ ... مِنْ حَلِّ إشْكَالٍ لِذِي العِرْفَانِ

فصلٌ

في مَنْشُورِ الجنَّةِ الذي يُوقَّع به لصاحِبِهَا

٤٩٨٦ ـ هَذَا وَمَنْ يَدْخُلْ فَلَيْسَ بِدَاخِلٍ ... إلَّا بِتَوقِيعٍ مِنَ الرَّحْمٰنِ

٤٩٨٧ ـ وَلِذَاكَ يُـكْـتَـبُ لِلفَـتَـى لِدُخُـولِهِ ... مِـنْ قَـبْـلُ تـوْقِـيـعَـانِ مَـشْـهُـودَانِ

٤٩٨٨ ـ إحْدَاهُـمَا بَعْدَ الـمَمَاتِ وعَرْضِ أرْ ... وَاحِ الـعِـبَـادِ بِـهِ عَـلَى الـدَّيَّـانِ

٤٩٨٩ ـ فَـيـقُـولُ رَبُّ الـعَـرْشِ جَـلَّ جَـلَالُهُ ... لِلكَـاتِـبِـيـنَ وَهُـمْ أُولُو الـدِّيـوانِ

٤٩٩٠ ـ ذَا الاسْمُ فِي الدِّيوانِ يُكْتَبُ ذَاكَ ديـ ... ـوَانُ الـجِـنَـانِ مُـجَـاوِرُ الـمـنَّـانِ

٤٩٩١ ـ دِيـوانُ عِـلِّيِّـيـنَ أصْـحَـابُ الـقُـرَا ... نِ وَسُـنَّـةِ الـمـبْـعُـوثِ بـالـقُـرْآنِ

٤٩٩٢ ـ فَإِذَا انْتَهَى لِلْجِسْرِ يَوْمَ الحَشْرِ يُعْـ ... ـطَـى لِلدُّخُـولِ إذاً كِـتَـابـاً ثَـانـي

٤٩٩٣ ـ عُـنْـوَانُـهُ هَـذَا كِـتَـابٌ مِـنْ عَـزِيـ ... ـزٍ رَاحِـــمٍ لِفُـــلَانِ بْـــنِ فُـــلانِ

٤٩٩٤ ـ فَدَعُوهُ يَدْخُلْ جَنَّةَ المأْوَى التِي ارْ ... تَـفَـعَـتْ وَلَكِـنَّ الـقُـطُـوفَ دَوَانِ

٤٩٩٥ ـ هَذَا وَقَدْ كُتِبَ اسْمُه مُذْ كَانَ فِي الْـ ... أرْحَـامِ قَـبْـلَ وِلَادَةِ الإنْـسَـانِ

٤٩٩٦ ـ بَلْ قَبْلَ ذَلِكَ وَهْوَ وَقْتُ القَبْضَتَيْـ ... ـنِ كِـلَاهُـمَـا لِلْعَـدْلِ والإحْـسَـانِ

٤٩٩٧ ـ سُبْحَانَ ذِي الجَبَرُوتِ وَالمَلَكُوتِ والْـ ... إجْـلَالِ والإكْـرَامِ والـسُّـبْـحَـانِ

٤٩٩٨ ـ والـلَّهُ أكْـبَـرُ عَـالِمُ الإسْـرارِ والْـ ... إعْـلَانِ والـلَّحَـظَـاتِ بـالأجْـفَـانِ

٤٩٩٩ ـ وَالـحَـمْـدُ لِلَّهِ الـسَّـمِـيـعِ لِسَائِرِ الْـ ... أصْـوَاتِ مِـنْ سِـرٍّ وَمِـنْ إعْـلَانِ

٥٠٠٠ ـ وَهْوَ الـمُـوَحَّدُ والـمُسَبَّحُ والـمُـمَـجَّـ ... ـدُ والـحَـمِـيـدُ ومُـنْـزِلُ القُـرْآنِ

٥٠٠١ ـ والأمْـرُ مِـنْ قَـبْـلٍ ومِـنْ بَـعْـدٍ لَهُ ... سُـبْـحَـانَـكَ الـلَّهُـمَّ ذَا الـسُّـلْطَانِ

❋ ❋ ❋

فصل

في صُفُوفِ أهْلِ الجنَّةِ

٥٠٠٢ ـ هَـذَا وإنَّ صُـفُـوفَـهُـمْ عِـشْـرُونَ مَـعْ ... مِـائَةٍ وَهَـذِي الأمَّـةُ الـثُّـلـثَـانِ

٥٠٠٣ ـ يَـرْوِيـهِ عَـنْـهُ بُـرَيْـدَةٌ إسْـنَـادُهُ ... شَرْطُ الـصَّـحِـيحِ بِـمُسْنَدِ الشَّيْبَانِي

٥٠٠٤ ـ وَلَهُ شَـوَاهِـدُ مِـنْ حَـدِيـثِ أَبِي هُـرَيْـ ... ـرَةَ وابْـنِ مَـسْـعُـودٍ وَحِـبْـرِ زَمَـانِ

٥٠٠٥ ـ أعـنـي ابـنَ عَـبَّـاسٍ وَفِـي إسْـنَـادِهِ رَجُـلٌ ضَـعِـيـفٌ غَـيْـرُ ذِي إتْـقَـانِ

٥٠٠٦ ـ وَلَقَدْ أتـانـا فِـي الـصَّـحِـيـحِ بأنَّـهُـمْ شَـطْـرٌ وَمَـا الـلَّـفْـظَـانِ مُـخْـتَـلِفَـانِ

٥٠٠٧ ـ إذْ قَـالَ أرْجُـو أنْ تَـكُـونُـوا شَـطْـرَهُـمْ هَـذَا رَجَـاءٌ مِـنْـهُ لِلرَّحْـمَـنِ

٥٠٠٨ ـ أعْـطَـاهُ رَبُّ الـعَـرْشِ مَـا يَـرْجُـو وَزَا دَ مِـنَ الـعَـطَـاءِ فِـعَـالَ ذِي الإحْـسَـانِ

***

فصلٌ

في صفةِ أوَّلِ زُمرةٍ تدخلُ الجنَّة

٥٠٠٩ ـ هَـذَا وَأوَّلُ زُمْـرَةٍ فَـوُجُـوهُـهُـمْ كَـالـبَـدْرِ لَيْـلَ الـسِّـتِّ بَـعْـدَ ثَـمَـانِ

٥٠١٠ ـ الـسَّـابِـقُـونَ هُـمُ وَقَـدْ كَـانُـوا هُـنَـا أيْـضـاً أولِي سَـبْـقٍ إلَى الإحْـسَـانِ

***

فصلٌ

في صفةِ الزُّمرةِ الثَّانيةِ

٥٠١١ ـ والـزُّمْـرَةُ الأخْـرَى كَـأضْـوَإ كَـوْكَـبٍ فِـي الأُفْـقِ تَـنْـظُـرُهُ بِـهِ الـعَـيْـنَـانِ

٥٠١٢ ـ أمْشَـاطُـهُـمْ ذَهَـبٌ وَرَشْـحُـهُـمُ فَـمِسْـ ـكٌ خَـالِصٌ يَـا ذِلَّةَ الـحِـرْمَـانِ

***

فصلٌ

في تفاضُلِ أهْلِ الجنَّةِ في الدَّرجاتِ العُلى

٥٠١٣ ـ وَيَـرى الـذيـنَ بِـذَيْـلِهَـا مَـنْ فَـوْقَـهُـمْ مِـثْـلَ الـكَـوَاكِـبِ رُؤيَـةً بِـعِـيَـانِ

٥٠١٤ ـ مَـا ذَاكَ مُـخْـتَـصّـاً بِـرُسْـلِ الـلَّـهِ بَـلْ لَهُـمُ ولِلصِّـدِّيـقِ ذِي الإيـمَـانِ

فصلٌ

في ذِكْرِ أعْلَى أهْلِ الجنَّةِ منزلةً وأدْناهُمْ

٥٠١٥ - هَـذَا وأعْـلَاهُـمْ فَـنَـاظِـرُ رَبِّـهِ ... فِـي كُـلِّ يَـوْمٍ وَقْـتُـهُ الـطَّـرَفَـانِ

٥٠١٦ - لَكِـنَّ أدْنَـاهُـمْ وَمَـا فِـيـهِـمْ دَنِـيٌّ م ... لَيْـسَ فِـي الـجَـنَّـاتِ مِـنْ نُـقْـصَـانِ

٥٠١٧ - فَـهُـوَ الَّذِي تُـلْفَـى مَسَافَـةُ مُـلْكِـهِ ... بِـسِـنِـيـنِـنَـا أَلْـفَـانِ كَـامِـلَتَـانِ

٥٠١٨ - فَـيَرَى بِـهَـا أقْـصَـاهُ حَـقّـاً مِـثْـلَ رُؤْ ... يَـتِـهِ لِأَدْنَـاهُ الـقَـرِيـبِ الـدَّانِـي

٥٠١٩ - أوَ مَـا سَـمِـعْـتَ بِـأَنَّ آخِـرَ أَهْـلِهَـا ... يُـعْـطِـيـهِ رَبُّ الـعَـرْشِ ذُو الـغُـفْـرَانِ

٥٠٢٠ - أَضْـعَـافَ دُنْـيَانَا جَـمِـيعاً عَـشْـرَ أَمْـ ... ثَـالٍ لَهَـا سُـبْـحَـانَ ذِي الإِحْـسَـانِ

* * *

فصلٌ

في ذكْرِ سِنِّ أهْلِ الجنَّةِ

٥٠٢١ - هَـذَا وَسِـنُّـهُـمُ ثَـلَاثٌ مَـعْ ثَـلَا ... ثِـيـنَ الَّتِـي هِـيَ قُـوَّةُ الـشُّـبَّـانِ

٥٠٢٢ - وَصَغِـيـرُهُمْ وَكَبِـيـرُهُمْ فِي ذَا عَلَى ... حَـدٍّ سَـوَاءٍ مَـا سِـوَى الـوِلْدَانِ

٥٠٢٣ - وَلَقَـد رَوَى الـخُـدْرِيُّ أَيْـضـاً أَنَّـهُـمْ ... أَبْـنَـاءُ عَـشْـرٍ بَـعْـدَهَـا عَـشْـرَانِ

٥٠٢٤ - وَكِـلَاهُـمَـا فِـي الـتِّـرمِـذِيِّ وَلَيْـسَ ذَا ... بِـتَـنَـاقُـضٍ بَـلْ هَـاهُـنَـا أَمْـرَانِ

٥٠٢٥ - حَـذْفُ الـثَّـلَاثِ وَنَـيِّفٍ بَعْـدَ الـعُـقُو ... دِ وَذِكْـرُ ذَلِـكَ عِـنْـدَهُـمْ سِـيَّـانِ

٥٠٢٦ - عِـنْـدَ اتِّـسَـاعٍ فِـي الـكَـلَامِ فَعِـنْـدَمَـا ... يَـأْتُـوا بِـتَـحْـرِيـرٍ فَـبِـالـمِـيـزَانِ

* * *

فصلٌ

في طُولِ قَامَاتِ أهْلِ الجَنَّةِ وعَرْضِهِمْ

٥٠٢٧ - وَالـطُّـولُ طُـولُ أَبِـيـهِـمُ سِـتُّـونَ لَـ ... ـكِـنْ عَـرْضُـهُـمْ سَـبْـعٌ بِـلَا نُـقْـصَـانِ

٥٠٢٨ - الطُّولُ صَحَّ بِغيرِ شَكٍّ فِي الصَّحِيـ حَـيْـنِ الـلَّذَيْـنِ هُـمَـا لَنَـا شَـمْـسَـانِ

٥٠٢٩ - وَالعَرْضُ لَمْ نَعْرِفْهُ فِي إِحْدَاهُـمَا لَكِـنْ رَوَاهُ أَحْـمَـدُ الـشَّـيْـبَـانِـي

٥٠٣٠ - هَذَا وَلَا يَخْفَى التَّنَاسُبُ بَيْنَ هَـ ـذَا العَرْضِ وَالطُّولِ البَدِيعِ الشَّانِ

٥٠٣١ - كُلٌّ عَلَى مِقْدَارِ صَاحِبِهِ وَذَا تَقْدِيرُ مُتْقِنِ صَنْعَةِ الإِنْسَانِ

❋ ❋ ❋

فصلٌ

في حُلاهم وألوَانهمْ

٥٠٣٢ - أَلْوَانُهُمْ بِيضٌ وَلَيْسَ لَهُمْ لِحىً جُعْدُ الشُّعورِ مُكَحَّلُو الأَجْفَانِ

٥٠٣٣ - هَذا كَمالُ الحُسْنِ فِي أَبْشَارِهِمْ وَشُعُورِهِمْ وكَذَلِكَ العَيْنَانِ

❋ ❋ ❋

فصلٌ

في لِسان أهْلِ الجنَّةِ

٥٠٣٤ - وَلَقَدْ أَتَى أَثَرٌ بِأَنَّ لِسَانَهُمْ بِالمَنطِقِ العَرَبِيِّ خَيرِ لِسَانِ

٥٠٣٥ - لَكِنَّ فِي إِسْنَادِهِ نَظَرٌ فَفِيـ ـهِ رَاوِيَانِ وَمَا هُمَا ثَبْتَانِ

٥٠٣٦ - أَعْنِي العَلَاءَ هُوَ ابنُ عَمْرٍو ثُمَّ يَحْـ ـيَى الأَشْعَرِيَّ وَذَانِ مَغْمُوزَانِ

❋ ❋ ❋

فصلٌ

في ريحِ أهْلِ الجنَّةِ مِنْ مسيرةِ كم تُوجد

٥٠٣٧ - والرِّيحُ تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِيـ ـنَ وإِنْ تَشَأْ مائَةً فَمَرْوِيَّانِ

٥٠٣٨ ـ وَكَذَا رُوِيْ سَبْعِينَ أَيْضاً صَحَّ هَـ ـذَا كُـلُّهُ وَأَتَـى بِـهِ أَثَـرَانِ
٥٠٣٩ ـ مَا فِي رِجَالِهِمَا لَنَا مِنْ مَطْعَنٍ وَالْجَمْعُ بَيْنَ الْكُلِّ ذُو إِمْكَانِ
٥٠٤٠ ـ وَلَقَدْ أَتَى تَقْدِيرُه مائَةً بِخَمْـ ـسٍ ضَرْبُهَا مِنْ غَيْرِ مَا نُقْصَانِ
٥٠٤١ ـ إِنْ صَحَّ هَذَا فَهْوَ أَيْضاً وَالَّذِي مِنْ قَبْلِهِ فِي غَايَةِ الإِمْكَانِ
٥٠٤٢ ـ إِمَّا بِحَسْبِ الْمُدْرِكِينَ لِرِيحِهَا قُرْباً وَبُعْداً مَا هُمَا سِيَّانِ
٥٠٤٣ ـ أَوْ بِاخْتِلَافِ قَرَارِهَا وَعُلُوِّهَا أَيْضاً وَذَلِكَ وَاضِحُ التِّبْيَانِ
٥٠٤٤ ـ أَوْ بِاخْتِلَافِ السَّيْرِ أَيْضاً فَهْوَ أَنْـ ـوَاعٌ بِقَدْرِ إِطَاقَةِ الإِنْسَانِ
٥٠٤٥ ـ مَا بَيْنَ أَلْفَاظِ الرَّسُولِ تَنَاقُضٌ بَلْ ذَاكَ فِي الأَفْهَامِ والأَذْهَانِ

* * *

فصلٌ

في أسبقِ النَّاسِ دخولاً إلى الجنَّةِ

٥٠٤٦ ـ وَنظِيرُ هَذَا سَبْقُ أَهْلِ الفَقْرِ لِلْـ ـجَنَّاتِ فِي تَقْدِيرِهِ أَثَرَانِ
٥٠٤٧ ـ مائَةٌ بِخَمْسٍ ضَرْبُهَا أَوْ أَرْبَعِيـ ـنَ كِلَاهُمَا فِي ذَاكَ مَحْفُوظَانِ
٥٠٤٨ ـ فَأَبُو هُرَيرَةَ قَدْ رَوَى أُولَاهُمَا وَرَوَى لَنَا الثَّانِي صَحَابِيَّانِ
٥٠٤٩ ـ هَذَا بِحَسْبِ تَفَاوُتِ الْفُقَرَاءِ فِي اسْـ ـتِحْقَاقِ سَبْقِهِمُ إِلى الإِحْسَانِ
٥٠٥٠ ـ أَوْ ذَا بِحَسْبِ تَفَاوُتٍ فِي الأَغْنِيَا ءِ كِلَاهُمَا لَا شَكَّ مَوْجُودَانِ
٥٠٥١ ـ هَذَا وَأَوَّلُهُمْ دُخُولًا خَيْرُ خَلْـ ـقِ اللَّهِ مَنْ قَدْ خُصَّ بِالفُرقَانِ
٥٠٥٢ ـ وَالأَنْبِيَاءُ عَلَى مَرَاتِبِهِمْ مِنَ التَّـ ـفْضِيلِ تِلْكَ مَوَاهِبُ المنَّانِ
٥٠٥٣ ـ هَذَا وَأُمَّةُ أَحْمَدٍ سُبَّاقُ بَا قِي الخَلْقِ عِنْدَ دُخُولِهِمْ لِجِنَانِ
٥٠٥٤ ـ وَأَحقُّهُمْ بِالسَّبْقِ أَسْبَقُهُمْ إِلَى الْـ إِسْلَامِ والإِيمانِ والتَّصْدِيقِ بالقُرْآنِ
٥٠٥٥ ـ وَلِذَا أَبُو بَكْرٍ هُوَ الصِّدِّيقُ أَسْـ ـبَقُهُمْ دُخُولًا قَوْلَ ذِي البُرْهَانِ

٥٠٥٦ ـ وَرَوَى ابْنُ مَاجَةَ أَنَّ أَوَّلَهُمْ يُصَا فِحُهُ إِلٰهُ الْعَرْشِ ذُو الإِحْسَانِ

٥٠٥٧ ـ وَيَكُونُ أَوَّلَهُمْ دُخُولًا جَنَّةَ الْـ ـفِرْدَوسِ ذَلِكَ قَامِعُ الْكُفْرَانِ

٥٠٥٨ ـ فَارُوقُ دِينِ اللَّهِ نَاصِرُ قَوْلِهِ وَرَسُولِهِ وَشَرَائِعِ الإِيمَانِ

٥٠٥٩ ـ لَكِنَّهُ أَثَرٌ ضَعِيفٌ فِيهِ مَجْـ ـرُوحٌ يُسَمَّى خَالِداً بِبَيَانِ

٥٠٦٠ ـ لَوْ صَحَّ كَانَ عُمُومُهُ المخْصُوصَ بالصِّـ ـدِّيقِ قَطْعاً غَيْرَ ذِي نُكْرَانِ

٥٠٦١ ـ هَذَا وَأَوَّلُهُمْ دُخُولًا فَهْوَ حَمَّـ ـادٌ عَلَى الحَالَاتِ لِلرَّحْمٰنِ

٥٠٦٢ ـ إِنْ كَانَ فِي السَّرَّاءِ أَصْبَحَ حَامِداً أَوْ كَانَ فِي الضَّرَّا فَحَمْدٌ ثَانِ

٥٠٦٣ ـ هَذَا الَّذِي هُوَ عَارِفٌ بِإِلٰهِهِ وَصِفَاتِهِ وَكَمَالِهِ الرَّبَّانِي

٥٠٦٤ ـ وَكَذَا الشَّهِيدُ فَسَبْقُهُ مُتَيَقَّنٌ وَهُوَ الجَدِيرُ بِذَلِكَ الإِحْسَانِ

٥٠٦٥ ـ وَكَذَلِكَ المَمْلُوكُ حِينَ يَقُومُ بِالْـ ـحَقَّيْنِ سَبَّاقاً بِغَيْرِ تَوَانِ

٥٠٦٦ ـ وَكَذَا فَقِيرٌ ذُو عِيَالٍ لَيْسَ بِالْـ ـمِلْحَاحِ بَلْ ذُو عِفَّةٍ وَصِيَانِ

❋ ❋ ❋

فصلٌ

في عددِ الجنَّاتِ وأجناسِها

٥٠٦٧ ـ وَالجَنَّةُ اسْمُ الجِنْسِ وَهْيَ كَثِيرةٌ جِدّاً وَلَكِنْ أَصْلُهَا نَوْعَانِ

٥٠٦٨ ـ ذَهَبِيَّتَانِ بِكُلِّ مَا حَوَتَاهُ مِنْ حَلْيٍ وَآنِيَةٍ وَمِنْ بُنْيَانِ

٥٠٦٩ ـ وَكَذَاكَ أَيْضاً فِضَّةٌ ثِنْتَانِ مِنْ حَلْيٍ وَبُنْيَانٍ وَكُلِّ أَوَانِ

٥٠٧٠ ـ لَكِنَّ دَارَ الخُلْدِ وَالمَأْوَى وَعَدْ نٍ والسَّلَامِ إِضَافَةٌ لِمَعَانِ

٥٠٧١ ـ أَوْصَافُهَا اسْتَدْعَتْ إِضَافَتَهَا إِلَيْـ ـهَا مِدْحَةً فِي غَايَةِ التِّبْيَانِ

٥٠٧٢ ـ لَكِنَّمَا الفِرْدَوسُ أَعْلَاهَا وَأَوْ سَطُهَا مَسَاكِنُ صَفْوَةِ الرَّحْمٰنِ

٥٠٧٣ ـ أَعْلَاهُ مَنْزِلَةً لأَعْلَى الخَلْقِ مَنْـ ـزِلَةً هُوَ المَبْعُوثُ بِالْقُرْآنِ

٥٠٧٤ ـ وَهيَ الْوَسِيلَةُ وَهْيَ أَعْلَى رُتْبَةٍ خَلَصَتْ لَهُ فَضْلًا مِنَ الرَّحْمٰنِ

٥٠٧٥ ـ وَلَقَدْ أَتَى فِي سُورَةِ الرَّحْمٰنِ تَفْـ ـصِيلُ الجِنَانِ مُفَصَّلًا بِبَيَانِ

٥٠٧٦ ـ هِيَ أَرْبَعٌ ثِنْتَانِ فَاضِلَتَانِ ثُمَّ م يَلِيهِمَا ثِنْتَانِ مَفْضُولَانِ

٥٠٧٧ ـ فالأُولَيَانِ الفُضْلَيَانِ لأَوْجُهٍ عَشْرٍ وَيَعْسُرُ نَظْمُهَا بِوزَانِ

٥٠٧٨ ـ وَإِذَا تَأَمَّلْتَ السِّيَاقَ وَجَدْتَهَا فِيهِ تَلُوحُ لِمَنْ لَهُ عَيْنَانِ

٥٠٧٩ ـ سُبْحَانَ مَنْ غَرَسَتْ يَدَاهُ جَنَّةَ الْـ ـفِرْدَوسِ عِنْدَ تَكَامُلِ البُنْيَانِ

٥٠٨٠ ـ وَيَدَاه أَيْضاً أَتْقَنَتْ لِبِنَائِهَا فَتَبَارَكَ الرَّحْمٰنُ أَعْظَمُ بَانِ

٥٠٨١ ـ هِيَ فِي الجِنَانِ كَآدَمٍ وَكِلَاهُمَا تَفْضِيلُهُ مِنْ أَجْلِ هَذَا الشَّانِ

٥٠٨٢ ـ لَكِنَّمَا الجَهْمِيُّ لَيْسَ لَدَيْهِ مِنْ ذَا الفَضْلِ شَيءٌ فَهْوَ ذُو نُكْرَانِ

٥٠٨٣ ـ وَلَدٌ عَقُوقٌ عَقَّ وَالِدَهُ وَلَمْ يُثْبِتْ بِذَا فَضْلًا عَلَى الشيْطَانِ

٥٠٨٤ ـ فَكِلَاهُمَا تَأْثِيرُ قُدْرَتِه وَتَأْ ثِيرُ المَشِيئَةِ لَيْسَ ثَمَّ يَدَانِ

٥٠٨٥ ـ إِلَّا هُمَا أو نِعْمَتَاهُ وَخَلْقُهُ كُلٌّ بِنِعْمَةِ رَبِّهِ المَنَّانِ

٥٠٨٦ ـ لَمَّا قَضَى رَبُّ العِبَادِ الغرْسَ قَا لَ تَكَلَّمِي فَتَكَلَّمَتْ بِبَيَانِ

٥٠٨٧ ـ قَدْ أَفْلَحَ العَبْدُ الَّذِي هُوَ مُؤمِنٌ مَاذَا ادَّخَرْتُ لَهُ مِنَ الإِحْسَانِ

٥٠٨٨ ـ وَلَقَدْ رَوَى حَقّاً أَبُو الدَّرْدَاءِ ذَا كَ عُوَيْمِرٌ أَثَراً عَظِيمَ الشَّانِ

٥٠٨٩ ـ يَهْتَزُّ قَلْبُ العَبْدِ عِنْدَ سَمَاعِهِ طَرَباً بِقَدْرِ حَلَاوَةِ الإِيمَانِ

٥٠٩٠ ـ مَا مِثْلُه أَبَداً يُقَالُ بِرَأْيِهِ أَوْ كَانَ يَا أَهْلًا بِذَا العِرْفَانِ

٥٠٩١ ـ فِيهِ النُّزُولُ ثَلَاثَ سَاعَاتٍ فإِحْـ ـدَاهُنَّ يَنْظُرُ فِي الكِتَاب الثَّانِي

٥٠٩٢ ـ يَمْحُو وَيُثْبِتُ مَا يَشَاءُ بِحِكْمَةٍ وَبِعِزَّةٍ وبِرَحْمَةٍ وَحَنَانِ

٥٠٩٣ ـ فَتَرى الفَتَى يُمْسِي عَلَى حَالٍ وَيُصْـ ـبِحُ فِي سِوَاهَا مَا هُمَا مِثْلَانِ

٥٠٩٤ ـ هُوَ نَائِمٌ وأُمُورُهُ قَدْ دُبِّرَتْ لَيْلًا وَلَا يَدْرِي بِذَاكَ الشَّانِ

٥٠٩٥ ـ والسَّاعَةُ الأُخْرَى إِلَى عَدْنٍ مَسَا كِنِ أَهْلِهِ هُمْ صَفْوَةُ الرَّحْمٰنِ

٥٠٩٦ ـ الرُّسْلُ ثُمَّ الأَنْبِيَاءُ وَمَعْهُمُ الصِّـ ـدِّيقُ حَسْبُ فَلَا تَكُنْ بِجَبَانِ

٥٠٩٧ ـ فِيهَا الَّذِي وَاللَّهِ لَا عَيْنٌ رَأَتْ　كَلَّا وَلَا سَمِعَتْ بِهِ أُذُنَانِ

٥٠٩٨ ـ كَلَّا وَلَا قَلْبٌ بِهِ خَطَرَ المِثَا　لُ لَهُ تَعَالَى اللَّهُ ذُو السُّلْطَانِ

٥٠٩٩ ـ وَالسَّاعَةُ الأُخْرَى إِلَى هَذِي السَّمَا　ءِ يَقُولُ هَلْ مِنْ تَائِبٍ نَدْمَانِ

٥١٠٠ ـ أَوْ دَاعٍ أَوْ مُسْتَغْفِرٍ أَوْ سَائِلٍ　أُعْطِيهِ إِنِّي وَاسِعُ الإِحْسَانِ

٥١٠١ ـ حَتَّى تُصَلَّى الفَجْرُ يَشْهَدُهَا مَعَ الْـ　أَمْلَاكِ تِلْكَ شَهَادَةُ القُرْآنِ

٥١٠٢ ـ هَذَا الحَدِيثُ بِطُولِهِ وَسِيَاقِهِ　وَتَمَامِهِ فِي سُنَّةِ الطَّبَرَانِي

❋ ❋ ❋

فصلٌ

في بناءِ الجنَّةِ

٥١٠٣ ـ وَبِنَاؤهَا اللَّبِنَاتُ مِنْ ذَهَبٍ وَأُخْـ　ـرَى فِضَّةٌ نَوْعَانِ مُخْتَلِفَانِ

٥١٠٤ ـ وقُصُورُهَا مِنْ لُؤْلُؤٍ وَزَبَرْجَدٍ　أَوْ فِضَّةٍ أَوْ خَالِصِ العِقْيَانِ

٥١٠٥ ـ وَكَذَاكَ مِنْ دُرٍّ وَيَاقُوتٍ بِهِ　نُظِمَ البِنَاءُ بِغَايَةِ الإِتْقَانِ

٥١٠٦ ـ وَالطِّينُ مِسْكٌ خَالِصٌ أَوْ زَعْفَرَا　نٌ جَا بِذَا أَثَرَانِ مَقْبُولَانِ

٥١٠٧ ـ لَيْسَا بِمُخْتَلِفَيْنِ لَا تُنْكِرْهُمَا　فَهُمَا المِلَاطُ لِذَلِكَ البُنْيَانِ

❋ ❋ ❋

فصلٌ

في أرْضِها وحصبائِها وتُرْبتها

٥١٠٨ ـ وَالأَرْضُ مَرْمَرَةٌ كَخَالِصِ فِضَّةٍ　مِثْلَ المِرَاةِ تَنَالُهَا العَيْنَانِ

٥١٠٩ ـ فِي مُسْلِمٍ تَشْبِيهُهَا بِالدَّرْمَكِ الصَّـ　ـافِي وبِالمِسْكِ العَظِيمِ الشَّانِ

٥١١٠ ـ هَذَا لِحُسْنِ اللَّوْنِ لَكِنْ ذَا لِطِيـ　ـبِ الرِّيحِ صَارَ هُنَاكَ تَشْبِيهَانِ

٥١١١ - حَصْبَاؤها دُرٌّ ويَاقُوتٌ كَذَا   كَ لآلِئٌ نُثِرَتْ كَنَثْرِ جُمَانِ
٥١١٢ - وتُرابُهَا مِنْ زَعْفَرَانٍ أَوْ مِنَ الْـ   ـمِسْكِ الَّذِي مَا اسْتُلَّ مِنْ غِزلَانِ

❋ ❋ ❋

فصلٌ

في صِفةِ غُرُفَاتِهَا

٥١١٣ - غُرُفَاتُهَا فِي الجَوِّ يُنْظَرُ بَطْنُهَا   مِنْ ظَهْرِهَا وَالظَّهْرُ مِنْ بُطْنَانِ
٥١١٤ - سُكَّانُهَا أهلُ القِيَامِ مَعَ الصِّيَا   مِ وَطَيِّبِ الكَلِمَاتِ والإحْسَانِ
٥١١٥ - ثِنْتَانِ خَالِصُ حَقِّهِ سُبْحَانَهُ   وَعَبِيدُهُ أيْضاً لَهُم ثِنْتَانِ

❋ ❋ ❋

فصلٌ

في خِيامِ الجنَّةِ

٥١١٦ - لِلْعبدِ فِيها خَيْمَةٌ مِنْ لُؤلُؤٍ   قَدْ جُوِّفَتْ هِيَ صَنْعَةُ الرَّحْمٰنِ
٥١١٧ - سِتُّونَ مِيلًا طُولُهَا فِي الجَوِّ فِي   كُلِّ الزوايَا أَجْمَلُ النِّسْوَانِ
٥١١٨ - يَغْشَى الجَمِيعَ فَلَا يُشَاهِدُ بَعْضُهُمْ   بَعْضاً وَهَذَا لاتِّسَاعِ مَكَانِ
٥١١٩ - فِيهَا مَقَاصِيرٌ بِها الأَبْوَابُ مِنْ   ذَهَبٍ وَدُرٍّ زِينَ بِالمَرْجَانِ
٥١٢٠ - وَخِيَامُهَا مَنْصُوبَةٌ بِرِيَاضِهَا   وَشَواطِىءِ الأنْهَارِ ذِي الجَرَيَانِ
٥١٢١ - مَا فِي الخِيَامِ سِوَى الَّتِي لَوْ قَابَلَتْ   لِلنَّيِّرَيْنِ لَقُلْتَ مُنْكَسِفَانِ
٥١٢٢ - لِلَّهِ هَاتِيكَ الخِيَامُ فَكَمْ بِهَا   لِلقَلْبِ مِنْ عُلَقٍ وَمِنْ أشْجَانِ
٥١٢٣ - فِيهِنَّ حُورٌ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ خَيْـ   ـرَاتٌ حِسَانٌ هُنَّ خَيْرُ حِسَانِ
٥١٢٤ - خَيْراتُ أخْلَاقٍ حِسَانٌ أوجُهاً   فَالْحُسْنُ والإحْسَانُ متَّفِقَانِ

فصلٌ

في أرَائِكِهَا وسُرُرِهَا

٥١٢٥ ـ فِيهَا الأرَائِكُ وَهْيَ مِنْ سُرُرٍ عَلَيْـ ـهِـنَّ الـحِـجَـالُ كَـثِـيـرةُ الألْوَانِ
٥١٢٦ ـ لَا تَسْتَحِقُّ اسْمَ الأرَائِكِ دُونَ هَا تِـيـكَ الـحِـجَـالِ وَذَاكَ وَضْعُ لِسَانِ
٥١٢٧ ـ بَشْخَانَةٌ يَدْعُونَهَا بِلِسَانِ فَا رِسَ وَهْوَ ظَهْرُ البَيْتِ ذِي الأرْكَانِ

فصلٌ

في أشجارِهَا وظلالِها وثمارِها

٥١٢٨ ـ أَشْجَارُهَا نَوْعَان مِنْهَا مَا لَهُ فِـي هَـذِهِ الـدُّنْـيَـا مِـثَـالٌ دَانِ
٥١٢٩ ـ كَالسِّدْرِ أَصْلِ النَّبْقِ مَخْضُودٌ مَكَا نَ الـشَّـوْكِ مِـنْ ثَـمَـرٍ ذَوِي أَلْوَانِ
٥١٣٠ ـ هَذَا وَظِلُّ السِّدْرِ مِنْ خَيْرِ الظِّلَا لِ وَنَـفْـعُـهُ الـتَّـرْوِيـحُ لـلأبْـدَانِ
٥١٣١ ـ وثِمَارُهُ أيْضاً ذَوَاتُ مَنَافِعٍ مِنْ بَعْضِهَا تَفْرِيحُ ذِي الأحْزَانِ
٥١٣٢ ـ وَالطَّلْحِ وَهْوَ الموْزُ مَنْضُودٌ كَمَا نُضِدَتْ يَدٌ بِأَصَابِعٍ وَبَنَانِ
٥١٣٣ ـ أَوْ أَنَّهُ شَجَرُ البَوادِي مُوقَراً حَمْلًا مَكَانَ الشَّوْكِ فِي الأغْصَانِ
٥١٣٤ ـ وكَذَلِكَ الرُّمَّانُ والأعْنَابُ والنَّـ ـخْلُ الَّتي مِنْهَا القُطُوفُ دَوَانِ
٥١٣٥ ـ هَذَا وَنَوْعٌ مَا لَهُ فِي هَذِهِ الدُّ نْيَا نَظِيرٌ كَيْ يُرَى بِعِيَانِ
٥١٣٦ ـ يَكْفِي مِنَ التَّعْدَادِ قَولُ إلـهِنَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ بِهَا زَوْجَانِ
٥١٣٧ ـ وأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهاً فِي اللَّوْنِ مُخْـ ـتَلِفَ الطُّعُوم فَذَاكَ ذُو أَلْوَانِ
٥١٣٨ ـ أَوْ أَنَّهُ مُتَشَابِهٌ فِي الاسْمِ مُخْـ ـتَلِفُ الطُّعُوم فَذَاكَ قَوْلٌ ثَانِ
٥١٣٩ ـ أَوْ أَنَّهُ وَسَطٌ خِيَارٌ كُلُّهُ فَالفَحْلُ فيه لَيْسَ ذَا ثُنْيَانِ
٥١٤٠ ـ أَوْ أَنَّهُ لِثِمَارِنَا ذُو شَبَهٍ فِي اسْمٍ وَلَوْنٍ لَيْسَ يَخْتَلِفَانِ
٥١٤١ ـ لَكِنّ بَهْجَتَهَا ولَذَّةَ طَعْمِهَا أمْرٌ سِوَى هَذَا الَّذِي تَجِدَانِ

٥١٤٢ ـ فَيَلَذُّهَا فِي الأكْلِ عِنْدَ مَنَالِهَا　　وَتَلَذُّهَا مِنْ قَبْلِهِ الْعَيْنَانِ

٥١٤٣ ـ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمَا بِالْجَنَّةِ الْـ　　ـعُلْيَا سِوَى أَسْمَاءِ مَا تَرَيَانِ

٥١٤٤ ـ يَعْنِي الحَقَائِقُ لا تُمَاثِلُ هَذِهِ　　وكِلَاهُمَا فِي الاسم متَّفِقَانِ

٥١٤٥ ـ يَا طِيبَ هَاتِيكَ الثِّمَارِ وَغَرْسِهَا　　فِي المِسْكِ ذَاكَ التُّرْبُ لِلبسْتَانِ

٥١٤٦ ـ وَكَذَلِكَ المَاءُ الَّذِي يُسْقَى بِهِ　　يَا طِيبَ ذَاكَ الوِرْدِ لِلظَّمْآنِ

٥١٤٧ ـ وَإِذَا تَنَاوَلْتَ الثِّمَارَ أَتَتْ نَظِيـ　　ـرُتُهَا فَحَلَّتْ دُونَهَا بِمَكَانِ

٥١٤٨ ـ لَمْ تَنْقَطِعْ أبداً وَلَمْ تَرْقُبْ مَسِيـ　　ـرَ الشَّمْسِ مِنْ حَمَلٍ إِلَى مِيزَانِ

٥١٤٩ ـ وَكَذَاكَ لَمْ تُمْنَعْ وَلَمْ تَحْتَجْ إِلَى　　أَنْ تُرتَقَى لِلْقِنْوِ فِي العِيدَانِ

٥١٥٠ ـ بَلْ ذُلِّلَتْ تِلْكَ القُطُوفُ فَكَيْفَ مَا　　شِئْتَ انْتَزَعْتَ بِأسْهَلِ الإِمْكَانِ

٥١٥١ ـ وَلَقَدْ أَتَى أثرٌ بِأَنَّ السَّاقَ مِنْ　　ذَهَبٍ رَوَاهُ التِّرْمِذِي بِبَيَانِ

٥١٥٢ ـ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَهَاتِيكَ الجُذُو　　عُ زُمُرُّدٌ مِنْ أحْسَنِ الألْوَانِ

٥١٥٣ ـ وَمُقَطَّعَاتُهُمُ مِنَ الكَرَبِ الَّذِي　　فِيهَا وَمِنْ سَعَفٍ مِنَ العِقْيَانِ

٥١٥٤ ـ وَثِمَارُهَا مَا فِيهِ مِنْ عَجَمٍ كَأمْـ　　ـثَالِ القِلَالِ فَجَلَّ ذُو الإِحْسَانِ

٥١٥٥ ـ وَظِلالُهَا ممدودةٌ لَيْسَتْ تَقِي　　حَرّاً وَلَا شَمْساً وأنَّى ذَانِ

٥١٥٦ ـ أَوَ مَا سَمِعْتَ بِظلِّ أَصْلٍ وَاحِدٍ　　فِيهِ لِسَيْرِ الرَّاكِبِ العَجْلَانِ

٥١٥٧ ـ مائَةٌ سِنِينٌ قُدِّرَتْ لَا تَنْقَضِي　　هَذَا لِعُظْمِ الأصْلِ والأفْنَانِ

٥١٥٨ ـ وَلَقَدْ رَوَى الخُدْرِيُّ أيْضاً أَنَّ طُو　　بَى قَدْرُهَا مائَةٌ بِلَا نُقْصَانِ

٥١٥٩ ـ تَتَفَتَّحُ الأكْمَامُ مِنهَا عَنْ لِبَا　　سِهِمُ بِمَا شَاؤوا مِنَ الألْوَانِ

❋ ❋ ❋

فصلٌ

في سَمَاعِ أهْلِ الجنَّةِ

٥١٦٠ ـ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَيُرْسِلُ رَبُّنَا　　رِيحاً تَهُزُّ ذَوَائِبَ الأغْصَانِ

٥١٦١ ـ فَتُثِيرُ أَصْوَاتاً تَلَذُّ لِمَسْمَعِ الْـ إنْسَانِ كَالنَّغَمَاتِ بِالأَوْزَانِ
٥١٦٢ ـ يَا لَذَّةَ الأَسْمَاعِ لَا تَتَعَوَّضِي بِلَذَاذَةِ الأَوْتَارِ وَالعِيدَانِ
٥١٦٣ ـ أَوَ مَا سَمِعْتِ سَمَاعُهُمْ فِيهَا غِنَا ءُ الحُورِ بِالأَصْوَاتِ والأَلْحَانِ
٥١٦٤ ـ وَاهاً لِذَيَّاكَ السَّمَاعِ فَإِنَّهُ مُلِئَتْ بِهِ الأُذْنَانِ بِالإِحْسَانِ!
٥١٦٥ ـ وَاهاً لِذَيَّاكَ السَّمَاعِ وَطِيبِهِ مِنْ مِثْلِ أَقْمَارٍ عَلَى أَغْصَانِ!
٥١٦٦ ـ وَاهاً لِذَيَّاكَ السَّمَاعِ فَكَمْ بِهِ لِلْقَلْبِ مِنْ طَرَبٍ وَمِنْ أَشْجَانِ!
٥١٦٧ ـ وَاهاً لِذَيَّاكَ السَّمَاعِ وَلَمْ أَقُلْ ذَيَّاكَ تَصْغِيراً لَهُ بِلِسَانِ
٥١٦٨ ـ مَا ظَنُّ سَامِعَةٍ بِصَوْتٍ أَطْيَبِ الْـ أَصْوَاتِ مِنْ حُورِ الجِنَانِ حِسَانِ
٥١٦٩ ـ نَحْنُ النَّوَاعِمُ والخَوَالِدُ خَيِّرَا تٌ كَامِلَاتُ الحُسْنِ وَالإِحْسَانِ
٥١٧٠ ـ لَسْنَا نَمُوتُ وَلَا نَخَافُ وَمَا لَنَا سُخْطٌ وَلَا ضِغْنٌ مِنَ الأَضْغَانِ
٥١٧١ ـ طُوبَى لِمَنْ كُنَّا لَهُ وَكَذَاكَ طُو بَى لِلَّذِي هُوَ حَظُّنَا الحَقَّانِي
٥١٧٢ ـ فِي ذَاكَ آثَارٌ رُوِينَ وَذِكْرُهَا فِي التِّرْمِذِيِّ وَمُعْجَمِ الطَّبَرَانِي
٥١٧٣ ـ وَرَوَاهُ يَحْيَى شَيْخُ الأَوْزَاعِيِّ تَفْـ سِيراً لِلَفْظَةِ «يُحْبَرُونَ» أَغَانِ
٥١٧٤ ـ نَزِّهْ سَمَاعَكَ إِنْ أَرَدْتَ سَمَاعَ ذَيَّـ ـاكَ الغِنَا عَنْ هَذِهِ الأَلْحَانِ
٥١٧٥ ـ لَا تُؤْثِرِ الأَدْنَى عَلَى الأَعْلَى فَتُحْـ ـرَمَ ذَا وَذَا يَا ذِلَّةَ الحِرْمَانِ
٥١٧٦ ـ إِنَّ اخْتِيَارَكَ لِلسَّمَاعِ النَّازِلِ الْـ أَدْنَى عَلَى الأَعْلَى مِنَ النُّقْصَانِ
٥١٧٧ ـ وَاللَّهِ إِنَّ سَمَاعَهُمْ فِي القَلْبِ وَالْـ إِيمَانِ مِثْلُ السُّمِّ فِي الأَبْدَانِ
٥١٧٨ ـ وَاللَّهِ مَا انْفَكَّ الَّذِي هُوَ دَأْبُهُ أَبَداً مِنَ الإِشْرَاكِ بِالرَّحْمٰنِ
٥١٧٩ ـ فَالقَلْبُ بَيْتُ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ حُبّاً وإِجْلَالاً مَعَ الإِحْسَانِ
٥١٨٠ ـ فَإِذَا تَعَلَّقَ بِالسَّمَاعِ أَصَارَهُ عَبْداً لِكُلِّ فُلَانَةٍ وَفُلَانِ
٥١٨١ ـ حُبُّ الكِتَابِ وَحُبُّ أَلْحَانِ الغِنَا فِي قَلْبِ عَبْدٍ لَيْسَ يَجْتَمِعَانِ
٥١٨٢ ـ ثَقُلَ الكِتَابُ عَلَيْهِمُ لَمَّا رَأَوْا تَقْيِيدَهُ بِشَرَائِعِ الإِيمَانِ
٥١٨٣ ـ وَاللَّهْوُ خَفَّ عَلَيْهِمُ لَمَّا رَأَوْا مَا فِيهِ مِنْ طَرَبٍ وَمِنْ أَلْحَانِ

٥١٨٤ ـ قُوتُ النُّفُوسِ وَإِنَّمَا القُرْآنُ قُو ... تُ القَلْبِ أَنَّى يَسْتَوِي القُوتَانِ!

٥١٨٥ ـ وَلِذَا تَرَاهُ حَظَّ ذِي النُّقْصَانِ كَالْـ ... جُهَّالِ والصِّبْيَانِ والنِّسْوَانِ

٥١٨٦ ـ وَأَلَذُّهُمْ فِيهِ أَقَلُّهُمُ مِنَ الْـ ... عَقْلِ الصَّحِيحِ فَسَلْ أَخَا العِرْفَانِ

٥١٨٧ ـ يَا لَذَّةَ الفُسَّاقِ لَسْتِ كَلَذَّةِ الْـ ... أَبْرَارِ فِي عَقْلٍ وَلَا قُرْآنِ

❋ ❋ ❋

فصلٌ

في أنهارِ الجنَّةِ

٥١٨٨ ـ أَنْهَارُهَا من غَيْرِ أُخْدودٍ جَرَتْ ... سُبْحَانَ مُمْسِكِهَا عَنِ الفَيَضَانِ

٥١٨٩ ـ مِنْ تَحْتِهِمْ تَجْرِي كَمَا شَاؤُوا مفَجَّـ ... ـرَةً وَمَا لِلنَّهْرِ مِنْ نُقْصَانِ

٥١٩٠ ـ عَسَلٌ مُصَفًّى ثُمَّ مَاءٌ ثُمَّ خَمْـ ... ـرٌ ثُمَّ أَنْهَارٌ مِنَ الأَلْبَانِ

٥١٩١ ـ وَاللَّهِ مَا تِلْكَ المَوَادُ كَهَذِهِ ... لَكِنْ هُمَا فِي اللَّفْظِ يَجْتَمِعَانِ

٥١٩٢ ـ هَذَا وَبَيْنَهُمَا يَسِيرُ تَشَابُهٍ ... وَهُوَ اشْتِرَاكٌ قَامَ بِالأَذْهَانِ

٥١٩٣ ـ [أتظنُّها محلوبةً مِن باقرٍ ... أو ناقةٍ أو ماعزٍ أو ضانِ]

❋ ❋ ❋

فصلٌ

في طَعامِ أهْلِ الجنَّةِ

٥١٩٤ ـ وَطَعَامُهُمْ مَا تَشْتَهِيهِ نُفُوسُهُمْ ... وَلُحُومُ طَيْرٍ نَاعِمٍ وَسِمَانِ

٥١٩٥ ـ وَفَوَاكِهٌ شَتَّى بِحَسْبِ مُنَاهُمُ ... يَا شِبْعَةً كَمُلَتْ لِذِي الإِيمَانِ

٥١٩٦ ـ لَحْمٌ وَخَمْرٌ وَالنِّسَا وَفَوَاكِهٌ ... وَالطِّيبُ مَعْ رَوْحٍ وَمَعْ رَيْحَانِ

٥١٩٧ ـ وَصِحَافُهُم ذَهَبٌ تَطُوفُ عَلَيْهِمُ ... بِأَكُفِّ خُدَّامٍ مِنَ الوِلْدَانِ

٥١٩٨ ـ وَانْظُرْ إلَى جَعْلِ اللَّذَاذَةِ لِلْعُيُو ... نِ وَشَهْوَةٍ لِلنَّفْسِ فِي الْقُرْآنِ
٥١٩٩ ـ لِلْعَيْنِ مِنْهَا لَذَّةٌ تَدْعُو إلَى ... شَهَوَاتِهَا بِالنَّفْسِ والأمْرَانِ
٥٢٠٠ ـ سَبَبُ التَّنَاوُلِ وَهْوَ يُوجِبُ لَذَّةً ... أُخْرَى سِوَى مَا نَالَتِ الْعَيْنَانِ

❋ ❋ ❋

فصلٌ

في شرابِهِمْ

٥٢٠١ ـ يُسْقَوْنَ فِيهَا مِنْ رَحِيقٍ خَتْمُهُ ... بِالْمِسْكِ أَوَّلُهُ كَمِثْلِ الثَّانِي
٥٢٠٢ ـ مِن خَمْرَةٍ لَذَّتْ لِشَارِبِهَا بِلَا ... غَوْلٍ وَلَا دَاءٍ وَلَا نُقْصَانِ
٥٢٠٣ ـ والخمرُ في الدنيا فهذا وصفُها ... تغتالُ عَقْلَ الشاربِ السَّكْرانِ
٥٢٠٤ ـ وَبِهَا مِنَ الأَدْوَاءِ مَا هِيَ أَهْلُه ... وَيُخَافُ مِنْ عَدَمٍ لِذِي الْوُجْدَانِ
٥٢٠٥ ـ فَنفَى لَنَا الرَّحْمٰنُ أجْمَعَهَا عَنِ الْـ ... خَمْرِ الَّتي فِي جَنَّةِ الْحَيَوَانِ
٥٢٠٦ ـ وَشَرَابُهُمْ مِنْ سَلْسَبِيلٍ مَزجُهُ الْـ ... كَافُورُ ذَاكَ شَرَابُ ذِي الإحْسَانِ
٥٢٠٧ ـ هَذَا شَرَابُ أولِي الْيَمِينِ وَلَكِنِ الْـ ... أبْرَارُ مَشْرَبُهم شَرَابٌ ثَانِ
٥٢٠٨ ـ يُدْعَى بِتَسْنِيمٍ سَنَامُ شَرابِهم ... شِرْبُ الْمقَرَّبِ خِيْرَةِ الرَّحْمٰنِ
٥٢٠٩ ـ صَفَّى الْمقَرَّبُ سَعْيَهُ فَصَفَا لَهُ ... ذَاكَ الشَّرَابُ فَتِلْكَ تَصْفِيَتَانِ
٥٢١٠ ـ لَكِنَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ فَأَهْلُ مَزْ ... جٍ بِالْمُبَاحِ وَلَيْسَ بِالْعِصْيَانِ
٥٢١١ ـ مُزِجَ الشَّرَابُ لَهُمْ كَمَا مَزَجُوا هُمُ الْـ ... أَعْمَالَ ذَاكَ الْمَزْجُ بِالْمِيزَانِ
٥٢١٢ ـ هَذا وَذُو التَّخْلِيطِ مُرْجىً أمْرُهُ ... والْحُكْمُ فِيهِ لِرَبِّهِ الدَّيَّانِ

❋ ❋ ❋

فصلٌ

في مَصْرِفِ طعامِهِمْ وشرابِهِمْ وهضْمِهِ

٥٢١٣ ـ هَذَا وَتَصْرِيفُ الْمآكِلِ مِنْهُمُ ... عَرَقٌ يَفِيضُ لَهُم مِنَ الأبْدَانِ

٥٢١٤ - كَـرَوائِحِ الـمِسْكِ الَّذِي مَا فِيهِ خَلْـ طٌ غَـيْـرُهُ مِـنْ سَـائِرِ الأَلْوَانِ
٥٢١٥ - فَتَعُودُ هَـاتِيكَ الـبُطُونُ ضَوَامِراً تَبْغِي الطَّعَامَ عَلَى مَدَى الأَزْمَانِ
٥٢١٦ - لَا غَـائِطٌ فِـيـهَـا وَلَا بَـوْلٌ وَلَا مَـخْـطٌ وَلَا بَـصْـقٌ مِـنَ الإِنْـسَـانِ
٥٢١٧ - وَلَهُمْ جُشَـاءٌ رِيحُهُ مِسْكٌ يَكُو نُ بِـهِ تَـمَـامُ الـهَـضْـمِ لـلإِنـسـانِ
٥٢١٨ - هَـذَا وَهَـذَا صَحَّ عَنْـهُ فَـوَاحِـدٌ فِـي مُـسْـلِمٍ ولأَحْـمَـدَ الأَثْـرَانِ

❋ ❋ ❋

فصلٌ

في لِباسِ أهْلِ الجنَّةِ

٥٢١٩ - وَهُمُ الـمـلُوكُ عَلَى الأَسِرَّةِ فَوْقَ هَا تِـيـكَ الـرُّؤوسِ مُـرَصَّـعُ الـتِّـيجَـانِ
٥٢٢٠ - وَلِبَاسُهُـمْ مِنْ سُنْدُسٍ خُضْرٍ وَمِنْ إِسْـتَـبْـرَقٍ نَـوْعَـانِ مَـعْـرُوفَـانِ
٥٢٢١ - مَـا ذَاكَ مِـنْ دُودٍ بَـنَـى مِـنْ فَـوْقِـهِ تِـلْكَ الـبُـيُـوتَ وَعَـادَ ذَا طَـيَـرانِ
٥٢٢٢ - كَلَّا وَلَا نُسِجَتْ عَلَى الْمِنْوَالِ نَسْـ جَ ثِـيَـابِـنَـا بِـالـقُـطْـنِ والـكَـتَّـانِ
٥٢٢٣ - حُـلَلٌ تُشَقُّ ثِمَارُهَا عنهـا فَتَبْـ ـدُو كـالـرِّيَـاطِ بـأَحْـسَـنِ الأَلْـوانِ
٥٢٢٤ - بِيضٌ وَخُضْرٌ ثُمَّ صُفْرٌ ثُمَّ حُمْـ ـرٌ شُـبِّـهَـتْ بِـشَـقَـائِـقِ الـنُّـعْـمَـانِ
٥٢٢٥ - لَا تَـقْـبَـلُ الـدَّنَـسَ الـمُـقَـرِّبَ لِلْبِلَى مَـا لِـلـبِـلَى أَبَـداً بِـهِـنَّ يَـدانِ
٥٢٢٦ - وَنـصِـيـفُ إِحْدَاهُـنَّ وَهْـوَ خِـمَـارُهَـا لَيْـسَـتْ لَهُ الـدُّنْـيَـا مِـنَ الأَثْـمَـانِ
٥٢٢٧ - سَبْعُونَ مِـنْ حُـلَلٍ عَـلَيْهَـا لَا تَـعُـو قُ الـطَّـرْفَ عَـنْ مُـخٍّ وَرَا الـسِّـيـقَـانِ
٥٢٢٨ - لَكِـنْ تَـرَاهُ مِـنْ وَرا ذَا كُـلِّـهِ مِـثْـلَ الـشَّـرَابِ لَدَى زُجَـاجِ أَوَانِ

فصلٌ

في فُرُشِهِمْ وما يتبعُهَا

٥٢٢٩ - وَالـفُـرْشُ مِـنْ إِسْـتَـبْرَقٍ قَـدْ بُطِّنَـتْ مَـا ظَـنُّـكُـمْ بِـظِـهَـارَةٍ لِبِـطَـانِ

٥٢٣٠ ـ مَرْفُوعَةٌ فَوْقَ الأسِرَّةِ يَتَّكِي ... هُوَ وَالحَبِيبُ بِخَلْوَةٍ وأمَانِ
٥٢٣١ ـ يَتَحَدَّثَانِ عَلَى الأرَائكِ مَا تَرَى ... حِبَّيْنِ فِي الخَلَواتِ يَنْتَجِيَانِ
٥٢٣٢ ـ هَذَا وَكَمْ زِرْبِيَّةٍ وَنَمَارِقٍ ... وَوَسَائِدٍ صُفَّتْ بِلَا حُسْبَانِ

***

فصلٌ
في حُلِيِّ أهْلِ الجنَّةِ

٥٢٣٣ ـ وَالحَلْيُ أَصْفَى لُؤْلؤٍ وَزَبَرْجَدٍ ... وَكَذَاكَ أَسْورةٌ مِنَ العِقْيَانِ
٥٢٣٤ ـ مَا ذَاك يَخْتَصُّ الإنَاثَ وإنَّمَا ... هُوَ لِلإنَاثِ كَذَاكَ لِلذُّكْرَانِ
٥٢٣٥ ـ التَّارِكِينَ لِبَاسَهُ فِي هَذِهِ الدُّ ... نْيَا لأَجْلِ لِبَاسِهِ بِجِنَانِ
٥٢٣٦ ـ أَوَ مَا سَمِعْتَ بِأنَّ حِلْيَتَهُمْ إِلَى ... حَيْثُ انْتِهَاءُ وُضوئِهِمْ بِوِزَانِ
٥٢٣٧ ـ وَكَذَا وضوءُ أَبِي هُرَيْرَةَ كَانَ قَدْ ... فَازَتْ بِهِ العَضُدَانِ والسَّاقَانِ
٥٢٣٨ ـ وَسِوَاهُ أَنْكَرَ ذَا عَلَيْهِ قَائِلًا ... مَا السَّاقُ مَوْضِعَ حِلْيَةِ الإنْسَانِ
٥٢٣٩ ـ مَا ذَاكَ إلَّا مَوْضِعُ الكَعْبَيْنِ والزَّ ... نْدَيْنِ لَا السَّاقَانِ والعَضُدَانِ
٥٢٤٠ ـ وَلِذَاكَ أَهْلُ الفِقْهِ مُخْتَلِفُونَ فِي ... هَذَا وَفِيهِ عِنْدَهُمْ قَوْلَانِ
٥٢٤١ ـ وَالرَّاجِحُ الأقْوَى انْتِهَاءُ وُضُوئِنَا ... لِلْمِرفَقَيْنِ كَذَلِكَ الكَعْبَانِ
٥٢٤٢ ـ هَذَا الَّذِي قَدْ حَدَّهُ الرَّحْمٰنُ فِي الْ ... قُرآنِ لَا تَعْدِلْ عَنِ القُرآنِ
٥٢٤٣ ـ وَاحْفَظْ حُدُود الرَّبِّ لَا تَتَعَدَّهَا ... وَكَذَاكَ لَا تَجْنَحْ إلى النُّقْصَانِ
٥٢٤٤ ـ وَانْظُرْ إلَى فِعْلِ الرَّسُولِ تَجِدْهُ قَدْ ... أَبْدَى المُرادَ وَجَاءَ بِالتِّبْيَانِ
٥٢٤٥ ـ وَمَنِ اسْتَطَاعَ يُطِيلُ غُرَّتَهُ فَمَوْ ... قُوفٌ عَلَى الرَّاوِي هُوَ الفَوْقَانِي
٥٢٤٦ ـ فَأَبُو هُرَيْرَةَ قَالَ ذَا مِنْ كِيسِهِ ... فَغَدَا يُمَيِّزُهُ أُولُو العِرْفَانِ
٥٢٤٧ ـ وَنُعَيمٌ الرَّاوِي لَهُ قَدْ شَكَّ فِي ... رَفْعِ الحَدِيثِ كَذَا رَوَى الشَّيْبَانِي
٥٢٤٨ ـ وَإِطَالَةُ الغُرَّاتِ لَيسَ بِمُمْكِنٍ ... أَبَداً وَذَا فِي غَايَةِ التِّبْيَانِ

فصلٌ

في صفةِ عرائسِ الجنَّةِ وحسْنِهنَّ وجَمَالِهنَّ ولذةِ وِصالِهنَّ ومُهُورِهنَّ

٥٢٤٩ - يَا مَنْ يَطُوفُ بِكَعْبَةِ الحُسْنِ الَّتي ... حُفَّتْ بِذَاكَ الحِجْرِ والأرْكَانِ

٥٢٥٠ - وَيَظَلُّ يَسْعَى دَائِماً حَولَ الصَّفَا ... وَمُحَسِّرٌ مَسْعَاهُ لَا العَلَمَانِ

٥٢٥١ - وَيرُومُ قُرْبَانَ الوِصَالِ عَلَى مِنًى ... والخَيفُ يَحْجُبُهُ عَنِ القُرْبَانِ

٥٢٥٢ - فَلِذَا تَرَاهُ مُحْرِماً أبَداً وَمَوْ ... ضِعُ حِلِّهِ مِنْهُ فَلَيْسَ بِدَانِ

٥٢٥٣ - يَبْغِي التَّمَتُّعَ مُفْرِداً عن حِبِّهِ ... مُتَجَرِّداً يَبْغِي شَفِيعَ قِرَانِ

٥٢٥٤ - فَيَظَلُّ بالجَمَرَاتِ يَرمِي قَلْبَهُ ... هَذِي مَنَاسِكُهُ بِكُلِّ زَمَانِ

٥٢٥٥ - وَالنَّاسُ قَدْ قَضَّوْا مَنَاسِكَهُمْ وَقَدْ ... حَثُّوا رَكَائِبَهُمْ إلَى الأوْطَانِ

٥٢٥٦ - وَحَدَتْ بِهِمْ هِمَمٌ لَهُمْ وَعَزَائِمٌ ... نَحْوَ المَنَازِلِ أوَّلَ الأزْمَانِ

٥٢٥٧ - رُفِعَتْ لَهُمْ فِي السَّيْرِ أعْلَامُ الوِصَا ... لِ فَشَمَّرُوا يَا خَيْبَةَ الكَسْلَانِ

٥٢٥٨ - وَرَأَوْا عَلَى بُعْدٍ خِيَاماً مُشْرِفَا ... تٍ مُشْرِقَاتِ النُّورِ وَالبُرْهَانِ

٥٢٥٩ - فَتَيَمَّمُوا تِلْكَ الخِيَامَ فآنَسُوا ... فِيهِنَّ أقْمَاراً بِلَا نُقْصَانِ

٥٢٦٠ - مِنْ قَاصِرَاتِ الطَّرْفِ لَا تَبْغِي سِوَى ... مَحْبُوبِهَا مِنْ سَائِرِ الشُّبَّانِ

٥٢٦١ - قَصَرَتْ عَلَيْه طَرْفَهَا مِنْ حُسْنِهِ ... فالطَّرْف فِي ذَا الوَجْهِ لِلنِّسْوَانِ

٥٢٦٢ - أوْ أنَّهَا قَصَرَتْ عَلَيْهَا طَرْفَهُ ... مِنْ حُسْنِهَا فَالطَّرْفُ لِلذُّكْرَانِ

٥٢٦٣ - وَالأوَّلُ المعْهُودُ مِنْ وَضْعِ الخِطَا ... بِ فَلا تَحِدْ عَنْ ظَاهِرِ القُرْآنِ

٥٢٦٤ - وَلرُبَّمَا دَلَّتْ إشَارَتُهُ عَلَى الثَّـ ... ـانِي فَتِلْكَ إشَارَةٌ لِمَعَانِ

٥٢٦٥ - هَذَا وَلَيْسَ القَاصِرَاتُ كَمَنْ غَدَتْ ... مَقْصُورَةً فَهُمَا إذاً صِنْفَانِ

٥٢٦٦ - يَا مُطْلِقَ الطَّرْفِ المعَذَّبِ فِي الأُلَى ... جُرِّدْنَ عَنْ حُسْنٍ وَعَنْ إحْسَانِ

٥٢٦٧ - لَا تَسْبِيَنَّكَ صُورَةٌ مِنْ تَحْتِهَا الدَّ ... اءُ الدَّوِيُّ تَبُوءُ بالخُسْرَانِ

٥٢٦٨ ـ قَبُحَتْ خَلَائِقُهَا وَقُبِّحَ فِعْلُهَا		شَيْطَانَةٌ فِي صُورَةِ الإِنْسَانِ
٥٢٦٩ ـ تَنْقَادُ لِلأَنْذَالِ والأَرْذَالُ هُمْ		أَكْفَاؤُهَا مِنْ دُونِ ذِي الإِحْسَانِ
٥٢٧٠ ـ مَا ثَمَّ مِنْ دِينٍ وَلَا عَقْلٍ وَلَا		خُلُقٍ وَلَا خَوْفٍ مِنَ الرَّحْمٰنِ
٥٢٧١ ـ وَجَمَالُهَا زُورٌ وَمَصْنُوعٌ فَإِنْ		تَرَكَتْهُ لَمْ تَطْمَحْ لَهَا العَيْنَانِ
٥٢٧٢ ـ طُبِعَتْ عَلَى تَرْكِ الحِفَاظِ فَمَا لَهَا		بِوَفَاءِ حَقِّ البَعْلِ قَطُّ يَدَانِ
٥٢٧٣ ـ إِنْ قَصَّرَ السَّاعِي عَلَيْهَا سَاعَةً		قَالَتْ: وَهَلْ أَوْلَيْتَ مِنْ إِحْسَانِ؟
٥٢٧٤ ـ أَوْ رَامَ تَقْوِيماً لَهَا اسْتَعْصَتْ وَلَمْ		تَقْبَلْ سِوَى التَّعْوِيجِ والنُّقْصَانِ
٥٢٧٥ ـ أَفْكَارُهَا فِي المَكْرِ والكَيْدِ الَّذِي		قَدْ حَارَ فِيهِ فِكْرَةُ الإِنْسَانِ
٥٢٧٦ ـ فَجَمَالُهَا قِشْرٌ رَقِيقٌ تَحْتَهُ		مَا شِئْتَ مِنْ عَيْبٍ وَمِنْ نُقْصَانِ
٥٢٧٧ ـ نَقْدٌ رَدِيءٌ فَوْقَهُ مِنْ فِضَّةٍ		شَيْءٌ يُظَنُّ بِهِ مِنَ الأَثْمَانِ
٥٢٧٨ ـ فَالنَّاقِدُونَ يَرَوْنَ مَاذَا تَحْتَهُ		وَالنَّاسُ أَكْثَرُهُمْ مِنَ العُمْيَانِ
٥٢٧٩ ـ أَمَّا جَمِيلَاتُ الوُجُوهِ فَخَائِنَا		تُ بُعُولِهِنَّ وَهُنَّ لِلأَخْدَانِ
٥٢٨٠ ـ وَالحَافِظَاتُ الغَيْبِ مِنْهُنَّ الَّتِي		قَدْ أَصْبَحَتْ فَرْداً مِنَ النِّسْوَانِ
٥٢٨١ ـ فَانْظُرْ مَصَارِعَ مَنْ يَلِيكَ وَمَنْ خَلَا		مِنْ قَبْلُ مِنْ شِيبٍ وَمِنْ شُبَّانِ
٥٢٨٢ ـ وَارْغَبْ بِعَقْلِكَ أَنْ تَبِيعَ العَالِيَ الْـ		ـبَاقِي بِذَا الأَدْنَى الَّذِي هُوَ فَانِ
٥٢٨٣ ـ إِنْ كَانَ قَدْ أَعْيَاكَ خَوْدٌ مِثْلُ مَا		تَبْغِي وَلَمْ تَظْفَرْ إِلَى ذَا الآنِ
٥٢٨٤ ـ فَاخْطُبْ مِنَ الرَّحْمٰنِ خَوْداً ثُمَّ قَدِّ		مْ مَهْرَهَا مَا دُمْتَ ذَا إِمْكَانِ
٥٢٨٥ ـ ذَاكَ النِّكَاحُ عَلَيْكَ أَيْسَرُ إِنْ يَكُنْ		لَكَ نِسْبَةٌ لِلْعِلْمِ وَالإِيمَانِ
٥٢٨٦ ـ وَاللَّهِ لَمْ تَخْرُجْ إِلَى الدُّنْيَا لِلَذَّ		ةِ عَيْشِهَا أَوْ لِلْحُطَامِ الفَانِي
٥٢٨٧ ـ لَكِنْ خَرَجْتَ لِكَيْ تُعِدَّ الزَّادَ لِلْـ		أُخْرَى فَجِئْتَ بِأَقْبَحِ الخُسْرَانِ
٥٢٨٨ ـ أَهْمَلْتَ جَمْعَ الزَّادِ حَتَّى فَاتَ بَلْ		فَاتَ الَّذِي أَلْهَاكَ عَنْ ذَا الشَّانِ
٥٢٨٩ ـ وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ القُلُوبَ سَلِيمَةٌ		لَتَقَطَّعَتْ أَسَفاً مِنَ الحِرْمَانِ
٥٢٩٠ ـ لَكِنَّهَا سَكْرَى بِحُبِّ حَيَاتِهَا الدُّ		نْيَا وَسَوْفَ تُفِيقُ بَعْدَ زَمَانِ

فصلٌ

٥٢٩١ - فَاسْمَعْ صِفَاتِ عَرَائِسِ الجَنَّاتِ ثُمَّ م اخْتَرْ لِنَفْسِكَ يَا أَخَا العِرْفَانِ
٥٢٩٢ - حُورٌ حِسَانٌ قَدْ كَمُلْنَ خَلائِقاً وَمَحَاسِناً مِنْ أكمَلِ النِّسْوَانِ
٥٢٩٣ - حَتَّى يَحَارُ الطَّرْفُ فِي الحُسْنِ الَّذِي قَدْ أُلْبِسَتْ فَالطَّرْفُ كَالحَيْرَانِ
٥٢٩٤ - وَيَقُولُ لَمَّا أَنْ يُشَاهِدُ حُسْنَهَا سُبْحَانَ مُعْطِي الحُسْنِ والإحْسَانِ
٥٢٩٥ - وَالطَّرْفُ يَشْرَبُ مِنْ كُؤُوسِ جَمَالِهَا فَتَرَاهُ مِثْلَ الشَّارِبِ النَّشْوَانِ
٥٢٩٦ - كَمُلَتْ خَلائِقُهَا وَأُكْمِلَ حُسْنُهَا كَالبَدْرِ لَيْلَ السِّتِّ بَعْدَ ثَمَانِ
٥٢٩٧ - وَالشَّمْسُ تَجْرِي فِي مَحَاسِنِ وَجْهِهَا وَاللَّيْلُ تَحْتَ ذَوَائِبِ الأَغْصَانِ
٥٢٩٨ - فَتَرَاهُ يَعْجَبُ وَهْوَ مَوْضِعُ ذَاكَ مِنْ لَيْلٍ وَشَمْسٍ كَيْفَ يَجْتَمِعَانِ
٥٢٩٩ - ويَقُولُ سُبْحَانَ الَّذِي ذَا صُنْعُهُ سُبْحَانَ مُتْقِنِ صَنْعَةِ الإنْسَانِ
٥٣٠٠ - لَا اللَّيْلُ يُدْرِكُ شَمْسَهَا فَتَغِيبَ عِنْـ ـدَ مَجِيئِهِ حتَّى الصَّبَاحِ الثَّانِي
٥٣٠١ - وَالشَّمْسُ لَا تَأْتِي بِطَرْدِ اللَّيْلِ بَلْ يَتَصَاحَبَانِ كِلَاهُمَا أَخَوَانِ
٥٣٠٢ - وَكِلَاهُمَا مِرْآةُ صَاحِبِهِ إِذَا مَا شَاءَ يُبْصِرُ وَجْهَهُ يَرَيَانِ
٥٣٠٣ - فَيَرى مَحَاسِنَ وَجْهِهِ فِي وَجْهِهَا وَتَرَى مَحَاسِنَهَا بِهِ بِعِيَانِ
٥٣٠٤ - حُمْرُ الخُدُودِ ثُغُورُهُنَّ لآلِىءٌ سُودُ العُيُونِ فَوَاتِرُ الأجْفَانِ
٥٣٠٥ - وَالبَرْقُ يَبْدُو حِينَ يَبْسِمُ ثَغْرُهَا فَيُضِيءُ سَقْفَ القَصْرِ بِالجُدْرَانِ
٥٣٠٦ - وَلَقَدْ رَوَيْنَا أَنَّ بَرْقاً لامِعاً يَبْدُو فَيَسْأَلُ عَنْهُ مَنْ بِجِنَانِ؟
٥٣٠٧ - فَيُقَالُ هَذَا ضَوْءُ ثَغْرٍ ضَاحِكٍ فِي الجَنَّةِ العُلْيَا كَمَا تَرَيَانِ
٥٣٠٨ - لِلَّهِ لَاثِمُ ذَلِكَ الثَّغْرِ الَّذِي فِي لَثْمِهِ إِدْرَاكُ كُلِّ أَمَانِي
٥٣٠٩ - رَيَّانَةُ الأعْطَافِ مِنْ مَاءِ الشَّبَا بِ فَغُصْنُهَا بِالمَاءِ ذُو جَرَيَانِ
٥٣١٠ - لَمَّا جَرَى مَاءُ النَّعِيمِ بِغُصْنِهَا حَمَلَ الثِّمَارَ كَثِيرَةَ الألْوَانِ
٥٣١١ - فَالْوَرْدُ والتُّفَّاحُ والرُّمَّانُ فِي غُصْنٍ تَعَالَى غَارِسُ البُسْتَانِ
٥٣١٢ - وَالقَدُّ مِنْهَا كَالقَضِيبِ اللَّدْنِ فِي حُسْنِ القَوَامِ كَأَوْسَطِ القُضْبَانِ

٥٣١٣ - فِي مَغْرِسٍ كَالعَاجِ تَحْسَبُ أنَّهُ عَالِي النَّقَا أوْ وَاحِدُ الكُثْبَانِ

٥٣١٤ - لَا الظَّهرُ يَلْحَقُه وَلَيسَ ثُدِيُّهَا بِلَوَاحِقٍ لِلْبَطْنِ أوْ بِدَوَانِ

٥٣١٥ - لَكِنَّهُنَّ كَوَاعِبٌ وَنَوَاهِدٌ فَنُهودُهُنّ كأَلْطَفِ الرُّمَّانِ

٥٣١٦ - وَالجِيدُ ذُو طُولٍ وَحُسْنٍ فِي بَيَا ضٍ واعْتِدَالٍ لَيسَ ذَا نُكْرَانِ

٥٣١٧ - يَشْكُو الحُلِيُّ بِعَادَهُ فلَهُ مَدَى الْـ أيَّامِ وَسْوَاسٌ مِنَ الهِجْرَانِ

٥٣١٨ - وَالمِعْصَمَانِ فَإنْ تَشَأْ شَبِّهْهُمَا بِسَبِيكَتَيْنِ عَلَيْهِمَا كَفَّانِ

٥٣١٩ - كَالزُّبْدِ لِيْناً فِي نُعُومَةِ مَلْمَسٍ أَصْدَافُ دُرٍّ دُوِّرَتْ بِوِزَانِ

٥٣٢٠ - وَالصَّدْرُ مُتَّسِعٌ عَلَى بَطْنٍ لَهَا حَفَّتْ بِهِ خَصْرَانِ ذَاتُ ثَمَانِ

٥٣٢١ - وَعَلَيْهِ أحْسَنُ سُرَّةٍ هِيَ مَجْمَعُ الْـ خَصْرَينِ قَدْ غَارَتْ مِنَ الأعْكَانِ

٥٣٢٢ - حُقٌّ مِنَ العَاجِ اسْتَدارَ وَحَوْلَهُ حَبَّاتُ مِسْكٍ جَلَّ ذُو الإتْقَانِ

٥٣٢٣ - وَإذَا انْحَدَرْتَ رَأَيْتَ أمْراً هَائِلًا مَا لِلصِّفَاتِ عَلَيْهِ مِنْ سُلْطَانِ

٥٣٢٤ - لَا الحَيْضُ يَغْشَاهُ وَلَا بَوْلٌ وَلَا شَيءٌ مِنَ الآفَاتِ فِي النِّسْوَانِ

٥٣٢٥ - فَخِذَانِ قَدْ حَفَّا بِهِ حَرَساً لَهُ فَجَنَابُهُ فِي عِزَّةٍ وَصِيَانِ

٥٣٢٦ - قَامَا بِخِدْمَتِهِ هُوَ السُّلْطَانُ بَيْـ نَهُمَا وَحَقٌّ طَاعَةُ السُّلْطَانِ

٥٣٢٧ - وهُوَ المُطَاعُ أَمِيرُهُ لَا ينتهي عَنْهُ وَلَا هُوَ عِنْدَهُ بِجَبَانِ

٥٣٢٨ - وَجِمَاعُهَا فَهُوَ الشِّفَاءُ لِصَبِّهَا فَالصَّبُّ مِنْهُ لَيسَ بِالضَّجْرَانِ

٥٣٢٩ - وَإذَا يُجَامِعُهَا تَعُودُ كَمَا انتشَتْ بِكْراً بِغَيْرِ دَمٍ وَلَا نُقْصَانِ

٥٣٣٠ - فَهُوَ الشَّهِيُّ وَعُضْوُهُ لَا يَنْثَنِي جَاءَ الحَدِيثُ بِذَا بِلَا نُكْرَانِ

٥٣٣١ - وَلَقَدْ رَوَيْنَا أنَّ شُغْلَهُمُ الَّذِي قَدْ جَاءَ فِي «يسَ» دُونَ بَيَانِ

٥٣٣٢ - شُغْلُ العَرُوسِ بعِرْسِهِ مِنْ بَعْدِ مَا عَبِثَتْ بِهِ الأشْوَاقُ طُولَ زَمَانِ

٥٣٣٣ - بِاللَّهِ لَا تَسْألْهُ عَنْ أشْغَالِهِ تِلْكَ اللَّيَالِي شَأْنُهُ ذُو شَانِ

٥٣٣٤ - وَاضْرِبْ لَهُ مَثَلًا بِصَبٍّ غَابَ عَنْ مَحْبُوبِهِ فِي شَاسِعِ البُلْدَانِ

٥٣٣٥ - والشَّوْقُ يُزْعِجُهُ إلَيْهِ وَمَا لَهُ بِلِقَائِهِ سَبَبٌ مِنَ الإمْكَانِ

٥٣٣٦ ـ وَافَى إِلَيْهِ بَعْدَ طُولِ مَغِيبِهِ ... عَنْهُ وَصَارَ الوَصْلُ ذَا إِمْكَانِ

٥٣٣٧ ـ أَتَلُومُهُ أَنْ صَارَ ذَا شُغُلٍ بِهِ ... لَا وَالَّذِي أَعْطَى بِلَا حُسْبَانِ

٥٣٣٨ ـ يَا رَبِّ غَفْراً قَدْ طَغَتْ أَقْلامُنَا ... يَا رَبِّ مَعْذِرَةً مِنَ الطُّغْيَانِ

❋ ❋ ❋

فصلٌ

٥٣٣٩ ـ أَقْدَامُهَا مِنْ فِضَّةٍ قَدْ رُكِّبَتْ ... مِنْ فَوْقِهَا سَاقَانِ مُلْتَفَّانِ

٥٣٤٠ ـ وَالسَّاقُ مِثْلُ العَاجِ مَلْمُومٌ يُرَى ... مُخُّ العِظَامِ وَرَاءَهُ بِعِيَانِ

٥٣٤١ ـ وَالرِّيحُ مِسْكٌ والجُسُومُ نَوَاعِمٌ ... وَاللَّوْنُ كَاليَاقُوتِ والمَرْجَانِ

٥٣٤٢ ـ وَكَلَامُهَا يَسْبِي العُقُولَ بِنَغْمَةٍ ... زَادَتْ عَلَى الأَوْتَارِ والعِيدَانِ

٥٣٤٣ ـ وَهِيَ العَرُوبُ بِشَكْلِهَا وَبِدَلِّهَا ... وَتَحَبُّبٍ لِلزَّوْجِ كُلَّ أَوَانِ

٥٣٤٤ ـ وَهِيَ الَّتِي عِنْدَ الجِمَاعِ تَزِيدُ فِي ... حَرَكَاتِهَا لِلْعَيْنِ والآذانِ

٥٣٤٥ ـ لُطْفاً وَحُسْنَ تَبَعُّلٍ وَتَغَنُّجٍ ... وَتَحَبُّبٍ تَفْسِيرَ ذِي العِرْفَانِ

٥٣٤٦ ـ تِلْكَ الحَلَاوةُ والمَلاحَةُ أَوْجَبَا ... إِطْلَاقَ هَذَا اللَّفْظِ وَضْعَ لِسَانِ

٥٣٤٧ ـ فَمَلَاحَةُ التَّصْوِيرِ قَبْلَ غِنَاجِهَا ... هِيَ أَوَّلٌ وَهِيَ المَحَلُّ الثَّانِي

٥٣٤٨ ـ فَإِذَا هُمَا اجْتَمَعَا لِصَبٍّ وَامِقٍ ... بَلَغَتْ بِهِ اللَّذَّاتُ كُلَّ مَكَانِ

❋ ❋ ❋

فصلٌ

٥٣٤٩ ـ أَتْرَابُ سِنٍّ وَاحِدٍ مُتَمَاثِلٍ ... سِنِّ الشَّبَابِ لأَجْمَلِ الشُّبَّانِ

٥٣٥٠ ـ بِكْرٌ فَلَمْ يَأْخُذْ بَكَارَتَهَا سِوَى الْـ ... ـمَحْبُوبِ مِنْ إِنْسٍ وَلَا مِنْ جَانِ

٥٣٥١ ـ حِصْنٌ عَلَيْهِ حَارِسٌ مِنْ أَعْظَمِ الْـ ... ـحُرَّاسِ بَأْساً شَأْنُهُ ذُو شَانِ

٥٣٥٢ ـ وإِذَا أَحَسَّ بِدَاخِلٍ لِلحِصْنِ وَلَّى م ... هَارِباً فَتَرَاهُ ذَا إِمْعَانِ

٥٣٥٣ ـ وَيَعُودُ وَهْناً حِينَ رَبُّ الحِصْنِ يَخْـ ... ـرُجُ مِـنْـهُ فَـهْـوَ كَـذَا مَـدَى الأَزْمَـانِ

٥٣٥٤ ـ وَكَـذَا رَوَاهُ أَبُـو هُـرَيْـرَةَ أَنَّـهَـا ... تَـنْـصَـاعُ بِـكْـراً لِلْجِـمَـاعِ الـثَّـانِـي

٥٣٥٥ ـ لَكِـنَّ دَرَّاجـاً أَبَـا الـسَّـمْـحِ الَّذِي ... فِـيـهِ يُـضَـعِّـفُـهُ أُولُو الإِتْـقَـانِ

٥٣٥٦ ـ هَذَا وَبَعْضُهُمُ يُصَحِّحُ عَنْهُ فِي التَّـ ... ـقْـسِـيـمِ كَالْـمَـوْلُودِ مِنْ حِبَّانِ

٥٣٥٧ ـ فَـحَـدِيـثُـهُ دُونَ الـصَّـحِـيـحِ وإِنَّـهُ ... فَـوْقَ الـضَّـعِـيـفِ وَلَيْـسَ ذَا إِتْـقَـانِ

٥٣٥٨ ـ يُعْطَى المُجَامِعُ قُوَّةَ المِائَةِ الَّتِي اجْـ ... ـتَـمَـعَـتْ لِأَقْـوَى وَاحِـدِ الإِنْـسَـانِ

٥٣٥٩ ـ لَا أَنَّ قُـوَّتَـهُ تُـضَـاعَـفُ هَـكَـذَا ... إِذْ قَـدْ يَـكُـونُ أُضَـيْـعِـفَ الأَرْكَـانِ

٥٣٦٠ ـ وَيـكُـونُ أَقْـوَى مِـنْـهُ ذَا نَـقْـصٍ مِنَ الْـ ... إِيـمَـانِ والأَعْـمَـالِ والإِحْـسَـانِ

٥٣٦١ ـ وَلَقَـدْ رَوَيْـنَـا أَنَّـهُ يَـغْـشَـى بِـيَـوْ ... مٍ وَاحِـدٍ مِـائَةً مِـنَ الـنِّـسْـوَانِ

٥٣٦٢ ـ وَرِجَالُهُ شَرْطُ الصَّحِيحِ رَوَوْا لَهُمْ ... فِـيـهِ وَذَا فِـي مُـعْـجَـمِ الـطَّـبَـرَانِـي

٥٣٦٣ ـ هَـذَا دَلِيـلٌ أَنَّ قَـدْرَ نِـسَـائِهِـمْ ... مُـتَـفَـاوِتٌ بِـتَـفَـاوُتِ الإِيـمَـانِ

٥٣٦٤ ـ وَبِـهِ يَـزُولُ تَـوَهُّـمُ الإِشْـكَـالِ عَـنْ ... تِـلْكَ الـنُّـصُـوصِ بِمِـنَّـةِ الـرَّحْـمٰـنِ

٥٣٦٥ ـ وَبِـقُـوَّةِ الـمِـائَةِ الَّتِـي حَـصَـلَتْ لَهُ ... أَفْـضَـى إِلَى مِـائَةٍ بِـلَا خَـوَرَانِ

٥٣٦٦ ـ وأَعَـفُّـهُـمْ فِـي هَـذِهِ الـدُّنْـيَـا هُـوَ الْـ ... أَقْـوَى هُـنَـاكَ لِزُهْـدِهِ فِـي الـفَـانِـي

٥٣٦٧ ـ فَاجْمَعْ قُوَاكَ لِمَا هُنَاكَ وَغَمِّضِ الْـ ... ـعَـيْـنَـيْـنِ وَاصْـبِـرْ سَـاعَـةً لِزَمَـانِ

٥٣٦٨ ـ مَـا هٰـهُـنَـا وَالـلَّهِ مَـا يَـسْـوَىٰ قُـلَا ... مَـةَ ظُـفْـرٍ وَاحِـدَةٍ تُـرَى بِـجِـنَـانِ

٥٣٦٩ ـ مَـا هٰـهُـنَـا إِلَّا الـنِّـفَـارُ وَسَـيِّءُ الْـ ... أَخْـلَاقِ مَـعْ عَـيْـبٍ وَمَـعْ نُـقْـصَـانِ

٥٣٧٠ ـ هَـمٌّ وَغَـمٌّ دَائِـمٌ لَا يَـنْـتَـهِـي ... حَـتَّـى الـطَّـلَاقِ أَوِ الـفِـرَاقِ الـثَّـانِـي

٥٣٧١ ـ والـلَّهُ قَـدْ جَـعَـلَ الـنِّـسَـاءَ عَـوَانِـياً ... شَـرْعاً فأَضْحَى البَعْلُ وَهْوَ العَانِـي

٥٣٧٢ ـ لَا تُـؤْثِـرِ الأَدْنَـى عَـلَى الأَعْـلَى فَـإِنْ ... تَـفْـعَـلْ رَجَـعْـتَ بِـذِلَّةٍ وَهَـوَانِ

فَصْلٌ

٥٣٧٣ ـ وَإِذَا بَـدَتْ فِـي حُـلَّةٍ مِـنْ لِبْـسِـهَـا ... وتَـمَـايَـلَتْ كَـتَـمَـايُـلِ الـنَّـشْـوَانِ

٥٣٧٤ ـ تَهْتَزُّ كَالْغُصْنِ الرَّطِيبِ وَحَمْلُهُ وَرْدٌ وَتُفَّاحٌ عَلَى رُمَّانِ
٥٣٧٥ ـ وَتَبخْتَرَتْ فِي مَشْيِهَا وَيحِقُّ ذَا كَ لِمِثْلِهَا فِي جَنَّةِ الحَيَوَانِ
٥٣٧٦ ـ ووَصَائِفٌ مِنْ خَلْفِهَا وَأمَامِهَا وَعَلى شَمَائِلِهَا وَعَنْ أيْمَانِ
٥٣٧٧ ـ كَالبَدْرِ لَيْلَةَ تِمِّهِ قَدْ حُفَّ فِي غَسَقِ الدُّجَى بِكَوَاكِبِ المِيزَانِ
٥٣٧٨ ـ فالطَّرْفُ منه وقلبُه ولسانُه في الدهشِ والإعجابِ والسُّبحانِ
٥٣٧٩ ـ والقَلْبُ قَبْلَ زِفَافِهَا فِي عُرْسِهِ والعُرْسُ إثرَ العُرْسِ مُتَّصِلَانِ
٥٣٨٠ ـ حَتَّى إذَا مَا وَاجَهَتْهُ تَقَابَلَا أَرَأيْتَ قَطُّ تَقَابُلَ القَمَرَانِ؟
٥٣٨١ ـ فَسَلِ المُتَيَّم هَلْ يَحِلُّ الصَّبْرُ عَنْ ضَمٍّ وَتَقْبِيلٍ وَعَنْ فَلَتَانِ؟
٥٣٨٢ ـ وَسَلِ المُتَيَّم أيْنَ خَلَّفَ صَبْرَهُ فِي أيِّ وَادٍ أمْ بِأيِّ مَكَانِ؟
٥٣٨٣ ـ وَسَلِ المُتَيَّم كَيفَ حَالَتُه وَقَدْ مُلِئَتْ لَهُ الأذُنَانِ وَالعَيْنَانِ
٥٣٨٤ ـ مِنْ مَنْطِقٍ رَقَّتْ حَوَاشِيهِ وَوَجْـ ـهٍ كَم بِهِ لِلشَّمْسِ مِنْ جَرَيَانِ؟
٥٣٨٥ ـ وَسَلِ المُتَيَّم كَيفَ عِيشَتُهُ إذاً وَهُمَا عَلَى فَرْشَيْهِمَا خِلْوَانِ
٥٣٨٦ ـ يَتَسَاقَطَانِ لآلِئاً مَنْثُورَةً مِنْ بَيْنِ مَنْظُومٍ كَنَظْمِ جُمَانِ؟
٥٣٨٧ ـ وَسَلِ المُتَيَّم كَيفَ مَجْلِسُهُ مَعَ الْـ ـمَحْبُوبِ فِي رَوْحٍ وَفِي رَيْحَانِ
٥٣٨٨ ـ وَتَدُورُ كَاسَاتُ الرَّحِيقِ عَلَيْهِمَا بِأكُفِّ أقْمَارٍ مِنَ الوِلْدَانِ
٥٣٨٩ ـ يتَنَازَعَانِ الكَأْسَ هَذَا مَرَّةً والخَودُ أخْرَى ثُمَّ يتَّكِئَانِ
٥٣٩٠ ـ فَيَضُمُّهَا وَتَضُمُّهُ أرَأيْتَ مَعْـ ـشُوقَيْنِ بَعْدَ البُعْدِ يَلْتَقِيَانِ
٥٣٩١ ـ غَابَ الرَّقِيبُ وَغَابَ كُلُّ مُنَكِّدٍ وَهُمَا بِثَوْبِ الوَصْلِ مُشْتَمِلَانِ
٥٣٩٢ ـ أتَراهُمَا ضَجِرَيْنِ مِنْ ذَا العَيْشِ لَا وَحَيَاةِ رَبِّكَ مَا هُمَا ضَجِرَانِ
٥٣٩٣ ـ وَيزِيدُ كُلٌّ مِنْهُمَا حُبّاً لِصَا حِبِهِ جَدِيداً سَائِرَ الأزْمَانِ
٥٣٩٤ ـ فوِصَالُهُ يَكْسُوهُ حُبّاً بَعْدَهُ مُتَسَلْسِلًا لَا يَنْتَهِي بِزَمَانِ
٥٣٩٥ ـ فَالوَصْلُ مَحْفُوفٌ بِحُبٍّ سَابِقٍ وَبِلَاحِقٍ وَكِلَاهُمَا صِنْوانِ
٥٣٩٦ ـ فَرْقٌ لَطِيفٌ بَيْنَ ذَاكَ وَبَيْنَ ذَا يَدْرِيهِ ذُو شُغْلٍ بِهَذَا الشَّانِ

٥٣٩٧ ـ وَمَزِيدُهُمْ فِي كُلِّ وَقْتٍ حَاصِلٌ سُبْحَانَ ذِي المَلَكُوتِ والسُّلْطَانِ
٥٣٩٨ ـ يَا غَافِلًا عَمَّا خُلِقْتَ لَهُ انْتَبِهْ جَدَّ الرَّحِيلُ وَلَسْتَ بِالْيَقْظَانِ
٥٣٩٩ ـ سَارَ الرِّفَاقُ وَخَلَّفُوكَ مَعَ الأُلَى قَنِعُوا بِذَا الحَظِّ الخَسِيسِ الفَانِي
٥٤٠٠ ـ وَرَأَيْتَ أَكْثَرَ مَنْ تَرى مُتَخَلِّفاً فَتَبِعْتَهُمْ وَرَضِيتَ بِالحِرْمَانِ
٥٤٠١ ـ لَكِنْ أَتَيْتَ بِخُطَّتَيْ عَجْزٍ وَجَهْـ ـلٍ بَعْدَ ذَا وَصَحِبْتَ كُلَّ أَمَانِي
٥٤٠٢ ـ مَنَّتْكَ نَفْسُكَ بِاللَّحاقِ مَعَ القُعُو دِ عَنِ المَسِيرِ وَرَاحَةِ الأَبْدَانِ
٥٤٠٣ ـ وَلَسوفَ تَعْلَمُ حِينَ يَنْكَشِفُ الغِطَا مَاذَا أَضَعْتَ وَكُنْتَ ذَا إِمْكَانِ

* * *

فصلٌ

في ذِكْرِ الخِلافِ بينَ النَّاسِ هلْ تحبلُ نساءُ أهْلِ الجنَّةِ أمْ لا؟

٥٤٠٤ ـ وَالنَّاسُ بَيْنَهُمُ خِلَافٌ هَلْ بِهَا حَبَلٌ وَفِي هَذَا لَهُمْ قَوْلَانِ
٥٤٠٥ ـ فَنَفَاهُ طَاوسٌ وَإِبْرَاهِيمُ ثُمَّ م مُجَاهِدٌ وَهُمُ أُولُو العِرْفَانِ
٥٤٠٦ ـ وَرَوَى العُقَيْلِيُّ الصَّدُوقُ أَبُو رَزِيـ ـنٍ صَاحِبُ المَبْعُوثِ بِالقُرْآنِ
٥٤٠٧ ـ أَنْ لَا تَوَالُدَ فِي الجِنَانِ رَوَاهُ تَعْـ ـلِيقاً مُحَمَّدٌ العَظِيمُ الشَّانِ
٥٤٠٨ ـ وَحَكَاهُ عَنْهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ إِسْـ ـحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ذُو الإِتْقَانِ
٥٤٠٩ ـ لَا يُشْتَهَى وَلَدٌ بِهَا وَلَوِ اشْتَهَا هُ لَكَانَ ذَاكَ مُحَقَّقَ الإِمْكَانِ
٥٤١٠ ـ وَرَوَى هِشَامٌ لابْنِهِ عَنْ عَامِرٍ عَنْ نَاجِي عَنْ سَعْدِ بْنِ سِنَانِ
٥٤١١ ـ أَنَّ المُنَعَّمَ فِي الجِنَانِ إِذَا اشْتَهَى الْـ ـوَلَدَ الَّذِي هُوَ نُسْخَةُ الإِنْسَانِ
٥٤١٢ ـ فَالحَمْلُ ثُمَّ الوَضْعُ ثُمَّ السِّنُّ فِي فَرْدٍ مِنَ السَّاعَاتِ فِي الأَزْمَانِ
٥٤١٣ ـ إِسْنَادُهُ عِنْدِي صَحِيحٌ قَدْ رَوَا هُ التِّرْمِذِيُّ وأَحْمَدُ الشَّيْبَانِي
٥٤١٤ ـ ورِجَالُ ذَا الإِسْنَادِ مُحْتَجٌّ بِهِمْ فِي مُسْلِمٍ وَهُمُ أُولُو إِتْقَانِ

٥٤١٥ ـ لَكِـنْ غَـرِيـبٌ مَـا لَهُ مِـنْ شَـاهِـدٍ فَـرْدٌ بِـذَا الإِسْنَـادِ لَيـسَ بِـثَـانـي
٥٤١٦ ـ لَوْلَا حَـدِيـثُ أَبِـي رَزِيـنٍ كَـانَ ذَا كَـالـنَّـصِّ يَـقْـرُبُ مِـنْـهُ فِي الـتِّـبْـيَـانِ
٥٤١٧ ـ وَلِذَاكَ أَوَّلَهُ ابْـنُ إِبْـرَاهِـيـمَ بِـالـشَّـ ـرْطِ الَّذِي هُـوَ مُـنْـتَـفِـي الـوِجْـدَانِ
٥٤١٨ ـ وَبِـذَاكَ رَامَ الـجَـمْـعَ بَـيْـنَ حَـدِيـثِـهِ وَأَبِـي رَزِيـنٍ وَهْـو ذُو إِمْـكَـانِ
٥٤١٩ ـ هَـذَا وَفِـي تَـأْوِيـلِهِ نَـظَـرٌ فَـإِنَّ م إِذَا لِتَـحْـقِـيـقٍ وَذِي إِيـقَـانِ
٥٤٢٠ ـ ولَرُبَّـمَـا جَـاءَتْ لِغَـيْـرِ تَـحَـقُّـقٍ وَالـعَـكْـسُ فِـي إِنْ ذَاكَ وَضْـعُ لِسَـانِ
٥٤٢١ ـ وَاحْـتَـجَّ مَـنْ نَـصَـرَ الـوِلَادَةَ أَنَّ فِي الـ ـجَـنَّـاتِ سَـائِرَ شَـهْـوَةِ الإِنْـسَـانِ
٥٤٢٢ ـ والـلَّهُ قَـدْ جَـعَـلَ الـبَـنِـينَ مَـعَ الـنِّـسَـا مِـنْ أَعْـظَـمِ الـشَّـهَـوَاتِ فِـي الـقُـرْآنِ
٥٤٢٣ ـ فَـأُجِـيـبَ عَـنْـهُ بِـأَنَّـه لَا يَـشْـتَـهِـي وَلَداً وَلَا حَـبَـلًا مِـنَ الـنِّـسْـوانِ
٥٤٢٤ ـ وَاحْـتَـجَّ مَـنْ مَـنَـعَ الـوِلَادَةَ أَنَّـهَـا مَـلْزُومَـةٌ أَمْـرَان مُـمْـتَـنِـعَـانِ
٥٤٢٥ ـ حَـيْـضٌ وإِنْـزَالُ الـمَـنِـيِّ وَذَانِـكَ الْـ أَمْـرَانِ فِـي الـجَـنَّـاتِ مَـفْـقُـودَانِ
٥٤٢٦ ـ [لـكـنَّـمـا الـمـوجـودُ نـوعٌ غـيـرُ مَعْـ ـهُودٍ فماذا النفيُ والإثباتُ متحدانِ]
٥٤٢٧ ـ وَرَوَى صُـدَيُّ عَـنْ رَسُـولِ الـلَّهِ أَنَّ م مَـنِـيَّـهُـمْ إِذْ ذَاكَ ذُو فُـقْـدَانِ
٥٤٢٨ ـ بَـلْ لَا مَـنِـيَّ وَلَا مَـنِـيَّـةَ هَـكَـذَا يَـرْوِي سُـلَيْـمَـانٌ هُـوَ الـطَّـبَـرانِـي
٥٤٢٩ ـ وَأُجِـيـبَ عَـنْـهُ بِـأَنَّـهُ نَـوْعٌ سِـوَى الـ ـمَـعْـهُـودِ فِي الـدُّنْـيَـا مِـنَ الـنِّـسـوانِ
٥٤٣٠ ـ فالنَّفْيُ لِلمَعْهُودِ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْـ إِيـلَادِ والإِثْـبَـاتُ نَـوْعٌ ثَـانِ
٥٤٣١ ـ والـلَّهُ خَـالِقُ نَـوْعِـنَـا مِـنْ أَرْبَـعٍ مُـتَـقَـابِـلَاتٍ كُـلُّهَـا بِـوِزَانِ
٥٤٣٢ ـ ذَكَـرٌ وأُنْـثَـى وَالَّذِي هُـوَ ضِـدُّهُ وَكَـذَاكَ مِـنْ أُنْـثَـى بِـلَا ذُكْـرَانِ
٥٤٣٣ ـ وَالـعَـكْـسُ أَيْـضـاً مِـثْـلُ حَـوَّا أُمِّـنَـا هِـيَ أَرْبَـعٌ مَـعْـلُومَـةُ الـتِّـبْـيَـانِ
٥٤٣٤ ـ وَكَـذَاكَ مَـوْلُودُ الـجِـنَـانِ يَـجُـوزُ أَنْ يَـأْتِـي بِـلَا حَـيْـضٍ وَلَا فَـيَـضَـانِ
٥٤٣٥ ـ والأمـرُ فِـي ذَا مُـمْـكِـنٌ فِـي نَـفْـسِـهِ والـقَـطْـعُ مُـمْـتَـنِـعٌ بِـلَا بُـرْهَـانِ
٥٤٣٦ ـ [فلذاك عندي الوقفُ حتّى يستبيـ ـنَ ليَ الصوابُ بفضل ذي الإحسانِ]

فصلٌ

في رُؤْيةِ أهْلِ الجنَّةِ رَبَّهمْ تبارك وتَعالى ونَظَرِهمْ إلى وجهِهِ الكريم

٥٤٣٧ ـ وَيَرَونَهُ سُبْحَانَهُ مِنْ فَوْقِهِمْ ... نَظَرَ العِيَانِ كَمَا يُرَى القَمَرَانِ

٥٤٣٨ ـ هَذَا تَوَاتَرَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ لَمْ ... يُنْكِرْهُ إلَّا فَاسِدُ الإِيْمَانِ

٥٤٣٩ ـ وَأَتَى بِهِ القُرْآنُ تَصْرِيحاً وتَعْـ ... ـرِيضاً هُمَا بِسِيَاقِهِ نَوْعَانِ

٥٤٤٠ ـ وَهِيَ الزِّيَادَةُ قَدْ أَتَتْ فِي يُونُسٍ ... تَفْسِيرَ مَنْ قَدْ جَاءَ بِالقُرْآنِ

٥٤٤١ ـ وَرَوَاهُ عَنْهُ مُسْلِمٌ بِصَحِيحِهِ ... يَرْوِي صُهَيْبٌ ذَا بِلا كِتْمَانِ

٥٤٤٢ ـ وَهُوَ المَزِيدُ كَذَاكَ فَسَّرَهُ أَبُو ... بَكْرٍ هُوَ الصِّدِّيقُ ذُو الإِيْقَانِ

٥٤٤٣ ـ وَعَلَيْهِ أَصْحَابُ الرَّسُولِ وَتَابِعُو ... هُمْ بَعْدَهُمْ تَبَعِيَّةَ الإِحْسَانِ

٥٤٤٤ ـ وَلَقَدْ أَتَى ذِكْرُ اللِّقَاءِ لِرَبِّنَا الرَّ ... حْمٰنِ فِي سُوَرٍ مِنَ القُرآنِ

٥٤٤٥ ـ وَلِقَاؤُهُ إِذْ ذَاكَ رُؤيَتُه حَكَى الْـ ... إِجْمَاعَ فِيهِ جَمَاعَةٌ بِبَيَانِ

٥٤٤٦ ـ وَعَلَيْهِ أَصْحَابُ الحَدِيثِ جَمِيعُهُمْ ... لُغَةً وَعُرْفاً لَيْسَ يَخْتَلِفَانِ

٥٤٤٧ ـ هَذَا وَيَكْفِي أَنَّهُ سُبْحَانَهُ ... وَصَفَ الوُجُوهَ بِنَضْرَةٍ بِجِنَانِ

٥٤٤٨ ـ وَأَعَادَ أَيْضاً وَصْفَهَا نَظَراً وَذَا ... لَا شَكَّ يُفْهِمُ رُؤيَةً بِعِيَانِ

٥٤٤٩ ـ وأَتَتْ أَدَاةُ «إِلَى» لِرَفْعِ الوَهْمِ مِنْ ... فِكْرٍ كَذَاكَ تَرَقُّبُ الإِنْسَانِ

٥٤٥٠ ـ وَأَضَافَه لِمحَلِّ رُؤْيَتِهِمْ بِذِكْرِ الوَ ... جْهِ إِذْ قَامَتْ بِهِ العَيْنَانِ

٥٤٥١ ـ تَاللَّهِ مَا هذَا بِفِكْرٍ وانْتِظَا ... رِ مُغَيَّبٍ أَوْ رُؤْيَةٍ بِجَنَانِ

٥٤٥٢ ـ مَا فِي الجِنَانِ مِنَ انْتِظَارٍ مُؤْلِمٍ ... وَاللَّفْظُ يَأْبَاهُ لِذِي العِرْفَانِ

٥٤٥٣ ـ لَا تُفْسِدُوا لَفْظَ الكِتَابِ فَلَيْسَ فِيـ ... ـهِ حِيلَةٌ يَا فِرْقَةَ الرَّوَغَانِ

٥٤٥٤ ـ مَا فَوْقَ ذَا التَّصْرِيحِ شَيءٌ مَا الَّذِي ... يَأْتِي بِهِ مِنْ بَعْدِ ذَا التِّبْيَانِ؟

٥٤٥٥ ـ لَوْ قَالَ أَبْيَنَ مَا يُقَالُ لَقُلْتُمُ ... هُوَ مُجْمَلٌ مَا فِيهِ مِنْ تِبْيَانِ

٥٤٥٦ ـ وَلَقَدْ أَتَى فِي سُورةِ التَّطْفِيفِ أنَّ م الـقَـوْمَ قَـدْ حُـجِـبـوا عَـنِ الـرَّحْـمٰـنِ
٥٤٥٧ ـ فَـيَـدُلُّ بـالْمَـفْـهُـوم أنَّ الـمـؤمِـنِيـ ـنَ يَـرَوْنَـهُ فِـي جَـنَّـةِ الـحَـيَـوَانِ
٥٤٥٨ ـ وَبـذَا اسْـتَـدلَّ الـشَّـافِـعـيُّ وأحْـمَـدٌ وَسِـوَاهـمَـا مِـنْ عَـالِمِـي الأزْمَـانِ
٥٤٥٩ ـ وَأَتَـى بِـذَا الـمـفْـهـومِ تَـصْـريـحـاً بـآ خِـرِهَـا فَـلَا تُـخْـدَعْ عَـنِ الـقُـرْآنِ
٥٤٦٠ ـ وَأَتَـى بِـذَاكَ مُـكَـذِّبـاً لِلْكَـافِـرِيـ ـنَ السَّـاخِـرِيـنَ بِـشِـيـعَـةِ الـرَّحْـمٰـنِ
٥٤٦١ ـ ضَـحِـكُوا مِـنَ الكُـفَّـارِ يَـوْمـئـذٍ كَـمَـا ضَـحِـكُـوا هُـمُ مِـنْـهُـمْ عَـلَى الإيْـمَـانِ
٥٤٦٢ ـ وَأثَـابَـهُـمْ نَـظَـراً إلَيْـهِ ضِـدَّ مَـا قَـدْ قَـالَهُ فِـيـهِـمْ أولُـو الـكُـفْـرَانِ
٥٤٦٣ ـ فَـلِذَاكَ فَـسَّـرَهَـاالأئـمَّـةُ أنَّـهُ نَـظَـرٌ إلَى الـرَّبِّ الـعَـظِـيـمِ الـشَّـانِ
٥٤٦٤ ـ لِلَّهِ ذَاكَ الـفَـهْـمُ يُـؤْتِـيـهِ الَّذِي هُـوَ أهْـلُه مَـنْ جَـادَ بـالإحْـسَـانِ
٥٤٦٥ ـ وَرَوَى ابْنُ مَاجَةَ مُسْنِداً عَن جَابرٍ خَـبَـراً وَشَـاهِـدُهُ فَـفِـي الـقُـرْآنِ
٥٤٦٦ ـ بَـيْـنَـاهُـمُ فِي عَـيْـشِـهِمْ وَسُـرُورِهِـمْ وَنَـعِـيـمِـهِـمْ فِـي لَذَّةٍ وَتَـهَـانِـي
٥٤٦٧ ـ وَإذَا بِـنُـورٍ سَـاطِـعٍ قَـدْ أشْـرَقَـتْ مِـنْـهُ الـجِـنَـانُ قَـصِـيُّـهَـا والـدَّانِـي
٥٤٦٨ ـ رَفَـعُـوا إلَيْـهِ رُؤوسَـهُـمْ فَـرأوْهُ نُـو رَ الـرَّبِّ لَا يَـخْـفَـى عَـلَى إنْـسَـانِ
٥٤٦٩ ـ وَإذَا بِـرَبِّـهِـمُ تَـعَـالـى فَـوْقَـهُـمْ قَـدْ جَـاءَ لِلتَّـسْـلِيـم بـالإحْـسَـانِ
٥٤٧٠ ـ قَـالَ: الـسَّـلَامُ عَـلَيْـكُـمُ فَـيَـرَوْنَـهُ جَـهْـراً تـراه مـنـهـم الـعـيـنـانِ
٥٤٧١ ـ مِصْدَاقُ ذَا «يس» قَدْ ضَمِنَتْهُ عِنْـ ـدَ الـقَـوْلِ مِـنْ رَبٍّ بِـهِـمْ رَحْـمٰـنِ
٥٤٧٢ ـ مَـنْ رَدَّ ذَا فَـعَـلـى رَسُـولِ الله رَدَّ م وَسَـوْفَ عِـنْـدَ الـلَّهِ يَـلْتَـقِـيَـانِ
٥٤٧٣ ـ فِـي ذَا الـحَـدِيـثِ عُـلُوُّهُ وكـلامُـه ومـجـيـئُه حَـتَّـى يُـرَى بِـعِـيَـانِ
٥٤٧٤ ـ هَـذِي أُصُولُ الدِّينِ فِي مَضْمُونِهِ لَا قَـوْلُ جَـهْـمٍ صَـاحِـبِ الـبُـهْـتَـانِ
٥٤٧٥ ـ وَكَـذَا حَـدِيـثُ أبِـي هُـرَيْـرَةَ ذَلِـكَ الْـ ـخَـبَـرُ الـطَّـوِيـلُ أتَـى بِـهِ الـشَّـيْـخَـانِ
٥٤٧٦ ـ فِـيـهِ تَـجَـلِّي الـرَّبِّ جَـلَّ جَـلَالُهُ وَمَـجِـيـئُهُ وَكَـلَامُـهُ بِـبَـيَـانِ
٥٤٧٧ ـ وَكَـذَاكَ رُؤْيَـتُـهُ وَتَـكْـلِيـمُ لِمَـنْ يَـخْـتَـارُهُ مِـنْ أُمَّـةِ الإنْـسَـانِ
٥٤٧٨ ـ فِـيـهِ أصُولُ الـدِّيـنِ أجْـمَـعُـهَـا فَـلَا تَـخْـدَعْـكَ عَـنْـهُ شِـيـعَـةُ الـشَّـيْـطَـانِ

٥٤٧٩ ـ وَحَكَى رَسُولُ اللَّهِ فِيهِ تَجَدُّدَ الْ ... غَضَبِ الَّذِي لِلرَّبِّ ذِي السُّلْطَانِ

٥٤٨٠ ـ إِجْمَاعَ أَهْلِ العَزْمِ مِنْ رُسُلِ الإِلَـ ... ـهِ وَذَاكَ إِجْمَاعٌ عَلَى البُرْهَانِ

٥٤٨١ ـ لَا تُخْدَعَنَّ عَنِ الحَدِيثِ بِهَذِهِ الْـ ... آرَاءِ فَهْيَ كَثِيرَةُ الهَذَيَانِ

٥٤٨٢ ـ أَصْحَابُهَا أَهْلُ التَّخَرُّصِ وَالتَّنَا ... قُضِ والتَّهَاتُرِ قَائِلُو البُهْتَانِ

٥٤٨٣ ـ يَكفِيكَ أَنَّكَ لَوْ حَرَصْتَ فَلَنْ تَرَى ... فِئَتَيْنِ مِنْهُم قَطُّ تَتَّفِقَانِ

٥٤٨٤ ـ إِلَّا إِذا مَا قَلَّدُوا لِسِوَاهُمَا ... فَتَرَاهُمُ جِيلًا مِنَ العُمْيَانِ

٥٤٨٥ ـ وَيَقُودُهُمْ أَعْمَى يُظَنُّ كَمُبْصِرٍ ... يَا مِحْنَةَ العُمْيَانِ خَلْفَ فُلَانِ

٥٤٨٦ ـ هَلْ يَسْتَوِي هَذَا وَمُبْصِرُ رُشْدِهِ ... اَللَّهُ أَكْبَرُ كَيْفَ يَسْتَوِيَانِ؟

٥٤٨٧ ـ أَوَ مَا سَمِعْتَ مُنَادِيَ الإِيمَانِ يُخْـ ... ـبِرُ عَنْ مُنَادِي جَنَّةِ الحَيَوَانِ؟

٥٤٨٨ ـ يَا أَهْلَهَا لَكُمُ لَدَى الرَّحْمٰنِ وَعْـ ... ـدٌ وَهْوَ مُنْجِزُهُ لَكُمْ بِضَمَانِ

٥٤٨٩ ـ قَالُوا أَمَا بَيَّضْتَ أَوْجُهَنَا كَذَا ... أَعْمَالَنَا ثَقَّلْتَ فِي المِيزَانِ

٥٤٩٠ ـ وَكَذَاكَ قَدْ أَدْخَلْتَنَا الجَنَّاتِ حِيـ ... ـنَ أَجَرْتَنَا حَقًّا مِنَ النِّيرَانِ

٥٤٩١ ـ فَيَقُولُ عِنْدِي مَوْعِدٌ قَدْ آنَ أَنْ ... أُعْطِيكُمُوهُ بِرَحْمَتِي وَحَنَانِي

٥٤٩٢ ـ فَيَرَونَهُ مِنْ بَعْدِ كَشْفِ حِجَابِهِ ... جَهْراً رَوَاهُ مُسْلِمٌ بِبَيَانِ

٥٤٩٣ ـ وَلَقَدْ أَتَانَا فِي الصَّحِيحَيْنِ اللَّذَيْـ ... ـنِ هُمَا أَصَحُّ الكُتْبِ بَعْدَ قُرَانِ

٥٤٩٤ ـ بِرِوَايَةِ الثِّقَةِ الصَّدُوقِ جَرِيرٍ الْـ ... ـبَجَلِيِّ عَمَّنْ جَاءَ بِالقُرْآنِ

٥٤٩٥ ـ أَنَّ العِبَادَ يَرَوْنَهُ سُبْحَانَهُ ... رُؤْيَا العِيَانِ كَمَا يُرَى القَمَرَانِ

٥٤٩٦ ـ فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ كُلَّ وَقْتٍ فَاحْفَظُوا الْـ ... ـبَرْدَيْنِ مَا عِشْتُمْ مَدَى الأَزْمَانِ

٥٤٩٧ ـ وَلَقَدْ رَوَى بِضْعٌ وَعِشْرُونَ امْرأً ... مِنْ صَحْبِ أَحْمَدَ خِيرَةِ الرَّحْمٰنِ

٥٤٩٨ ـ أَخْبَارَ هَذَا البَابِ عَمَّنْ قَدْ أَتَى ... بِالوَحْيِ تَفْصِيلًا بِلَا كِتْمَانِ

٥٤٩٩ ـ وَأَلَذُّ شَيءٍ لِلقُلُوبِ فَهَذِهِ الْـ ... أَخْبَارُ مَعْ أَمْثَالِهَا هِيَ بَهْجَةُ الإِيمَانِ

٥٥٠٠ ـ وَاللَّهِ لَوْلَا رُؤْيَةُ الرَّحْمٰنِ فِي الْـ ... ـجَنَّاتِ مَا طَابَتْ لِذِي العِرْفَانِ

٥٥٠١ ـ أَعْلَى النَّعِيمِ نَعِيمُ رُؤْيَةِ وَجْهِهِ ... وَخِطَابِهِ فِي جَنَّةِ الحَيَوَانِ

٥٥٠٢ ـ وَأَشَدُّ شَيءٍ فِي العَذَابِ حِجَابُهُ سُبْحَانَهُ عَنْ سَاكِني النِّيرَانِ
٥٥٠٣ ـ وَإِذَا رَآهُ المؤمِنُونَ نَسُوا الَّذِي هُمْ فِيهِ مِمَّا نَالَتِ العَيْنَانِ
٥٥٠٤ ـ فَإِذَا تَوَارَى عَنْهُمُ عَادُوا إِلَى لَذَّاتِهِم مِنْ سَائِرِ الأَلْوَانِ
٥٥٠٥ ـ فَلَهُمْ نَعِيمٌ عِنْدَ رُؤْيَتِهِ سِوَى هَذَا النَّعِيمِ فَحَبَّذَا الأَمْرَانِ
٥٥٠٦ ـ أَوَ مَا سَمِعْتَ سُؤَالَ أَعْرفِ خَلْقِهِ بِجَلَالَةِ المبْعُوثِ بِالقُرْآنِ
٥٥٠٧ ـ شَوْقاً إِلَيْهِ وَلَذَّةَ النَّظَرِ الَّذي لِجَلَالِ وَجْهِ الرَّبِّ ذِي السُّلْطَانِ
٥٥٠٨ ـ فَالشَّوْقُ لَذَّةُ رُوحِهِ فِي هَذِهِ الدُّ نْيَا وَيَوْمَ قِيَامَةِ الأَبْدَانِ
٥٥٠٩ ـ تَلْتَذُّ بِالنَّظَرِ الَّذِي فَازَتْ بِهِ دُونَ الجَوَارِحِ هَذِهِ العَيْنَانِ
٥٥١٠ ـ وَاللَّهِ مَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا أَلَذُّ م مِنَ اشْتِيَاقِ العَبْدِ لِلرَّحْمٰنِ
٥٥١١ ـ وَكَذَاكَ رُؤْيَةُ وَجْهِهِ سُبْحَانَهُ هِيَ أَكْمَلُ اللَّذَّاتِ لِلإِنْسَانِ
٥٥١٢ ـ لَكِنَّمَا الجَهْمِيُّ يُنْكِرُ ذَا وَذَا وَالوَجهَ أَيْضاً خَشْيَةَ الحِدْثَانِ
٥٥١٣ ـ تَبّاً لَهُ المخْدُوعُ أَنْكَرَ وَجْهَهُ وَلِقَاءَهُ وَمَحَبَّةَ الدَّيَّانِ
٥٥١٤ ـ وَكَلَامَهُ وَصِفَاتِهِ وَعُلُوَّهُ وَالعَرْشَ عَطَّلَهُ مِنَ الرَّحْمٰنِ
٥٥١٥ ـ فَتَرَاهُ فِي وَادٍ وَرُسْلُ اللَّهِ فِي وَادٍ وَذَا مِنْ أَعْظَمِ الكُفْرَانِ

***

فصلٌ

في كَلامِ الرَّبِّ جلَّ جَلالُهُ معَ أهلِ الجنَّةِ

٥٥١٦ ـ أَوَ مَا عَلِمْتَ بِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ حَقّاً يُكَلِّمُ حِزْبَهُ بِجِنَانِ
٥٥١٧ ـ فَيَقُولُ جَلَّ جَلَالُهُ هَلْ أَنْتُمُ رَاضُونَ قَالُوا نَحْن ذُو رِضْوَانِ
٥٥١٨ ـ أَمْ كَيْفَ لَا نَرْضَى وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ يَنَلْهُ قَطُّ مِنْ إِنْسَانِ
٥٥١٩ ـ هَلْ ثَمَّ شَيءٌ غَيْرُ ذَا فَيَكُونَ أَفْـ ـضَلَ مِنْهُ نَسْأَلُهُ مِنَ المنَّانِ؟
٥٥٢٠ ـ فَيَقُولُ أَفْضَلُ مِنْهُ رِضْوَانِي فَلَا يَغْشَاكُمُ سُخْطٌ مِنَ الرَّحْمٰنِ

٥٥٢١ ـ وَيُذَكِّرُ الرَّحْمٰنُ وَاحِدَهُمْ بِمَا ... قَدْ كَانَ مِنْهُ سَالِفَ الأَزْمَانِ
٥٥٢٢ ـ مِنْهُ إِلَيْهِ لَيْسَ ثَمَّ وَسَاطَةٌ ... مَا ذَاكَ تَوْبِيخاً مَعَ الغُفرانِ
٥٥٢٣ ـ لَكِنْ يُعَرِّفُهُ الَّذِي قَدْ نَالَهُ ... مِنْ فَضْلِهِ وَالعَفْوِ وَالإِحْسَانِ
٥٥٢٤ ـ وَيُسَلِّمُ الرَّحْمٰنُ جَلَّ جَلَالُهُ ... حَقّاً عَلَيْهِمْ وَهْوَ فِي القُرْآنِ
٥٥٢٥ ـ وَكَذَاكَ يُسْمِعُهُمْ لَذِيذَ خِطَابِهِ ... سُبْحَانَهُ بِتِلَاوَةِ الفُرْقَانِ
٥٥٢٦ ـ فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوهُ قَبْلَ ذَا ... هَذَا رَوَاهُ الحَافِظُ الطَّبَرانِي
٥٥٢٧ ـ هَذَا سَمَاعٌ مُطْلَقٌ وَسَمَاعُنَا الْـ ... ـقرْآنَ فِي الدُّنْيَا فَنَوْعٌ ثَانِ
٥٥٢٨ ـ وَاللَّهُ يُسْمِعُ قَوْلَهُ بِوَسَاطَةٍ ... وَبِدُونِهَا نَوْعَانِ مَعْرُوفَانِ
٥٥٢٩ ـ فَسَمَاعُ مُوسَى لَمْ يَكُنْ بِوَسَاطَةٍ ... وَسَمَاعُنَا بِتَوَسُّطِ الإِنْسَانِ
٥٥٣٠ ـ مَنْ صَيَّرَ النَّوْعَيْنِ نَوْعاً وَاحِداً ... فَمُخَالِفٌ لِلعَقْلِ وَالقُرْآنِ

❋ ❋ ❋

فصلٌ

في يومِ المزيدِ ومَا أعدَّ اللَّهُ لهم فيهِ منَ الكَرامَةِ

٥٥٣١ ـ أَوَ مَا سَمِعْتَ بِشَأْنِهِمْ يَوْمَ المزيـ ... ـدِ وأَنَّهُ شَأْنٌ عَظِيمُ الشَّانِ
٥٥٣٢ ـ هُوَ يَوْمُ جُمْعَتِنَا وَيَوْمُ زِيَارَةِ الرَّ ... حْمٰنِ وَقْتَ صَلَاتِنَا وأَذَانِ
٥٥٣٣ ـ وَالسَّابِقُونَ إِلَى الصَّلَاةِ هُمُ الأُلَى ... فَازُوا بِذَاكَ السَّبْقِ بالإِحْسَانِ
٥٥٣٤ ـ سَبْقٌ بِسَبْقٍ والمؤخَّرُ هَا هُنَا ... مُتَأَخِّرٌ فِي ذَلِكَ المَيْدَانِ
٥٥٣٥ ـ وَالأَقْرَبُونَ إِلَى الإِمَامِ فَهُمْ أولُو الزُّ ... لْفَى هُنَاكَ فَهَاهُنَا قُرْبَانِ
٥٥٣٦ ـ قُرْبٌ بِقُرْبٍ وَالمُبَاعِدُ مِثْلُهُ ... بُعْدٌ بِبُعْدٍ حِكْمَةُ الدَّيَّانِ
٥٥٣٧ ـ وَلَهُمْ مَنَابِرُ لُؤْلُؤٍ وَزَبَرْجَدٍ ... وَمَنَابِرُ اليَاقُوتِ والعِقْيَانِ
٥٥٣٨ ـ هَذَا وأَدْنَاهُمْ وَمَا فِيهِمْ دَنِيٌّ م ... فَوْقَ ذَاكَ المِسْكِ كالكُثْبَانِ

٥٥٣٩ ـ مَا عِنْدَهُمْ أَهْلُ المنَابِرِ فَوْقَهُمْ   مِمَّا يَرَوْنَ بِهِمْ مِنَ الإِحْسَانِ

٥٥٤٠ ـ فَيَرَوْنَ رَبَّهُمُ تَعَالَى جَهْرَةً   نَظَرَ العِيَانِ كَمَا يُرَى القَمَرَانِ

٥٥٤١ ـ وَيُحَاضِرُ الرَّحْمٰنُ وَاحِدَهُمْ مُحَا   ضَرَةَ الحَبِيبِ يَقُولُ يَا ابْنَ فُلانِ

٥٥٤٢ ـ هَلْ تَذكُرُ اليَوْمَ الَّذِي قَدْ كُنْتَ فِيـ   ـهِ مُبَارِزاً بِالذَّنْبِ والعِصْيَانِ

٥٥٤٣ ـ فَيَقُولُ رَبِّ أَمَا مَنَنْتَ بِغَفْرِهِ   قِدْماً فَإِنَّكَ وَاسِعُ الغُفْرَانِ

٥٥٤٤ ـ فَيُجِيبُهُ الرَّحْمٰنُ مَغْفرتي الَّتِي   قَدْ أَوْصَلَتْكَ إِلَى المَحَلِّ الدَّانِي

❋ ❋ ❋

فصلٌ

في المطَرِ الَّذي يُصيبُهُمْ هُناكَ

٥٥٤٥ ـ وَيُظِلُّهُمْ إِذْ ذَاكَ مِنْهُ سَحَائِبٌ   تَأْتِي بِمِثْلِ الوَابِلِ الهَتَّانِ

٥٥٤٦ ـ بَيْنَا هُمُ فِي النُّورِ إِذْ غَشِيَتْهُمُ   سُبْحَانَ مُنْشِئِهَا مِنَ الرِّضْوَانِ

٥٥٤٧ ـ فَتَظَلُّ تُمْطِرُهُمْ بِطِيبٍ مَا رَأَوْا   شَبَهاً لَهُ فِي سَالِفِ الأَزْمَانِ

٥٥٤٨ ـ فَيَزِيدُهُمْ هَذَا جَمَالًا فَوْقَ مَا   بِهِمُ وَتِلْكَ مَوَاهِبُ المنَّانِ

❋ ❋ ❋

فصلٌ

في سُوقِ الجنَّةِ الذي ينصرفُونَ إليه مِنْ ذَلِكَ المجلِسِ

٥٥٤٩ ـ فَيَقُولُ جَلَّ جَلَالُهُ قُومُوا إِلَى   مَا قَدْ ذَخَرْتُ لَكُم مِنَ الإِحْسَانِ

٥٥٥٠ ـ يَأْتُونَ سُوقاً لَا يُبَاعُ وَيُشْتَرَى   فِيهِ فَخُذْ مِنْه بِلَا أَثْمَانِ

٥٥٥١ ـ قَدْ أَسْلَفَ التُّجَّارُ أَثْمَانَ الْمَبِيـ   ـع بِعَقْدِهِمْ فِي بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ

٥٥٥٢ ـ لِلَّهِ سُوقٌ قَدْ أَقَامَتْهَا المَلَا   ئِكَةُ الكِرَامُ بِكُلِّ مَا إِحْسَانِ

٥٥٥٣ ـ فِيهَا الَّذِي وَاللَّهِ لَا عَيْنٌ رَأَتْ   كَلَّا وَلَا سَمِعَتْ بِهِ أُذُنَانِ

٥٥٥٤ ـ كَلَّا وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ امْرِىءٍ فَيَكُونَ عَنْهُ مُعَبِّراً بِلِسَانِ

٥٥٥٥ ـ فَيَرَى امْرأً مِنْ فَوْقِهِ فِي هَيئَةٍ فَيرُوعُهُ مَا تَنْظُرُ العَيْنَانِ

٥٥٥٦ ـ فَإِذَا عَلَيْهِ مِثْلُهَا إِذْ لَيْسَ يَلْـ حَقُ أَهْلَهَا شَيءٌ مِنَ الأَحْزَانِ

٥٥٥٧ ـ واهاً لِذَا السُّوقِ الَّذِي مَنْ حَلَّهُ نَالَ التَّهَانِيَ كُلَّهَا بِأَمَانِ

٥٥٥٨ ـ يُدْعَى بِسُوقِ تَعَارُفٍ مَا فِيهِ مِنْ صَخَبٍ وَلَا غِشٍّ وَلَا أَيْمَانِ

٥٥٥٩ ـ وَتِجَارُه مَنْ لَيْسَ تُلهِيهِ تِجَا رَاتٌ وَلَا بَيْعٌ عَنِ الرَّحْمٰنِ

٥٥٦٠ ـ أَهْلُ المُروءةِ والفُتُوَّةِ والتُّقَى والذِّكْرِ لِلرَّحْمٰنِ كُلَّ أَوَانِ

٥٥٦١ ـ يَا مَنْ تَعوَّضَ عَنْهُ بالسُّوقِ الَّذِي رُكِزَتْ لَدَيْهِ رَايَةُ الشَّيْطَانِ

٥٥٦٢ ـ لَوْ كُنْتَ تَدْرِي قَدْرَ ذَاكَ السُّوقِ لَمْ تَرْكَنْ إِلَى سُوقِ الكَسَادِ الفَانِي

فصلٌ

في حَالهمْ عِنْدَ رُجوعِهِمْ إِلَى أَهْلِيهِمْ ومنازِلِهِمْ

٥٥٦٣ ـ فَإِذَا هُمُ رَجَعُوا إِلَى أَهْلِيهِمُ بِمَوَاهِبٍ حَصَلَتْ مِنَ الرَّحْمٰنِ

٥٥٦٤ ـ قَالُوا لَهُمْ أَهْلًا وَرَحْباً مَا الَّذِي أُعْطِيتُمُ مِنْ ذَا الجَمَالِ الثَّانِي

٥٥٦٥ ـ واللَّهِ لَازْدَدتُمْ جَمَالًا فَوْقَ مَا كُنْتُمْ عَلَيْهِ قَبْلَ هَذَا الآنِ

٥٥٦٦ ـ قَالُوا وَأَنْتُمْ وَالَّذِي أَنْشَاكُمُ قَدْ زِدْتُمُ حُسْناً عَلَى الإِحسانِ

٥٥٦٧ ـ لٰكِنْ يَحِقُّ لَنَا وَقَدْ كُنَّا إِذاً جُلسَاءَ رَبِّ العَرْشِ ذِي الرِّضْوَانِ

٥٥٦٨ ـ فَهُمُ إِلَى يَوْمِ المزِيد أَشَدُّ شَوْ قاً مِنْ مُحِبٍّ لِلْحبيبِ الدَّانِي

فصلٌ

في خُلودِ أهلِ الجنَّةِ فيها ودَوامِ صِحَّتِهِمْ ونعيمِهِم وشبابِهِم واستحالةِ الموتِ والنَّومِ عليهم

٥٥٦٩ ـ هَذَا وَخَاتِمَةُ النَّعِيمِ خُلُودُهُمْ أَبَداً بِدَارِ الخُلْدِ وَالرِّضْوَانِ

٥٥٧٠ ـ أَوَ مَا سَمِعْتَ مُنَادِيَ الإِيمَانِ يُخْـ بِرُ عَنْ مُنَادِيهِمْ بِحُسْنِ بَيَانِ
٥٥٧١ ـ لَكُمْ حَيَاةٌ مَا بِهَا مَوْتٌ وَعَا فِيَةٌ بِلَا سَقَمٍ وَلَا أَحْزَانِ
٥٥٧٢ ـ وَلَكُمْ نَعِيمٌ مَا بِهِ بُؤْسٌ وَمَا لِشَبَابِكُمْ هَرَمٌ مَدَى الأَزْمَانِ
٥٥٧٣ ـ كَلَّا وَلَا نَوْمٌ هُنَاكَ يَكُونُ إذ نَوْمٌ وَمَوْتٌ بَيْنَنَا أَخَوَانِ
٥٥٧٤ ـ هَذَا عَلِمْنَاهُ اضْطِرَاراً مِنْ كِتَا بِ اللَّهِ فَافْهَمْ مُقْتَضَى القُرْآنِ
٥٥٧٥ ـ وَالجَهْمُ شيخُ القوم أَفْنَاهَا وأفْـ نَى أهلَهَا تَبّاً لِذَا الفَتَّانِ
٥٥٧٦ ـ طَرْداً لِنفْيِ دَوَام فِعْلِ الرَّبِّ فِي الْـ مَاضِي وَفِي مُسْتَقْبَلِ الأَزْمَانِ
٥٥٧٧ ـ وَأَبُو الهُذَيْلِ يقُولُ يَفْنَى كُلُّ مَا فِيهَا مِنَ الحَرَكَاتِ لِلسُّكَّانِ
٥٥٧٨ ـ وَتَصِيرُ دَارُ الخُلْدِ مَعْ سُكَّانِهَا وَثِمَارِهَا كَحِجَارَةِ البُنْيَانِ
٥٥٧٩ ـ قَالُوا وَلَوْلَا ذَاكَ لَمْ يَثْبُتْ لَنَا رَبٌّ لأَجْلِ تَسَلْسُلِ الأَعْيَانِ
٥٥٨٠ ـ فالقَومُ إمَّا جَاحِدُونَ لِرَبِّهِمْ أَوْ مُنْكِرُونَ حَقَائِقَ الإِيمَانِ

***

فصلٌ

في ذبْحِ الموتِ بينَ الجنَّةِ والنَّارِ والرَّدِّ على مَنْ قَالَ: إنَّ الذَّبحَ لِملَكِ الموتِ أو إنَّ ذلكَ مجازٌ لاَ حقيقةٌ

٥٥٨١ ـ أَوَ مَا سَمِعْتَ بِذَبْحِهِ لِلمَوْتِ بَيْـ نَ المنْزِلَيْنِ كَذَبْحِ كَبْشِ الضَّانِ
٥٥٨٢ ـ حَاشَا لِذَا المَلَكِ الكَرِيمِ وإنَّمَا هُوَ مَوْتُنَا المَحْتُومُ لِلإِنْسَانِ
٥٥٨٣ ـ وَاللَّهُ يُنْشِىءُ مِنْهُ كَبْشاً أَمْلَحاً يَوْمَ المَعَادِ يُرَى لَنَا بِعِيَانِ
٥٥٨٤ ـ يُنْشِي مِنَ الأَعْرَاضِ أَجْسَاماً كَذَا بِالعَكْسِ كُلٌّ قَابِلُ الإِمْكَانِ
٥٥٨٥ ـ أَفَمَا تُصَدِّقُ أَنَّ أَعْمَالَ العِبَا دِ تُحَطُّ يَوْمَ العَرْضِ فِي المِيزَانِ؟
٥٥٨٦ ـ وَلِذاكَ تَثْقُلُ تَارَةً وَتَخِفُّ أُخْـ رَى ذَاكَ فِي القُرْآنِ ذُو تِبْيَانِ

٥٥٨٧ ـ وَلَهُ لِسَانٌ كِفَّتَاهُ تُقِيمُهُ وَالكِفَّتَانِ إلَيْهِ نَاظِرَتَانِ
٥٥٨٨ ـ مَا ذَاكَ أمْراً مَعْنَوِيّاً بَلْ هُوَ الْـ ـمَحْسُوسُ حَقّاً عِنْدَ ذِي الإيمَانِ
٥٥٨٩ ـ أوَ مَا سَمِعْتَ بأنَّ تَسْبِيحَ العِبَا دِ وَذِكْرَهُمْ وَقِرَاءَةَ القُرْآنِ
٥٥٩٠ ـ يُنْشِيهِ رَبُّ العَرْشِ فِي صُوَرٍ تُجَا دِلُ عَنْهُ يَوْمَ قِيَامَةِ الأبْدَانِ؟
٥٥٩١ ـ أوَ مَا سَمِعْتَ بأنَّ ذَلِكَ حَوْلَ عَرْ شِ الرَّبِّ ذُو صَوْتٍ وَذُو دَوَرانِ
٥٥٩٢ ـ يَشْفَعْنَ عِنْدَ الربِّ جَلَّ جَلَالُه وَيُذَكِّرُونَ بِصَاحِبِ الإحْسَانِ؟
٥٥٩٣ ـ أوَ مَا سَمِعْتَ بأنَّ ذَلِك مُؤنِسٌ فِي القَبْرِ لِلْمَلْفُوفِ فِي الأكْفَانِ
٥٥٩٤ ـ فِي صُورَةِ الرَّجُلِ الجَمِيلِ الوَجْهِ في سِنِّ الشَّبَابِ كأجْمَلِ الشُّبَّانِ؟
٥٥٩٥ ـ أوَ مَا سَمِعْتَ بأنَّ مَا تَتْلُوهُ فِي أيَّامِ هَذَا العُمْرِ مِنْ قُرْآنِ
٥٥٩٦ ـ يَأْتِي يُجَادِلُ عَنْكَ يَوْمَ الحَشْرِ للرَّ حْمنِ كَيْ يُنْجِيكَ مِنْ نِيرَانِ
٥٥٩٧ ـ فِي صُورَةِ الرَّجُلِ الَّذِي هُوَ شَاحِبٌ يَا حَبَّذَا ذَاكَ الشَّفِيعُ الدَّانِي
٥٥٩٨ ـ أوَ مَا سمِعْتَ حَدِيثَ صِدْقٍ قَدْ أتَى فِي سُورَتَيْنِ مِنَ أوَّلِ الفُرقَانِ؟
٥٥٩٩ ـ فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافٍ بَيْنَهَا شَرْقٌ وَمِنْهُ الضَّوْءُ ذُو تِبْيَانِ
٥٦٠٠ ـ شَبَّهَهُمَا بِغَمَامَتَيْنِ وإنْ تَشَأْ بِغَيَايَتَيْنِ هُمَا لِذَا مَثَلَانِ
٥٦٠١ ـ هَذَا مِثَالُ الأجْرِ وَهْوَ فِعَالُنَا لِتِلَاوَةِ القُرْآنِ بِالإحْسَانِ
٥٦٠٢ ـ أوَ ما سمِعتَ بِقَلْبِه سبحانَه الـ أعيَانَ مِن لَونٍ إلى ألوانِ؟
٥٦٠٣ ـ فَالْمَوتُ يُنْشِيهِ لَنَا فِي صُورَةٍ خَلَّاقُهُ حَتَّى يُرَى بِعِيَانِ
٥٦٠٤ ـ والموْتُ مَخْلُوقٌ بِنَصِّ الوَحْيِ والْـ ـمَخْلُوقُ يَقْبَلُ سَائِرَ الأكْوَانِ
٥٦٠٥ ـ فِي نَفْسِهِ وبِنَشْأَةٍ أُخْرَىٰ بِقُدْ رَةِ قَالِبِ الأعْرَاضِ والأعيَانِ
٥٦٠٦ ـ وَكَذَلِكَ الأعْرَاضُ يَقْلِبُ رَبُّهَا أعْيَانَهَا والْكُلُّ ذُو إمْكَانِ
٥٦٠٧ ـ لَمْ يَفْهَم الجُهَّالُ هَذَا كُلَّهُ فَأتَوْا بِتَأْوِيلَاتِ ذِي البُطْلَانِ
٥٦٠٨ ـ فَمُكَذِّبٌ وَمُؤَوِّلٌ وَمُحَيَّرٌ مَا ذَاقَ طَعْمَ حَلَاوَةِ الإيمَانِ
٥٦٠٩ ـ لَمَّا فَسَا الجُهَّالُ فِي آذَانِهِ أعْمَوْهُ دُونَ تَدَبُّرِ القُرْآنِ

٥٦١٠ ـ فَثَنَى لَنَا العِطْفَيْنِ مِنْه تَكَبُّراً وَتَبَخْتُراً فِي حُلَّةِ الهَذَيَانِ
٥٦١١ ـ إنْ قُلْتَ: قَالَ اللَّهُ قَالَ رَسُولُه فَيَقُولُ جَهْلًا: أَيْنَ قَوْلُ فُلَانِ؟

❋ ❋ ❋

فصلٌ

في أنَّ الجنَّةَ قِيعانٌ وأنَّ غِراسَها الكلِمُ الطيبُ والعملُ الصالح

٥٦١٢ ـ أَوَ مَا سَمِعْتَ بِأَنَّهَا القِيعَانُ فَاغْـ ـرِسْ مَا تَشَاءُ بِذَا الزَّمَانِ الفَانِي
٥٦١٣ ـ وَغِرَاسُهَا التَّسْبِيحُ والتَّكْبِيرُ والتَّـ ـحْمِيدُ والتَّوْحِيدُ لِلرَّحْمٰنِ
٥٦١٤ ـ تَبّاً لِتَارِكِ غَرْسِهِ مَاذَا الَّذِي قَدْ فَاتَهُ فِي مُدَّةِ الإمْكَانِ
٥٦١٥ ـ يَا مَنْ يُقِرُّ بِذَا وَلَا يَسْعَى لَهُ بِاللَّهِ قُلْ لِي كَيْفَ يَجْتَمِعَانِ
٥٦١٦ ـ أَرَأَيتَ لَوْ عَطَّلْتَ أَرْضَكَ مِنْ غِرَا سٍ مَا الَّذِي تَجْنِي مِنَ البُسْتَانِ
٥٦١٧ ـ وَكَذَاكَ لَوْ عَطَّلْتَهَا مِنْ بَذْرِهَا تَرْجُو المُغَلَّ يَكُونُ كَالكِيمَانِ
٥٦١٨ ـ مَا قَالَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَعَبْدُه هَذَا فَرَاجِعْ مُقْتَضَى الْقُرآنِ
٥٦١٩ ـ وَتَأَمَّلِ البَاءَ الَّتِي قَدْ عَيَّنَتْ سَبَبَ الْفَلَاحِ لِحِكْمَةِ الْفُرْقَانِ
٥٦٢٠ ـ وَأَظُنُّ بَاءَ النَّفْي قَدْ غَرَّتْكَ فِي ذَاكَ الحَدِيثِ أَتَى بِهِ الشَّيْخَانِ
٥٦٢١ ـ لَنْ يَدْخُلَ الجنَّاتِ أَصْلًا كَادِحٌ بِالسَّعْي مِنْهُ وَلَوْ عَلَى الأجْفَانِ
٥٦٢٢ ـ واللَّهِ مَا بَيْن النُّصُوصِ تَعَارُضٌ وَالكُلُّ مَصْدَرُهَا عَنِ الرَّحْمٰنِ
٥٦٢٣ ـ لَكِنَّ بَا الإثْبَاتِ لِلتَّسْبِيبِ وَالْـ بَاءُ الَّتي لِلنَّفْي بَا الأثْمَانِ
٥٦٢٤ ـ والفَرْقُ بَيْنَهُمَا فَفَرْقٌ ظَاهِرٌ يَدْرِيه ذُو حَظٍّ مِنَ العِرْفَانِ

❋ ❋ ❋

فصلٌ

في إقامةِ المأتمِ على المتخلِّفِينَ عنْ رُفْقةِ السَّابقينَ

٥٦٢٥ ـ بِاللَّهِ مَا عُذْرُ امْرِىءٍ هُوَ مُؤمِنٌ حَقّاً بِهَذَا لَيسَ بِاليَقْظَانِ

٥٦٢٦ ـ بَلْ قَلْبُهُ فِي رَقْدَةٍ فإذَا اسْتَفَا قَ فَلِبْسُهُ هُوَ حُلَّةُ الكَسْلَانِ

٥٦٢٧ ـ تَاللَّهِ لَوْ شَاقَتْكَ جَنّاتُ النَّعِيـ ـمِ طَلَبْتَهَا بِنَفَائِسِ الأثْمَانِ

٥٦٢٨ ـ وَسَعَيْتَ جَهْدَكَ فِي وِصَالِ نَوَاعِمٍ وَكَوَاعِبٍ بِيضِ الوُجُوهِ حِسَانِ

٥٦٢٩ ـ جُلِيَتْ عَلَيْكَ عَرَائِسٌ وَاللَّهِ لَوْ تُجْلَى عَلَى صَخْرٍ مِنَ الصَّوَّانِ

٥٦٣٠ ـ رَقَّت حَوَاشِيهِ وَعَادَ لِوَقْتِهِ يَنْهَالُ مِثْلَ نَقاً مِنَ الكُثْبَانِ

٥٦٣١ ـ لَكِنَّ قَلْبَكَ فِي القَسَاوَةِ جَازَ حَدَّ م الصَّخْرِ فالخَنْسَاءُ في أشجانِ

٥٦٣٢ ـ لَوْ هَزَّكَ الشَّوْقُ المُقِيمُ وَكُنْتَ ذَا حِسٍّ لَمَا اسْتَبْدَلْتَ بِالأدْوَانِ

٥٦٣٣ ـ أَوْ صَادَفَتْ مِنْكَ الصِّفَاتُ حَيَاةَ قَلْـ ـبٍ كُنْتَ ذَا طَلَبٍ لِهذَا الشَّانِ

٥٦٣٤ ـ خَوْدٌ لِعِنِّينٍ تُزَفُّ إلَيهِ ما ذا حيلةُ العِنِّينِ في الغَشَيَانِ؟

٥٦٣٥ ـ شمسٌ تُزَفُّ إلى ضَرِيرٍ مُقْعَدٍ يَا مِحْنَةَ الحَسْنَاءِ بِالعُمْيَانِ

٥٦٣٦ ـ يَا سِلْعَةَ الرَّحْمٰنِ لَسْتِ رَخِيصَةً بَلْ أَنْتِ غَالِيَةٌ عَلَى الكَسْلَانِ

٥٦٣٧ ـ يَا سِلْعَةَ الرَّحْمٰنِ لَيسَ يَنَالُهَا فِي الألْفِ إلَّا وَاحِدٌ لَا اثْنَانِ

٥٦٣٨ ـ يَا سِلْعَةَ الرَّحْمٰنِ مَنْ ذَا كُفْؤُهَا إلَّا أُولُو التَّقْوى مَعَ الإيمَانِ

٥٦٣٩ ـ يَا سِلْعَةَ الرَّحْمٰنِ سُوقُكِ كَاسِدٌ بَيْنَ الأرَاذِلِ سِفْلَةِ الحَيَوَانِ

٥٦٤٠ ـ يَا سِلْعَةَ الرَّحْمٰنِ أيْنَ المشْتَرِي فَلَقَدْ عُرِضْتِ بِأيْسَرِ الأثْمَانِ

٥٦٤١ ـ يَا سِلْعَةَ الرَّحْمٰنِ هَلْ مِنْ خَاطِبٍ فَالمَهْرُ قَبْلَ المَوْتِ ذُو إمْكَانِ

٥٦٤٢ ـ يَا سِلْعَةَ الرَّحْمٰنِ كَيفَ تَصَبَّرَ الْـ ـخُطَّابُ عَنْكِ وَهُمْ ذَوُو إيمَانِ؟

٥٦٤٣ ـ يَا سِلْعَةَ الرَّحْمٰنِ لَوْلَا أنَّهَا حُجِبَتْ بِكُلِّ مَكَارِهِ الإنْسَانِ

٥٦٤٤ ـ مَا كَانَ عَنْهَا قَطُّ مِنْ مُتَخَلِّفٍ وَتَعَطَّلَتْ دَارُ الجَزَاءِ الثَّانِي